

شرح الفوائد

تسع عشرة فائدة في حكمة أهل البيت

شيخ الميثالين الأوحد

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي

المجلد
الأول

إعداد وتحقيق

الشيخ الرافعي ناصر السليماني

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا



﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ^ج وَمَنْ يُؤْتَ

الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ^ق وَمَا

يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٣٦٩﴾

— سورة البقرة : ٢٦٩ —

شرح الفوائد

في حكمة أهل البيت عليهم السلام

شيخ المناهلين الأواحد

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

(المجلد الأول)

إعداد وتحقيق

الشيخ ماضي ناصر السلطان الأحسائي

شارك في مراجعة الكتاب:

الشيخ سعيد القرشي - الشيخ مجنبي السماعيل - الشيخ صالح الدباب

وأنا قد ذكرتها على نحو، ما عشر عليه
الحكماء، ولا وقف عليه العلماء؛ لأنهم يأخذون
تحقيقات علومهم بعض عن بعض .

وأنا لما لم أسلك طريقهم، وأخذت تحقيقات ما
علمت عن أئمة الهدى عليهم السلام؛ لم يتطرق على كلماتي
الخطأ؛ لأنني ما أثبت في كتبي فهو عنهم .

وهم عليهم السلام معصومون عن الخطأ، والغفلة
والزلل، ومن أخذ عنهم لا يخطئ؛ من حيث هو تابع،
وهو تأويل قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ .
سورة سبأ، الآية: ١٨ .

الإهداء :

ألسلام عليك..
يا غريب الغرباء..
وبأضامن الجنة..

يا علي بن موسى الرضا عليه السلام،

إليك أهدي هذا العمل المتواضع،
راجياً منك القبول والشفاعة..

خادمكم

مراضي ناصر الأحسائي



جميع الحقوق محفوظة للناسر

الطبعة الأولى - ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م

هوية الكتاب

📖 اسم الكتاب: شرح الفوائد في حكمة أهل البيت عليه السلام.

📖 اسم المؤلف: الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي.

📖 إعداد و تحقيق: الشيخ راضي ناصر السلام الأحسائي.

📖 طباعة ونشر: مؤسسة فكر الأوحد تدبّر.

📖 مكان الطباعة: بيروت - لبنان.

الموزع الرئيسي لإصدارات مؤسسة فكر الأوحد تدبّر

مكتبة الشيخ الأوحد الأحسائي تدبّر - سوريا - السيدة زينب عليه السلام

هاتف نقال: (٠٠٩٦٣٩٣٣٠٦٧٦٦) - ص.ب: (٢١٣).

الأحساء: (٠٠٩٦٦٥٠٠٨٥٨٥١٣) - ص.ب: (٣١٩٨٢).

الموقع الإلكتروني: www.FikrALawhad.net

البريد الإلكتروني: Radi@FikrALawhad.net

نَقَرِيطُ الْكَبِيرِ الْإِسْلَامِيِّ أَبْنَاءُ اللَّهِ الْمُبَرِّزِينَ عِبَادَ اللَّهِ الْإِحْسَانِيِّينَ (بِسْمِ اللَّهِ)

بِسْمِ
اللَّهِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

تَحْقِيقُ الْحَاضِرِ الَّذِي جَعَلَهُ اخُ الْفَاضِلِ الشَّيْخِ
رَاضِي السَّلْمَانِ حَوْلَ شَرْحِ الْفَوَائِدِ مِنْ تَالِيَفَاتِ
شَيْخِنَا الْوَاحِدِ فِي حِكْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ
فَوَائِدُهَا، تَحْقِيقُ مِمَّا زَوَّاهُ وَالْطَّلَبُ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى أَنْ يَسْتَفِيدَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ مِنْ
هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْمُبَارَكَةِ، بِشُكْلٍ جَيِّدٍ، آمَنَّا بِاللَّهِ
وَاللَّامِ عَلَيْهِمُ وَرَحِمَهُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ

خادمكم
ميرزا محمد علي الحائري
الاحقاصية
١٤٥٠، ٦، ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين،
سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(موسوعة شرح الفوائد في حكمة أهل البيت عليهم السلام)؛ ذلك الحلم
الذي ظل يداعب أفئدة محبي الحكمة منذ زمن بعيد، وكنا نحسب أن
القدر لم يشأ أن تتم ولادته الجديدة بعد، لا سيما بعد أن رأينا مصير
خطوات العديد من الأخوة -الذين رغبوا في نيل شرف تحقيقه وطباعته-
إلى التأجيل أو التوقف، ومع كل تلك الصعوبات والعقبات؛ قررنا
الاستمرار في إنجازه وهيئته، علنا نوفق لِمَا لم يوفق إليه غيرنا.

وهذا ما كان بالفعل، حيث تم إدخال هذا العمل إلى غرفة خبير في
مجال تحميل المخطوطات، ألا وهو سماحة الشيخ راضي ناصر السلطان
الأحسائي (أيده الله تعالى)، فأخرج الكتاب بحق آية جمالية، بعد أن
أجرى له عدة من العمليات التجميعية، من مطابقة وتحقيق، وعنوانه
وفهرسة، وجمع للمتفرقات وغير ذلك.

ولعل البعض قد سمع اسم هذا الكتاب، ولم يعرف عنه الكثير، لعدم
توفر الكتاب للاطلاع، إلا بنسخ مخطوطة نادرة الوجود، ولكن اليوم
وبحمد الله فإن الكتاب بين يديك الكريمتين، وباستطاعتك أن تقرأه

لتعرف قيمته العلمية، ولا نريد أن نستبق الأحداث في تعريفه لك، فقد تكفل بهذه المهمة سماحة الشيخ سعيد القريشي (حفظه الله)، فأعطى القارئ صورة هية عن الكتاب، بحيث يجعلك تشعر ببرودة معانيه تتسرب إلى زوايا قلبك، فتجعلك تحث الخطى للوصول إلى متنه.

ومما زاد في جمالية الكتاب البحث الذي صاغه يراع فضيلة الشيخ مجتبي السماعيل (حفظه الله)، حيث أثبت أن الشيخ الأحسائي قدّر لم يكن قط بمعزل عن أصالة الفكر الشيعي؛ وذلك عندما أتى بنماذج من علمائنا الأفاضل الذين كان لهم نفس التوجه الذي كان يصّر عليه الشيخ الأحسائي، وهو منهج الحكمة الإلهية، التي لا تؤخذ إلا من حياض محمد وآله الطاهرين عليهم السلام.

وبهذه الجهود المتضافرة خرجت هذه الموسوعة الغراء لترى النور من جديد، ولتعم فائدتها على جميع المتعطشين للارتواء من نعيمها العذب. ونقدم بوافر الشكر لكل من ساهم بكثير أو قليل في إنجاح هذا العمل، ونلتمس الدعاء من إخواننا المؤمنين لمواصلة الجهود على هذا الطريق.

مؤسسة فكر الأوحاد قدّرت

للتحقيق والطباعة والنشر

١٧ - ٨ - ١٤٢٦ هـ

مقدمة المحقق:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم الحكيم، والصلاة على رسوله الأمين الكريم،
وآله الطيبين الأطهار الميامين.

العلم والمعرفة؛ أسمى الغايات التي من أجلها خلق الباري (جل علاه)
خلقه، فلا سبيل إلى الوصول لحقيقة العبادة وجوهرها؛ التي أمر وحث
إليها ﷺ عباده إلا بالمعرفة.

ومنه تبرز أهمية ذلك الزخم الهائل من الروايات في الحث على طلب
العلم والمعرفة، ومنها قول أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ مَا
خَلَقَ الْعِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ، فَإِذَا عَرَفُوهُ عَبْدُوهُ، فَإِذَا عَبْدُوهُ اسْتَغْنَوْا بِعِبَادَتِهِ
عَنْ عِبَادَةٍ مِنْ سِوَاهُ»^(١)، بل قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إِنَّمَا
يَعْبُدُ اللَّهَ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ، فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ؛ كَأَنَّمَا يَعْبُدُ غَيْرَهُ هَكَذَا
ضَلَالًا...»^(٢).

(١) كنز الفوائد، ج: ١، ص: ٣٢٨. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٩. بحار الأنوار،
ج: ٥، ص: ٣١٢.

(٢) الكافي، ج: ١، ص: ١٨٠. تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ١١٦. بحار الأنوار،
ج: ٢٧، ص: ٥٧.

❁ أقسام العلوم الإسلامية:

والعلوم - كما صنّفها علماء الإسلام - ثلاثة أقسام^(١):

الأول: علم الشريعة أو الفقه؛ وفيه تُبحث المسائل المرتبطة بالأعمال الشرعية التي يُلزم المكلف القيام بها، وكيفية وحدودها، من قبيل: الصلاة، الصوم، الحج، الجهاد، الأمر بالمعروف، البيع، النكاح، تقسيم الإرث وغيرها.

الثاني: علم الطريقة أو الأخلاق؛ وفيه تُبحث مسائل التعاليم التي تصوغ الإنسان من ناحية الصفات المعنوية، والخصائص الروحية، من قبيل: العدالة، التقوى، الشجاعة، العفة، الكرم، الاستقامة، الصدق، والأمانة وغيرها.

الثالث: علم الحقيقة أو العقائد؛ وفيه تُبحث المسائل والمعارف الاعتقادية، التي يجب التعرف عليها، والاعتقاد بها، كمسألة التوحيد، وصفات الله، والنبوة العامة والخاصة، والإمامة، والمعاد، وغيرها.

(١) وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا التقسيم فقال: «إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ؛ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ»، راجع: الكافي، ج: ١، ص: ٣٢. وسائل الشيعة، ج: ١٧، ص: ٣٢٧. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٧٩. ويشمل هذا التقسيم متن الإسلام، دون العلوم الأخرى التي تبحث في المقدمات؛ كالأدبيات والمنطق وغيرها.

وبعبارة أخصر: إن جهة ارتباط التعاليم الإسلامية بالإنسان قد أخذت بعين الاعتبار في هذا التقسيم، فالمسائل التي ترتبط بعقل الإنسان وفكره سُمِّيت بـ(العقائد)، وتلك الأمور التي ترتبط بخُلُقهِ وروحهِ سُمِّيت بـ(الأخلاق)، وأما ما يرتبط بعمله فقد أعطي اسم (الفقه).

❁ أهم العلوم وأشرفها:

ولكن السؤال المهم الذي يجدر بنا طرحه هنا -انطلاقاً من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «الْعُمُرُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَعْلَمَ كُلَّ مَا يَحْسُنُ بِكَ عِلْمُهُ فَتَعْلَمَ الْأَهَمَّ فَالْأَهَمُّ»^(١):- أيُّ هذه العلوم هو الأهم، والأولى، والأشرف، والمقدّم على غيره من تلك العلوم؟.

الجواب: أن شرف العلم بشرف موضوعه، وقد قال الباري عز وجل: «كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِياً، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ؛ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِكَيْ أُعْرَفَ»^(٢).

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: ما رأس العلم؟ قال ﷺ: «مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ...»^(٣). وقال -أيضاً- ﷺ: «أَفْضَلُ الْعِلْمِ لَا

(١) شرح نهج البلاغة، ج: ٢٠، ص: ٢٦٢.

(٢) شرح توحيد الصدوق، ج: ٤، ص: ٤٠. جامع الأسرار، ص: ١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٩٩-٣٤٤.

(٣) التوحيد، ص: ٢٨٤-٢٨٥. جامع الأخبار، ص: ٥. مشكاة الأنوار، ص:

١٠. منية المريد، ص: ٣٦٦-٣٦٧. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ١٤.

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الاسْتِغْفَارُ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾^(١)..»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ..»^(٣).

وَعَنْ حَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي فَضْلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ ﷻ مَا مَدُّوا أَعْيُنَهُمْ إِلَى مَا مَتَعَ اللَّهُ بِهِ الْأَعْدَاءَ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا، وَكَانَتْ دُنْيَاهُمْ أَقْلٌ عِنْدَهُمْ مِمَّا يَطْوُونَهُ بِأَرْجُلِهِمْ، وَلَنَعْمُوا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ ﷻ وَتَلَذُّوا بِهَا تَلَذُّذٌ مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ مَعَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ.

إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ ﷻ آنَسٌ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ، وَصَاحِبٌ مِنْ كُلِّ وَحْدَةٍ، وَنُورٌ مِنْ كُلِّ ظُلْمَةٍ، وَقُوَّةٌ مِنْ كُلِّ ضَعْفٍ، وَشِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سُقْمٍ..»^(٤).

وقال الشهيد الثاني قدس سره في منيته: (إذا تعددت الدروس؛ فليقدم منها الأشرف فالأشرف، والأهم فالأهم، فيقدم أصول الدين، ثم التفسير، ثم الحديث، ثم أصول الفقه، ثم الفقه، ثم النحو، ثم المعاني..)^(٥).

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) جامع الأخبار، ص: ٥٠. بحار الأنوار، ج: ٩٠، ص: ٢٨٢.

(٣) الكافي، ج: ١، ص: ١٤٠. التوحيد، ص: ٥٦. الاحتجاج، ج: ١، ص:

١٩٩. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٢٦. نهج البلاغة، ص: ٣٩. نهج الحق، ص: ٦٥.

(٤) الكافي، ج: ٨، ص: ٢٤٧.

(٥) راجع: منية المريد، ص: ٢١١، القسم الثالث؛ آداب المعلم في درسه.

ومما يُبرز أهمية البحث في علوم العقائد وأصول الدين؛ أن الشارع المقدّس لم يقبل من المكلف أن يُقلّد في نتائج هذا العلم، ويأخذها تعبّداً بدون أدنى بحث واستدلال، كما هو الحال في العلوم الأخرى. بل إنَّ فقهاءنا أجمعوا على عدم جواز التقليد في المسائل الاعتقادية (أصول الدين)، ولا بالظن الحاصل من أقوال الناس، بل لابد من اليقين والإيمان بالدلائل والبراهين العقلية، والآثار الآفاقية والأنفسية، ولو بطريق الإجمال.

❁ علم الكلام، نشأته، وتطوره:

الحق: أنَّ عرض الأفكار العقلية العميقة في المعارف الإسلامية قد حصل لأول مرة على يد أمير المؤمنين عليه السلام، في خطبه ودعواته ومذكراته، فكان أول من تحدث عن الله وصفاته، والحدوث والقدم، والبساطة والتركيب، والوحدة والكثرة، وغيرها من المسائل العميقة، التي ذُكرت في نهج البلاغة والروايات المُسندة للشيعة. وقيل: أنَّ أول من ألف كتاباً في هذا المجال من بين علماء الشيعة؛ هو علي بن إسماعيل بن ميثم التمار، وميثم التمار كان أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان خطيباً ومحدثاً عظيماً^(١).

(١) قال الشيخ الطوسي تثيراً: (عليّ هذا؛ أول من تكلم على مذهب الإمامية، وصنف كتاباً في الإمامة سماه الكامل، وله كتاب الاستحقاق "رضي الله عنه").

ومن بين أصحاب الإمام الصادق عليه السلام كان هناك مجموعة يُطلق عليهم عنوان المتكلمين، من مثل: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، وحُمران بن أعين، وأبو جعفر الأحول المعروف بـ "مؤمن الطاق"، وقيس بن الماصِر، وغيرهم.

وكانت هذه الطبقة تعيش في النصف الأول من القرن الثاني، تربّت على يد عدة من الأئمة عليهم السلام - من أبرزهم الإمام الصادق عليه السلام - وحصلوا منهم على التشجيع والدعم المتواصل في الكثير مما روته لنا آثار أهل البيت عليه السلام^(١).

→...

[الفهرست؛ للطوسي، ص: ٨٧. وللإطلاع على بعض مناظراته راجع: الفصول المختارة، ص: ٦٩-٧٠].

(١) في رواية طويلة نأخذ منها قدر الحاجة؛ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَوَرَدَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ صَاحِبُ كَلَامٍ وَفَقْهٍ وَفَرَائِضٍ، وَقَدْ جِئْتُ لِمُنَازَرَةِ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «... يَا حُمْرَانُ كَلِّمِ الرَّجُلَ، فَكَلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِ حُمْرَانُ. ثُمَّ قَالَ: يَا طَاقِي كَلَّمَهُ، فَكَلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِ الْأَحُولُ. ثُمَّ قَالَ: يَا هِشَامَ بْنَ سَالِمٍ كَلَّمَهُ، فَتَعَارَفَا. ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لِقَيْسِ الْمَاصِرِ: كَلَّمَهُ، فَكَلَّمَهُ، فَأَقْبَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَضْحَكُ مِنْ كَلَامِهِمَا مِمَّا قَدْ أَصَابَ الشَّامِيَّ...» [الكافي، ج: ١، ص: ١٧١-١٧٢. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٦٥. الإرشاد، ج: ٢، ص: ١٩٥. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ١٧٤. بحار الأنوار، ج: ٢٣، ص: ١٠].

وكان الإمام الرضا عليه السلام يشترك شخصياً في المناظرات التي كان يُقيمها المأمون، ويجتمع فيها المتكلمون من سائر الفرق^(١).

والفضل بن شاذان النيشابوري، الذي كان من أصحاب الإمام الرضا، والإمام الجواد، والإمام الهادي عليه السلام؛ كان فقيهاً ومحدثاً ومتكلماً أيضاً، وقد ألف العديد من الكتب في الكلام^(٢).

كل ذلك يدل على أن الأئمة الأطهار عليهم السلام لم يتصدوا لوحدهم لعلم الكلام، وإنما ربوا مجموعة من العلماء في مدرستهم.

ومما يشعُرنا بأهمية هذا النوع من العلم، ويُثبت ما أكدناه سابقاً من تسنمه الرتبة العليا بين أخويه؛ أن (هشام بن الحكم كان بارزاً ومتفوقاً في علم الكلام دون الفقه أو الحديث أو التفسير، وعندما كان شاباً كان

(١) للاطلاع على مناظرات الإمام الرضا عليه السلام، واحتجاجه على أرباب الملل المختلفة والأديان المشتقة في مجلس المأمون وغيره، راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، الباب: (١٢)، ص: ١٥٠، وما بعده. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٦، وما بعدها. بحار الأنوار، ج: ١٠، الباب: (١٩)، ص: ٢٩٩، وما بعدها.

(٢) قال الشيخ الطوسي تقي الدين: (الفضل بن شاذان النيشابوري: فقيه متكلم، جليل القدر، له كتب ومصنفات، منها: كتاب المسائل الأربع في الإمامة.. وكتاب إثبات الرجعة، وكتاب التوحيد من كتب الله المنزل الأربعة، وكتاب النقض على من يدعي الفلسفة في التوحيد والأعراض والجواهر والجزاء.. وكتاب التنبيه في الجبر والتشبيه، وله غير ذلك مصنفات كثيرة لم تعرف أسماؤها..). [الفهرست؛ للطوسي، ص: ١٢٤-١٢٥].

الإمام الصادق عليه السلام يُكرمه أكثر من بقية أصحابه، ويُقرِّبه إليه، والجميع متفقون في هذا الرأي؛ وهو أن سبب إكرامه كان فقط لأجل علمه بالكلام^(١).

وكان الإمام الصادق عليه السلام في الواقع يُريد من خلال تقديم هشام المتكلم على سائر علماء الحديث والفقه؛ أن يرفع من قيمة الأبحاث العقائدية، ويضع علم الكلام فوق رتبة الفقه والحديث^(٢).

(١) هشام بن الحكم: كان من خواص الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكانت له مباحث كثيرة مع المخالفين في الأصول وغيرها، وله من المصنفات كتب كثيرة، منها: كتاب الإمامة، وكتاب الدلالات على حدوث الأشياء، وكتاب الرد على الزنادقة، وكتاب الرد على أصحاب الاثنين، وكتاب التوحيد... وكتاب الرد على أرسطاطاليس في التوحيد، وكتاب الرد على المعتزلة، وكتاب الألفاظ.

وكان هشام يكنى أبا محمد، كوفي وتحول إلى بغداد، ولقي أبا عبد الله جعفر بن محمد، وابنه موسى عليه السلام، وله عنهما روايات كثيرة، وروي عنهما فيه مدائح له جليلة، وكان ممن فتن الكلام في الإمامة، وهذب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب.

وعن داود أبي هاشم الجعفري قال؛ قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في هشام بن الحكم؟، فقال: «رَحِمَهُ اللَّهُ، مَا كَانَ أَذْبَهُ عَنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ». راجع لأحواله: الفهرست؛ للطوسي، ص: ١٧٤-١٧٥. رجال ابن داود، ص: ٣٦٧. رجال العلامة الحلي، ص: ١٧٨. رجال الكشي، ص: ٢٥٥.

(٢) التعرف على العلوم الإسلامية، (علم الكلام)، من ص: ٥٣، وما بعدها (بتصرف).

✽ مدرسة الشيخ الأحسائي تَدْرُسُ واهتمامها بهذا العلم:

بعد هذه الإطلالة التاريخية الخاطفة حول (علم الحقيقة، أو العقيدة، أو الحكمة، أو الكلام) -مما شئت فعبر-؛ صار من الواضح جداً سبب اهتمام علمائنا الأعلام في فترة ما بعد الغيبة الصغرى خصوصاً؛ بالكتابة والتصنيف في هذا العلم، بدءاً من الخواجة نصير الدين الطوسي، والعلامة الحلي إلى غيرهما من العلماء.

ولن نكون بعيدين عن الصواب إن قلنا: أن من أهم المدارس التي أمدّت مكتباتنا العقائدية بزخمٍ هائلٍ من المؤلفات؛ هي مدرسة الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي تَدْرُسُ، فقد أسس مدرسة شامخة من مدارس الحكمة، التي ارتكزت انطلاقتها على ثلاث ركائز رئيسية:

الأولى: الاهتمام بهذا العلم أكثر من غيره، والتأليف فيه بقدر الإمكان، وما ذاك إلا فطنة من علماء هذه المدرسة للنصوص السابقة؛ التي شجع فيها أئمتنا عليهم السلام على تقديم وافر الاهتمام به.

الثانية: الاكتفاء وحصر الاستمداد من منابع هذه المعارف بالقرآن الكريم وأحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام؛ لكونهم عدل القرآن، وكلامهم نور، وهم العيون الصافية، التي من لم يشرب منها وقع في الكدرة لا محالة.

الثالثة: تقويم كل ما وصل من كتابات ومصنفات المدارس الأخرى؛ التي اختلطت فيها كلمات فلاسفة اليونان بكلمات أهل البيت،

وعرضها على القرآن وكلماتهم عليه السلام، وإخراج عقيدة نظيفة ومنقاة بماء عيونهم الصافية.

✽ الشيخ الأحسائي قدس سره وموقفه من الفلسفة المتقدمات:

وهنا أرى من اللازم الإشارة إلى أمرٍ في غاية الأهمية: وهو أن الالتزام بما سبق ليس معناه قدحٌ في جميع الحكماء السابقين -حاشا وكلا- بل إن الشيخ الأحسائي قدس سره يؤكد على أن: (الحكمة محفوظة بالوحي النازل على الأنبياء "صلوات الله عليهم"، وتلقوها الحكماء المتقدمون عنهم)، إلا أن ما يمنعه من اقتفاء ذلك الموروث النبوي أمران: الأول: أنهم (انفردوا عن الأخذ منهم -أي: من الأنبياء- كما جرى للمشائين والرواقيين، فإنهم ربما فهموا من تلقاء أنفسهم أشياء لا تجري على قواعد وحي الله سبحانه، وخصوصاً حكماء الإسلام لتلك العلة).

والثاني: (لأن المترجمين لكلامهم المكتوب في كتبهم باليونانية ربما ترجموا كل لفظة على حدة، فيقع الغلط والخطأ، إذ قد يكون المعنى لا يتأذى إلا بالمجموع).

وكمثال على ذلك يقول الشيخ الأحسائي قدس سره: (كما لو ترجمت قول الفارسي: "قسم بخور"، فقلت: "قسم". بمعنى: اليمين، و"بخور". بمعنى: كل؛ فإنه يطل المعنى، ويكون غير مراد الفارسي؛ لأن مراده: "إحلف"، وعلى ترجمتك يكون المعنى: "كل اليمين".

فلما كَثُرَ الخطأ من اجتهاد الحكماء من أنفسهم من غير أخذه من قواعد الوحي كما نزل، بل ربما فرَّعوا عليه ما لا يدخل تحت قواعده، ومن الخطأ في الترجمة، ومن تجويز سوء الفهم؛ اختلف رأي المتقدمين مع المتأخرين^(١).

وبالإضافة إلى استغناء أمة محمد المصطفى ﷺ عن غيرها من الأمم، واكتمالها بالقرآن الكريم الذي فيه تبيان كل شيء، واختزال كل تلك العلوم في الإمام المبين الذي قال عنه الباري ﷻ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، يجد الشيخ الأحسائي قدس سره نفسه غير مُلزم بالرجوع إلى ذلك الموروث الذي عكَّرتَه تلك الأسباب، ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾^(٣)!.

من هذا المنطلق أثبت -وبكل ثقة وجراءة- كلمته الشهيرة، حين قال عن المطالب التي أبدعها في كتابه (الفوائد): (وأنا قد ذكرتها على نحو ما عثر عليه الحكماء، ولا وقف عليه العلماء؛ لأنَّهم يأخذون بتحقيقات علومهم بعض عن بعض).

(١) راجع الفائدة (الحادية عشر) من هذا الكتاب، ج: ٢، ص: ٣٦٨-٣٦٩.
 (٢) سورة يونس، الآية: ١٢. وفي تأويل هذه الآية ورد بألفاظ مختلفة مضمون ما عن صالح بن سهل قال؛ سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقرأ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، قال: «فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ». [تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٤٧٧. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ١٥٨].
 (٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.

وأنا لما لم أسلك طريقهم، وأخذت تحقيقات ما علمت عن أئمة الهدى عليه السلام؛ لم يتطرق على كلماتي الخطأ؛ لأنني ما أثبت في كُتبي فهو عنهم، وهم عليهم السلام معصومون عن الخطأ، والغفلة والزلل، ومن أخذ عنهم لا يُخطئ؛ من حيث هو تابع^(١).

❁ تنوع مصنفات أعلام المدرسة وعمقها:

وكمصداق واضح وجلي لكثرة ما ألفه عميد هذه المدرسة في هذا الفن، يُمكننا تصنيف ما كتبه على أربع مستويات:

المستوى الأول: كتابة الرسائل المبسطة (في بعض ما يجب على المكلفين من معرفة أصول الدين.. وما يلحق بها، بالدليل ولو إجمالاً، لا بالتقليد على ما يظهر من ذلك، مما يحتمله عوام الناس)^(٢).

وهذا ما ضمَّنه الشيخ الأحسائي قدَّس في مقدمة كتابه: (حياة النفس)، وكذا تلميذه السيد الرشتي قدَّس في كتابه: (أصول العقائد)، ودرج عليه تباعاً غالب مراجع هذه المدرسة إلى يومنا المعاصر.

المستوى الثاني: شرح ونقد وتقويم مؤلفات أعلام المدارس السابقة لعصره، كما في شرحه قدَّس على كتابي: (المشاعر والعرشية).

(١) راجع مقدمة شرح المصنف على فوائده في هذا الكتاب، ج: ١، ص: ٢٢٨.

(٢) حياة النفس، ص: ٨٦.

ولذا قال في مقدمته على شرح المشاعر: (قد أمرني من تحب طاعته عليّ - من طالبي الحق واليقين - أن أكتب على كتاب الملا محمد صدر الدين الشيرازي - تجاوز الله عنه - المُسمّى بالمشاعر؛ كلمات تبين منه الغث من السمين، وتوضح الحق على طريقة أهل الحق المبين، محمد وآله الطاهرين "صلى الله عليه وعليهم أجمعين")^(١).

المستوى الثالث: تأسيس المنهج الخاص به في طرح بحوث هذا العلم، واستعراض مطالبه بشكل جديد، وعناية فائقة.

وبرز هذا المستوى غايةً الوضوح في كتاب (الفوائد)؛ ليكون هو وشرحه له بعد ذلك محور دروس بحث الخارج في الحكمة لسلسلة تلامذته من بعده.

ولذا يقول تلميذه الرشتي نقلاً: (كَبَّ هذا الكتاب؛ وهو موجزٌ مختصر، لكنه جامع للأمور العامة مما يتعلق بالوجودات الثلاثة، من الوجود الحق، والوجود المطلق، والوجود المقيّد، وقال في أول هذا الكتاب: "إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الطَّلَبَةِ يَتَعَمَّقُونَ فِي الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ، وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُمْ تَعَمَّقُوا فِي الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ، وَهُوَ تَعَمَّقُ فِي الْأَلْفَاظِ لَا غَيْرَ، رَأَيْتُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُرَوِّعَهُمْ بِعَجَائِبِ مِنَ الْمَطَالِبِ، لَمْ يُذَكَّرْ أَكْثَرُهَا فِي كِتَابٍ، وَلَمْ يَجْرَ ذِكْرُهَا فِي خِطَابٍ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِدَلِيلِ الْحِكْمَةِ.. إلى آخره".

وذكر في آخره: "وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا التَّكَرُّارُ فِي الْعِبَارَاتِ وَالتَّرْدِيدِ؛ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّفْهَمِ، وَلَوْ هَذَبْتُ الْعِبَارَةَ، وَأَقْتَصَرْتُ عَلَى الْإِشَارَةِ، لَكَلَّتِ الْبَصَائِرُ، وَأَنْسَدَّتِ الْمَذَاهِبُ إِلَى هَذِهِ الْمَطَالِبِ، وَمَعَ هَذَا فَإِنْ عَرَفْتَ فَأَنْتَ أَنْتَ" (١).

المستوى الرابع: لما كانت جملة من المباحث التي طرحها الشيخ الأحسائي تَدُلُّ جديدة العرض، مُبدعة المنهج، غضة الطرح، استخدم فيها مصطلحات مبتكرة؛ توالى رسائل العلماء والطلبة إليه، تستوضح وتستفهم عن بعض ما لم يألفوه من مباحث ومصطلحات.

حتى أن أحداً من أبرز العلماء من مرافقيه يصرُّ عليه مرةً بعد أخرى ليشرح كتابه الفوائد، بل ويُقنع الشيخ المؤلف تَدُلُّ: (أنَّ هذا أمرٌ واجبٌ؛ لتوقُّف الانتفاع بها، وفهم عباراتها عليه) (٢)، وحتى بعد شرحه الموسع؛ لم تنقطع بعض الرسائل من مُتلهِّفي فهم مطالبه، وغيرها من الكتب والمصنَّفات، وقد وصف السيد الرشتي تَدُلُّ هذا الشرح بقوله:

(ومنها: شرح جنبابه على الفوائد؛ أوضح معانيها، وشرح مبانيها؛ إجابة لالتماس المولى الأجل؛ الملا مشهد) (٣).

(١) دليل المتحيرين، ص: ١٤٢.

(٢) راجع مقدمة شرحه على الفوائد في ما يأتي.

(٣) دليل المتحيرين، ص: ١٤٢.

✽ بين يدي هذه الموسوعة الحكيمة:

ومع أن الكثير من تلك المصنفات لم تُنتشل من طبعاتها الحجرية القديمة، إلا أن أملاً طالما كان يراود المتفائلين من محبي هذه المدرسة بأن يأتي يوم بروزها وتألقها عاجلاً أو آجلاً.

وها نحن اليوم نوفق -بحولٍ من الله وقوته- أن نجتمع في هذه الموسوعة الحكيمة -التي بين يدي القارئ الكريم- ثلاث كتبٍ رئيسية:

(١) متن كتاب الفوائد؛ والذي يحتوي على: (اثني عشر فائدة في حكمة أهل البيت عليهم السلام)، وقد انتهى منها مؤلفها في الليلة التاسعة من شهر شوّال، سنة: (١٢١١هـ).

وهذا الكتاب وإن كانت عباراته سينقلها المصنف مُبَضَّعةً ضمن شرحه الآتي، إلا أن وضعنا له في صدارة هذا الكتاب لعدة اعتبارات، منها: (أ) كونه كتاب مستقل معدود من تراث مؤلفاته قدّس.

(ب) باعتباره فهرس مُجمل لمن أراد أن يطلع على مطالب الكتاب.

(ج) إدراك ما عاناه القراء من صعوبة في فكّ رموزه، ومدى ما أسداه المؤلف قدّس من خدمة جليّة بشرحه.

(٢) كتاب شرح الفوائد؛ حيث شرح فيه المؤلف تلك الفوائد شرحاً مبسوطاً، وختمه بقوله قدّس: (هذا آخر ما كتبت من الفوائد، وبيانه آخر ما أردت من البيان والتعليق على هذه الفوائد، حيث أنها لا

تُعرف إلا بتعريف مني؛ لُبَّعدها عن إدراك الأوهام، وبنائها على معاريض الكلام، من حكمة الأئمة الأعلام "عليهم أفضل الصلوة والسلام" (١).

انتهى منه في الليلة التاسعة، من شهر شوال، سنة: (١٢٣٣هـ).

(٣) **مُلحقات شرح الفوائد؛ وتشتمل على سبع فوائد** بدى للمؤلف أن يُلحقها بالكتاب بعد إذ، لتكتمل الفوائد (تسع عشرة) فائدة، فكان لابد أن يلتزم شملها في موسوعتنا هذه.

وحتى تكتمل لآلئ عقدنا الفريد، أدرجنا إلى الملحقات رسالة أرسلها الشيخ رمضان بن إبراهيم؛ يستفسر من المؤلف عن بعض عبارات هذا الكتاب ومسائل أخرى في نفس المضمار، أنهى الإجابة عنها المؤلف في الليلة السابعة والعشرين من شهر جمادى الأولى، سنة: (١٢٣٥هـ).

وإضافة إلى ما أفرغناه من الوسع في الإعداد والتحقيق الذي عهدته منّا القارئ العزيز؛ آثرنا - في هذا الإصدار، خدمة لزملائنا الباحثين - ختم هذا الجهد المتواضع بما رأيناه نافعا لهم من مختلف الفهارس الفنية المفصلة.

❁ أهل ورجاء، وشكر وختام:

آمل أن تكون هذه الحلة الجديدة لائحة لفخامة ما تحويه من معارف إلهية، ودرر أهل بيت العزة النبوية عليهم السلام، راجين الدعاء من كل ناظرٍ إليها ومستفيد، ومُسبغاً الشكر الجزيل لكل من ساهم بقليل أو كثير، وأخصُّ مولانا المعظم الحكيم الإلهي آية الله الميرزا عبد الله الإحقاقي (دام ظله الوارف)، وكذا الإخوة المشائخ الأعزاء، الذين ساهموا في مراجعة وتدقيق هذه الموسوعة المباركة.

وأذكر بالخصوص منهم:

فضيلة الشيخ سعيد القريشي (حفظه الله تعالى).

فضيلة الشيخ مجتبی السماعيل (حفظه الله تعالى).

فضيلة الشيخ صالح الدباب (حفظه الله تعالى).

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله،

وصلی الله على محمد وآله الهداة الميامین.

مراضي ناص سلمان الأحسائي

فجر ذكرى وفاة باب الخوانج عليه السلام، ومن جوار عقيلة بني طالب عليها السلام

٢٥ - رجب الأصب - ١٤٢٦ هـ -

نقاط سريعة حول عملنا في هذه الموسوعة

لم أشأ - كما هي عادي - أن أطيل في تفصيل خطوات العمل في هذه الموسوعة الفريدة، إذ أردت أن يحكي العمل نفسه ما بُذل من جهد لإخراجه بهذه الحلة، بعد سنين طوال من العمل المكثف، بيد أن قوانين هذا الفن تحتم عليّ الإشارة إلى النقاط التالية:

(١) النسخ التي اعتمدت عليها في مطابقة الكتاب كمايلي:

(أ) نسخة متن كتاب الفوائد؛ كتبها (محمد علي الخراساني)، في اليوم العشرين، من شوال سنة: (١٢٨٧هـ)، وتقع في (٩٧) صفحة.
(ب) نسخة شرح الفوائد؛ مشتملة على شرح الاثني عشر فائدة، ومُلحقة بها سبع فوائد، كتبها (عبد الرحيم بن حاجي)، في يوم الأربعاء، الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام، سنة: (١٢٣٧هـ)، وتقع في: (١٩١) صفحة.

(ج) نسخة أخرى لشرح الفوائد؛ مشتملة بالإضافة إلى شرح الاثني عشر فائدة على سبع فوائد، مع شرح للأولى منها، كتبها (محمد الموسوي)، وأمر بطباعتها (الميرزا محمد شفيع)، وتمّت في السابع عشر من شهر ذي القعدة الحرام، سنة: (١٢٧٤هـ)، وتقع في (٣٢٣) صفحة.

(د) نسخة رسالة الشيخ رمضان بن إبراهيم، الموجودة ضمن جوامع الكلم، ج: ١، من ص: ١٥٣، إلى ص: ١٦٠، كتبها (أحمد بن محمد التبريزي) في يوم الغدير، سنة: (١٢٧٣هـ).

(٢) **إِعْدَاد النَّصِّ**: بإدراج كل ما يلزمه من تقطيعٍ للفقرات، وترقيمٍ للحمل، وعناوين مناسبة، وإضافة ما يُقَوِّمُ النَّصَّ -إن احتاج لذلك- بين معقوفتين، وتبديل الرِّسْمِ الإملائي القديم بالجديد، وما إلى ذلك مما يتعلق بإخراج النَّصِّ في أحسن ما يكون.

(٣) **تَوْثِيقٌ وَتَحْقِيقُ النَّصُوصِ**: وهو إرجاع الآيات إلى مصادرها من القرآن الكريم، وإثبات المصادر التي نُقِلَ عنها ما ورد من روايات، وبالإضافة إلى ذلك؛ لم تقتصر في عملنا هذا على إدراج حركات الآيات، بل وحتى الروايات و متن كتاب الفوائد كان لها نصيبها من الحركات. وكذلك نُقِلَ نص الروايات التي نقلها المصنف بالمعنى، أو نُقِلَ بعضاً منها طلباً للاختصار، ومجموعة أخرى من الروايات التي تدعم بعض مباحث الكتاب.

(٤) **فَهَارِسٌ مَخْتَصَرَةٌ نَهَايَةَ كُلِّ مَجْلَدٍ**، وأخرى تفصيلية موسَّعة، في ختام هذه الموسوعة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً،
حمداً كثيراً دائماً أبداً.

بحوث قبل البدء:

(١)

(مميزات كتاب شرح الفوائد)

بقلم: الشيخ سعيد القرشي (حفظه الله تعالى).

شرح الفوائد إذا أردنا إعطاء تعريف له نقول: هو كتاب إبداعي في الحكمة القرآنية، بقلم العلامة الجليل أحمد بن زين الدين الأحسائي، نابغة الحكماء الربانيين، وباني المدرسة الحكمية الشيعية الجعفرية من كلمات ساداته عليهم السلام.

إذا بهذا الوصف نستطيع أن نرسم الجوانب المهمة التي تميّز هذا الكتاب، فمن الجدير قوله للقارئ الكريم حين قراءته لهذا الكتاب: أن الكتاب ليس كتاباً عادياً، ولا مكروراً في صفحات سبقت، بل هو إبداع حقيقي، وليس عرضياً في مضمونه، ومصطلحاته وصياغاته، فحينما تستهل قراءة مقدمته يفاجئك مؤلفه بأنه سيروّعك بجديد المطالب الإبداعية لم تأنسها قبلاً، ولم تذوقها في أي بستان آخر.

فهو -أي: مؤلف الكتاب- سيأخذك في رحاب حكمته التي استقاها من ساداته عليهم السلام، فلن تجد في الكتاب أدلة تؤيد وحدة الوجود بإلحادها، ولا أدلة تؤيد بساطة النفوس بساطة استحيل معها فناؤها، ولا صياغات تشرعن بسيط الحقيقة كل الأشياء، ولا أفكار تشرعن رمي أكثر

تراث أهل البيت في المتحف الفكري بحجة احترام عقلك وبرهانك، أو قواعد مستوردة تلوي نصوص القرآن والسنة عن دلالاتها الصحيحة، ولن تجد تمجيداً لمشائخ الصوفية، بل ستجد زللاً عذباً من نير النحل الذي تحدث عنه القرآن الكريم، والطعام الذي قدمه أئمتنا لحبيهم، والآن فلنتجول في رحاب صفحات شرح الفوائد لنحدد مميزاته، ونقرأ أفكاره ونستوضح إبداعاته الحكيمة:

(١) نصيحتي لك قبل القراءة:

قالوا عن شرح الفوائد: (السهل الممتنع)، وأقول عنه: البحر الحكمي الذي لا قعر له، تريد الوصول لقاعه فلا تصل. تسير قاعه، فيشدك سطحه، وما أن تصل السطح حتى يغريك القاع، فتستمتع بسباحة فكرية من طراز عالٍ لا تجدها في أي بحر فكري.

فهنا في بحر الشيخ الأحسائي اخلع جميع مسبقاتك الفكرية، والخيالات الصوفية، وأوهام البراهين؛ لتقتنص من بحره لؤلؤة الحكمة المحمدية، فأخالك لا ترفض هذه اللؤلؤة إذا كنت محباً شغفاً لتراث أئمتك، فامضٍ لا تلتفت لورائك، وامضٍ بعقلك وفطرتك ووجدانك وفؤادك، تغنم كنوزاً تغنيك دنياً وآخرة، وإذا لم تصدق فما عليك سوى أن تجرب.

(٢) الكتاب جسد الجديد بما يحمله المفهوم حقاً:

حينما تلامس أناملك شرح الفوائد للشيخ الأحسائي، ويقع نظرك الكريم على سطورهِ وحروفهِ؛ ستحتاج روحك قشعريرة إلهية عذبة، ممزوجة بنكهة الاكتشاف الجديد لأفكار كنت تراها في تراثنا، وتمر عليها مرور الكرام دون أن تلتفت إليها، ويتولد في داخلك السؤال الكبير، كيف لم أرها قبلاً، هل كنت أعمى؟!.

طبعاً عزيزي القارئ ننزهك عن العمى، ولكن كُرسَتْ جهود وعلى سنين طويلة لتقديم الحكمة اليونانية على أنها هي الحكمة الشيعية، فصار القارئ والطالب لا يجد أمامه سوى النظريات اليونانية والصوفية، التي عفى عليها الزمن، والتي تقدم في طبق الفتوحات العلمية في المجتمع العلمي الشيعي، رغم كونها أصبحت في متحف التأريخ الفكري، إذن كتاب مؤلفنا الذي هزَّ الدنيا، شغل الناس وملاً البصر بإبداعاته الحكيمة.

(٣) أسلوبه وصيغاته الحكيمة:

ومن إبداعات شرح الفوائد، إبداعه النصي بما يتضمنه من صياغة لغوية، وسلسلة حكمية فطرية، ومصطلح جديد، هو في أغلبه من تراثنا، سوى ما دعت الحاجة لعرض الفكرة بلغة عصرها ومصطلحها لتفهم:

أ- الصياغة اللغوية: اللغة أعلى إبداع الأمم وذروة نبوغها، وفيها يتجلى فكرها، وإذا قرأت شرح الفوائد يتجلى لك مدى نبوغ الشيخ اللغوي، من حيث أن اللغة أحد مقاييس اختبار ذكاء الأفراد، ومستوى

نضوجهم الفكري، فلغة كتاب شرح الفوائد مطوعة للشيخ الأحسائي، لينة في يديه، يصوغها كما يشاء في قوالبه وتراكيبه، مكنته لغته وبلاغته في كتاب شرح الفوائد تطويع أفكار معقدة في جُمْل بسيطة سلسلة، ينظمها عقداً من اللؤلؤ الحكمي، وإلى جُمْل نظمها تكون موافقة للفطرة البشرية، تحمل في باطن الجُمْل وظاهرها، منطوقها ومفهومها مساحة عقلية، نضحت من تلك القوالب الفطرية، تقنع القارئ الكريم بما تحمله من ثمرات الحكمة القرآنية الياقة، فتشجعه على هضمها ليقوى بها قلبه، ويشد نظره نحو مسائل التوحيد الصحيح.

ب- السلسلة الحكمية الفطرية: لا نريد التحدث هنا عن الترتيب

المنطقي المعهود للفكرة في عرض النص لها، بل نريد التحدث عن سلسلة وتوافق من نوع مختلف للفكرة في سلّم الاقتناع بها، حين القراءة للنص الإبداعي في شرح الفوائد.

من الجدير بالذكر: إن هذه السلسلة والتوافقية النصية في عرض الفكرة تقوم على ملاسة الفكرة بسطحها وعمقها، مفردتها وتوليفها الجُملي، جوهر الفطرة الإنسانية الصافية من الشوائب الفكرية، حيث اعتمد فهم النص القرآني، والإيمان به عليها، بمعنى: أن أصحاب المذاق الفلسفي الأرسطي اعتادوا تفسير وعرض النص القرآني وحقيقته من خلال الخلفية الفلسفية الأرسطية كمقياس اختبار صارم يفحم ولا يقنع في أغلبه، كما آمنوا باستحالة المعاد الجسداني المحسوس في الدنيا من خلال الموروث الأرسطي، رغم كونه صرف خيال بشري مهلهل لم تصمد

قاعده المنطقية أمام ضربات الدليل المتوالية، على العكس من سلاسة التوافقية الفطرية القائمة في تفسير الحقيقة القرآنية على الفطرة البشرية، والحقيقة القرآنية المحكمة بوصفها القناة الحق من الحق.

ج- الإبداع الاصطلاحي: الإبداع الاصطلاحي عند الأحسائي في فوائده ينطلق من ركيزتين مهمتين؛ الأولى: من اللغة كونها لغة القرآن، وكونها لغة الفكر الإسلامي، وبناء على نظريته في المناسبة الذاتية بين اللفظ والمعنى. والركيزة الثانية: من النصوص الشرعية.

هذا في مصطلحاته التي ابتكرها بنفسه في فوائده، أما المصطلحات الأخرى، فقسم منها استخدم فيها نفس اللغة الفلسفية السائدة لإيصال فكرته بأسلوب المجادلة، وهو المستوى الثاني الاستدلالي في فوائده بعد المستوى الحكمي، وستحدث في بحث مفصل مستقل عن هذا البحث عن الإبداع الاصطلاحي عند الشيخ لا حقاً.

(٤) الإبداع الفكري:

إبداعات الشيخ في فوائده عديدة، ولكن سنتناول فقط إبداع مفهوم الحكمة القرآني الذي نلخصه بالجملة التالية: إن الإنسان في سيره المعرفي نحو الله ليحقق الهدف المنشود من خلقه، ألا وهو المعرفة التوحيدية السليمة حيث قال المولى سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، وكما ورد عن الصادق عليه السلام: «أي: ليعرفوه»، فهذا

السير المعرفي لحقائق الموجودات، كي في النتيجة القصوى يصل السائر لتوحيد خالقها، ينحصر في طريقين حصريين لا ثالث لهما:

الطريق الأول: المعرفة المنصبة على الطبيعة الكونية، أو الوجود الحسي الخاضع للحواس، فهذا يختص بالعلم التجريبي الاستقرائي، ونتائجه يمكن اختبارها والتأكد منها ضمن المقاييس الحسية الصرفة، بمعونة العقل الضروري.

والطريق الثاني: هي المعرفة المنصبة على النصوص القرآنية والأحاديث من أهل العصمة عليهم السلام، كونهم ناطقين عن الله سبحانه الذي خلق هذا الوجود بجانيه الحسي والغبي، فالحسي يمكن دراسته عن طريق الأدوات الحسية، أما الغبي لا شك فهو غير خاضع لها، ولا للعقل بالشكل التفصيلي للمعرفة التوحيدية، إذن إذا انسد طريق الحس لمعرفة كل غائب عنا وكذلك العقل لا يمكن أن يكون مستواه في التحصيل المعرفي سوى معلومات كلية ضرورية، تعين سلوك طريق القرآن والسنة بمعونة العقل الضروري لاستكشاف تلك الجوانب الغيبية المجهولة، وهذا هو مفهوم الحكمة بالشكل المختصر الذي أتى به مؤلف الكتاب.

وأما مَنْ يحصر المعرفة الغيبية في البرهان العقلي فقط، نقول له: العقل يخطأ ويصيب، وخطؤه أكثر من صوابه بكثير، فالعقل في المعرفة

الحكمة كما هو في المعرفة الحسية أداة مساعدة فقط، كما تعمل في الطبيعة تعمل في النصوص القرآنية والسنة^(١).

(٥) الأسلوب النقدي:

هذا الكتاب ليس مخصصاً للنقد كـ(شرح العرشية والمشاعر)، ولكن تعرض فيه لكثير من النظريات الفلسفية، ويتلخص قبوله ورفضه لأي نظرية ضمن الضوابط التالية:

تميز الأحسائي بأسلوب ذي أركان اختلف فيه عن غيره ممن درسوا الفلسفة اليونانية، لينطلق من الكتاب والسنة والعقل لتمييز النص السليم منه عن القبيح على النحو التالي:

أولاً: الانطلاق من الكليات إلى الجزئيات: فيما تأكد عنده سلامة هذه (الكلية) من محكمات الكتاب والسنة الشريفة، والعقل الموافق لهما، فنجد كتطبيق لهذه القضية صفات الواجب، حيث اعتمد قاعدة (كل مالا يجوز سلبها عن ذات واجب الوجود ولا وصفها بالضد فهي صفة ذاتية) هذه قاعدة استنبطها من القرآن والسنة، والعقل المؤكد لهذه الحقيقة^(٢).

(١) الذي يجب معرفة المزيد عن مفهوم الحكمة عند الشيخ الأحسائي، فليراجع كتابي: (مفهوم الحكمة القرآني عند الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي).

(٢) راجع: دراستنا (نظرية التوحيد عند الشيخ الأحسائي) على الموقع الإلكتروني:

شرح المثال: رأى الأحسائي أن القرآن ميز بشكل واضح بين الصفات الذاتية للواجب والفعلية، فكيف يقع هؤلاء المتكلمون في هذا الشطط الكبير في قضية الصفات، فلاحظ أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن الصفات الذاتية لا يعود وينفيها مرة أخرى، فإذا تحدث عن القدرة لا ينفيها، فيثبت عكسها، كأن يقول: (قَدَرَ اللهُ ولم يقدر)، على العكس من صفة (الإرادة) فعندما يتحدث عنها، يعود وينفيها بشكل طبيعي، كما قال: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ...﴾^(١)، ويأتي بنفي للإرادة في آية أخرى، كما قال: ﴿لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ...﴾^(٢).

ثانياً: السير من الجزئيات إلى صنع (كلية) يمكن تطبيقها ضمن منهجه النقدي، وهذا يدل على الثروة المتزايدة في منهجه دون انقطاع، على عكس من اكتفى بالموروث اليوناني الجامد.

ولعله أبرز من استفاد من هذه النقطة تلميذه السيد كاظم الرشتي قدس سره، حيث فصل بعده بشكل مذهل النصوص الفلسفية وكذلك الاستفادة من الكتاب والسنة، لذلك نجد شخصنا الأحسائي لم يرفض الكثير من النصوص الآحاد، لأنه وظّفها من خلال منهجه النقدي، ولكن

(١) سورة القصص، الآية: ٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤١.

ليس بالاعتباطية التي رماه مخالفوه بها، بل على أساس علمي رصين، وذلك بوجود القرائن القطعية التي تدعمها من الكتاب والسنة.

ثالثاً: شمول نقده للشكل والمضمون؛ من قرائتنا لكتابه (شرح العرشية، وشرح المشاعر)؛ نجد أن نقده للنصوص الفلسفية نقداً شاملاً لا يترك شيئاً، فهو عندما ينقد، ينقد اللفظ ومعناه ولا يغريه النص مهما كان جميلاً، بل يشرّحه، كما يشرّح الجراح الجثة. من هنا كان نقده على الفلاسفة تارة يكون على اللفظ فقط، وتارة على مدلول النص، ونجد التطبيق في هاتين القضيتين مجتمعتين في نقده (للمعقولات الخمسة).

وإليك شرح المثال: أثبت في الفلسفة قبل الشيخ الأحسائي أن كل ما يعقله الذهن البشري محصوراً في خمسة أشياء يصطلح عليها (المعقولات الخمسة) كالتالي: (١) واجب الوجود لذاته. (٢) ممتنع الوجود لذاته.

(٣) ممكن الوجود لذاته. (٤) واجب الوجود لغيره. (٥) ممتنع الوجود لغيره. حكيمنا يعترف اعترافاً تاماً بالأول (واجب الوجود لذاته)، وإن

كان لفظ (واجب الوجود) لم يرد فيه نص، ولكن يتسامح فيه ويعبر عنه بالواجب، بينما يرفض الثاني رفضاً تاماً واقعاً واقتراضاً، لأنه ينافي التوحيد

الحقيقي لله سبحانه وتعالى، وأما الثالث: (ممكن الوجود لذاته)، فالشيخ يعترف به، ولكن يتساءل في كلمة (لذاته)، هل تعني أن إمكانية الممكن

من ذاته، أم من غيره؟ فإن كانت من غيره، أي الله، فالمفروض أن تكون الصياغة الحكيمية: (ممكن الوجود لغيره)، أي الله.

أما إن كانت إمكانية الممكن من ذاته، أي ليست من غيره، أي (الله) فكلامكم صحيح، ولكنّه، أي رأيكم ينافي التوحيد.

أما الرابع والخامس فكلاهما عند شيخنا صحيحان، ولكن لا يصحّ أن يكونا قسيمين للممكن، لأنهما من أقسام الممكن، والشيء لا يكون قسيماً لنفسه.

رابعاً: التطابق بين القضية الذهنية والخارجية والحقيقية: من المهم جداً أن نعرف أن الأحسائي في جل نقوداته يلاحظ التطابق بين القضية الذهنية والخارجية والحقيقية ونفس الأمر، من هنا لا يمكن الفصل عنده بين واحدة وأخرى في منهجه النقدي، فنلاحظ مثلاً عندما نقد الأحسائي التعريف المشهور للحادث: (الحادث هو المسبوق بالعدم). نقده بملاحظة عدم انطباق هذا التعريف على الحادث لا في الواقع، ولا في الذهن، وكذلك في الحقيقة ونفس الأمر، من هنا رفض هذا التعريف لكونه قاصراً عن وصف حال الوجود الحادث.

شرح المثال: يوجه حكيمنا سؤاله بهذا الشكل، هذا العدم السابق على الحادث قديم، أم حادث مثله؟، فإن كان حادثاً مثله، فهو محتاج إلى عدم آخر يسبقه، وهكذا فيتسلسل، والتسلسل منافي للمنطق والعقل، إذاً هو باطل. وإن كان هذا العدم السابق قديماً، فهو باطل.. لأنه يلزم تعدد القدماء، وهو منافي للتوحيد. أي: يرى الأحسائي أن الفلاسفة المسلمين، قد أخذوا مسألة العدم من اليونان بدون تمحيص عقلي، ولم يعرضوها على محكمات القرآن، فالعدم عندهم فضاء مظلم خلقت منه الأشياء، ولم

يسألوا أنفسهم مرة مَنْ خلق العدم؟، فإن أقروا أن العدم مخلوق بطل تعريفهم، وإن قالوا بقدم العدم؛ لزمهم إثبات قدم مع الله، فالعدم مخلوق من مخلوقات الله، كما بين الأحسائي في كتبه، وأكدّه الصادق عليه السلام في حديث هل النفي شيء، أم لا بين زرارة وهشام.

إذن الفلاسفة المسلمون عرّفوا الحادث نظرياً بقطع النظر عن واقعه، على العكس من الأحسائي الذي راعى الجانب اللفظي والواقعي، وهذا عين دليل الحكمة عنده، فراجع كتبه المفصلة.

٦) الأسلوب المنهجي:

نريد التحدث هنا فقط عن ترتيب أبحاث الكتاب، بمعنى: لماذا مثلاً بدأ في المقدمة الحديث عن منهجه؟، فنقول: الشيخ الأحسائي رتب كتابه ترتيباً منهجياً بما يقتضيه عرض أفكاره في فوائده كالتالي:

- **بدأ في المقدمة؛** بتنبية الطلاب وطالبي الحكمة أنه سيروعههم بجديد المطالب الحكيمة المبدعة، لم يأنسوها من قبل كي يمهّد نفسية الطالب لاستقبال هذا المولود الحكمي الجديد، ثم انتقل في نقد الفلسفة ومشاربها المتعددة، وهذا تمهيد كي ينتقل لطرح مفهوم الحكمة المبدع الغريب على الجوّ الفلسفي.

- **في الفائدة الأولى:** بعد تلك المقدمة انتقل بعد تحديد الحكمة لتحديد منهجها في الوصول للحقيقة الحكيمة وعرضها، كي يمهّد من خلال هذا المنهج لهضم واستيعاب أفكاره التي يطرحها هذا في المقدمة.

- في الفائدة الثانية: وبعد تحديد المنهج كان لازماً التحدث عن الأمر العام في الحكمة الذي يشكل جوهرها المشاع في مسائلها، وهو بحث الوجود حيث بدأ بالتحدث عن الوجودات المختلفة: الوجود الحق، والوجود الراجح، والوجود المقيد، حيث فرق بشكل لا يقبل التشكيك كون الوجود الحق هو الله لا غير، والباقيان وجودان مخلوقان حادثان، إذن لا وحدة وجود موجودة في البين.

- في الفائدة الثالثة: في هذه الفائدة وبعد تمييزه لأنواع الوجودات عاد ليشرح الوجود المطلق المخلوق الذي يشكل المادة الأولى للخلق.

- في الفائدة الرابعة: وبعد شرح لأنواع الوجود كان لازماً عليه أن يتحدث عن الفعل الذي أوجد هذا الوجود المخلوق.. إلخ. وهكذا تسلسل في ترتيب أفكار كتابه وشرحها بالترتيب المنهجي الذي تقتضيه الفكرة الحكيمة.

انتهت بحمد الله في: ١٢ / ٧ / ١٤٢٦ هـ

دمشق - السيدة زينب عليها السلام

(٢)

(علماء آمنوا بالحكمة ورفضوا الفلسفة)

بقلم: الشيخ مجتبى السماعيل (حفظه الله تعالى).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه ومظهر لطفه،
نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

حالما تبدأ بقراءة هذا الكتاب سيتبين لك البون الشاسع بين الفلسفة
والحكمة، وستعرف -أيها القارئ الكريم- أن الفلسفة تستمد أفكارها
من العقل البشري، وهي بمعزل عن الكتاب والسنة، وإن حاول بعض
الفلاسفة المسلمين التوفيق بينها وبين الدين دون جدوى، فهما أهل ملتين
لا يتوارثان.

وستعرف أيضاً أن الحكمة مستمدة ومستقاة من صميم القرآن
الكريم والسنة المطهرة، بحيث لا تجد فكرة حكيمة تتناقض أو تتعارض أو
تضاد المنهج القرآني، لأهم عليه السلام قالوا: «..ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عُيُونِ كَدَرَةٍ
يُفَرِّغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْنَا إِلَى عُيُونٍ صَافِيَةٍ تَجْرِي
بِأَمْرِ رَبِّهَا، لَا تَفَادُ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ»^(١).

ولكي لا تتصور أن التفريق بين الفلسفة والحكمة فكرة تفرد بها الشيخ الأحسائي قدّم، أجبنا أن نسوق أمثلة عديدة اتفق فيها علماء عظام مع رؤية الشيخ الأحسائي في رفض الفلسفة، والكثير من نتائجها المخالفة صراحة لحكم الكتاب والسنة، وآمنوا بالكثير مما آمن به الشيخ الأحسائي، وإن اختلفوا في طريقة التعبير عنه، لأن مرجعهم في النهاية هو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

❖ رأي العلماء في الفلسفة والفلاسفة:

لقد انتقد الشيخ الأحسائي الفلسفة والفلاسفة في غالب كتبه، ويكاد لا يخلو كتاب أو رسالة إلا وتجد الشيخ يتعرض لانتقادها أو انتقاد الكثير من نظرياتها.

ولم يكن الشيخ الوحيد الذي فعل ذلك، بل هناك علماء آخرون كانوا على نفس النهج، يرفضون الفلسفة، ويدعون إلى التمسك بالثقلين المأمور بالتمسك بهما.

ونذكر من أولئك العلماء العظام:

آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي في تعليقاته على كتاب (إحقاق الحق) قال ما نصه: (ليس المراد من الحكمة في الآية^(١) الفلسفة التي هي تراث اليونانيين، بل المراد العلم الذي به حياة الأرواح، وشفائها

(١) المقصود قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، [سورة الجمعة، الآية: ٢].

من الأسقام، وهل هي إلا العلوم الدينية الإسلامية، والمعتقدات الحقّة، وأسرار الكون، بشرط اتخاذها عن الراسخين في العلم، الذين من تمسك بهم فقد نجى؛ كيف، وعلومهم مستفادة من المنابع الإلهية^(١).

وقال حينما فرغ من الكلام عن المتصوفة، وعطف الكلام على الفلاسفة ما نصه: (والفلاسفة حوكة الآراء الفاسدة، والموهومات الكاسدة؛ قطاع طريق الأنبياء والمرسلين، وخلفائهم المرضيين، عصمنا الله تعالى من مضلات الفتن)^(٢).

ومنهم أيضاً آية الله العظمى العلامة الشيخ لطف الله الصافي في مقدمة إحدى رسائله، وهو يصف منهجه في تلك الرسالة قال ما نصه: (وقد تجنّبنا في هذه الرسالة عن الاستشهاد بمخترعات الفلاسفة أذنب اليونانيين، وأتباعهم من المنتحلين إلى المذاهب الإسلامية، أولئك الذين لم يهتدوا بهدى أهل بيت الوحي والنبوة ﷺ، وسلكوا سبلاً متشعبة أبعدتهم عن التمسك بالثقلين)^(٣).

ومن جملتهم أيضاً الشيخ الصدوق قدس في معرض كلامه عن الفلاسفة قال ما نصه: (فمنهم من سلك مسلك الحكماء [ويقصد بهم الفلاسفة] الذين ضلوا وأضلوا، ولم يقرؤوا بنبي، ولم يؤمنوا بكتاب، واعتمدوا على عقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة).

(١) إحقاق الحق، ج: ١، ص: ٩٧.

(٢) إحقاق الحق، ج: ١، ص: ١٨٣-١٩٢ و ٢٠٢.

(٣) مجموعة الرسائل، ج: ٢، ص: ١٣٦-١٣٧.

إلى أن قال: (فهم يؤولون النصوص الصريحة الصحيحة عن أئمة الهدى "صلوات الله عليهم" بأنه لا يوافق ما ذهب إليه الحكماء).
ثم قال: (ومعاذ الله أن يتكل الناس إلى عقولهم في أصول العقائد، فيتحيرون في مراتع الجهالات، ولعمري أنهم كيف يجترئون أن يؤولوا النصوص الواضحة الصادرة عن أهل بيت العصمة والطهارة، لحسن ظنهم بيوناني كافر، لا يعتقد ديناً ولا مذهباً)^(١).

نكتفي بهذا القدر من رأي العلماء في الفلسفة والفلاسفة؛ لأننا لو أردنا تتبع كل أقوالهم لاحتجنا إلى مجلد مستقل، وفيما نقلنا كفاية لمن يطلب الحق.

وكما يعرف كل من قرأ كتب الشيخ الأحسائي أنه لا يفوت فرصة في تنفيذ نظريات الفلاسفة من خلال عرض كل أدلتها، ومن ثم التصدي لنقضها وتزييفها، وهنا أيضاً لم يتفرد شيخنا بهذه الميزة بل له شركاء فيها، وهنا نعرض نماذج مما كتبه أجلة علمائنا في تنفيذ النظريات الفلسفية.

❖ نظرية (وحدة الوجود):

تعتبر هذه النظرية القاعدة الكلية التي يبتني عليها الفكر الفلسفي ككل، لذلك نجد الشيخ أكثر من الطعن فيها، ووجه إليها عناية خاصة حتى هدمها، وبذلك انهار البناء الفلسفي برمته، وبالطبع لم يكن الشيخ

(١) الاعتقادات في دين الإمامية، ص: ١٧.

بدعاً من العلماء، فهناك الكثير منهم تصدى لإبطالها، ونقض مبانيها وأدلتها، وعدّها من الكفر بالله، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

العلامة الأميني قدّس صاحب الموسوعة الشهيرة "الغدير" حيث قال مدافعاً عن المحقق الأردبيلي: (وقصارى القول : إنه جماع الفضائل، ومختبأ المآثر كلها ، ضع يدك على أي من المناقب تجده شاهد صدق على شموخ رتبته). إلى أن يقول: (ثم أيّ تصوف يريد الرجل فيما عابه من شيخنا العارف الإلهي؟، أريد ذلك المذهب الباطل الملازم للعقائد الإلحادية، كالحلول، ووحدة الوجود بمعناها الكفري، وأمثالهما..)^(١).

ومنهم الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدّس عندما تعرض لبيان أقسام الكفر قال: (..أو كفر نعمة من غير شبهة، أو هتك حرمة، أو سب لأحد المعصومين عليه السلام، أو بغض لهم، أو بادعاء قدم العالم بحسب الذات، أو وحدة الوجود على الحقيقة منهما، أو الحلول أو الاتحاد أو التشبيه أو الجسمية، أو الحلية للأعراض والأحوال، أو المكان على نحو الأجسام فيهن، أو الرؤية على نحو المراتب..)^(٢).

ومنهم أيضاً السيد محمد باقر الصدر قدّس في حديثه عن هذه النظرية قال: (لا شك في أن الاعتقاد بمرتبة من الشائبة التي توجب تعقل فكرة الخالق والمخلوق مقوم للإسلام، إذ بدون ذلك لا معنى لكلمة التوحيد،

(١) الغدير - الشيخ الأميني، ج: ١١، ص: ٢٨٣.

(٢) كشف الغطاء - الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ج: ٢، ص: ٣٥٩.

فالقول بوحدة الوجود إن كان بنحو يوجب عند القائل بها رفض تلك الشائبة فهو كفر^(١).

ومنهم أيضاً -وبه نختتم الحديث عن هذه النظرية- آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره حين تعرض لنقاش هذه النظرية قال: (..وإن أراد من وحدة الوجود ما يقابل الأول، وهو أن يقول بوحدة الوجود والموجود حقيقة، وأنه ليس هناك في الحقيقة إلا موجود واحد، ولكن له تطورات متكررة واعتبارات مختلفة، لأنه في الخالق خالق، وفي المخلوق مخلوق؛ كما أنه في السماء سماء، وفي الأرض أرض، وهكذا).

إلى أن قال: (فإن العاقل كيف يصدر منه هذا الكلام، وكيف يلتزم بوحدة الخالق ومخلوقه، ويدعي اختلافهما بحسب الاعتبار؟!، وكيف كان فلا إشكال في أن الالتزام بذلك كفر صريح وزندقة ظاهرة..)^(٢).

❖ نظرية (استحالة المحادة المعدوم):

هذه النظرية التي يقوم على أساسها نفي المعاد الجسماني، بمعنى: أن المعاد في يوم القيامة هي الصورة، وليس هذا الجسم المحسوس الملموس بصورته ومادته، كما هو رأي الملا صدرا الشيرازي قدس سره.

لقد تصدى الكثير من العلماء لإبطال هذه النظرية، نذكر اثنين منهم لضيق المجال، ونعتمد على القارئ في البحث عن البقية.

(١) شرح العروة الوثقى - السيد محمد باقر الصدر، ج: ٣، ص: ٣١٣.

(٢) كتاب الطهارة - السيد الخوئي، ج: ٢، ص: ٨١.

فمن هؤلاء العلماء العلامة المجلسي صاحب البحار حينما تعرض للحديث عن نظريات الفلاسفة قال ما نصه: (اعلم أن القول بالمعاد الجسماني مما اتفق عليه جميع المِلِّيِّين، وهو من ضروريات الدين، ومنكره خارج عن عداد المسلمين، والآيات الكريمة في ذلك ناصة لا يعقل تأويلها، والأخبار فيه متواترة لا يمكن ردها، ولا الطعن فيها).

وقد نفاه أكثر ملاحدة الفلاسفة تمسكاً بامتناع إعادة المعدوم، ولم يقيموا دليلاً عليه، بل تمسكوا تارة بادعاء البداهة، وأخرى بشبهات واهية لا يخفى ضعفها على من نظر فيها بعين البصيرة واليقين، وترك تقليد الملحدّين من المتفلسفين^(١).

ومن رفض هذه النظرية وعدّها مخالفة لضروريات الدين آية الله العظمى السيد الجنوردي في تحقيقه لحكم منكر الضروري قال ما نصه: (فبناء على هذا لو أنكر ضرورياً من الضروريات، لشبهة علمية حصلت من دون تكذيبه للنبي ﷺ، بل مع كمال إخلاصه والتصدق بنبوته ﷺ؛ لا يحكم بكفره، كما أنه ربما حصل مثل هذه الشبهة لبعض المحققين في الحكمة الإلهية في المعاد الجسماني، فإنه بعد ما يبيّن على تركيب الجسم من المادة والصورة، يقول: بأن المعاد هي الصورة الجسميّة من دون مادة، وجسميّة الجسم بصورته لا بمادته، وذلك بناء منهم على أن شيئية الشيء بصورته لا بمادته، فالمعاد في يوم النشور هو عين البدن الموجود في

دار الغرور، ولكن العينية بالصورة لا بالمادة. وأنت خير بأن هذا القول مخالف للضروري، لما هو الثابت في الدين الإسلامي بالضرورة أن المعاد في يوم القيامة عين البدن الدنيوي صورة ومادة، لا صورة فقط، وأمثال ذلك مما أنكره بشبهة علمية حصلت لهم^(١).

❖ قيمة ما يسمى بـ (البرهان الفلسفي):

كثيراً ما يحتج معتنقو الفلسفة ببراهينهم الفلسفية، فما قيمة هذه البراهين يا ترى عند العلماء الذين نذكر منهم:

المحقق البحراني صاحب الخدائق حينما نقل كلام الرازي مستشهداً على ضعف ما يسمونها البراهين؛ قال: (أقول: وقد سبقه إلى هذه المقالة الإمام الرازي، حيث قال: "هذه الأشياء المسماة بالبراهين، لو كانت في أنفسها براهين لكان كل من سمعها ووقف عليها وجب أن يقبلها وأن لا ينكرها أصلاً، وحيث نرى أن الذي يسميه أحد الخصمين برهاناً فإن الخصم الثاني يسمعه ويعرفه، ولا يفيد له ظناً ضعيفاً، علمنا أن هذه الأشياء ليست في أنفسها براهين، بل هي مقدمات ضعيفة انضافت إلى العصبية والمحبة إليها، فتخيل بعضهم كونها برهاناً، مع أن الأمر في نفسه ليس كذلك.

وأيضاً فالمشبه يحتج على القول بالتشبيه بحجة، ويزعم أن تلك الحجة أفادته الجرم واليقين، فإما أن يقال: أن كل واحدة من هاتين الحجتين صحيحة يقينية، فحينئذ يلزم صدق النقيضين، وهو باطل" ^(١) ومنهم الشيخ محمد علي الأنصاري حيث قال: (ما قيل من "أن الجرم الغفير من أهل الفضل والذكاء، مع استفراغ الوسع في الاجتهاد وإمعان النظر في طلب الحكم، يمتنع في العادة اتفاقهم على الخطأ"، وقد استشكل على هذا الدليل بالنقض بإجماع اليهود والنصارى، وسائر أهل الملل على ضلالتهم مع كثرتهم...وكم اتفق الفلاسفة على أمر برهاني، ثم انكشف خطأه بعد ذلك؟! ^(٢)).

ومنهم آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي رحمته الله حيث قال: (ولذلك نجد كل من ألف في علم من العلوم النظرية، لا تمضي على مؤلفه مدة حتى يتضح بطلان كثير من آرائه، فإن العلوم النظرية كلما ازداد البحث فيها وكثر؛ ازدادت الحقائق فيها وضوحاً، وظهر للمتأخر خلاف ما أثبتته المتقدم، والحقيقة - كما يقولون - بنت البحث، وكم ترك الأول للآخر.

ولهذا نرى كتب الفلاسفة الأقدمين، ومن تأخر عنهم من أهل التحقيق والنظر قد صارت عرضة لسهام النقد ممن تأخر، حتى أن بعض ما

(١) الحقائق الناضرة - المحقق البحراني، ج: ١، ص: ١٢٨.

(٢) الموسوعة الفقهية الميسرة - الشيخ محمد علي الأنصاري، ج: ١، ص: ٥٠٥.

اعتقده السابقون برهاناً يقينياً، أصبح بعد نقده وهماً من الأوهام، وخيلاً من الأخيلة^(١).

✽ نهاية المطاف:

في النهاية اتضح أن الفلسفة مرفوضة لدى الغالبية العظمى من علمائنا الأبرار، ممن ذكرنا ومن لم نذكر رعاية للاختصار، ومن حقنا أن نسأل: إذا كان الأمر كذلك فلماذا ظل هذا الرأي مغيباً؟، ولماذا أُوهِمْنَا بأن الفلسفة هي الطاغية على الفكر الشيعي، وهي المنهج المتبنى لدى غالبية علمائنا (رضوان الله عليهم)؟، ولماذا خُيِّلَ لنا أن الشيخ الأوحد الأحسائي معزول عن الفكر الشيعي، وليس هناك من يتفق معه في منهجه وأطروحاته؟.

الجواب على هذه الأسئلة صعب للغاية نتركه للتاريخ، فهو كفيل بإظهار الحقائق، والتغير قادم بحول الله للعودة إلى رحاب نبينا وآله عليهم السلام، وما هي إلا سنوات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

من حمى عقيلة الطالبين السيدة زينب عليها السلام

مجتبى طاهر السماعيل - ١٤٢٦/٧/٢١ هـ

(١) البيان في تفسير القرآن - السيد الخوئي، ص: ٦٧.

وقفه مع سيرة المؤلف

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس *

(١١٦٦ - ١٢٤١هـ)

❁ نسبه وأسرته :

هو الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين، بن الشيخ إبراهيم، بن صقر، بن إبراهيم، بن داغر، بن رمضان، بن راشد، بن دهيم، بن شمروخ، آل صقر، القرشي الأحسائي المطيري^(١).

من مشاهير العلماء، وكبار الحكماء الإلهيين.

كان آباء الشيخ الأحسائي يسكنون البادية بنواحي (الأحساء)، واتفق نزاع بين (داغر) -الجد الرابع للشيخ- وأبيه (رمضان)؛ أدى إلى

* له ذكر وترجمة في أكثر كتب التراجم، وفي غيرها أيضاً، وقد ألفت عدة كتب ورسائل مستقلة في ترجمته، منها:

١- سيرة الشيخ أحمد الأحسائي؛ لصاحب الترجمة في ترجمة نفسه.

٢- ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي؛ للشيخ عبد الله - نجل المترجم له -.

٣- دليل المتحيرين؛ للسيد كاظم الرشتي قدس.

(١) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص: ٩. ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص: ٤.

فراقهما، حيث هاجر (داغر) بأهله إلى قرية (المطيرفي)، وقد تعاقب في قرية المطيرفي بعد (داغر) أولاده وأحفاده حتى المترجم له.

وأما عشيرته فقد ذكر صاحب الترجمة: أن نسبهم ينتهي إلى (صقر)، ثم قال: (وهو كبير الطائفة المشهورة بالمهاشير وشيوخهم، وبه يفتخرون، وإليه ينتسبون)^(١).

وكان -رفع الله درجته- من رهط بني خالد، وبني خالد من قحاة، وهي تنتهي إلى قريش، أشرف العرب نسباً^(٢).

❖ مولده ونشأته:

وُلِدَ تَقْدُّمًا فِي (المُطِيرَفِي) مِنْ قَرْيَةِ الْأَحْسَاءِ، فِي شَهْرِ رَجَبِ عَامِ: (١١٦٦هـ)، وَبِهَا نَشَأَ وَتَرَعَّرَ؛ تَحْتَ رِعَايَةِ وَالِدِهِ الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ، وَبَانَ عَلَيْهِ عَلَامَاتُ النُّبُوغِ مِنْذُ نَعُومَةِ أَظْفَارِهِ، فَكَانَ يَذْكُرُ مَا جَرَى فِي بِلَادِهِ مِنَ الْحَوَادِثِ وَعَمَرِهِ سِتَانًا، وَخَتَمَ الْقُرْآنَ وَعَمَرَهُ خَمْسَ سِنِينَ، وَابْتَدَأَ يَدْرُسُ النُّحُوَّ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْحُلُمَ^(٣).

(١) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص: ٩.

(٢) عقيدة الشيعة، ص: ٨٣.

(٣) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص: ٩ - ١٣.

❖ مشائخه في الرياية، وبعض من إجازاته:

يروى يُثْبِتُ عن جماعة من فحول العلماء، منهم:

(١) السيد محمد مهدي الطباطبائي بحر العلوم^(١)؛ وتأريخ إجازته عام: (١٢٠٩هـ)، وقال فيها: (..وكان ممن أخذ بالحظ الوافر الأسنى، وفاز بالنصيب المتكاثر الأهنى؛ زبدة العلماء والعاملين، ونخبة العرفاء الكاملين، الأخ الأسعد الأجدد الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي، زيد فضله ومجده، وأعلى في طلب العلا جده..).

إلى أن قال: (فسارعت إلى إجابته، وقابلت التماسه بإنجاح طلبته؛ لما ظهر لي من ورعه وتقواه، وفضله ونبله وعلاه، فأجزت له -وفقّه الله لسعادة الدارين، وحباه بكل ما تقرب به العين- رواية الكتب

(١) هو السيد محمد مهدي، بن السيد مرتضى، بن السيد محمد البروجردي الطباطبائي، كان رحمته سيّد العلماء الأعلام، ومولى فضلاء الإسلام، علامة دهره وزمانه، ووحيد عصره وأوانه، تولّد في الحائر الشريف سنة: (١١٥٥هـ).

تتلمذ على جماعة من أساطين الدين من الفقهاء والمحققين، وقد أذعن لكثرة اطلاعه وطول ذراعه وسعة باعه في الفقهيات له أكثر معاصريه.

وتتلمذ عليه جماعة من الفحول، توفي في النجف الأشرف سنة: (١٢١٢هـ)، ودفن بجانب باب مسجد الشيخ الطوسي ثبّت. له ترجمة في: منتهى المقال في أحوال الرجال، ص: ٣١٤. تحفة العالم، ص: ١٣٦. روضات الجنات، ص: ٦٧٧. لباب الألقاب، ص: ٢١. الكنى والألقاب، ج: ١، ص: ٥٩. الروضة البهية، ص: ١١.

الأربعة.. إلخ^(١).

(٢) الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي^(٢)؛ وتاريخ إجازته عام: (١٢٠٩هـ)، وقال فيها: (.. فإن العالم العامل، والفاضل الكامل، زبدة العلماء العاملين، وقدوة الفضلاء الصالحين؛ الشيخ أحمد ابن المرحوم المبرور الشيخ زين الدين، قد عرض عليّ نبذة من أوراق تعرض فيها لشرح بعض كتاب (تبصرة المتعلمين)، لآية الله في العالمين، ورسالة صَنَّفَهَا في الرد على الجبريين؛ مقوياً فيها رأي العدليين، فرأيت تصنيفاً رقيقاً، قد تضمن تحقيقاً وتدقيقاً، قد دلَّ على علوِّ مقام مُصنِّفه، وجلالة شأن مؤلِّفه؛ فلزماني أن أجيِّزه... إلى آخره^(٣)).

-
- (١) دليل المتحيرين، ص: ٥٠. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج: ١، ص: ٢٥٥.
- (٢) الشيخ جعفر النجفي: عالم كبير، متضلّع في العلوم، ذو فضل وعظمة، ولد عام: (١١٥٦هـ)، انتهت وآلت إليه الزعامة الدينية في عصره؛ حتى أجمعت حكومتا آل قاجار في إيران وآل عثمان في تركيا على زعامته وإكباره وجلالته. صدَّ غارات الوهابيين على النجف بعد فتكهم بكربلاء المقدَّسة. وتوفي عام: (١٢٢٨هـ). له ترجمة في: أعيان الشيعة، ج: ١٥، ص: ٤١٨. روضات الجنات، ج: ١، ص: ١٥٢. طبقات أعلام الشيعة، ج: ٢، ص: ٢٤٨. معارف الرجال، ج: ١، ص: ١٥٠. الكنى والألقاب، ج: ٣، ص: ٨٧.
- (٣) دليل المتحيرين، ص: ٥١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج: ١، ص: ١٦٥.

(٣) السيد علي الطباطبائي صاحب (الرياض)^(١)؛ وإجازته بدون تأريخ، قال فيها: (...إنَّ من أغلاط الزَّمان، وحسنات الدَّهر الخوَّان؛ اجتماعي بالأخ الرَّوحاني، والخلِّ الصَّمَداني، العالم الفاضل الكامل، ذي الفهم الصائب، والذهن الثابت، الراقي أعلى درجات الورع والتقوى والعلم واليقين؛ مولانا الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ زين الدين الأحسائي، دام ظله العالي، فسألني بل أمرني...) (٢).

(٤) السيد ميرزا مهدي الشهرستاني^(٣)؛ وتأريخ إجازته عام: (١٢٠٩هـ)، وقال فيها: (...حيث أنَّ الشيخ الجليل، والعمدة النبيل،

(١) هو السيد علي ابن المير محمد رفيع الطباطبائي الأصفهاني، من أحفاد الميرزا العلامة النائيني المعروف، كان المترجم من أعيان علماء عصره، وحكمائه ومتكلميه وفقهائه، وُلد سنة: (١١٦١هـ)، توفي سنة: (١٢٣١هـ)، ودُفن بمقبرة الست فاطمة، وكان للمترجم مؤلفات كثيرة قد تلف أكثرها. له ترجمة في: ريحانة الأدب، ج: ٣، ص: ٤٨٢. تراث كربلاء، ص: ١٨٣. أعيان الشيعة، ج: ٤٢، ص: ٤٤. هدية الأحياء، ص: ١٧٤. الأعلام، ج: ٥، ص: ٥، ص: ١٧٠.

(٢) دليل المتحيرين، ص: ٥١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج: ١، ص: ٢١٩.

(٣) هو السيد الأجل العالم الرباني الميرزا محمد مهدي الشهرستاني؛ عالم كبير مجاور للمشهد الحسيني عليه السلام، وكان من الزعماء الدينيين في عصره، يروي عن صاحب الحقائق، ويروي عنه صاحب المستند، توفي سنة (١٢١٦هـ). له ترجمة في: ريحانة الأدب، ج: ٣، ص: ٣٦٣. الكنى والألقاب، ج: ٢، ص: ٣٤٤. مستدرك الوسائل، ج: ٣، ص: ٣٩٦. هدية الأحياء، ص: ١٦٥.

والمهذب الأصيل، العالم الفاضل، والبازل الكامل، المؤيد المسدد، الشيخ أحمد الأحسائي - أطال الله بقاءه، وأقام في معارج العز وأدام ارتقاه - مُمّن رتع في رياض العلوم الدينية، وكرع من حياض زلال سلسبيل الأخبار النبوية؛ قد استجازني فيما صحت لي روايته..).

إلى أن قال: (ولما كان -دام عزّه وعُلاه- أهلاً لذلك، فسارعت إلى إجابته، وإنجاح طلبته، ولما كان إسعاف مأموله فرضاً لفضله، وجودة فطنته، فأقول:..)^(١).

٥) الشيخ حسين آل عصفور البحراني^(٢)؛ وتأريخ إجازته عام: (١٢١٤هـ)، وقال فيها: (.. الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، ذلّل الله له شوامس المعاني، وشيّد به قصور تلك المباني، وهو في الحقيقة حَقِيقٌ بأن يُجِيزَ ولا يُحَازَ؛ لسلوكه طريق أهل السُّلوك وأوضح المجاز، لكن إجابته مما أوجبه الأخوة الإلهية الحقيقية، المشتملة على الإخلاص

(١) دليل المتحيرين، ص: ٥٠. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج: ١، ص: ٥٣.

(٢) هو الشيخ حسين بن الشيخ علي البحراني من آل عصفور، هو من المشايخ الكبار، والحامل للواء الأخبار، فقيهاً عالماً، عارفاً متكلماً، أخذ فقهه عن عمه الشيخ يوسف البحراني صاحب (الحدائق)، وتصدّر للإفتاء في الفلاحية.

توفي ثَمَثُ ليلة الأحد ٢١ شَوّال سنة: (١٢١٦هـ) في البحرين. له ترجمة في: أنوار البدرين، ص: ٢٠٧. شهداء الفضيلة، ص: ٣٠٧. طبقات أعلام الشيعة، ج: ٢، ص: ٤٢٧. مكارم الآثار، ج: ٢، ص: ٥٧٠. أعيان الشيعة، ج: ٢٧، ص: ١٢٨. معجم المؤلفين، ج: ٣، ص: ٤٤. الأعلام، ج: ٢، ص: ٢٨٢.

والإنجاز، وكان في ارتكابها حفظاً لهذا الدين وكمال الاحتراز، فاستخرت الله سبحانه، وسألته الخيرة فيما أذن وأجاز؛ وأن يجعله ممن بالمعلى والرقيب من قداح عنايته قد فاز وحاز، فأجزت له...^(١).

٦) الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني البحراني^(٢)؛ وتاريخ إجازته عام: (١٢٠٥هـ)، وقال فيها: (..أماً بعد؛ فقد استجازني الولد الأعز، الأجدد الأسعد، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المطير في -وفقه الله لبلوغ الغاية، في الرواية والدراية- كما جرت به عادة السلف والخلف).

فاستخرت الله تعالى، وأجزت له أن يروي عني جميع ما صنفه علماؤنا -قدس الله أرواحهم- في العلوم العربية والأدبية، واللغوية والأصولية، والفقهية والأخبارية..^(٣).

(١) دليل المتحيرين، ص: ٥١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج: ١، ص: ١٨٨.

(٢) الشيخ أحمد الدمستاني البحراني: من علماء عصره وأدبائه، وكان من الناهجين، وفي صفٍّ من يُستجاز في المسائل العلمية، ولكن التأريخ ظلمه كألوف غيره، لا سيما من أبناء منطقته وطائفته، وقد أوشك أن يُعدَّ من المنسيين، وكان والده الشيخ حسن الدمستاني من صدور العلماء وكبارهم، وله آثار قيمة، منها ديوان شعر ألحق بديوان أبيه. له ترجمة في: طبقات أعلام الشيعة، ج: ٢، ص: ٨٠. أنوار البدرين، ص: ٢١٨.

(٣) إجازات الأحسائي، ص: ٥. أعلام هجر، ج: ١، ص: ٢٥٤.

وهؤلاء المشائخ الستة؛ طُبعت إجازاتهم -للمترجم له- ضمن كتاب (ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي) للشيخ عبد الله ابن المترجم له، ثم طُبعت هذه الإجازات مستقلة في النجف عام: (١٣٩٠هـ)؛ بتعليق الدكتور حسين علي محفوظ (أستاذ علوم الحديث والرجال في كلية أصول الدين ببغداد)^(١).

وذكر الطهراني في (الذريعة): (أن مجموع الإجازات الصادرة للمترجم من مشائخه قد جُمعت في مجلد يقرب من عشرة آلاف بيت، كان عند صاحب كتاب "النعل الحاضرة")^(٢).

❁ تلامذته والمدافعون عنه:

تصدّر الشيخ الأحسائي قُدُّسُ للتدريس في المعقول والمنقول سنين طوال، وكانت له حوزات عامرة في كلٍّ من كربلاء والنجف والبصرة وغيرها من المدن العراقية، وفي قزوین ويزد وطهران وأصفهان وكرمان شاه وغيرها من المدن الإيرانية، وفي الأحساء والبحرين وغيرهما من مدن

(١) إجازات الأحسائي، ص: ٥ - ٦١. وقد نقلها عنه السيد الشخص في كتابه،

أعلام هجر، من ص: ٢٥٤، إلى ص: ٢٨٠.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج: ٢٠، ص: ٥٨.

الخليج، وبلغت به الحال حدًّا كان إذا هبط مدينة علمية تعطلت فيها الدروس والأبحاث، وهرع حضّارها إلى مجلس درسه؛ ليستفيدوا منه^(١). وقد تخرج عليه عدد كبير من العلماء الأفاضل، حتى قيل: (أنَّ له -أعلى الله مقامه- تلامذة كثيرون بلغوا الاجتهاد، أكثر من مئة عالم عامل)^(٢)، ومن أهمّ تلامذته:

- ١- السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرّشّتي الحائري.
- ٢- الميرزا حسن بن علي الشهير بـ (كُوهر).
- ٣- المولى محمد بن الحسين المعروف بـ (حجة الإسلام) المامقاني التبريزي، والد صاحب (صحيفة الأبرار).
- وهؤلاء الثلاثة -أعني: السيد الرّشّتي، والميرزا (كُوهر)، و(حجة الإسلام)- كانوا من خواصّ تلامذته، والمقرّبين لديه، وهم الذين نشروا علومه وآثاره بعد وفاته، وروّجوا آراءه في الحكمة، ودافعوا عنه^(٣).
- ٤- السيد عبد الله بن السيد محمد رضا شبر الحسيني الشهير.
- ٥- الشيخ هادي بن المهدي السبزواري؛ صاحب (المنظومة).
- ٦- السيد محسن بن السيد حسن الأعرجي الحسيني الكاظمي.
- ٧- السيد أبو الحسن بن الحسين التنكابني القزويني.
- ٨- المولى كاظم بن علي نقّي السمناني، الشارح لكتاب (الفوائد).

(١) نزهة الأفكار في ترجمة (كلمة أزهزار)، ص: ٥٠.

(٢) الدّين بين السائل والمجيب، ج: ١، ص: ١١٠.

(٣) الدّين بين السائل والمجيب، ج: ١، ص: ١١٠.

- ٩- الشيخ محمد حمزة كلائي، الشارح لكتاب (شرح العرشية).
- ١٠- الميرزا عبد الوهاب الشريف بن محمد علي القزويني.
- ١١- الشيخ أبو الحسن بن إبراهيم اليزدي.
- ١٢- الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن طوق القطيفي^(١).
- ١٣- ختاماً: أبناء صاحب الترجمة: (الشيخ محمد تقي، الشيخ علي نقي، الشيخ عبد الله، الشيخ حسن).

❖ بعض من روى عنه **تدئ** :

- روى بالإجازة عن الشيخ الأحسائي **تدئ** عدد من كبار علماء عصره، ومشاهير زمانه، كان منهم بعض تلامذته السابقين، ونذكر أيضاً:
- ١- الشيخ محمد حسين النجفي؛ صاحب كتاب (الجواهر).
- ٢- الشيخ أسد الله بن إسماعيل التستري الكاظمي الأنصاري.
- ٣- الميرزا محمد تقي النوري (والد صاحب المستدرک).
- ٤- الشيخ محمد إبراهيم الكلباسي، صاحب (الإشارات).
- ٥- الشيخ مرتضى الأنصاري؛ صاحب (المكاسب والرسائل)^(٢).

(١) راجع في مصادر أسماء هؤلاء: معارف الرجال، ج: ٢، ص: ١٠. نجوم السماء، ص: ٣٤٤. الذريعة، ج: ١٥، ص: ٣١٥. وج: ١٣، ص: ٣٣٤. وج: ٢٤، ص: ٢٣٤. طبقات أعلام الشيعة، قرن: ١٣، ص: ٣٢-٨٠٩.

(٢) راجع في مصادر أسماء هؤلاء: أعيان الشيعة، ج: ٨، ص: ٤٠١. طبقات أعلام الشيعة، ج: ٢، ص: ٩١. إجازة الشيخ الأحسائي للشيخ أسد الله

❖ مؤلفاته:

لقد خلّف المترجم له عدداً كبيراً من الكتب والرسائل، في مختلف العلوم والمعارف، فقد كتب في الأدب بفروعه، من نحو وصرف وبلاغة ولغة ومنطق وعروض وغيرها، وفي الرياضيات من حساب وهندسة وهيئة وفلك، وفي الفقه وأصوله، وعلوم القرآن والحديث، والأخلاق والتاريخ، والحكمة الإلهية، والطب والعلوم الغربية كالرمل والجفر والكيمياء وغيرها، وقد أفرد أكثر من مؤلف فهرساً خاصاً بأسماء تلك المؤلفات، إليك ذكر بعضها:

- (١) التحقيق في مدرسة الأوحّد؛ لآية الله المولى الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي (دام ظله)، ذكر فيه ما يقرب من (١٧٣) مصنف، مع شرح مبسط لمحتوياتها وذكر مصادرها^(١).
- (٢) فهرست تصانيف الشيخ أحمد الأحسائي؛ لرياض طاهر، وهو خاص بفهرسة مؤلفاته المطبوعة؛ التي بلغت «١٠٤ مؤلفاً».



الكاظمي، ص: ٦. روضات الجنات، ج: ١، ص: ٢٢٤. صحيفة الأبرار، ج: ١، ص: ٤٨٦. رسالة ترجمة الشيخ علي نقى الأحسائي، ص: ٩٧.

(١) التحقيق في مدرسة الأوحّد، ج: ١، ص: ٢٢٩.

وفيه : (إنَّ مجموع ما صدر عن المترجم من رسائل وكتب وخطب وفوائد وقصائد «١٥٤» ، ومجموع جوابات المسائل «٥٥٥ مسألة» ، من مخطوطة ومطبوعة على الأقل)^(٣) .

(٣) فهرست كتب شيخ أحمد أحسائي وسائر مشائخ عظام؛ للشيخ أبو القاسم الكرمانی، كتاب فارسي ضخيم، طبع في «كرمان» بإيران، وجاء فيه : (إنَّ مجموع آثار الشيخ أحمد تبلغ «١١٥ رسالة» ، و«٥ خطب» ، و«٣٥ فائدة» ، و«مراسلة واحدة» ، تقع في ٣١ مجلداً، فقد منها «١١ مجلداً»)^(١) .

ومن أشهر تلك المؤلفات:

- ١- حياة النفس في حضرة القدس.
- ٢- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة؛ في أربع مجلدات.
- ٣- شرح الفوائد؛ في الحكمة عليه السلام - الكتاب الذي بين يديك -.
- ٤- شرح على العرشية والمشاعر؛ للملا صدر الدين الشيرازي.
- ٥- شرح على الرسالة العلمية؛ للملا محسن الفيض الكاشاني.
- ٦- صراط اليقين في شرح تبصرة المتعلمين؛ للعلامة الحلي.
- ٧- عجالة في أسرار تجويد القرآن.
- ٨- تفسير سورة التوحيد وآية النور.

(٣) فهرست تصانيف كتب الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٣ .

(١) فهرست كتب شيخ أحمد أحسائي وسائر مشائخ عظام، ص: ٧٣٥ .

٩- رسالتي العصمة والرجعة.

١٠- حقيقة الرؤيا وأقسامها، ووسائل الهمم العليا في مسائل الرؤيا.

١١- ديوان شعر، يسمى بـ(الاثني عشرية)، أو (نشيد العوالي).

١٢- الكشكول؛ في أربع مجلدات، مرتب على حروف الهجاء.

وقد جُمع بعض رسائله تَدْنُ تحت عنوان: (جوامع الكلم)؛ طُبِعَ في

إيران على الحجر في مجلدين كبيرين، يحتوي الأول على حوالي (٤٠)

رسالة، والثاني على حوالي (٥٢) رسالة.

✽ أسفاره وتقلاته:

أول سفرٍ له تَدْنُ كان من (الأحساء) إلى العراق، في سنة:

(١١٨٦هـ)، وعمره يومذاك عشرون سنة، وظل ينتقل بين كربلاء

والنجف؛ لحضور دروس مشاهير الوقت.

وبعد حلول طاعون جارف في العراق؛ عاد إلى وطنه (المطيرفي)

بالأحساء، وتزوج بها، وبعد مدّة انتقل إلى مدينة (الهفوف) -عاصمة

الأحساء- ولبث بها زمناً.

ثم لما أحس بما ستلاقيه الشيعة هناك من هجوم الظالمين؛ أنذر الأهالي

وأمرهم بالهجرة، وهاجر مع عائلته إلى (البحرين) حدود عام:

(١٢٠٨هـ)، وسكنها أربع سنين.

في عام (١٢١٢هـ) عاد إلى العتبات المقدسة بالعراق، وبعد الزيارة سكن البصرة وتنقل في عدة قرى منها، وفي عام (١٢٢١هـ) زار النجف الأشرف مع جمعٍ من أصحابه، وزار سائر العتبات المشرفة. ثم عزم على زيارة الإمام الرضا عليه السلام، فمر في طريقه بمدينة: (يزد)، فأعجب به أهلها، وعظم في صدورهم، وطلبوا منه البقاء عندهم، فامتنع ووعدهم بإنجاز طلبهم بعد عودته من الزيارة.

وبعد عودته إلى (يزد) أحاطه أهلها بالرعاية وأحبه كثيراً، فلما ذاع صيته، وسمع به السلطان فتح علي شاه القاجاري؛ أرسل من يدعوه إلى طهران، وبعد ممانعة الشيخ قزويني الشديدة من الحضور إلى طهران؛ وإصرار الشاه استجاب للدعوة، فتوجه بعد زيارته للإمام الرضا عليه السلام إلى العاصمة (طهران)، في موكب عظيم، وجرى له في كل مدينة أو قرية مرّ بها تكريم وتعظيم، وحلّ دار السلطان فتح علي شاه، فأعزه وأكرمه، واجتمع به علماء طهران وفضلاؤها.

وبعد أن أقام في (طهران) سنتين مكرماً محترماً؛ خيّر الشاه في سكنى أي بلاد إيران، فاختار مدينة (يزد)، فنزلها في سنة (١٢٢٤هـ)، وسكنها أكثر من خمس سنين مشغلاً بالتدريس ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام.

وبعد زيارة ثانية للإمام الرضا عليه السلام، عزم على مغادرة (يزد) إلى العتبات المقدسة في العراق، فغادر المدينة على غير رضى من أهلها، ومر موكبه بأصفهان حدود سنة (١٢٣٠هـ)، وبعد أربعين يوماً فيها غادر إلى (كرمانشاه)، وطلب منه (محمد علي ميرزا بن السلطان فتح علي شاه)

البقاء عندهم، وألح عليه، فوعده الشيخ قَدْ أن يعود بعد زيارة الأئمة عليهم السلام في العراق، وبعد الزيارة عاد إلى (كرمانشاه)، وبقي فيها ثلاث سنين، وقد عاد إلى العراق خلال تلك المدة غير مرة.

وفي سنة (١٢٣٢هـ) توجه قَدْ إلى الحج لأول مرة، وبعد الحج عاد إلى العراق، ثم إلى (كرمانشاه) وعاش فيها عدة سنين زار خلالها العراق عدة مرات.

ولما توفي الوالي محمد علي ميرزا؛ اضمحلت (كرمانشاه) فغادرها قَدْ إلى (قروين) ثم إلى (طهران) و(شاه عبد العظيم)، ثم إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، وبعدها إلى (طبس) ثم (أصفهان)، ثم عاد إلى (كرمانشاه).

وبعد كل ذلك؛ عزم على مجاورة الأئمة بالعراق، فتوجه إلى (كربلاء)، ونزلها مستوطناً، وبعد مدة حدثت خلافات شديدة بينه وبين بعض علماء الحائر الحسيني؛ بسبب ما وجه له من اتهامات، ووقف عدد من العلماء، وجمع من الناس مدافعين عنه.

فرأى أن فتنة عظمى تكاد أن تقع على المؤمنين، فقرر أن يهاجر من (كربلاء) -ابتعاداً عن الفتنة- وباع كل ما عنده من أسباب، وغادر بعد أن خلّف تلميذه السيد كاظم الرشتي قَدْ نائباً عنه، وتوجه لاجئاً إلى بيت الله الحرام^(١).

(١) في تفاصيل أسفار قَدْ، راجع: ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، للشيخ عبد الله نجّل المترجم له، من ص: ٢٢، وما بعدها.

❁ وفاته ومدفنه:

كان عمره (٧٥ عاماً) وهو في سفره الأخير إلى بيت الله الحرام، وكان بصحته ولداه الشيخ علي والشيخ عبد الله وبقية عائلته، وبصحته أيضاً بعض تلامذته وأصحابه وغيرهم.

وفي الطريق أُصيب الشيخ الأحسائي بالمرض، فتوفي قَتْلًا في مكان يقال له (هَدْيَة) قُرْبَ المدينة المنورة، وكان ذلك ليلة الجمعة، أو يوم الأحد (٢٢ - ذو القعدة - ١٢٤١هـ)، ومادة تأريخه (مختار)^(١).

ونُقل جثمانه إلى (المدينة المنورة)، فجهَّزه بنحله الشيخ علي نقي، وصَلَّى عليه، ثم دُفِنَ في (البقيع)، خلف قبور الأئمة عَلَيْهِ السَّلَام، في الطرف المقابل لبيت الأحران.

ومن زار قبره العلامة الشهير؛ الشيخ عباس القمي، صاحب كتاب (مفاتيح الجنان)، وقال أنه رأى على قبره الشريف لوحاً مكتوباً عليه:

لَزَيْنُ الدِّينِ أَحْمَدُ نُورُ عِلْمٍ تُضِيءُ بِهِ الْقُلُوبَ الْمَذْلَهَمَةُ
يُرِيدُ الْجَاحِدُونَ لِيُطْفِئُوهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّهُ^(٢)

(١) راجع دليل المتحيرين، ص: ١٤-٥٢. الدين بين السائل والمحيب، ج: ١، ص:

١٠٦. الروضة البهية، ج: ١، ص: ٥٦. روضات الجنات، ج: ١، ص: ٨٩.

(٢) الفوائد الرضوية، ص: ٣٧.

وحين انتشر نبأ وفاته تَدَثُّ؛ عمّ الحزن والأسى أوساط المؤمنين، وقام بمراسم عزائه المسلمون، وأقام له تلامذته ومريدوه مجالس العزاء في أنحاء مختلفة من البلاد، قال في (الروضات): (وقام بمراسم عزائه أكثر أهل الإسلام، وجلس له الشيخ محمد إبراهيم الكرباسي بأصفهان ثلاثة أيام، وحضر مجلسه في تلك الثلاثة من الخاص والعام)^(١).

وقد قال الميرزا حسن الشهير بـ(كوهر) تَدَثُّ في رثاء أستاذه تَدَثُّ:

قل إن سحت عيناى طول الدهر سرمد لنعي الرزء لما بكَر الناعي وأنشد
قلت: من تنعى؟ فقال: الطهر زين الدين أحمد من له شمل الهدى والدين والدنيا تبدد
ياسماء في لحود الأرض والترب توسد ما سمعنا قبل ذا أن السما في الأرض تُلحد
أو يُواري الترب جسماً كان روحاً قد تجسد يا فريداً جامعاً وهو من الجمع تفرّد
أنت ذاك الجوهر الفرد الذي لا زال مُفرد مجدك السامي أشاد العلم في الدنيا وشيّد
يا فريداً لم يكن مثلاً له في الكون يُوجد وإليه الناس طُراً في علوم الدين تصمد
عقمت أم العلى من بعده لما تولّد لا يُدانيه بتجريداته العقل المُجرّد
كان نوراً منه مصباح الظلمات توقّد فسمى نحو الفرايس وفي الخلد تخلّد
إلى أن قال في تأريخ وفاته:

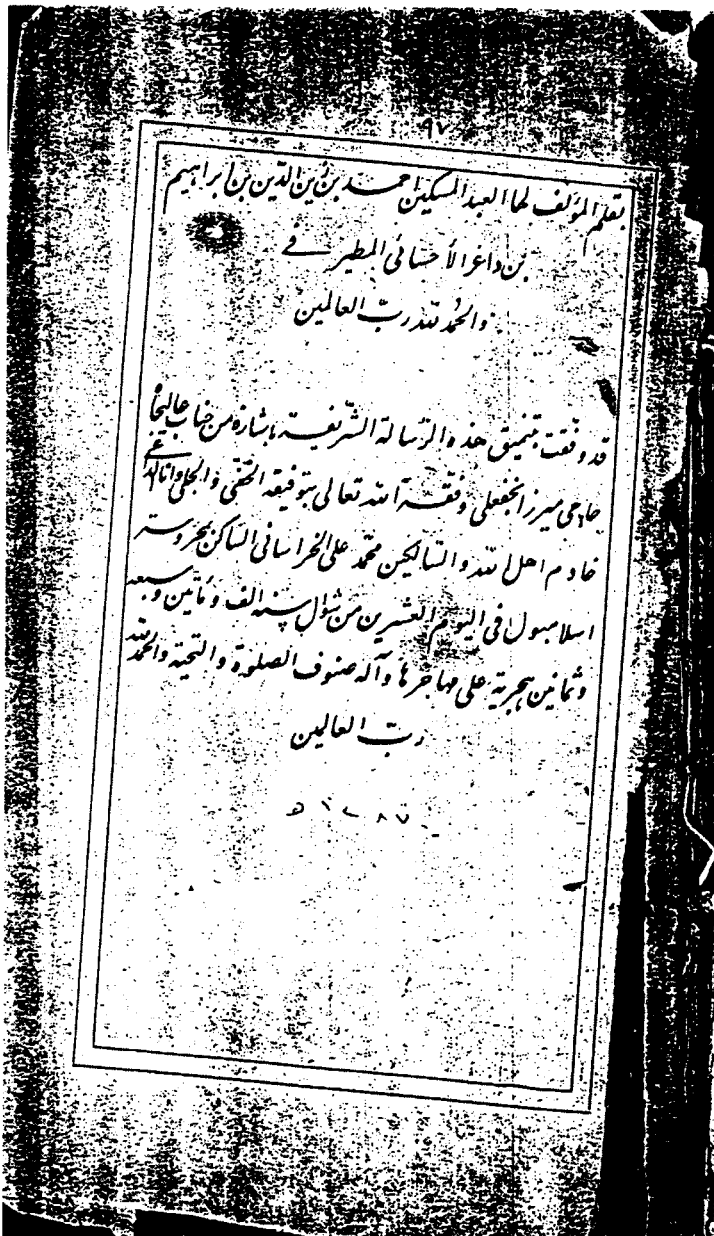
فسألت الفكر عن تأريخه يوماً فأنشد: فزت بالفردوس فوزاً يا بن زين الدين أحمد^(٢)

(١) روضات الجنات، ج: ١، ص: ٩٤.

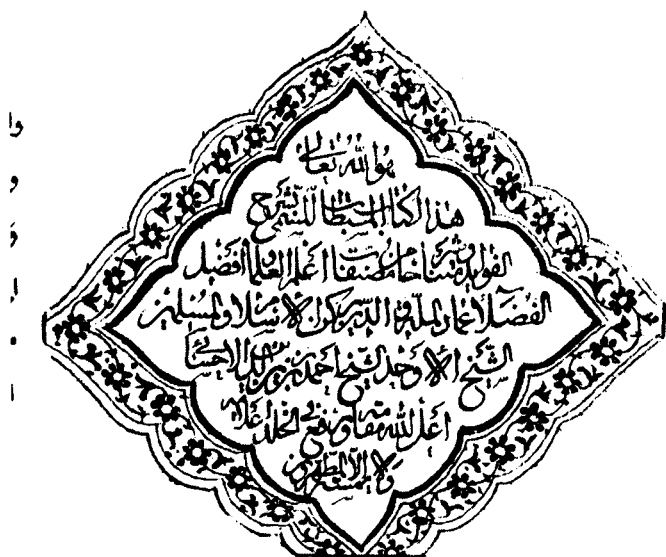
(٢) التحقيق في مدرسة الأوحى، ص: ٢١٤. قصص من حياة الأوحى، ص: ٨٦.



الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه
 ومنظم لطفه محمد وآله الطاهرين واصحابه الراشدين
 أما بعد فيقول العبد المسكين عبد بن زين الدين الأحسايني
 اني لما رايت كثير من الطلبة يتعمقون في المعارف الالهية
 ويتوهمون انهم تعمقوا في المعنى المقصود وهو تعمق في
 الالفاظ لا غير رايت اني يجب علي ان ارفعهم بعجايب
 من المطالب لم يذكر اكثر في كتاب ولم يحجز ذكرها في خطاب
 ويكون ذلك بدليل الحكمة لان الذي طلبوا به الغاية دليل
 المجادلة بالتقوى هي حسن وذلك لا يوصل الا الى عالم الصور
 او المعاني ولا يوصل الى معرفة الاشياء كما هي كما قال عليه الصلوة



صورة الصفحة الأخيرة من نسخة كتاب (الفوائد)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين أجمعين فقول السبليل
 احب بنين الذين لا حياء الا حياء الموفق المسدد والاكرم المحمد جينا الاخوان والاخوان
 مشهور القدر والعلو البروج كمن سلك الله به رضا وبلغه ما يتم من امره خروجه ودينه اقد
 من اشياء بعض الحكماء في بيان معنى ما ذكره واشترط فيه في الرسالة التي ستمت بها بالقوائد وشي
 على الله عشرة فائدة لانها لما كانت مشتتة على كتابها اذكرها احدا في العلم ولو يشر عليها شخص
 من الحكماء حتى كانت مع اصحابها في التقييد وابتدأ الحق عليها في الدين غير به مجهولة انه تمجيد على
 ولم تكن في الدفاتر وانما انتهوا عليها انما تلهك في الاختبا الموقية عنهم عليهم وفيما فسرهم
 الله سبحانه في سائر الله وبلغه كل ما يتم من امره ودينه وعقبه ان اية في لك بياننا فيهم
 عقب تلك الرسالة ويحصل من غير مع الدلالة والى ذلك الدليل لان الغاية من سفره عباده والى
 الوقوف على اشادتها وكان في ذلك الناس من غير طريق سفرنا مع جينا المحمد الى مكة المشرفة و
 اتج مثل تلك الحال لا يمكن الا ان من اشياء الاستدلال الكثرة لا شغل المال في غايات القبول

٣٢٣

لما ظهر من السنبلة كنس السنبلة كما ترى كذلك الجسم لما ظهر النفس من ظهر كسيف
 وكان خلا جميع شؤنها وهو المراد من قولنا نحن في المرتبة الجسمية بظاهر ظهر جبر قول
 بظاهر اريد انه لا يظهر ولا يتقل بباطنه وانما يظهر باثارة لانه ايد من ايد الله وجعل الله
 دليلا على ظهوره تعالى باثارة فعل وقوله وهو مادة جسم ايضا هو المقبول اعني في خلق القادة
 الذي هو محل السعادة والشقاوة يكون مادة الخلق الاول وصورة هو مادة الخلق الثاني وذلك
 مثاله في إيجاد النفس في الخلق الاول حصه من العنا ص هي مادة الخشب وحصه من الصوف والوبر
 التي هي الفصل اعني الخشبية ومجموعهما الخشب فكذلك هو مادة النفس في الخلق
 الثاني مركبا من اثاره وصورة فال مادة حصه من العنا ص اربعة حصص من الفصل وهي الصوف
 الخشبية ومجموعهما مادة النفس في الخلق الثاني وصورة النفس في الخلق الثاني هي مجموع
 سهرها فالمقبول في الخلق الاول والثاني هو المادة والقابل في الاول والثاني هو الصورة
 فبالصورة يتنوع الشئ ويتشخص كل في رتبة فيعين المحرر بما هيته التي هي الصورة والاشياء
 وهي قوله لفعل فاعله تعالى بحيث يتميز عن مثاله في رتبته يتميز معنويا عقليا وصوريا
 وجوهريا وحصتها هباتيا وصورتها مثاليا والقابل في الجسمية هو هباتيا ظاهر الجسمية
 التي بدلت في هو الشخص اعني الكم والكيف في الوجود والكان والرتبة والجهد وما يلزم ذلك
 كالاذن والاجل والكتاب والوضع وانما يميزنا القابلية بهذه الاشياء لانها انشأ عن هذه
 الاشياء او تولد منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلق محمد وآله الطيبين الطاهرين ائمة الهدى
 فيقول العبد الخائف والاسير الفار كاظم برق سم الحكيمة اوشى ان هذه الكلمات ذات
 نبيك ضد رخصه جوابا للمستلة عويصة مشكلا لا يثبت بها الاخر الردحا الفيرا للذات

ثم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وبعد فبما أن الله تعالى جعل في خلقه من البر والعدل
الأخلاق التي هي الخلق السديد والأكبر المحمود والجليل الملائمة لما هو عليه من صفات الحق والعدل
حسين على سائر خلقه به رضا وطفه ما يتناهى من إمرائه ودينه ما قد انفتح ألياته من صفات الحق
ما كثره وأشر به في الرسالة التي سمتها بالهدى وهي شريعة على خلقه من أن لا يأكل من ثمره على
مأواه ما أحسن خلقه وأمره عليها محض نكاح حتى كاسم ما ضلوا في الدين وأبناء الحق
عليها في الدين عز به محموله أذ لم يخرجوا له ولم يكن في الدنيا زمانا بقوا عليها ثم الحكمة في الأخلاق
المرتبعة به وما فيه من كماله ما شار إلى حله فقد طهق كل ما يتناهى من مودتها وعشاقها من
ذلك ما أتت به من عباد تلك الرسالة وبجمل من صريح الله لا وإن لم يذكر إلا أن الله تعالى هو
والوفاء على سائر أفعاله ذلك الأتماس به في طريق منافع جانب الحق والعدل والشفقة وتلك
لأن لا يمكن إلا أن تنبأ تلك الأتماس لا لكونه الأشغال والملاذ وقابله الشؤن والأسبغ
بالخلق والأفعال وذكر الله أن هذا هو الحق والافتقار بها ونعم عبادها على ما
عند معلومنا عدم الأذن بها وإن كان ذلك المعلق مذكوره في كتاب ولا طائفة في مؤان ولا جواب
لبراع ذلك الكلام لهم منه المزدون ما هي أشتابا تنبيه إلى ما ذكره أهل العلم والحكمة من تركه
كأنس من ثمة الحق وتوأم من سبهم مذكوره في صفته وكان سله الله على ما ألهم نفسه من صفته
لذلك أوجبه تلك الأتماس على الآتي بأصل الأتباع لأن هذا من صفته كماله على ما
ولا يصفه السور بأحوه مستبأ الله على الأذوا والآله عز وجل القائل على كل شيء قدير وسد
نفسه بذلك يقول قول النبي من ذلك نزع ولا موز ذلك إلى ما رأيت من سلك
يتحقق في الحاد الألهة أن الله تعالى خلقها منهم وكثرة تدفقها منهم وإلهامهم للأشكال والأشياء
لأنهم ما خلقوا إلا بحد شخصين أو اثنين وذلك خلاف إلهامهم وأفعالهم ونماذجها منهم
وعبادهم مستبأ ذلك أنهم يقولون إن الأفعاد أن هو عقله ولا يجوز التقليد بها بل من
هذا أن كل حديث ما به روحها كإنها ما بها الباطن ودل على ما كان الله فيهم فكم رآنا
الأيمان ما هي أن لا علم إلا بها هي أن أن تعترف في حواجرها بهم وكلامهم وأفعالهم الطبيعية
وأفعالهم المختلفة وهي من نوعهم فإذ لم يكن واحد منهم على مقتضى طبيعة خاصة كما هو من
أن الأفعاد أن هو عقله لا يجوز بها تقليد دينه مخلوقوا لا يقتضوا عبادات الدين فيفقدون
معلوم ما جهونه من ربي واحد ما يكون كل واحد منهم طائفة من الأفعال والآداب التي لا تخلو من

كِتَابُ الْفَوَائِدِ

اثنا عشر فائدة في حكمة أهل البيت عليه السلام

شيخ المناهلين الأوحد

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

إعداد وتحقيق

الشيخ مراضي فاضل سلمان الأحسائي

بسمه تبارك وتعالى

الفوائد الحكمية الاثنا عشرية، للشيخ العظيم الشأن، الساطع
البرهان، مبين أسرار الشريعة والطريقة على الحقيقة، ناموس الدَّهر،
وتاج الفخر، وعلامة العصر، المضيّع لمبتدعات المشائين، المبطل
لمخترعات الملحدّين، قوام الملة والدين، ركن الإسلام والمسلمين،
أوحدي الموحّدين، مجدّد رأس المائة الثالثة عشر، بعد انقضاء الدورة
الاثنا عشرية المتعلّقة بظاهر العلوم في الشّرع الأطهر، حامل الاسم
السمائي لسيد البشر، صلوات الله عليه وآله وخلفائه وأوليائه
النجوم الزاهرة لمن سار إلى الحق أو سفر؛ مولانا وشيخنا:

الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي

(قدّس الله نفسه، وعطرّ رمسه)

فمن طلبها على تقوى ربّه؛ وجدها للحكمة الإلهية مدرجاً،
وللسالكين في منازل القرب منهجاً، تحوي من الحكم أصولها
ومبانيها، ومن جوامع الكلم بيانها ومعانيها.

نسأل الله توفيق الهداية في البداية والنّهاية، والارتقاء إلى حظيرة

القدس ومأوى الأنس، والله سبحانه ولي التوفيق،

والسلام على من اتبع الهدى.

[مقدمة المؤلف:]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه،
ومظهر لطفه؛ محمد وآله الطاهرين، وأصحابه الراشدين.

أما بعد، فيقول العبدُ المسكين، أحمدُ بن زَيْن الدِّين الأَحْسَائِي: إِنِّي
لَمَّا رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الطَّلَبَةِ يَتَعَمَّقُونَ فِي الْمَعَارِفِ الإِلَهِيَّةِ، وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُمْ
تَعَمَّقُوا فِي الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ، وَهُوَ تَعَمُّقٌ فِي الْأَلْفَاظِ لَا غَيْرَ، رَأَيْتُ أَنَّهُ يَجِبُ
عَلَيَّ أَنْ أُرَوِّعَهُمْ بِعَجَائِبِ مِنَ الْمَطَالِبِ، لَمْ يُذَكَّرْ أَكْثَرُهَا فِي كِتَابٍ، وَلَمْ
يَجْرِ ذِكْرُهَا فِي خِطَابٍ.

وَيَكُونُ ذَلِكَ بِدَلِيلِ الْحِكْمَةِ، لِأَنَّ الَّذِي طَلَبُوا بِهِ الْعَايَةَ؛ دَلِيلُ الْمَجَادَلَةِ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَذَلِكَ لَا يُوصِلُ إِلَّا إِلَى عَالَمِ الصُّورِ أَوْ الْمَعَانِي، وَلَا
يُوصِلُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَشْيَاءِ كَمَا هِيَ، كَمَا قَالَ عليه السلام: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي
الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ»^(١)، وَلَا يُوصِلُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا دَلِيلُ الْحِكْمَةِ.

وَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَهْدِيَ بِهِ مَنْ أَلْتَمَسَ الْهُدَى بِهَذَا الدَّلِيلِ
سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

الفائدة الأولى في ذكر تفصيل الأدلة الثلاثة، وذكر مستندها وشرطها

اعلم أن الأدلة ثلاثة؛ كما قال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).
فالأول: دليل الحكمة، وهو آلة للمعارف الحقيّة، وبه يُعرف الله،
ويُعرف ما سواه.

ومستنده: الفؤاد، والتقلُّ.

أمَّا التقلُّ؛ فهو الكتاب والسنة.

وأمَّا الفؤاد؛ فهو أعلى مشاعر الإنسان، وهو نور الله الذي ذكره
عليه السلام في قوله: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»^(٢).

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) الكافي، ج: ١، ص: ٢١٨. وسائل الشيعة، ج: ١٢، ص: ٣٨.
الاختصاص، ص: ٣٠٧. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٣٠. الأمالي؛ للطوسي،
ص: ٢٩٤. بصائر الدرجات، ص: ٣٥٥. تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٢،
تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ٢٤٧. شواهد التنزيل، ج: ١، ص: ٤٢٢.
عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ٢، ص: ٢٠٠. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ١٢٣.

وَهُوَ الْوُجُودُ؛ لِأَنَّ الْوُجُودَ هُوَ الْجِهَةُ الْعُلْيَا مِنَ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّ الْوُجُودَ لَا يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ أَبَدًا؛ بَلْ إِلَى رَبِّهِ، كَمَا أَنَّ الْمَاهِيَّةَ لَا تَنْظُرُ إِلَى رَبِّهَا أَبَدًا؛ بَلْ تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهَا.

أَمَّا شَرْطُهُ: فَإِنَّ تُنْصِفَ رَبَّكَ؛ لِأَنَّكَ حِينَ تَنْظُرُ بِدَلِيلِ الْحِكْمَةِ أَنْتَ تُحَاكِمُ رَبَّكَ، وَهُوَ يُحَاكِمُكَ إِلَى فُؤَادِكَ، كَمَا قَالَ سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكِمُهَا»^(١)، فَرُبُّكَ يُخَاصِمُكَ عِنْدَكَ، فَرِنْ بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ، (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)^(٢).

وَتَقِفْ عِنْدَ بَيَانِكَ وَتَبَيَّنِكَ وَتَبَيَّنِكَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا»^(٣).

وَتَنْظُرْ فِي تِلْكَ الْأَحْوَالِ كُلِّهَا بَعِيْنَهُ تَعَالَى، لَا بَعِيْنِكَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا»^(٤)، فَهَذَا نَمَطُ دَلِيلِ الْحِكْمَةِ.

(١) نهج البلاغة، ص: ٢٦٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ٢٠٤. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٦١.

(٢) مقتبس من قوله تعالى: (وَرِزُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [سورة الإسراء، الآية: ٣٥].

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٧.

وَأَمَّا دَلِيلُ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ: فَهُوَ آلَةُ لَعَلِّ الطَّرِيقَةِ، وَتَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ، وَعِلْمِ الْيَقِينِ وَالتَّقْوَى، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ تُسْتَفَادُ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَكِنْ بَدُونِ مُلَاحَظَةِ هَذَا الدَّلِيلِ لَا تَقِفُ عَلَى الْيَقِينِ؛ لِأَنَّهُ أَقَلُّ مَا قَسَمَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ.

وَمُسْتَنَدُهُ: الْقَلْبُ وَالتَّقْلُّ.

وَشَرْطُهُ: إِنْصَافُ عَقْلِكَ. بِمَعْنَى: أَنْ لَا تَظْلِمَهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ، وَمَا يُرِيدُ مِنْكَ مِنَ الْحَقِّ.

وَمِثَالُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(١)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

وَكَقَوْلِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ ابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ حِينَ أَنْكَرَ عَلَى الطَّائِفِينَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ، قَالَ - مَا مَعْنَاهُ -: «إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٠.

تَقُولُونَ، وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ؛ فَأَنْتُمْ وَهُمْ سَوَاءٌ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا
يَقُولُونَ، وَهُوَ كَمَا يَقُولُونَ؛ فَقَدْ نَجَوْا وَهَلَكْتُمْ»^(١).

فَهَذَا تَمَطُّ دَلِيلِ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

وَأَمَّا دَلِيلُ الْمَجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: فَهِيَ آلَةُ لِعِلْمِ الشَّرِيعَةِ.
وَمُسْتَنَدُهُ: الْعِلْمُ وَالنَّقْلُ.

وَشَرْطُهُ: إِنْصَافُ الْخَصْمِ، وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ الْمَجَادَلَةُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.
وَهُوَ مِثْلُ مَا قَرَّرَهُ أَهْلُ الْمَنْطِقِ؛ مِنْ الْمَقَدِّمَاتِ وَكَيْفِيَّةِ الدَّلِيلِ، وَمَا
ذَكَرَهُ أَهْلُ الْأُصُولِ وَغَيْرِهِمْ؛ مِنْ الْأَدَلَّةِ وَكَيْفِيَّةِ الاسْتِدْلَالِ، عَلَى نَحْوِ لَا
يَكُونُ فِيهِ إِنْكَارُ حَقٍّ؛ وَإِنْ كَانَ مِنْ خَصْمِكَ الْمُبْطِلُ فِي مَطْلَبِهِ، وَلَا
اسْتِدْلَالٌ بِبَاطِلٍ عَلَى حَقٍّ، وَلَا عَلَى إِبْطَالِ بَاطِلٍ.

وَلَا يَحْتَاجُ هَذَا إِلَى تَمْثِيلٍ؛ لِأَنَّ الْكُتُبَ مَشْحُونَةً بِهِ، بَلْ لَا تَكَادُ
تَجِدُ غَيْرَهُ إِلَّا نَادِرًا، وَذَلِكَ لِضَعْفِ الْمُسْتَدِلِّينَ وَالْمُسْتَدَلِّ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ،
وَلَكِنْ لَا تَعْفَلُ عَنْ أَخَذِ حَظٍّ مِنْ دَلِيلِ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، فَإِنَّهُ بِشَرْطِ طَرِيقِ
السَّلَامَةِ وَالرَّاحَةِ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ.

(١) ورد نصُّ هذه الرواية في خبرٍ طويلٍ جدًّا، سنذكر قسمًا منه في هامش شرح
هذه الفائدة، ولمصدرها راجع: الكافي، ج: ١، ص: ٧٤-٧٥. بحار الأنوار، ج:

وَهَذَا إِذَا لَمْ تَنْلُ دَلِيلَ الْحِكْمَةِ؛ وَإِلَّا فَخُذْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ،
فَـ"لَيْسَ وَرَاءَ عَبَّادَانَ قَرْيَةٌ"^(١)، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَحْفَظُ لَكَ وَعَلَيْكَ.

(١) عَبَّادَانَ -على صيغة التثنية-: بلدٌ على بحر فارس بقرب البصرة شرقاً.

وعن الصنعاني أنَّ عَبَّادَانَ: جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة. [مجمع البحرين، ج: ٣، ص: ٩٢]، وقوله: (ليس وراء عَبَّادَانَ قرية)؛ مثلُ يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ غَيْرُهُ.

الفائدة الثانية في بيان معرفة الوجود

اعلم أن الذي يُعبر عنه عند طلب معرفته بالوجود، ثلاثة أقسام:
الأول؛ الوجود الحق.

وهذا الوجود؛ لا يُدرك بعموم ولا خصوص، ولا إطلاق ولا تقييد،
ولا كل ولا كلي، ولا جزء ولا جزئي، ولا بمعنى ولا لفظ، ولا كم ولا
كيف، ولا رتبة ولا جهة، ولا وضع ولا إضافة، ولا نسبة ولا ارتباط، ولا
في وقت ولا في مكان، ولا على شيء ولا في شيء، ولا فيه شيء ولا من
شيء، ولا لشيء ولا كشيء، ولا عن شيء، ولا بلطف ولا بغلط، ولا
استدارة ولا امتداد، ولا حركة ولا سكون، ولا استضاءة ولا ظلمة، ولا
بانتقال ولا بمكث، ولا تغير ولا زوال، ولا يُشابهه شيء، ولا يخالفه
شيء، ولا يوافقُه شيء، ولا يعادله شيء، ولا يبرز من شيء، ولا يبرز منه
شيء، وكل صفة أو جهة، أو صورة أو مثال، أو غير ذلك مما يمكن
فرضه أو وجوده، أو تميزه أو إنهاؤه؛ فهو غيره.

ولا يُدرك بشيء مما ذكر أو غيره، ولا بضده، ولا يُعرف بما هو
في سرٍّ ولا علانية، ولا طريق إلى معرفته بوجه، لا بنفي ولا إثبات، إلا بما
وصف به نفسه.

وَلَا يُدْرِكُ أَحَدٌ كُنْهَ صِفَتِهِ؛ وَإِنَّمَا يَعْرِفُهُ بِمَا تَعَرَّفَ لَهُ بِهِ، وَلَمْ
يَتَعَرَّفْ لِأَحَدٍ بِنَحْوِ مَا عَرَفَهُ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَإِلَّا لَشَابَهَهُ سُبْحَانَهُ.
فَهُوَ الْمَعْلُومُ وَالْمَجْهُولُ، وَالْمَوْجُودُ وَالْمَفْقُودُ، فَجِهَةٌ مَعْلُومِيَّتِهِ نَفْسُ
مَجْهُولِيَّتِهِ، وَنَفْسُ مَشْهُودِيَّتِهِ عَيْنُ مَفْقُودِيَّتِهِ، فَهُوَ لَا يُعْرَفُ بِغَيْرِهِ،
وَعَبْرُهُ يُعْرَفُ بِهِ.

أَمَّا أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ بَعُمُومٍ وَلَا خُصُوصٍ..إِلخ؛ فَلِأَنَّهَا جِهَاتُ الْخَلْقِ
وَصِفَاتُهُمْ، وَهِيَ لَا تَحُدُّ إِلَّا أَنْفُسَهَا، وَلَا يُدْرِكُ بِهَا إِلَّا مِثْلَهَا.
وَأَمَّا أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ بِضِدٍّ؛ فَلِأَنَّ ضِدَّ الْمُمْكِنِ مُمَكِّنٌ، إِذِ الْقَدِيمُ لَا ضِدَّ
لَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَشَابَهَهَا فِي تَضَادِّهَا، وَلِأَنَّهُ إِنْ كَانَ
قَدِيمًا؛ لَزِمَ تَعَدُّ الْقَدَمَاءِ، وَلَا يُمَكِّنُ فَرَضُ ذَلِكَ فِي الْأَزَلِّ؛ لِأَنَّ الْأَزَلَ هُوَ
الذَّاتُ الْبَسِيطُ الْبَحْتُ، وَلَا مَدْخَلَ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْأَزَلَ صَمَدٌ، وَإِلَّا فَهُوَ إِمْكَانٌ،
وَإِنْ كَانَ الضَّدُّ مُمَكِّنًا، لَمْ يَصَحَّ فَرَضُ كَوْنِ الْمُمْكِنِ ضِدًّا لِلْوَاجِبِ؛
لِحُدُوثِهِ بِهِ.

وَإِنَّمَا قُلْنَا أَنَّ ضِدَّ الْمُمْكِنِ مُمَكِّنٌ؛ لِأَنَّ الْقَدِيمَ وَالْمُتَنَعَّ لَا يَصْلُحَانِ
لِمُطْلَقِ الضَّدِّيَّةِ، وَإِلَّا لَكَانَا مُمَكِّنَيْنِ، وَأَمَّا فِي الْوَاجِبِ؛ فَلِأَنَّ الضَّدَّ جِهَةٌ
الْمُقَابِلَةُ وَطَرَفُهَا، وَهُوَ مُمَكِّنٌ، وَأَمَّا فِي الْمُتَنَعِّ؛ فَلِأَنَّ الضَّدَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ
شَيْئًا لَمْ يَكُنْ ضِدًّا، وَإِنْ كَانَ شَيْئًا كَانَ مُمَكِّنًا، وَلِهَذَا لَا يَصْلُحُ الْعَدَمُ
لِضِدِّيَّةِ الْوُجُودِ، إِلَّا مَجَازًا؛ لِأَنَّ الْعَدَمَ الْمُمْكِنَ وَجُودٌ فِي الْإِمْكَانِ، لَا فِي
الْأَعْيَانِ.

وإِلَى هَذَا أَشَارَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ اخْتِلَافِ زُرَّارَةَ وَهَشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فِي التَّنْفِي، هَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ أَمْ لَا؟

فَقَالَ زُرَّارَةُ: لَيْسَ بِشَيْءٍ.

وَقَالَ هَشَامٌ: التَّنْفِيُّ شَيْءٌ.

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قُلْ بِقَوْلِ هَشَامٍ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ»^(١).

وَأَمَّا الْمُتَنَعُّ؛ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ وَلَا عِبَارَةٌ لَهُ، وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُ الْعِبَارَةَ لِحِجَّةِ إِمْكَانِهِ، مِثْلُ: "لَا شَرِيكَ لَهُ"؛ لِأَنَّ التَّنْفِيَّ فَرَعُ الثُّبُوتِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَوْهَامَ تُصَوِّرُ شَيْئًا وَتُسَمِّيهِ شَرِيكًا، مِنْ جِهَةِ تَجْوِيزِهَا ذَلِكَ، أَوْ تَوَهُمِ وَجُودِهِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَتَخْلُقُونَ إِفْكًَا»^(٢)، فَأَتَى بِهِذِهِ الْعِبَارَةَ مَكْنَسَةً لِعُبَارِ الْأَوْهَامِ، وَهِيَ عِبَارَةٌ حَادِثَةٌ، وَارِدَةٌ عَلَى حَادِثٍ.

(١) عَنْ عَلِيِّ بْنِ يُونُسَ بْنِ هَمْنٍ قَالَ؛ قُلْتُ لِلرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، إِنَّ أَصْحَابَنَا قَدْ اخْتَلَفُوا، فَقَالَ: «فِي أَيِّ شَيْءٍ اخْتَلَفُوا...»

قُلْتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، مِنْ ذَلِكَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ زُرَّارَةُ وَهَشَامُ بْنُ الْحَكَمِ، فَقَالَ: زُرَّارَةُ التَّنْفِي لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ. وَقَالَ هَشَامٌ: إِنَّ التَّنْفِي شَيْءٌ.

فَقَالَ لِي: قُلْ فِي هَذَا بِقَوْلِ هَشَامٍ، وَلَا تَقُلْ بِقَوْلِ زُرَّارَةَ» [بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٣٢٢].

(٢) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ، الْآيَةُ: ١٧.

وَأَمَّا الْمُتَمَنِّعُ؛ فَلَيْسَ شَيْئًا، وَلَا عِبَارَةً عَنْهُ، وَتَعْبِيرِي عَنْهُ بِالْعِبَارَةِ؛ لِهَذَا
 الْعُنْوَانِ الْمُتَوَهَّمِ، وَهُوَ حَادِثٌ، خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمُقْتَضَى أَوْهَامِهِمْ؛ مِنْ بَابِ
 الْحُكْمِ الْوَضْعِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الْأَصُولِ، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ.
 وَلَيْسَ هَذِهِ الْعِبَارَةُ عَنْ هَذَا الْعُنْوَانِ؛ كَالْعِبَارَةِ عَنْ عُنْوَانِ حُكْمِ
 الْوُجُوبِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُدْرِكُ لِدَاتِهِ، إِلَّا أَنَّ الْعُنْوَانَ لِمَظَاهِرِهِ وَمَقَامَاتِهِ؛ الَّتِي
 لَا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَلَيْسَ لِلْمُتَمَنِّعِ مَظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ الْمَظَاهِرَ فَرَعُ الثَّبُوتِ، وَإِنَّمَا سَمَّيْتُمْ
 مُمَكِّنًا بِمُتَمَنِّعٍ، كَمَا لَوْ سَمَّيْتَ رَجُلًا بِمَعْدُومٍ، وَلَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا اللَّهُ
 وَصِفَاتُهُ وَأَسْمَاؤُهُ.

وَأَمَّا أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ؛ فَلِأَنَّ الْأَزَلَ لَيْسَ شَيْئًا
 غَيْرُهُ تَعَالَى، وَمَا سِوَاهُ فَهُوَ فِي الْإِمْكَانِ، وَالْأَزَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا
 يَدْخُلُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ فَيُخْبِرُ عَمَّا هُنَاكَ، وَيَصِفُ مَا فِيهِ، وَإِذَا
 كَانَ كَذَلِكَ؛ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ، إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ كَمَا يَقُولُ، لَا
 يُدْرِكُهُ غَيْرُهُ، فَلَا يَعْرِفُ كُنْهَهُ إِلَّا هُوَ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُ بِنَفْسِهِ عَيْنُ ذَاتِهِ، فَإِذَا
 وَصَفَ نَفْسَهُ؛ كَانَ وَصْفُ الْحَقِّ لِلْحَقِّ حَقًّا، وَيَقَعُ عَلَيْنَا وَصْفُهُ خَلْقًا،
 وَنَحْنُ ذَلِكَ الْوَصْفُ؛ الْوَاقِعُ عَلَيْنَا بِنَا، فَقَدْ تَعَرَّفَ لَنَا بِنَا، فَكَانَ وَصْفُهُ

لِلْخَلْقِ خَلْقًا، لَأَنَّ الْخَلْقَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا خَلْقًا، إِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا،
وَتُشِيرُ الْآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا^(١)، فَلَا يُدْرِكُ شَيْءٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ جِنْسِهِ.
وَمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَتَعَرَّفُ لِأَحَدٍ بِنَحْوِ مَا عَرَفَهُ مِنْ غَيْرِهِ؛ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ
عَرَفَ الْخَلْقَ لِلْخَلْقِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ، إِنَّهُمْ خَلَقُوا، وَهُوَ عَرَفَ نَفْسَهُ أَنَّهُ لَيْسَ
بِخَلْقٍ، وَلَا يُشَبِّهُ شَيْئًا مِنَ الْخَلْقِ، فَلَا يُدْرِكُ مَا تَعَرَّفَ لَهُمْ بِهِ بِشَيْءٍ مِنْ
بَصَائِرِهِمْ، وَلَا مِنْ أَبْصَارِهِمْ، وَإِنَّمَا يُعْرِفُ بَبَصَرٍ مِنْهُ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
«اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ»^(٢)، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا رَامَ عَاشِقُهَا نَظْرَةً وَلَمْ يَسْتَطِعْهَا فَمِنْ لُطْفِهَا
أَعَارَتْهُ طَرْفًا رَأَاهَا بِهِ فَكَانَ الْبَصِيرُ بِهَا طَرْفَهَا
وَمَعْنَى فَهُوَ الْمَعْلُومُ وَالْمَجْهُولُ... إلخ؛ أَنَّهُ الْمَعْلُومُ بِصُنْعِهِ، وَالْمَجْهُولُ
بِكُنْهِهِ، الْمَوْجُودُ بِآيَاتِهِ، الْمَفْقُودُ بِذَاتِهِ، فَظَهَرَ؛ فَلَا شَيْءَ أَظْهَرُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا
ظَهَرَ كُلُّ شَيْءٍ بِأَثَرِ ظُهُورِهِ، وَبَطْنٍ، فَلَا شَيْءَ أَبْطَنُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ
أَظْهَرُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا خَفِيَ لِشِدَّةِ ظُهُورِهِ، وَاسْتَتَرَ لِعِظَمِ نُورِهِ.

(١) مقتبس من كلامٍ لأمير المؤمنين عليه السلام، راجع: الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤٠٠. أعلام الدين، ص: ٥٩. تحف العقول، ص: ٦١. التوحيد، ص: ٣٩. نهج
البلاغة، ص: ٢٧٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥٢. شرح نهج
البلاغة، ج: ١٣، ص: ٧. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٩.

(٢) الكافي، ج: ١، ص: ٨٥. التوحيد، ص: ٢٨٦. روضة الواعظين، ج: ١، ص: ٣٠. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٦. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٢٧٠.

وَمَعْنَى جِهَةٍ مَعْلُومِيَّتِهِ نَفْسُ مَجْهُولِيَّتِهِ؛ أَنَّ الشَّيْءَ لَا يُعْرَفُ وَلَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، فَالطَّوِيلُ يُعْرَفُ بِطَوْلِهِ، وَالْعَرِيزُ يُعْلَمُ بِعَرْضِهِ، وَالْقَصِيرُ يُعْرَفُ بِقَصَرِهِ، وَالْأَبْيَضُ بِبَيَاضِهِ، وَالْأَسْوَدُ بِسَوَادِهِ، وَذُو الْهَيْئَةِ بِهَيْئَتِهِ، وَمَا لَا مَقْدَارَ لَهُ وَلَا لَوْنَ وَلَا هَيْئَةَ يُعْرَفُ بِذَلِكَ.

فَالوَاجِبُ سُبْحَانَهُ يُعْرَفُ بِأَنَّهُ لَا كَيْفَ لَهُ وَلَا شَبَهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يُدْرِكُ كُنْهَهُ، وَلَا تُعْلَمُ صِفَتُهُ، وَلَا يُحَاطُ بِهِ عِلْمًا، وَأَنَّ كُلَّ مُدْرِكٍ فَهُوَ غَيْرُهُ؛ فَيُعْرَفُ بِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى اكْتِنَاهِهِ، وَلَا إِلَى إِدْرَاكِ صِفَتِهِ، فَهُوَ يُعْرَفُ بِالْجَهْلِ بِهِ، فَذَلِكَ مَا تَعَرَّفَ بِهِ لَنَا، فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا مِثْلَنَا، فَهُوَ الْوَاجِبُ الْحَقُّ، وَالْمَجْهُولُ الْمُطْلَقُ.

وَهَذَا الْقِسْمُ يُعْبَرُ عَنْهُ: بِالذَّاتِ الْبَحْتِ، وَمَجْهُولُ النَّعْتِ، وَعَيْنُ الْكَافُورِ، وَشَمْسُ الْأَزَلِ، وَمُقْطَعُ الْإِشَارَاتِ، وَالْمَجْهُولُ الْمُطْلَقُ، وَالوَاجِبُ الْحَقُّ، وَاللَّاتَعَيْنُ، وَالْكَنْزُ الْمَخْفِي، وَالْمُنْقَطِعُ الْوِجْدَانِي، وَذَاتٌ سَادَجٌ، وَذَاتٌ بَلَا عَتَبَارٍ.. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَكُلُّهَا عِبَارَاتٌ مَخْلُوقَةٌ، تَقَعُ عَلَى مَقَامَاتِهِ وَعَلَامَاتِهِ؛ الَّتِي لَا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ^(١)، وَهِيَ مَوْضُوعُ عِلْمِ الْبَيَانِ، وَالَّذِي يُنَحْتُ فِيهِ عَنْهُ هُوَ الْمَعَانِي، وَهِيَ أَرْكَانُ التَّوْحِيدِ.

(١) مقتبس من دعاء الإمام الحجة عليه السلام في شهر رجب، راجع: إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح التهجيد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٣٩٣.

الفائدة الثالثة في الإشارة إلى القسم الثاني

وَهُوَ الْوُجُودُ الْمُطْلَقُ، وَالتَّعَيُّنُ الْأَوَّلُ، وَالرَّحْمَةُ الْكُلِّيَّةُ، وَالشَّجَرَةُ الْكُلِّيَّةُ، وَالنَّفْسُ الرَّحْمَانِي الْأَوَّلِي، وَالْمَشِئَّةُ، وَالْكَافُ الْمُسْتَدِيرَةُ عَلَى نَفْسِهَا، وَالْإِرَادَةُ، وَالْكَلِمَةُ الَّتِي أَنْزَجَرَ لَهَا الْعُمُقُ الْأَكْبَرُ، وَالْإِبْدَاعُ، وَالْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْوَلَايَةُ الْمُطْلَقَةُ، وَالْأَزَلِيَّةُ الثَّانِيَّةُ، وَعَالَمُ: «فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ»^(١)، وَالْمَحَبَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ، وَحَرَكَةُ بِنَفْسِهَا، وَالْإِسْمُ الَّذِي اسْتَقَرَّ فِي ظِلِّهِ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَهُوَ الْمَكْنُونُ الْمَخْزُونُ عِنْدَهُ، وَصَبْحُ الْأَزَلِ، وَفَعَلَ بِنَفْسِهِ، وَعَالَمُ الْأَمْرِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَصِفَةُ بَدْنِهِ بِنَفْسِهِ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَبَضَ مِنْ رُطُوبَةِ الرَّحْمَةِ بِتِلْكَ الرُّطُوبَةِ نَفْسِهَا بِهَا، أَرْبَعَةَ أَجْزَاءَ بِهَا، وَمِنْ هَبَائِهَا بِهِ جُزْءٌ بِهِ، فَقَدَرَهُمَا بِهِمَا فِي تَعْفِينِ هَاضِمَتِهَا، وَأَنْحَلَّا بِهِمَا، وَأَنْعَقَدَا بِهِمَا، وَتَرَاكَمَا بِهِمَا. وَهَذَا هُوَ الْمَشِئَةُ، وَهُوَ الْمُسَمَّى بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

(١) إشارة إلى قوله تعالى في الحديث القدسي: «كُنْتُ كَنْزاً مَنْخَفِياً؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ»، [شرح توحيد الصدوق، ج: ٤، ص: ٤٠. جامع الأسرار، ص: ١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٩٩ - ٣٤٤].

وَلِهَذَا الْمَقَامِ فِي تَرْزِيلِ الْفُؤَادِ أَرْبَعُ مَرَاتِبٍ.

فَالْأُولَى: الرَّحْمَةُ وَالتَّنْقِطَةُ، وَالسِّرُّ الْمُسْتَسِرُّ، وَالسِّرُّ الْمَحْلَلُ بِالسَّرِّ.
وَالثَّانِيَةُ: الرِّيَاحُ، وَالتَّنَفُّسُ الرَّحْمَانِيُّ الْأَوَّلِيُّ -بِفَتْحِ الْفَاءِ- الْمَشَارُ
إِلَيْهِ بِالْإِنْحِلَالِ الْأَوَّلِ.

وَالثَّالِثَةُ: الْحُرُوفُ، الْمَشَارُ إِلَيْهَا بِالْإِنْعِقَادِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ السَّحَابُ
الْمَرْجِيُّ، الْمَثَارُ مِنْ شَجَرِ الْبَحْرِ.

وَالرَّابِعَةُ: السَّحَابُ الْمُتَرَاكِمُ، وَالْكَلِمَةُ التَّامَّةُ، وَالْكَلِمَةُ الَّتِي انْزَجَرَ
لَهَا الْعُمُقُ الْأَكْبَرُ، وَالْكَافُ الْمُسْتَدِيرَةُ عَلَى نَفْسِهَا.

وَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ إِنَّمَا تَعَدَّدَتْ؛ بِإِعْتِبَارِ التَّفْصِيلِ الْفُؤَادِيِّ فِي كَشْفِهِ،
وَالْأَوَّلُ فَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ بَسِيطٌ، لَيْسَ فِيهِ الْإِمْكَانُ أَبْسَطُ مِنْهُ، خَلَقَهُ اللَّهُ
بِنَفْسِهِ، وَأَقَامَهُ بِنَفْسِهِ، وَأَمْسَكَهُ بظِلِّهِ، وَذَلِكَ فِي الْعُمُقِ الْأَكْبَرِ عَلَى حَدِّهِ
الْأَعْلَى، فَهُوَ الْمُحَدَّدُ لِلْعُمُقِ الْأَكْبَرِ، وَالْعُمُقُ الْأَكْبَرُ مُحَدَّدٌ لَهُ، لَا يُفْضَلُ
أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ، وَهَذَا فِعْلُ اللَّهِ.

وَحَيْثُ عُلِمَ بِالضَّرُورَةِ؛ أَنَّ هَيْئَةَ الْمَفْعُولِ -مِنْ حَيْثُ هُوَ مَفْعُولٌ-
هَيْئَةُ الْفِعْلِ، كَالْكِتَابَةِ؛ فَإِنَّ هَيْئَتَهَا هَيْئَةُ حَرَكَةِ الْيَدِ، فَعَلَى حَسَبِ هَيْئَةِ
حَرَكَةِ يَدِ الْكَاتِبِ تَكُونُ كِتَابَتُهُ؛ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْجِهَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي
الْفِعْلِ عَلَى جِهَةِ الْبَسَاطَةِ وَالْإِتِّحَادِ، تَكُونُ بِنَحْوِهَا فِي الْمَفْعُولِ عَلَى جِهَةِ
التَّرْكِيبِ وَالتَّعَدُّدِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الْمَفْعُولَاتُ بِحَسَبِ مَرَاتِبِهَا فِي قُوَّةِ
التَّرْكِيبِ وَضَعْفِهِ، وَظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ، وَكَثْرَتِهِ وَقِلَّتِهِ، وَفِي كَثَرَةِ التَّعَدُّدِ
وَقِلَّتِهَا، وَظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ، لِأَنَّهَا فِي الْفِعْلِ عَلَى نَحْوِ أَشْرَفِ، لَيْسَ فِي

الإمكان نحوُ أَشْرَفُ مِنْهُ، وَلِهَذَا كَانَ فِي أَكْمَلِ مَرَاتِبِ الْبَسَاطَةِ
الإِمْكَانِيَّةِ، بَحِيْثٌ لَا تَكَادُ تُعْتَبَرُ فِيهِ جِهَةٌ تَعَدُّدٌ؛ إِلَّا مِنْ جِهَةِ التَّعْلُقِ.

وَهَذَا هُوَ الْجَوَازُ الرَّاجِحُ الْوُجُودَ، وَهُوَ الْوُجُودُ الْمَطْلُوقُ، أَيْ:
الْوُجُودُ لَا بِشَرْطٍ، وَهُوَ الْمَشِئَةُ، وَالْعَزْمُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ الْإِرَادَةُ.

وَمَعْنَى أَنَّهَا خُلِقَتْ بِنَفْسِهَا؛ أَنَّهَا خُلِقَتْ لَا بِمَشِئَةٍ غَيْرِهَا.

وَنَظِيرُهَا: أَبُونَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَأُمِّ غَيْرِهِ،
وَإِنَّمَا كَانَ بِنَفْسِهِ، وَكَانَ الْبَشَرُ مِنْهُ بِالتَّنَاسُخِ وَالتَّنَاسُلِ، فَكَذَلِكَ الْمَشِئَةُ مِنْ
غَيْرِ أَبِي وَأُمِّ غَيْرِهَا، وَكَانَتْ الْأَشْيَاءُ مِنْهَا بِالتَّنَاسُخِ وَالتَّنَاسُلِ.

وَمَعْنَى قَوْلِنَا: "مِنْ غَيْرِ أَبِي وَأُمِّ غَيْرِهِ" فِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إِنَّهُ كَانَ مِنْ
مَادَّتِهِ وَهُوَ الْأَبُ، وَمِنْ صُورَتِهِ وَهِيَ الْأُمُّ، وَكَذَا فِي الْمَشِئَةِ؛ إِلَّا أَنَّهَا فِي
الْمَشِئَةِ وَجِدًا بِأَنْفُسِهِمَا، أَيْ: وَجِدَ كُلُّ وَاحِدٍ بِنَفْسِهِ وَبِالْآخَرِ.

وَمَعْنَى ذَلِكَ؛ أَنَّهُ وَجِدَ مَقْبُولُهُ بِنَفْسِهِ، وَقَابِلُهُ بِالْآخَرِ، وَلَا إِيجَادَ
لَهُمَا إِلَّا بِأَنْفُسِهِمَا، وَمَا سِوَاهَا وَجِدَ مَقْبُولُهُ بِالْفِعْلِ، وَقَابِلُهُ بِالتَّبَعِيَّةِ عَلَى مَا
نَبَّيْنَاهُ.

وَمَعْنَى أَنَّ الْأَشْيَاءَ كَانَتْ بِالتَّنَاسُخِ وَالتَّنَاسُلِ؛ أَنَّ الْمَادَّةَ هِيَ الْأَبُ،
وَالصُّورَةُ هِيَ الْأُمُّ - عَلَى مَا نَبَّيْنُ لَكَ - فَكَحَتِ الْمَادَّةُ الصُّورَةَ، عَلَى
كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ فَوَلَدَتِ الصُّورَةَ الشَّيْءَ.

وَالْمَشِئَةُ؛ هِيَ آدَمُ الْأَوَّلُ، وَحَوَاؤُهُ هِيَ الْجَوَازُ، وَهِيَ كُفُوُهُ، لَا
تَزِيدُ عَلَيْهِ وَلَا تَنْقُصُ عَنْهُ، كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ سَابِقًا، فَافْهَم.

وَهَذَا هُوَ النَّارُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(١)، فَمَكَائِهِ الْإِمْكَانَ، وَوَقْتُهُ السَّرْمَدَ، فَهُوَ لِلْسَّرْمَدِ كَالْأَطْلَسِ لِلزَّمَانِ، فَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مُحَدَّبُهُ فِي مَكَانٍ وَلَا زَمَانٍ، وَإِنَّمَا الْمَكَانُ وَالزَّمَانُ انْتَهَيَا بِهِ، لَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ عَنِ الْآخَرِ، وَكُلَّمَا قَرُبَ مِنْ مُحَدَّبِهِ مِنَ الْجِسْمِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ لَطْفَ وَرَقٍّ، وَكُلَّمَا بَعُدَ مِنْهُ كَثُفَ وَغُلُظَ. كَذَلِكَ هَذَا الْوُجُودُ، أَيُّ: الْجَوَازُ الرَّاجِحُ، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْفِعْلِ وَالْإِمْكَانِ وَالسَّرْمَدِ لَطْفَ وَرَقٍّ، حَتَّى يَكَادُ يَخْفَى عَنْ نَفْسِهِ، وَحَتَّى يَكَادُ يَظْهَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

وَكُلَّمَا بَعُدَ عَنْ نَفْسِهِ مِنْهَا غُلُظَ، أَيُّ: ظَهَرَ حَتَّى يَكَادُ يَظْهَرُ فِي الْمَفْعُولَاتِ، وَحَتَّى يَكَادُ يَفْقَدُ مِنْهَا، فَالْإِمْكَانُ وَالسَّرْمَدُ انْتَهَيَا بِهِ. وَكَمَا أَنَّ الْمُحَدَّدَ وَالْمَكَانَ فِي الزَّمَانِ، وَهُوَ الْمُحَدَّدُ فِي الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانَ فِي الْمُحَدَّدِ، أَيُّ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ حَاوٍ لِلَاثْنَيْنِ، كَذَلِكَ الْفِعْلُ وَالْإِمْكَانُ وَالسَّرْمَدُ؛ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا حَاوٍ لِلَاثْنَيْنِ الْآخَرَيْنِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مُنْتَهٍ بِالْآخَرِ مِنَ الثَّلَاثَةِ، إِلَّا أَنَّ الْوُجُودَاتِ الثَّلَاثَةَ عَلَى أَوْضَاعٍ ثَلَاثَةٍ: فَالْوَاجِبُ: أَرْزَلُهُ ذَاتُهُ، وَمَكَائِهِ ذَاتُهُ.

وَالْمُمْكِنُ: الَّذِي هُوَ الْوُجُودُ الْمُقَيَّدُ، وَهُوَ جَمِيعُ الْمَفْعُولَاتِ، مَكَائِهِ غَيْرُ زَمَانِهِ، وَهُمَا غَيْرُ ذَاتِهِ.

وَأَمَّا الْجَوَازُ الرَّاجِحُ: فَمَكَائِهِ وَزَمَانُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِ الْإِتِّحَادِ

وَالْمُعَايَرَةُ بَيْنَ بَيْنٍ، لَيْسَ عَلَى حَدِّ الْوَاجِبِ فِي الْإِتِّحَادِ، وَلَا عَلَى حَدِّ
 الْمُمْكِنِ فِي التَّعَدُّدِ، هَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَفْسِهِ.
 وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى ارْتِبَاطِهِ بِالْمُمْكِنِ؛ فَمُتَعَايَرَةٌ مُعَايَرَةٌ أَبْسَطُ مِنْ
 مُعَايَرَةِ الْمُمْكِنِ، فَافْهَم.

الفائدة الرابعة في الإشارة إلى تقسيم الفعل في الجملة

اعْلَمْ أَنَّ الْفِعْلَ بِاعْتِبَارِ مَرَاتِبِهِ عِنْدَ تَعَلُّقِهِ بِالْمَفْعُولَاتِ يَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ.

فَالأَوَّلُ: مَرْتَبَةُ الْمَشِيئَةِ؛ وَهِيَ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ، كَمَا قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيُوْثَسَ^(١)، وَالْمُرَادُ أَنَّ الشَّيْءَ قَبْلَ الْمَشِيئَةِ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذِكْرٌ فِي جَمِيعِ مَرَاتِبِ الْإِمْكَانِ، فَأَوَّلُ ذِكْرِهِ مَعْلُومِيَّتُهُ فِي كَوْنِهِ. وَمِثَالُهُ: فِيمَا يَبْدُو لَكَ أَنَّ تَفَعَّلَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ تَذْكُرَهُ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُ كَانَ ذِكْرُكَ لَهُ أَوَّلَ مَرَاتِبِ وُجُودَاتِهِ، وَهُوَ كَوْنُهُ.

وَالثَّانِي: الْإِرَادَةُ؛ وَهِيَ الْعَزِيمَةُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَهِيَ ثَانِي ذِكْرِهِ، وَمَعْلُومِيَّتُهُ فِي عَيْنِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وُجُودٌ قَبْلَهُ إِلَّا الذِّكْرُ الْأَوَّلُ؛ الَّذِي هُوَ كَوْنُهُ، وَهُوَ صُدُورُ الْوُجُودِ قَبْلَ لُزُومِ الْمَاهِيَةِ لَهُ، وَبِهَا تَلَزَمَتِ الْمَاهِيَةُ، وَبِالْمَشِيئَةِ كَانَتْ الْإِرَادَةُ لِتَرْتُبَهَا عَلَيْهَا.

وَالثَّالِثُ: الْقَدَرُ؛ وَهُوَ الْهَنْدَسَةُ الْإِنْجَادِيَّةُ، وَفِيهِ إِنْجَادُ الْحُدُودِ؛ مِنْ

(١) سيأتي نقل نص الرواية في شرح هذه الفائدة، راجع: الكافي، ج: ١، ص:

١٥٧-١٥٨. تفسير القمي، ج: ١، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١١٦-

الْأَرْزَاقِ وَالْأَجَالِ، وَالْبَقَاءَ وَالْفَنَاءَ، وَضَبَطَ الْمَقَادِيرَ وَالْهَيْئَاتِ الدَّهْرِيَّةَ
وَالزَّمَانِيَّةَ؛ مِنْ الْوَقْتِ وَالْمَحَلِّ، وَالْكَيْفِ وَالرُّتْبَةِ وَالْجِهَةِ، وَالْوَضْعِ
وَالكِتَابِ، وَالْإِذْنَ وَالْأَعْرَاضِ وَمَقَادِيرِ الْأَشْعَةِ، وَجَمِيعِ النَّهَايَاتِ إِلَى
انْقِطَاعِ وُجُودَاتِهِ.

وَفِي هَذَا أَوَّلُ الْخَلْقِ الثَّانِي، وَبَدَأَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ، وَبِالْإِرَادَةِ كَانَ
الْقَدَرُ؛ لِتَرْتُبِهِ عَلَيْهَا.

وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْمَذْكُورَةُ تَجْرِي فِي الْخَلْقِ الْأَوَّلِ عَلَى نَحْوِ أَشْرَفٍ،
وَإِنَّمَا ذُكِرَتْ هُنَا؛ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الْهَنْدَسَةِ، وَهُنَاكَ مَحَلُّ بَسَاطَةِ.

وَالرَّابِعُ: الْقَضَاءُ؛ وَهُوَ إِتْمَامُ مَا قَدَّرَ، وَتَرْكِيبُهُ عَلَى النَّظْمِ الطَّبِيعِيِّ.
فَالْقَدَرُ؛ كَتَقْدِيرِ آلَاتِ السَّرِيرِ مِنَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ وَالْهَيْئَةِ.
وَالْقَضَاءُ؛ تَرْكِيبُهَا سَرِيرًا.

وَالْخَامِسُ: الْإِمْضَاءُ؛ وَهُوَ لَازِمٌ لِلْقَضَاءِ، وَهُوَ إِظْهَارُهُ مُبَيَّنَ الْعِلَلِ،
مَشْرُوحَ الْأَسْبَابِ؛ لِاجْتِمَاعِ مَرَاتِبِ التَّعْرِيفِ لِأَنَارِ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ
فِيهِ.

فَالْأَرْبَعُ الْمَرَاتِبُ الْأَوَّلُ؛ هِيَ الْأَرْكَانُ لِلْفِعْلِ، وَالْخَامِسُ بَيَانُهَا،
وَبِالْقَدَرِ كَانَ الْقَضَاءُ، وَبِالْقَضَاءِ كَانَ الْإِمْضَاءُ، فَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ هِيَ صُبْحُ
الْأَزَلِّ.

وَالثُّورُ الَّذِي أَشْرَقَ مِنْ صُبْحِ الْأَزَلِّ أَرْبَعَةُ أُنْوَارٍ؛ هِيَ الْعَرْشُ الَّذِي
اسْتَوَى عَلَيْهِ الرَّحْمَانُ بِرَحْمَانِيَّتِهِ، الَّتِي هِيَ هَذِهِ الْأَرْبَعُ الْمَرَاتِبُ مِنَ الْفِعْلِ.
فَالثُّورُ الْمُشْرِقُ عَنِ الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى؛ هُوَ رُكْنُ الْعَرْشِ الْأَيْمَنِ الْأَعْلَى،

وَهُوَ النَّوْرُ الْأَبْيَضُ.

وَالنَّوْرُ الْمَشْرِقُ عَنِ الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ؛ هُوَ رُكْنُ الْعَرْشِ الْأَيْمَنِ الْأَسْفَلِ،
وَهُوَ النَّوْرُ الْأَصْفَرُ.

وَالنَّوْرُ الْمَشْرِقُ عَنِ الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ؛ هُوَ رُكْنُ الْعَرْشِ الْأَيْسَرِ الْأَعْلَى،
وَهُوَ النَّوْرُ الْأَخْضَرُ.

وَالنَّوْرُ الْمَشْرِقُ عَنِ الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ؛ هُوَ رُكْنُ الْعَرْشِ الْأَيْسَرِ الْأَسْفَلِ،
وَهُوَ النَّوْرُ الْأَحْمَرُ.

فَالْبَيَاضُ مِنَ الْمَشِيئَةِ؛ لِكَمَالِ الْبَسَاطَةِ، وَالصُّفْرَةُ مِنَ الْإِرَادَةِ؛ لِرِيَاذَةِ
الْحَرَارَةِ فِي الْبَيَاضِ، وَالْخَضْرَاءُ مِنَ الْقَدَرِ؛ لِاخْتِلَاطِ سَوَادِ الْكَثْرَةِ مِنْ أَثَرِ
الْقَدَرِ بِصُفْرَةِ أَثَرِ الْإِرَادَةِ، وَالْحُمْرَةُ مِنَ الْقَضَاءِ؛ لِاجْتِمَاعِ بَيَاضِ الْمَشِيئَةِ
بِصُفْرَةِ الْإِرَادَةِ فِي حَرَارَةِ حُكْمِ الْقَضَاءِ بِالْإِمْضَاءِ.

ثُمَّ اَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا أُطْلِقَ "خَلَقَ" قَدْ يُرَادُ بِهِ جَمِيعُ الْمَرَاتِبِ؛ لِصِدْقِهِ عَلَيْهَا
لُغَةً، وَإِذَا قِيلَ: "خَلَقَ، وَبَرَأَ وَصَوَّرَ"، فَ"خَلَقَ" بِمَعْنَى: "شَاءَ"، أَيْ:
أَوْجَدَ الْكَوْنَ، أَيْ: الْوُجُودَ، وَ"بَرَأَ" بِمَعْنَى: "أَرَادَ"، أَيْ: أَوْجَدَ الْعَيْنَ،
أَيْ: الْمَاهِيَةَ بِالْوُجُودِ، وَ"صَوَّرَ" بِمَعْنَى: "قَدَّرَ"، أَيْ: أَوْجَدَ الْحُدُودَ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۖ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾^(١)،
أَيْ: خَلَقَ كَوْنَهُ، أَيْ: وَجُودَهُ. فَسَوَّى عَيْنَهُ، بِمَعْنَى: سَوَّى مَاهِيَّتَهُ

بِوُجُودِهِ، أَيُّ: جَعَلَ فِيهِ مَا إِذَا سُئِلَ أَجَابَ^(١).
وَأَيْتِمَا جِيءَ بِالْفَاءِ فِي عَطْفِ التَّسْوِيَةِ دُونَ الْوَاوِ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ
الْمُلَازِمَةِ كَمَا مَرَّ ذِكْرُهُ، وَهَذَا فِي الْخَلْقِ الْأَوَّلِ.
﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾^(٢)، أَيُّ: وَضَعَ حُدُودَهُ الْمُتَقَدِّمَ ذِكْرُهَا، وَهُوَ

الْخَلْقُ الثَّانِي، ﴿فَهَدَى﴾، أَيُّ: دَلَّ عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى.
وَعَطْفَ بِالْفَاءِ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ بِهِ السَّعَادَةُ وَالشَّقَاوَةُ، فَفِيهِ دَلٌّ عَلَى
الْهُدَى، فَهُمَا مُتَسَاوِقَانِ فِي الْوُجُودِ، وَإِنْ كَانَتْ الْهِدَايَةُ مُعَايِرَةً وَمُتَأَخِّرَةً
فِي الذَّاتِ، فَعَطْفَ بِالْفَاءِ.

ثُمَّ أَنَّ مَرَاتِبَ الْفِعْلِ بِجَمِيعِهَا؛ اخْتِرَاعٌ وَابْتِدَاعٌ، وَقَدْ يُطْلَقُ أَحَدُهُمَا
عَلَى الْآخِرِ كَالْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ، وَكَالْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ فِي بَابِ الصَّدَقَاتِ،
وَكَالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ عِنْدَ التُّحَاةِ؛ فَإِنْ افْتَرَقَا اجْتَمَعَا.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: "اعْطِ الْفَقِيرَ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ"، لَمْ تَجِبْ عَلَيْكَ التَّفْرِقَةَ،
وَكَذَا "اعْطِ الْمِسْكِينَ"، فِي الْحَالَيْنِ أُيُّهُمَا أُعْطِيَتْ كَفَاكَ.
وَإِذَا قُلْتَ: "زَيْدٌ فِي الدَّارِ".

فَإِنْ قُلْتَ: زَيْدٌ مُبْتَدَأٌ، وَالْجَارُّ خَبَرٌ؛ صَحَّ. أَوْ الْمَجْرُورُ خَبَرٌ؛ صَحَّ.
وَتَقُولُ: اخْتَرَعْتُ، أَيُّ: ابْتَدَعْتُ وَبِالْعَكْسِ، وَشَاءَ، أَيُّ: أَرَادَ وَبِالْعَكْسِ،

(١) مقتبس من قول الإمام عليه السلام: «جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ».

[الكافي، ج: ٢، ص: ١٢. تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ٣٧. بحار الأنوار، ج:

٥، ص: ٢٥٧].

(٢) سورة الأعلى، الآية: ٣.

وَإِذَا اجْتَمَعَا افْتَرَقَا. تَقُولُ: اخْتَرَعَ وَابْتَدَعَ، أَي: اخْتَرَعَ لَمْ مِنْ شَيْءٍ، وَابْتَدَعَ لَمْ لِشَيْءٍ، وَاخْتَرَعَ الْكَوْنَ، وَابْتَدَعَ الْعَيْنَ.

وَتَقُولُ: شَاءَ الْكَوْنَ، وَأَرَادَ الْعَيْنَ.

فَاخْتَرَعَ بِمَعْنَى: شَاءَ لَمْ مِنْ شَيْءٍ.

وَابْتَدَعَ بِمَعْنَى: أَرَادَ لَمْ لِشَيْءٍ.

وَإِذَا قِيلَ: "اعْطِ الْفَقِيرَ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ، وَالْمِسْكِينَ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ"، وَجَبَ التَّفَرُّقَةُ، وَبَيَّانُ ذَلِكَ فِي الْفَقْهِ.

وَالْأَصَحُّ عِنْدِي: أَنَّ الْمِسْكِينَ أَسْوَأَ حَالًا.

وَإِذَا قِيلَ: الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ؛ فُرِّقَ بَيْنَهُمَا.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قِيلَ: أَنَّ الْاِخْتِرَاعَ اخْتِرَاعَانِ، وَالْإِبْدَاعَ إِبْدَاعَانِ.

فَالْاِخْتِرَاعُ الْأَوَّلُ: الْمَشِيئَةُ؛ وَهُوَ خَلَقَ سَاكِنٌ لَمْ يُدْرِكُ بِالسُّكُونِ.

وَالْاِخْتِرَاعُ الثَّانِي: الْأَلْفُ مِنَ الْحُرُوفِ.

وَالْإِبْدَاعُ الْأَوَّلُ: الْإِرَادَةُ؛ وَهُوَ خَلَقَ سَاكِنٌ لَمْ يُدْرِكُ بِالسُّكُونِ.

وَالْإِبْدَاعُ الثَّانِي: الْبَاءُ مِنَ الْحُرُوفِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِبْدَاعَ وَالْاِخْتِرَاعَ

أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقَهُ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ خَلَقَ الْحُرُوفَ بِالْإِبْدَاعِ، وَجَعَلَهَا فِعْلًا مِنْهُ، يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ؛ فَيَكُونُ.

فَيُشَارُ بِالْكَافِ إِلَى الْاِخْتِرَاعِ، أَي: الْمَشِيئَةِ، وَهِيَ الْكَافُ الْمُسْتَدِيرَةُ

عَلَى نَفْسِهَا؛ لِأَنَّهَا مَنشَأُ الْكَوْنِ، وَبِالْثَوْنِ إِلَى الْإِبْدَاعِ، أَي: الْإِرَادَةِ؛ لِأَنَّهَا مَنشَأُ الْعَيْنِ.

وَبَيْنَ هَذَيْنِ الْحَرْفَيْنِ حَرْفٌ حُذِفَ لِلْإِعْلَالِ، فَهُوَ ثَابِتٌ بَاطِنًا،

وَانْحَذَفَ ظَاهِرًا؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى بَيَانِ الْمُرَادِ مِنْهُ، وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي جُعِلَ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ، وَهُوَ الْوُجُودُ، وَهُوَ الدَّلَالَةُ مِنَ اللَّفْظِ، وَهُوَ الْمَاءُ مِنَ السَّحَابِ، وَهُوَ الْأَجْزَاءُ الدُّخَانِيَّةُ الْمُسْتَضِيَّةُ مِنَ النَّارِ بِحِفْظِ الْكَثَافَةِ الدُّهْنِيَّةِ الْمُقَارِبَةِ لِلدُّخَانِيَّةِ، وَذَلِكَ الْحَرْفُ هُوَ "الواو"، وَالْأَصْلُ قَبْلَ حَذْفِ الْإِغْلَالِ «كَوْنٌ»، وَهُوَ السَّتَّةُ الْآيَاتُ الَّتِي خُلِقَ فِيهَا الشَّيْءُ.

وَمَعْنَى أَنَّ "الألف" هِيَ الْإِخْتِرَاعُ الثَّانِي؛ أَنَّهَا نَزَلَتْ بِتَكَرُّرِهَا فَكَانَتْ عَنْهَا "الباء"، فَ"الباء" تَأْكِيْدُهَا؛ لِأَنَّ نَزْوْلَهَا انْبِسَاطُهَا هَكَذَا: «ب»، وَقَدْ كَانَتْ قَائِمَةً هَكَذَا: «آ»، وَانْعَطَفَتْ عَلَى "الباء"، وَمَالَتْ فَحَدَّثَتْ "الجيم" هَكَذَا: «ج».

وَمَعْنَى أَنَّ "الباء" الْإِبْدَاعُ الثَّانِي؛ أَنَّهَا تَنَزَّلَتْ بِتَكَرُّرِهَا فَكَانَتْ عَنْهَا الدَّلَالُ هَكَذَا: «د»، وَمَالَتْ عَلَى "الجيم"، فَكَانَتْ "الهاء" هَكَذَا: «ه»، وَإِنَّمَا كَانَ مِثْلُ "الباء" مُخَالَفًا لِمِثْلِ "الألف"؛ لِأَنَّ "الألف" قَائِمٌ، وَمِثْلُ الْقَائِمِ إِلَى الْإِنْبِسَاطِ، وَ"الباء" مَبْسُوطٌ، وَمِثْلُ الْمَبْسُوطِ إِلَى الرُّكُودِ. ثُمَّ اَعْلَمْ؛ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ الْمَعْنَوِيَّةَ الَّتِي هِيَ الْحُرُوفُ اللَّفْظِيَّةُ مَظَاهِرُهَا قِسْمَانِ:

أَحَدُهُمَا: الْمَرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْفِعْلِ؛ وَهُوَ السَّحَابُ الْمَرْجَى. وَالثَّانِي: إِفْرَادُ الْفِعْلِ فِي فِعْلِ الشَّيْءِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ فِعْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِحَمِيعِ الْأَشْيَاءِ فِعْلٌ وَاحِدٌ، يَجْمَعُهَا عَلَى كَثَرَتِهَا فِي وَحْدَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ

بالبَصْرِ^(١)، ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِعُشْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾^(٢).

وَلَهُ بِاعْتِبَارِ تَعْلُقِهِ بِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْمَوْجُودَاتِ مِنْ ذَاتٍ أَوْ صِفَةٍ رَأْسٌ يَخْتَصُّ بِهِ؛ هُوَ مَشِئَةُ اللَّهِ الْخَاصَّةُ بِهِ.

فَهَذِهِ الرُّؤُوسُ حُرُوفٌ بِإِضَافَةٍ كُلِّ رَأْسٍ إِلَى فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْخَلْقِ، إِذَا نُسِبَتْ إِلَى الْفِعْلِ الْمَطْلُوقِ، وَالْخَلْقُ مِنْ جِهَةِ الْإِفْرَادِ حُرُوفٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَجْمُوعِ، وَكُلُّ فَرْدٍ مِنْهَا بِاعْتِبَارِ أَسْبَابِهِ وَشُرُوطِهِ وَمَقُومَاتِهِ الْمَذْكُورَةِ؛ مِنَ الْوُجُودِ وَالْمَاهِيَةِ وَالسَّيِّئَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَالْوَضْعِ وَالْأَجَلِ وَالْكِتَابِ وَالْإِذْنِ.. وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَنِهَايَاتِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُورَةِ، وَأَعْرَاضِهَا وَأَشْعَتْهَا إِلَى انْقِطَاعِ وَجُودَاتِهِ، كُلُّ وَاحِدٍ مُتَعَلِّقٌ بِوَجْهِهِ مُخْتَصٌّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الرَّأْسِ، الْمُخْتَصُّ بِذَلِكَ الْفَرْدِ مِنَ الْفِعْلِ الْكُلِّيِّ، نِسْبَةُ كُلِّ وَجْهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّأْسِ كَنِسْبَةِ ذَلِكَ الرَّأْسِ إِلَى الْفِعْلِ الْكُلِّيِّ.

فَهَذِهِ حُرُوفٌ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَالْكَلِمَاتِ الْجُزْئِيَّةِ حُرُوفٌ لِلْكَلِمَةِ الْكُلِّيَّةِ، فَهَذَا الْحُكْمُ جَارٍ لِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الْفِعْلِ، فِي كُلِّ مَفْعُولٍ، مَتَّبِعٍ أَوْ تَابِعٍ، أَوْ مُسَاوٍ أَوْ مُسَاوٍ.

فَالْفِعْلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ دُونَهُ ذَاتٌ وَاحِدَةٌ، اسْتَفَادَتْ الذَّوَاتُ مِنْ ذَاتِهَا تَذَوُّتَاتِهَا، وَالصِّفَاتُ مِنْ هَيْئَاتِهَا تَذَوُّتَاتِهَا، وَمِنْ صِفَاتِهَا تَوْصِيفَاتِهَا، وَرُؤُوسُ تِلْكَ الذَّوَاتِ الشَّرِيفَةِ الْمُقَدَّسَةِ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ رَأْسٍ فَلَهُ وَجْهُ

(١) سورة القمر، الآية: ٥٠.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

كثيرة.

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ الْجَعْلَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعَةِ، فَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَرْتَبَةٍ اسْتِعْمَلَ فِيهَا لُغَةً، وَيَجْرِي حُكْمُهُ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ بِمَالِهَا، وَكَثِيرًا مَا يُسْتَعْمَلُ فِي إِيجَادِ اللّٰوْازِمِ لِمَلْزُومَاتِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(١)، لِإِيجَادِهِ النُّورَ مِنَ النُّورِ، وَالظُّلْمَةَ مِنْ نَفْسِ النُّورِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَيَتَمَيَّزُ عَنْ تِلْكَ الْمَرَاتِبِ إِذَا اسْتُعْمِلَ مَعَ أَحَدِهِمَا، كَمَا فِي الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ، وَيُسْتَعْمَلُ لِلتَّصْنِيرِ، وَالْقَلْبَ لِشَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ.

وَحُكْمُهُ فِي الاسْتِعْمَالَاتِ الثَّلَاثَةِ حُكْمٌ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَفْعَالِ فِي الاسْتِعْمَالَاتِ الثَّلَاثَةِ، فِي مَرَاتِبِهَا حَرْفًا بِحَرْفٍ.

فَقَوْلُهُمْ: "الْجَعْلُ الْبَسِيطُ، وَالْجَعْلُ الْمُرَكَّبُ"؛ لَيْسَ بِتَامٍ، لِأَنَّ التَّرَكِيبَ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ فِي شَيْءٍ ضُمَّ إِلَيْهِ مُسَاوٍ لَهُ، أَوْ مُخَالَفٍ، أَوْ مُبَايِنٍ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الْمُرَكَّبُ شَيْئًا وَاحِدًا، أَيْ: يَصْدُرُ عَنْهُ فِعْلٌ وَاحِدٌ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَلَيْسَ ثُمَّ مُمَاتِلٌ غَيْرَ ذَاتِهِ وَصِفَتِهِ، وَالشَّيْءُ لَا يَتَرَكَّبُ مِنْ ذَاتِهِ وَصِفَتِهِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ.

وَتَمَثِيلُهُمْ بِقَوْلِهِمْ: "جَعَلْتُ الطِّينَ حَرْفًا".

فَإِنْ أُرِيدَ: تَغْيِيرُ الطِّينِ وَتَصْنِيرُ الْمُتَغَيَّرِ حَرْفًا؛ فَهُوَ جَعْلَانٍ، كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَادَّةٍ، وَهُمَا رَأْسَانِ مِنَ الْجَعْلِ الْكُلِّيِّ.

وإن أُريدَ: قلبُ الطِّينِ خَزَافاً مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ تَغْيِيرِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ حَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَهُوَ جَعَلَ وَاحِدٌ.

وإن أُريدَ به: مَا يُسْتَعْمَلُ فِي تَكْوِينِ الْمَتَّبُوعِ وَتَكْوِينِ التَّابِعِ بِهِ، كَجَعَلَ الْوُجُودَ وَأَنْجَعَالَ الْمَاهِيَةِ بِجَعْلِ الْوُجُودِ؛ فَهَذَا فِي الظَّاهِرِ جَعَلَ وَاحِدٌ لِشَيْئَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، لَكِنْ مَا أَنْجَعَلْتُ بِهِ الْمَاهِيَةَ لَيْسَ بِجَعَلَ كَجَعَلَ الْوُجُودَ، وَلَا مُخَالَفَ لَهُ، وَلَا مُعَانِدَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي جِهَتَيْنِ، فَلَا يَكُونُ الْجَعْلُ مِنْهُمَا مُرَكَّبًا؛ لَأَنَّ مَا جُعِلْتُ بِهِ الْمَاهِيَةَ صِفَةً لِمَا جُعِلَ بِهِ الْوُجُودُ وَأَثَرُ لَهُ، وَلَا يَكُونُ الشَّيْءُ مُرَكَّبًا مِنْ ذَاتِهِ وَأَثَرِهِ.

فَإِنَّ مَا جُعِلَ بِهِ الْوُجُودُ؛ كَالشَّمْسِ لِلنُّورِ، وَمَا جُعِلَ بِهِ الْمَاهِيَةُ؛ كَنَفْسِ النُّورِ لِلظِّلِّ، فَإِنَّ جَعَلَ الشَّمْسُ لِلنُّورِ جَعَلَ وَحْدَهُ، وَجَعَلَ نَفْسِ النُّورِ مِنْ حَيْثُ نَفْسِهِ لِلظِّلِّ جَعَلَ وَحْدَهُ مُغَايِرٌ لِلْجَعْلِ الْأَوَّلِ، وَكَوْنُهُ مُتَرَتِّبًا عَلَيْهِ وَمُتَقَوِّمًا بِهِ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ التَّرْكِيبُ؛ لَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَجْعَلْ لِنَفْسِهَا الظِّلَّ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾^(١)، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا جَاعِلَةٌ لَهُ، إِذْ لَوْ جَعَلْتُهُ بِجَعْلِ النُّورِ لَكَانَ نُورًا، إِذْ لَيْسَ فِيهَا ظِلٌّ، وَإِنْ جَعَلْتُهُ بِجَعْلِ نَفْسِ النُّورِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الظِّلِّ وَاقِعًا دَلٌّ عَلَى أَنَّهَا حَافِظَةٌ لِلنُّورِ الْجَاعِلِ لِلظِّلِّ، لَا جَاعِلَةٌ لَهُ، فَلَا يَحْصُلُ التَّرْكِيبُ حَقِيقَةً، وَإِلَيْهِ

الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَحٍ بِالبَصْرِ﴾^(١).
وإن أُريدَ: أَنَّ الجَعَلَ الَّذِي يَحْدُثُ عَنْهُ شَيْئَانِ فَصَاعِدًا؛ فَهُوَ
مُرَكَّبٌ، سَوَاءٌ كَانَا فِي مَادَّتَيْنِ، أَمْ فِي حَالَتَيْنِ؛ كَجَعَلِ الطِّينَ خَزَفًا، أَمْ فِي
الْمَلْزُومِ وَاللَّازِمِ؛ كَالْوُجُودِ وَالْمَاهِيَةِ.

قُلْنَا: إِذَا اصْطَلَحْتُمْ عَلَى ذَلِكَ فَلَا بُاسَ، وَلَكِنْ لَا تَجِدُونَ الجَعَلَ
الْبَسِيطَ قَطُّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا فَرْدًا قَائِمًا بِذَاتِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنْ
الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾^(٢).

وَبِالْجُمْلَةِ؛ لَا فَرْقَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بَيْنَ الجَعْلِ وَغَيْرِهِ مِنْ مَرَاتِبِ
الْفِعْلِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ؛ فَالْجَعْلُ وَاحِدٌ لَا تَعَدُّدٌ فِيهِ لِدَاتِهِ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ
فِيهِ﴾^(٣)، أَيُّ: فِي الجَعْلِ، فَأَفْرَدَهُ وَجَمَعَ المَجْعُولَاتِ، فَافْهَمْ.

نَعَمْ.. لَهُ رُؤُوسٌ بَعْدَ المَجْعُولَاتِ، وَلِكُلِّ رَأْسٍ وُجُوهٌ بَعْدَ أَحْوَالِهِ،
كَمَا تَقَدَّمَ فِي الفِعْلِ فَرَاجِعُ.

(١) سورة القمر، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

الفائدة الخامسة في تِمْمةِ الملَحَقَاتِ

اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ عَنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعَدُّدُ الْعَوَالِمِ وَالْأَدَمِيِّينَ،
وَأَكْثَرُ مَا ذُكِرَ أَنَّهَا: «أَلْفُ أَلْفِ عَالَمٍ، وَأَلْفُ أَلْفِ آدَمٍ، أَنْتَ فِي آخِرِ
تِلْكَ الْعَوَالِمِ، وَأَوَّلِكَ الْأَدَمِيِّينَ»^(١).

وَمَرَاتِبُ الْعَوَالِمِ إِنَّمَا اخْتَلَفَتْ فِي الرُّوَايَاتِ لِاخْتِلَافِ الْمَقَامَاتِ،
كَعَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.
وَالْعَوَالِمُ الثَّلَاثَةُ.

عَالَمُ الْوُجُوبِ: وَهُوَ الْأَرَضِيُّ تَعَالَى.

وَعَالَمُ الرَّجْحَانِ: وَهُوَ عَالَمُ الْمَشِئَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْإِبْدَاعِ.

وَعَالَمُ الْجَوَازِ: وَهُوَ الْوُجُودُ الْمُقَيَّدُ، الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِأَنَّهُ وُجُودٌ بِشَرَطِ لَا،

وَبِشَرَطِ شَيْءٍ، أَوَّلُهُ الدَّرَّةُ، وَآخِرُهُ الدَّرَّةُ.

وَأَرْبَعَةُ عَوَالِمٍ.

وَهِيَ: عَالَمُ الْخَلْقِ، وَعَالَمُ الرِّزْقِ، وَعَالَمُ الْمَوْتِ، وَعَالَمُ الْحَيَاةِ.

(١) سيأتي ذكر نصوص تلك الروايات في شرح الفوائد، راجع: التوحيد، ص:

وَحَمْسَةُ عَوَالِمَ.

عَالَمُ الْأَزَلِ تَعَالَى، وَعَالَمُ السَّرْمَدِ، وَهُوَ عَالَمُ الرَّجْحَانِ، وَعَالَمُ الْجَبَرُوتِ؛ وَهُوَ عَالَمُ الْمَعَانِي الْمَجْرَدَةِ عَنِ الْمَادَّةِ وَالصُّورَةِ وَالْمُدَّةِ، وَعَالَمُ الْمَلَكُوتِ؛ وَهُوَ عَالَمُ الصُّوَرِ الْمَجْرَدَةِ عَنِ الْمَادَّةِ وَالْمُدَّةِ، وَعَالَمُ الْمَلِكِ؛ أَوَّلُهُ مُحَدَّدُ الْجِهَاتِ، وَآخِرُهُ الْأَرْضُ.

وَسِتَّةُ عَوَالِمَ.

عَالَمُ الْعُقُولِ، وَعَالَمُ النُّفُوسِ، وَعَالَمُ الطَّبَائِعِ، وَعَالَمُ الْهَبَاءِ، وَعَالَمُ الْمَثَالِ، وَعَالَمُ الْأَجْسَامِ.

وَسَبْعَةُ عَوَالِمَ.

عَالَمُ النَّارِ، وَعَالَمُ الْهَوَاءِ، وَعَالَمُ الْمَاءِ، وَعَالَمُ التُّرَابِ، وَعَالَمُ الْجِسْمِ، وَعَالَمُ النَّفْسِ، وَعَالَمُ الرُّوحِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ: كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْحَوَادِثِ مِثْلُ الْكَيَانِ، مُرَبَّعُ الْكَيْفِيَّةِ.

وَتِمَانِيَةُ عَوَالِمَ.

إِذَا أُطْلِقَتْ يُرَادُ بِهَا أَحَدُ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ، نَذَرُ مِنْهَا وَاحِدًا عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ؛ عَالَمُ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا، وَعَالَمُ الْخَلْقِ فِي الْآخِرَةِ، وَعَالَمُ الرِّزْقِ فِي الدُّنْيَا، وَعَالَمُ الرِّزْقِ فِي الْآخِرَةِ، وَعَالَمُ الْمَوْتِ فِي الدُّنْيَا، وَعَالَمُ الْمَوْتِ فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ الْهَلَاكُ الْأَكْبَرُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَعَالَمُ الْحَيَاةِ فِي

الدُّنْيَا، وَعَالَمُ الْحَيَاةِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي التَّأْوِيلِ:
﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ..﴾ ^(١).

وَتِسْعَةُ عَوَالِمُ.

وَهِيَ: عَالَمٌ مُحَدَّدٌ الْجِهَاتِ، وَعَالَمٌ فَلَكِ الثَّوَابِ، وَعَالَمُ الْأَفْلَاكِ
السَّبْعَةِ ^(٢)، وَهِيَ: عَالَمُ الْقُلُوبِ، وَعَالَمُ النُّفُوسِ، وَعَالَمُ الْعُقُولِ، وَعَالَمُ
الْعُلُومِ، وَعَالَمُ الْأَوْهَامِ، وَعَالَمُ الْوُجُودَاتِ الثَّانِيَةِ، وَعَالَمُ الْخَيَالَاتِ، وَعَالَمُ
الْأَفْكَارِ، وَعَالَمُ الْحَيَاةِ.

وَعَشْرَةُ عَوَالِمُ.

وَهِيَ هَذِهِ التَّسْعَةُ، وَعَالَمُ الْأَجْسَادِ.

وَأَحَدَ عَشَرَ عَالِمًا.

وَهِيَ مَيَادِينُ التَّوْحِيدِ، سِتَّةٌ مِنْهَا كَثِيرَةُ الْحَيَاتِ وَالْعَقَارِبِ مُظْلِمَةٌ،
ذَاتُ أَهْوَالٍ مُنْكَرَةٍ، هَلَكَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِتَأْوِيلِ قَوْلِهِ
تَعَالَى: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا
يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا
أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** ^(٣).

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٢) في نُسخ شرح الفوائد: (وَعَوَالِمُ الْأَفْلَاكِ السَّبْعَةِ).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

فَأَدْنَى مَرَاتِبِ السَّتَةِ وَأَخْسَهَا الْأَجْسَامُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ جِسْمًا،
وَالثَّانِي الْمَثَالُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ شَيْحًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَادَّةٌ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَعْبُودَهُ طَبِيعَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ نَقْشٌ وَصُورَةٌ مُجَرَّدَةٌ،
وَهَذِهِ الْخَمْسَةُ دَرَكَاتُ الْهَالِكِينَ.

أَمَّا السَّادِسُ: وَهُوَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَعْبُودَهُ مَعْنَى؛ كَمَا هُوَ مُعْتَقَدُ كَثِيرٍ
مِنَ أَهْلِ الْعُقُولِ، فَإِنْ عَنَى مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ عَقْلُهُ، فَقَدْ أَبْطَلَ؛ لِأَنَّ الْإِشَارَةَ
الْعَقْلِيَّةَ لَا تَقَعُ إِلَّا عَلَى مَحْصُورٍ دَهْرِيٍّ، وَذَلِكَ حَادِثٌ.

وَأِنْ اعْتَقَدَهُ بِدُونِ تَخْصِيصِ إِشَارَةِ عَقْلِيَّةٍ؛ فَذَلِكَ مُوَحِّدٌ، إِلَّا أَنْ
تَوْحِيدَهُ أَسْفَلَ مَرَاتِبِ التَّوْحِيدِ.

وَالْخَمْسَةُ الْأُخْرَى؛ هِيَ مَرَاتِبُ الْفِعْلِ الْأَرْبَعِ الْأَوَّلِ، وَالذَّوَاةِ الْأُولَى
خَامِسَةً، الَّتِي هِيَ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ، الَّتِي هِيَ مَعْرِفَةُ الرَّبِّ.

فَاعْلَاهَا فِي التَّوْحِيدِ أَنْ يَظْهَرَ لِعَبْدِهِ فِي الرَّحْمَةِ، ثُمَّ فِي الرِّيحِ، ثُمَّ
فِي السَّحَابِ الْمَرْجَى، ثُمَّ فِي السَّحَابِ الْمُتْرَاكِمْ، ثُمَّ فِي الْمِدَادِ الْأَوَّلِ
الْمُسَمَّى بِالذَّوَاةِ الْأُولَى.

فَالأُولَى: مَعْرِفَةُ الْبَاطِنِ بِالنَّقْطَةِ.

وَالثَّانِيَّةُ: مَعْرِفَةُ الْبَاطِنِ مِنْ حَيْثُ هُوَ بَاطِنٌ بِالنَّفْسِ الرَّحْمَانِي.

وَالثَّالِثَةُ: مَعْرِفَةُ الظَّاهِرِ بِالسَّحَابِ الْمَرْجَى.

وَالرَّابِعَةُ: مَعْرِفَةُ الظَّاهِرِ مِنْ حَيْثُ هُوَ ظَاهِرٌ، بِالسَّحَابِ الْمُتْرَاكِمْ.

وَالْخَامِسَةُ: مَعْرِفَةُ الظُّهُورِ بِالْمَاءِ. وَهِيَ الْمَقَامَاتُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا سَابِقًا.

فَهَذِهِ أَحَدَ عَشْرَةَ عَالَمًا، خَمْسَةُ نُورٍ وَنَجَاةٍ، وَخَمْسَةُ ظُلْمَةٍ وَهَلَاكٍ،
وَوَاحِدٌ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ، يَكَادُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ، كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ
مَشَوْا فِيهِ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا^(١).

يَا نُورَ النُّورِ، اهْدِنَا مِنْ عِنْدِكَ، وَأَفْضُ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِكَ، وَأَنْشُرْ عَلَيْنَا
مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ^(٢).
وَإِنِّي عَشْرَ عَالَمًا.

مِنْ نَارٍ وَتُرَابٍ، وَهَوَاءٍ وَمَاءٍ فِي الْجَبُرُوتِ، وَنَارٍ وَتُرَابٍ، وَمَاءٍ وَهَوَاءٍ
فِي الْمَلَكُوتِ، وَنَارٍ وَهَوَاءٍ، وَمَاءٍ وَتُرَابٍ فِي الْمُلْكِ.
وَهَكَذَا كُلُّ عِبَارَةٍ فِي الرُّوَايَاتِ، وَكَلَامِ الْعُلَمَاءِ، مِنْ ذِكْرِ الْعَوَالِمِ،
فَتُصَرَّفُ إِلَى اعْتِبَارٍ.

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبُو الْعَالَمِ فِي كُلِّ عَالَمٍ، إِلَى أَلْفِ أَلْفِ
عَالَمٍ، وَأَوَّلُ عَالَمٍ وَجَدَ هُوَ الْمَشِئَةُ، وَهُوَ آدَمُ الْأَكْبَرُ، وَفَلَكَ الْوِلَايَةُ
الْمُطْلَقَةُ، وَالْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، وَمَقَامٌ أَوْ أَدْنَى، وَعَالَمٌ أَحَبُّتُ أَنْ أُعْرِفَ.

(١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ
يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ
يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ
قَامُوا...﴾. [سورة البقرة، الآيتان: ١٩-٢٠].

(٢) مقتبس من أدعية تعقيبات صلاة الصبح، راجع: مصباح المتهجد، ص: ٢١٦.

وَكُلُّ آدَمَ فَهُوَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ أَبٍ وَأُمٍّ، إِلَّا الْأَبَ وَالْأُمَّ الْمَعْنَوِيَيْنِ، الَّذِينَ
ذَاتُهُ تَرْكِيبٌ مِنْهُمَا عَلَى نَحْوِ مَا سَبَقَ، وَهُمَا الوجودُ وَالْمَاهِيَّةُ، أَيُّ: الْمَادَّةُ
وَالصُّورَةُ، فَلِأَبٍ: هِيَ الْمَادَّةُ، وَالْأُمُّ: هِيَ الصُّورَةُ.

وَهَذَا هُوَ الْمُسْتَفَادُ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْعِصْمَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَمَّا مَا اضْطَلَحَ عَلَيْهِ الْمُتَقَدِّمُونَ وَالْحُكَمَاءُ: مِنْ أَنَّ الْأَبَ هُوَ
الصُّورَةُ، وَالْأُمُّ هِيَ الْمَادَّةُ، وَأَنَّ الصُّورَةَ إِذَا نَكَحَتْ الْمَادَّةَ تَوَلَّدَ عَنْهُمَا
الشَّيْءُ، تَوَهَّمُ مِنْهُمْ أَنَّ النُّشْوءَ وَالتَّخَلُّقَ فِي بَطْنِ الْمَادَّةِ فَهِيَ الْأُمُّ؛ فَبَعِيدٌ مِنْ
جِهَةِ الْمُنَاسَبَةِ.

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ مُجَرَّدِ الاصْطِلَاحِ التَّسْمِيَةِ، مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْمُنَاسَبَةِ
فَلَا مَحْذُورَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَنْفَتَحُ بِهِ كُلُّ بَابٍ، إِلَّا إِذَا أُريدَ بِهِ هَذَا الاصْطِلَاحُ
الصَّوَابُ.

بَلْ رَبُّمَا يُقَالُ: أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِاصْطِلَاحٍ، وَإِنَّمَا الْوَاضِعُ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَضَعَ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

فَإِذَا ظَهَرَ لَكَ مَا قَرَرْنَا سَابِقاً وَتَقَرَّرَ لَا حِقَاقاً؛ ظَهَرَ الْحَالُ مِنْ غَيْرِ
حَاجَةٍ إِلَى اسْتِدْلَالٍ، وَلَوْ سَلَّمْنَا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَصْلِ وَضْعِ اللُّغَةِ، قُلْنَا:
أَنَّ الاصْطِلَاحَ الْمُنَاسِبَ لِلْأَمْرِ الْوَاقِعِ أَوْلَى بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ.

وَبَيَّانُ الْإِشَارَةِ إِلَى الْمُنَاسَبَةِ: أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْمَوْلُودِ هُوَ الْأَبُ،
وَالْتَّخَلُّقُ وَالتَّقْدِيرُ ظَاهِراً وَبَاطِناً إِنَّمَا هُوَ فِي بَطْنِ الْأُمِّ، وَإِنْ كَانَ الْمَوْلُودُ
مُرَكَّباً مِنْهُمَا، كَمَا رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَا

مَعْنَاهُ: «أَنَّ الْإِنْسَانَ خَلِقَ مِنْ أَرْبَعَةِ عَشَرَ شَيْئًا، أَرْبَعَةٌ مِنْ أَبِيهِ، وَأَرْبَعَةٌ مِنْ أُمِّهِ، وَسِتَّةٌ مِنَ اللَّهِ.

فَالَّتِي مِنَ الْأَبِ: الْعَظْمُ، وَالْمُخُّ، وَالْعَصَبُ، وَالْعُرْوُوقُ.
وَالَّتِي مِنَ الْأُمِّ: الدَّمُّ، وَاللَّحْمُ، وَالْجِلْدُ، وَالشَّعْرُ.
وَالَّتِي مِنَ اللَّهِ: الْحَوَاسُ الْخَمْسُ، وَالنَّفْسُ»^(١).

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَا مِنَ الْأَبِ؛ رَأَيْتَهُ هُوَ أَصْلُ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْقِسْمُ الْأَقْوَى، وَلِهَذَا كَانَ جَانِبُ الْأَبِ أَقْوَى وَأَدْخَلَ فِي الْمِيرَاثِ، وَفِي الْوَلَايَةِ.. وَغَيْرِ ذَلِكَ.

كَالْمَادَّةِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الْجَانِبُ الْأَقْوَى فِي الشَّيْءِ، وَالصُّورَةُ هِيَ الْجَانِبُ الْأَضْعَفُ فِي الشَّيْءِ كَالْأَمِّ، فَإِنَّ مَا مِنْهَا ظَاهِرُ الْمَوْلُودِ وَقَشْرُهُ، كَاللَّحْمِ وَالدَّمِ، وَالْجِلْدِ وَالشَّعْرِ؛ يَتَعَلَّقُ بِمَا مِنَ الْأَبِ، كَالصُّورَةِ تَتَعَلَّقُ بِمَا مِنَ الْمَادَّةِ بِحُلُولِهَا فِيهَا.

لَكِنْ لَمَّا كَانَ التَّحَلُّقُ الَّذِي هُوَ التَّصَوُّيرُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي بَطْنِ الْأُمِّ، وَالْأَحْكَامُ لَا تَعَلَّقُ لَهَا بِنَفْسِ الْمَادَّةِ وَإِلَّا لَتَسَاوَتْ وَجَمِيعُ أَشْخَاصِ النَّوْعِ

(١) لم تُوفَّق للعشر على نص لهذه الرواية، وإنما ورد عن أبي محمد العسكري عليه السلام عن جابر بن عبد الله قال؛ سألت ابن سوريا النبي ﷺ فقال: أخبرني يا محمد! الولد يكون من الرجل أو من المرأة؟.

فقال النبي ﷺ: «أَمَّا الْعِظَامُ وَالْعَصَبُ وَالْعُرْوُوقُ فَمِنْ الرَّجُلِ، وَأَمَّا اللَّحْمُ وَالدَّمُ وَالشَّعْرُ فَمِنْ الْمَرْأَةِ..». [الاحتجاج، ج: ١، ص: ٤٣. تفسير الإمام العسكري، ص: ٤٥٣. بحار الأنوار، ج: ٩، ص: ٢٨٦-٢٨٧].

فِي الْأَحْكَامِ، وَإِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالصُّورَةِ لِتَخُصَّ كُلَّ صُورَةٍ بِمَا يُنَاسِبُ لَهَا مِنْ الْحُكْمِ؛ كَانَتْ الْأَحْكَامُ مُنَوَّطَةً بِالصُّورِ، كَمَا أَنَّ حُكْمَ الْمُؤَلُّودِ مُنَوَّطٌ بِصُورَتِهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا فِي بَطْنِ أُمِّهِ.

وَمِنْ هُنَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «السَّعِيدُ مَنْ سَعَدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»^(١)، لِأَنَّ بَطْنَ الْأُمِّ هُوَ مَحَلُّ التَّخَلُّقِ وَالصُّورِ، وَذَلِكَ هُوَ مَنَاطُ الْأَحْكَامِ.

فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الصُّورَةَ مَنَاطُ الْأَحْكَامِ؛ ثَبَتَ أَنَّهَا هِيَ الْأُمُّ لَا الْمَادَّةُ، وَإِلَّا لَبَسَاوَتْ وَأَفْرَادَ النَّوْعِ فِي الْحُكْمِ؛ لِتَسَاوِيهِمَا فِي الْمَادَّةِ كَمَا مَرَّ. وَنُظِيرُ ذَلِكَ: الْخَشَبُ، فَإِنَّهُ مَادَّةُ السَّرِيرِ وَالصَّنَمِ، فَإِنْ عُمِلَ صَنَمًا؛ كَانَ فِعْلُهُ حَرَامًا، وَيَجِبُ كَسْرُهُ، وَإِنْ عُمِلَ سَرِيرًا؛ كَانَ جَائِزًا. وَالْحُكْمُ عَلَيْهِ بِالْحُرْمَةِ وَالْجَوَازِ إِنَّمَا هُوَ فِي الصُّورَةِ، فَصَارَتِ السَّعَادَةُ مَثَلًا كَالسَّرِيرِ، وَالشَّقَاوَةُ كَالصَّنَمِ، إِنَّمَا هُوَ فِي بَطْنِ الصُّورَةِ، لَا فِي بَطْنِ الْمَادَّةِ.

وَذَكَرَ الْأَصْحَابُ؛ فِي الْكَلْبِ: إِذَا نَزَا عَلَى شَاةٍ فَأَتَتْ بِوَلَدٍ، فَإِنْ كَانَ كَلْبًا؛ فَهُوَ حَرَامٌ وَنَجِسُ الْعَيْنِ، وَإِنْ كَانَ شَاةً؛ كَانَ حَلَالًا وَطَاهِرَ الْعَيْنِ، وَالْمَادَّةُ وَاحِدَةٌ، وَإِنَّمَا الْحِلُّ وَالْحُرْمَةُ فِي بَطْنِ الصُّورَةِ، وَهِيَ الْأُمُّ. وَهَذَا ظَاهِرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.

(١) تفسير القمي، ج: ١، ص: ٢٢٧. عوالي اللآلي، ج: ١، ص: ٣٥. الزهد،

ص: ١٤. التوحيد، ص: ٣٥٦. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٥.

وَالِى مَا ذَكَرْنَا وَرَدَ التَّصْرِیحُ بِهِ عَنِ الصَّادِقِ عَلَیْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نُورِهِ، وَصَبَّغَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، [وَأَخَذَ مِيثَاقَهُمْ لَنَا بِالْوَلَايَةِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ يَوْمَ عَرَفَتِهِمْ نَفْسَهُ]، فَالْمُؤْمِنُ أَخُ الْمُؤْمِنِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، أَبُوهُ النُّورُ، وَأُمُّهُ الرَّحْمَةُ»^(١)، فَانْظُرْ إِلَى صِرَاحَةِ هَذَا الْحَدِيثِ فِي الْمَدْعَى.

لَأَنَّ النُّورَ هُوَ الْمَادَّةُ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْوُجُودُ؛ لِقَوْلِ الصَّادِقِ عَلَیْهِ السَّلَامُ، فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ عَلَیْهِ السَّلَامُ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»، قَالَ عَلَیْهِ السَّلَامُ: «يَعْنِي بِنُورِهِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ»^(٢).

وَالرَّحْمَةُ: هِيَ الصُّورَةُ؛ لَأَنَّ الصُّورَةَ صَبُغٌ لِلْمَادَّةِ، فَالرَّحْمَةُ صَبُغُ الْوُجُودِ، وَهِيَ الْمَاهِيَّةُ الثَّانِيَّةُ؛ لَأَنَّ الْمَاهِيَّةَ الْأُولَى شَرْطٌ لِتَحَقُّقِ الْوُجُودِ فِي الْخَلْقِ الْأَوَّلِ قَبْلَ التَّكْلِيفِ.

وَأَمَّا فِي الْخَلْقِ الثَّانِي حِينَ قَالَ لَهُمْ: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ»^(٣)؟
فَمَنْ أَجَابَ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ؛ خَلَقَهُ مِنْ صُورَةٍ الْإِجَابَةِ، وَهِيَ الصُّورَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ حَقِيقَةً، وَهِيَ الصَّبْغُ فِي الرَّحْمَةِ، فَافْهَمْ.

(١) بصائر الدرجات، ص: ٨٠. المحاسن، ج: ١، ص: ١٣١. بحار الأنوار، ج:

٦٤، ص: ٧٣، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر.

(٢) بصائر الدرجات، ص: ٨٠. فضائل الشيعة، ص: ٢٧. بحار الأنوار، ج: ٦٤،

ص: ٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

وَمَنْ عَصَى بِقَلْبِهِ خَلَقَهُ مِنَ الصُّورَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَهِيَ الصَّبْغُ فِي
الْغَضَبِ، فَالسَّعِيدُ مَنْ سَعَدَ فِي صَبْغِ الرَّحْمَةِ، كَمَا قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام، وَهِيَ الْأُمُّ،
وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي صَبْغِ الْغَضَبِ.

وَنَظِيرُهُ: مِنَ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ النَّاسِ فِي الْإِنْسَانِ أَنَّهُ: "حَيَوَانٌ نَاطِقٌ"،
فَالْحَيَوَانُ مَادَّةٌ تَصْلُحُ لِلْإِنْسَانِ وَالْكَلْبِ، وَالصُّورَةُ فِيهَا النَّاطِقِيَّةُ، فَالْتَّطَقُ:
هُوَ الصُّورَةُ، وَهِيَ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنَ الْكَلْبِ، فَهِيَ الْأُمُّ الَّتِي
يَشْقَى فِي بَطْنِهَا الشَّقِيُّ، وَيَسْعَدُ فِي بَطْنِهَا السَّعِيدُ.

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ الْحِصَّةَ الَّتِي فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْحَيَوَانِ الَّتِي هِيَ الْمَادَّةُ،
وَالْحِصَّةُ الَّتِي فِي الْكَلْبِ مِنَ الْحَيَوَانِ الَّتِي هِيَ مَادِّيَّةٌ؛ تَجْمَعُهَا حَقِيقَةٌ
وَاحِدَةٌ فِي الظَّاهِرِ، بِلِحَاطِ أَنْ الْحَيَوَانُ هُوَ الْمُتَحَرِّكُ بِالْإِرَادَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ
الْعَوَامِّ، وَعَلَيْهِ جَرَتْ اصْطِلَاحَاتُ الْعُلَمَاءِ فِي أَكْثَرِ كُتُبِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ.

وَأَمَّا فِي الْحَقِيقَةِ؛ فَهَلْ هُمَا كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَا بِإِضَافَةِ الصُّورَةِ مِنْ
جِهَةِ قَابِلِيَّةِ كُلِّ مِنْهُمَا وَاسْتَعْدَادِهِمَا؟ أَمْ لَا؟، بَلْ كُلُّ حِصَّةٍ مِنْ حَقِيقَةٍ؛
لِأَنَّ مَرَاتِبَ الْوُجُودِ مُتَفَاوِتَةٌ، وَلَا يَنْحَصِرُ تَفَاوُتُهَا فِي مَرَاتِبِ الْمُشَكِّكَ
بِالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ، لِيُقَالَ: أَنَّ مَا اخْتَلَفَ مِنَ الْمُشَكِّكَ تَجْمَعُهُ حَقِيقَةٌ
وَاحِدَةٌ، بَلْ مِنْهُ الْمُشَكِّكُ، وَمِنْهُ الْأَعْرَاضُ، كَالْأَضْوَاءِ وَالْأَنْوَارِ، وَالصِّفَاتِ
وَالْأَفْعَالِ وَالنِّسَبِ، وَذَلِكَ لَا تَجْمَعُهُ مَعَ مَعْرُوضِهِ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ، وَإِنْ قُلْنَا
أَنَّ كُلَّ أَثَرٍ يُشَابِهُ صِفَةً مُؤَثِّرِهِ؛ لِأَنَّ جِهَةَ الْمُشَابَهَةِ هِيَ الْهَيْئَةُ فِي الصِّفَةِ
وَالْأَثَرِ.

أَمْ هُمَا مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَتَفَاوَتْ الْحِصَصُ بِمَا تَكْتَسِبُ مِنَ الصُّورِ،
لَا بِقَابِلِيَّتِهَا وَاسْتِعْدَادِهَا؟.

وَالْحَقُّ فِي الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ مِنْهَا كَالْحِصَصِ
الْمُتَّخَذَةِ مِنَ الذَّاتِ الْوَاحِدَةِ أَوْ مِنَ الْعَرَضِ؛ فَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدَةٌ،
وَاخْتِلَافُ الْحِصَصِ إِذَا كَانَتْ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ إِنَّمَا هُوَ بِاخْتِلَافِ اكْتِسَابِهَا
مِنَ الصُّورِ مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، النَّاشِئَةِ عَنْ اخْتِلَافِ مَرَاتِبِ
الْإِجَابَةِ فِي عَالَمِ الذَّرِّ.

وَاخْتِلَافُ الصُّورِ فِي الْقَابِلِيَّةِ وَالِاسْتِعْدَادِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ انْفِعَالِهَا مِنْ
الْحِصَصِ بِسَبَبِ تَفَاوُتِ مَرَاتِبِهَا وَمُشَخَّصَاتِهَا، فَتَفَاضُلُ إِذَا اجْتَمَعَتْ فِي
الدَّرَجَاتِ، لَكِنَّهَا لَا تَتَجَاوَزُ الْحَقِيقَةَ الْجَامِعَةَ لِتِلْكَ الْحِصَصِ.

وَمَا كَانَ مِنْ شَيْئَيْنِ مَعَ مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ اجْتَمَعَا فِي الرُّتْبَةِ
الْجَامِعَةِ، كَالْإِنْسَانِ وَالْفَرَسِ، يَجْتَمِعَانِ فِي الْحِصَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ الْفَلَكيَّةِ
الْحَسَّاسَةِ، وَيَتَفَارَقَانِ فِيمَا فَوْقَهَا.

فَالْإِنْسَانُ فِيهِ مِنَ الْحَيَوَانِيَّةِ حِصَّتَانِ: ذَاتِيَّةٌ، وَعَرَضِيَّةٌ، وَفِي الْفَرَسِ
حِصَّةٌ وَاحِدَةٌ، ذَاتِيَّةٌ لَهَا، وَهِيَ عَرَضِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ، وَالْحِصَّةُ الذَّاتِيَّةُ لِلْإِنْسَانِ
هِيَ حِصَّةٌ مِنَ النَّاطِقَةِ الْقُدْسِيَّةِ.

فَالْحَيَوَانِيَّةُ الْفَلَكيَّةُ الْحَسَّاسَةُ لَا تَقْبَلُ الصُّورَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَتَقْبَلُ صُورَ
جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ، وَيَلْزَمُ حُكْمُ الصُّورَةِ تِلْكَ الْحِصَّةِ، سَوَاءً قَرَّتْ؛ كَمَا فِي
سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ إِلَّا نَادِرًا، أَمْ تَعَيَّرَتْ؛ كَمَا فِي الْإِنْسَانِ، فَإِنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ
نَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةً؛ تَكُونُ تِلْكَ الْحِصَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ الْفَلَكيَّةُ الْحَسَّاسَةُ أَبَدًا تَلْبَسُ

صُورَ الْحَيَوَانَاتِ، فَتَلَبَّسُ فِي الْعَضَبِ صُورَةُ سَبْعٍ، وَفِي الشَّهْوَةِ صُورَةُ خَنْزِيرٍ، وَفِي النَّيْمَةِ صُورَةُ عَقْرَبٍ.. وَهَكَذَا.

وَالْحِصَّةُ النَّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ لَا تَقْبَلُ شَيْئًا مِنْ صُورِ الْحَيَوَانَاتِ، وَإِنَّمَا تَقْبَلُ صُورَةَ الْإِنْسَانِيَّةِ فَقَطْ، وَلَا تَقْبَلُ صُورَةَ الْجَامِعِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ.

وَلِلْأَوْلِيَاءِ فِيهِمْ ^(١) ثَلَاثُ حِصَصٍ، عَرَضِيَّتَانِ؛ وَهُمَا مَا فِي الْإِنْسَانِ، وَلَكِنَّهُمَا فِيهِ قَرَّتَا وَأَطْمَأَنَّتا، فَلَا يَخْرُجَانِ عَنْ حُكْمِ الثَّلَاثَةِ أَبَدًا.

وَالْحِصَّةُ الْمَلَكُوتِيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ تَقْبَلُ صُورَةَ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ الْعِصْمَةُ، وَمَرْتَبَةُ الْقُطْبِيَّةِ لِلْوُجُودِ، وَالصُّورَةُ الْجَامِعَةُ الْكُلِّيَّةُ، فَالْحِصَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ الْفَلَكَيَّةُ مُرَكَّبٌ لِلنَّاطِقَةِ الْقُدْسِيَّةِ وَأَثَرُ لَهَا خُلِقَتْ مِنْ فَاضِلِهَا، وَالنَّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ أَثَرٌ لِلْمَلَكُوتِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ، خُلِقَتْ مِنْ فَاضِلِهَا، فَلَا تَجْمَعُ هَذِهِ الثَّلَاثُ حَقِيقَةً وَاحِدَةً.

نَعَمْ.. إِذَا نَظَرْنَا بِنَظَرٍ آخَرَ: بِأَنَّ الْكُلَّ مِنْ مَرَاتِبِ الْوُجُودِ، وَأَنَّهُ حَيَاةٌ وَشُعُورٌ، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ مَظَاهِرِهِ؛ جَازَ عَلَى هَذَا إِطْلَاقُ الْإِتِّحَادِ فِي الْجُمْلَةِ، إِلَّا أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ مَا ذَكَرْنَا لَكَ مِنْ اخْتِلَافِ الْحَقَائِقِ؛ ظَهَرَ لَكَ التَّغَايُرُ.

(١) في شرح الفوائد: (وَالْمَعْصُومُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ).

الفائدة السادسة في الإشارة إلى القسم الثالث

وَهُوَ الْوُجُودُ الْمَقِيدُ؛ أَوَّلُهُ الدَّرَّةُ، وَآخِرُهُ الدَّرَّةُ.

وَكَيفِيَّةُ بَدَنِهِ: وَهِيَ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى بِفِعْلِهِ بِاسْمِهِ الْقَابِضِ مِنْ رُطُوبَةِ هَوَاءِ الْجَوَازِ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ؛ قَدْ صَعَدَتْ مِنْ أَرْضِ الْإِمْكَانِ أَرْضِ الْجُرْزِ، وَمِنْ هَبَاءِ أَرْضِ الْجَوَازِ جُزْءٌ، فَقَدَّرَهُمَا فِي تَعْفِينِ هَاضِمَةِ اسْمِ الْبَدِيعِ، فَانْحَلَّتِ الْيُبُوسَةُ فِي الرُّطُوبَةِ، وَانْعَقَدَتِ الرُّطُوبَةُ بِالْيُبُوسَةِ فَاتَّحَدَا، وَذَلِكَ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَشَاكَلَةِ.

فَارْتَفَعَ مِنْ ذَلِكَ الْبَحْرُ سَحَاباً مُزْجِجاً، فَتَرَكَمَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ، فَانْحَلَّ مِنْ ذَلِكَ السَّحَابِ الْمُتَرَكَمِ بَحْرَارَةٌ الْإِرَادَةِ مَاءً، فَدَفَعَهُ بِاسْمِهِ الْبَاعِثِ، فَوَقَعَ عَلَى الْبَلَدِ الْمَيِّتِ، وَالْأَرْضِ الْجُرْزِ، وَهِيَ أَرْضُ الْجَوَازِ، وَالْعُمُقِ الْأَكْبَرِ.

فَانْحَلَّ مِنْهُ جُزْءٌ آخَرٌ بِمَا يُشَاكِلُهُ مِنْ أَرْضِ ذَلِكَ الْعُمُقِ الْأَكْبَرِ بِجُزْءٍ، فَأَخْرَجَ مِنْهُمَا تِلْكَ الزُّرُوعَ وَالشَّجَرَاتِ.

وَمَا فَضَّلَ مِنْ رُطُوبَتِهِ بَعْدَ تَقْدِيرِهِ وَسَقِيهِ فِي ظُلُمَاتِ ثَلَاثٍ يَأْخُذُهُ بِالْأَسْمِ الْقَابِضِ، مَعَ قَدَرِ رُبْعِهِ مِنْ لَطِيفِ هَبَاءِ أَرْضِ الْإِمْكَانِ، وَيَعْمَلُ فِيهِ

كَمَا مَرَّ؛ ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(١)، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾^(٢).

وَهَذَا الْمَاءُ النَّازِلُ مِنَ السَّحَابِ الْمُرَاكِمِ؛ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ ﷻ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٣)، وَهُوَ الْوُجُودُ الْمُقَيَّدُ، وَهُوَ مِنْ بَعْدِ الْمَشِيعَةِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ الْمَشِيعَةِ، وَهَذَا الْوُجُودُ الْمُسَمَّى بِالْمَاءِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الْمَذْكُورِ يَكُونُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ.

وَمِثَالُهُ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُخْبِرَ مَنْ تُخَاطِبُهُ بِقِيَامِ زَيْدٍ، أَخَذْتَ مِنَ الْهَوَاءِ الَّذِي هُوَ إِمَّا كَانَ اللَّفْظُ هَوَاءً، وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مِنَ الرُّطُوبَةِ الْهَوَائِيَّةِ، وَعَلَى جُزْءٍ مِنَ الْيُبُوسَةِ الْهَبَائِيَّةِ، بِالْقُوَّةِ الْقَابِضَةِ إِلَى جَوْفِكَ، الَّذِي هُوَ نُقْطَةُ قَلْبِكَ، أَيْ: وَجْهُهُ فِي الْهَوَاءِ.

فَتَوَلَّفُ مِنْهُمَا -بَعْدَ التَّقْدِيرِ بِالضَّعْطِ وَالْقَلْعِ وَالْقَرَعِ- حُرُوفاً مُشْتَمِلَةً عَلَى الْأَجْزَاءِ الْخَمْسَةِ، مُتَّصِفَةً بِصِفَاتٍ مَادَّةٍ مَقْصُودِكَ، فَتَوَلَّفُ مِنْهَا لَفْظاً؛ هَيْئَتُهُ كَهَيْئَةِ مَقْصُودِكَ، فَتَدْفَعُهُ إِلَى الْهَوَاءِ الَّذِي هُوَ مَكَانُ إِمَّاكَانِهِ، فَيَقَعُ جُزْءٌ أَنْ مِنْ رُطُوبَةٍ لَفْظِكَ، وَهِيَ مَادَّتُهُ الْمُنَاسِبَةُ لِمَادَّةِ مَقْصُودِكَ، وَجُزْءٌ يُبُوسَتِهِ، وَهِيَ هَيْئَتُهُ الْمُنَاسِبَةُ لِهَيْئَةِ مَقْصُودِكَ، عَلَى مَا يُشَاكِلُهُ مِنْ أَرْضٍ هَذَا الْعُمُقِ وَالْجُرْزِ وَهُوَ الْهَوَاءُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُ

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الحجر، الآية: ١٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

لَفْظُكَ، وَيُوصِلُهُ إِلَى أُذُنِ مُخَاطَبِكَ.

لِيَرْتَسِمَ فِي الْحَسِّ الْمَشْتَرَكِ مِنْهُ صُورَةَ مَادَّةِ لَفْظِكَ، وَصُورَةَ هَيْئَتِهِ، فَإِنَّهُ لِلْفَظِّ كَالْأُمِّ لِلْجَنِينِ، وَكَالْأَرْضِ لِلْمَاءِ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّحَابِ، فَيَنْبُتُ مِنْهُ النَّبَاتُ، فَوَقَعَ مِنْ لَفْظِكَ مَاءٌ عَلَى أَرْضٍ ذَلِكَ الْمَعْنَى، وَهَذَا الْمَاءُ هُوَ الْوُجُودُ لِذَلِكَ الْمَعْنَى، وَهُوَ دَلَالَةُ لَفْظِكَ بِمَادَّتِهِ وَهَيْئَتِهِ الْوَاقِعَةِ فِي الْحَسِّ الْمَشْتَرَكِ، الَّذِي هُوَ الْأُمُّ، فَيَنْبُتُ الْمَعْنَى فِي بَطْنِ تِلْكَ الْأُمِّ، وَهُوَ الْخَيَالُ بِذَلِكَ الْمَاءِ، الَّذِي هُوَ الدَّلَالَةُ، وَيَجِيءُ بِهَا.

وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى قَبْلَ تِلْكَ الدَّلَالَةِ شَيْئًا؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ إِنَّمَا سُمِّيَ شَيْئًا لِأَنَّهُ مُشَاءٌ، وَالْمَشِئَةُ هِيَ أَصْلُ الْإِرَادَةِ، فَافْهَمَ.

الفائدة السابعة [تكوين الخلق الثاني]

اعْلَمْ؛ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ الْمَاءُ الْأَوَّلُ الْمُسَمَّى بِالْوُجُودِ الْمُقَيَّدِ عَلَى الْأَرْضِ
الْجُرْزِ؛ تَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: الْكَمِّ، وَالْكِيفِ، وَالْوَقْتُ، وَالْمَكَانَ،
وَالْجِهَةَ، وَالرُّتْبَةَ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الظُّهُورِ قَبْلَ الْآخِرِ، وَإِنَّمَا هَذِهِ مَعَ
الْمَادَّةِ الَّتِي هِيَ حِصَّةُ الْوُجُودِ، وَمَعَ الصُّورَةِ الَّتِي هِيَ حِصَّةُ الْمَاهِيَةِ هِيَ
الشَّيْءُ، ظَهَرَ الْجَمِيعُ دُفْعَةً؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الثَّمَانِيَةِ شَرَطٌ لِكُلِّهَا
فِي الظُّهُورِ، وَالشَّيْءُ الْمَوْجُودُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْوُجُودِ وَالْمَاهِيَةِ، وَالسِّتَّةُ قِيُودٌ
مُقَوِّمَاتٌ لَهَا.

وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا السِّتَّةَ خَاصَّةً؛ لِأَنَّ غَيْرَهَا كَالْأَوْضَاعِ وَالْإِذْنِ لَهَا فِي
الظُّهُورِ وَأَجَلَ الْفَنَاءِ، وَالْكِتَابِ الْحَافِظَةِ لِهَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ مِنْ حَيْثُ هِيَ
حَافِظَةٌ، وَمِنْ حَيْثُ هِيَ مَحْفُوظَةٌ، وَكَالْإِمْضَاءِ الَّذِي هُوَ شَرْحُ الْعِلَلِ
وَالْأَسْبَابِ.. وَغَيْرُ ذَلِكَ، كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى السِّتَّةِ.

فَلِذَا اقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِهَا فِي ذِكْرِ الْبَدْءِ؛ لِأَنَّ الْأَوْضَاعَ لَازِمَةً لِلْمَكَانِ
وَالْجِهَةِ وَالرُّتْبَةِ، وَالْإِذْنَ وَالْأَجَلَ لَازِمَانِ لِلْوَقْتِ، وَالْكِتَابَ لَازِمَةً لِلْسِّتَّةِ،
وَالْإِمْضَاءَ لَازِمَةً لِمَا سَبَقَ، وَمُتَفَرِّعٌ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ حُصُولَ هَذِهِ السِّتَّةِ لِلْمَاهِيَةِ

وَالْوُجُودِ وَلَوَازِمَهَا الْمَشَارَإِلَيْهَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْإِمْضَاءُ فِي الْحِكْمَةِ، وَيَتَفَرَّغُ عَلَيْهَا، وَالْبَاقِي تَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا بَعْدُ.

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّهُ قَدْ اخْتَلَفَتْ الْأَرَاءُ فِي الشَّيْءِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ، وَلَاعِبَرَةٌ بِذِكْرِ غَيْرِهَا:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الشَّيْءَ هُوَ الْوُجُودُ، وَالْمَاهِيَّةُ عَرَضٌ حَالٌ بِالْوُجُودِ.

الثَّانِي: أَنَّ الشَّيْءَ هُوَ الْمَاهِيَّةُ، وَالْوُجُودُ عَرَضٌ عَلَى الْمَاهِيَّةِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الشَّيْءَ هُوَ الْوُجُودُ، وَالْمَاهِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ بَتَبَعِيَّةِ الْوُجُودِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ الشَّيْءَ هُوَ الْوُجُودُ وَالْمَاهِيَّةُ، فَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْهُمَا.

لَأَنَّ الْوُجُودَ شَرْطُ كَوْنِهِ صُدُورًا وَاسْتِمْرَارًا الْمَاهِيَّةُ، وَالْمَاهِيَّةُ شَرْطُ تَكُونِهَا انْصِدَارًا وَاسْتِمْرَارًا الْوُجُودُ، فَمَا دَامَا مَوْجُودَيْنِ مُتَضَمِّينِ فَالشَّيْءُ مَوْجُودٌ، وَلَا شَيْئَةٌ لِلشَّيْءِ مَعَ فَقْدِ أَحَدِهِمَا وَلَا لِلْآخَرِ.

وَالْوُجُودُ مَادَّتُهُ نَفْسُهُ، وَصُورَتُهُ لِنَفْسِهِ ارْتِبَاطُ الْمَاهِيَّةِ بِهِ، وَالْمَاهِيَّةُ مَادَّتُهَا نَفْسُهَا، وَصُورَتُهَا رِبْطُ الْوُجُودِ بِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ﴾^(١)، فَهُمَا الشَّيْءُ، فَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْهُمَا أَبَدًا.

فَالْوُجُودُ جِهَةٌ فَقَرَهُ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ جِهَةٌ اسْتِعْنَائِهِ، [وَالْمَاهِيَّةُ جِهَةٌ اسْتِعْنَائِهِ]^(٢)، وَهِيَ جِهَةٌ فَقَرَهُ، وَافْتِقَارَهُ اسْتِعْنَاءُ وَوُجُودُ، وَاسْتِعْنَائِهِ فَقَرُ وَعَدَمٌ.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٢) ما بين المعقوفتين نقلناه من متن شرح الفوائد.

فَنَظَرُهُ بِالْفُؤَادِ حَقٌّ، وَبِالْقَلْبِ حَقِيقَةٌ، وَنَظَرُهُ بِالثَّرَابِ بَاطِلٌ، وَبِالنَّفْسِ سَرَابٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوُجُودَ مُتَقَوِّمٌ بِالْوُجُودِ، الْمُتَقَوِّمُ بِالْحَقِّ، وَالْمَاهِيَّةُ مُتَقَوِّمَةٌ بِالْوُجُودِ نَفْسِهِ، مِنْ دُونَ الْوُجُودِ الْمُتَقَوِّمِ بِالْحَقِّ؛ ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١).

وَهَذَا هُوَ الْهَيَوَلَى لِلْإِنْسَانِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمِدَادِ الْمُرَكَّبِ مِنْ صَمْنٍ وَسَوَادٍ، وَزَاجٍ وَعَقْفَصٍ، وَمِلْحٍ وَصَبْرٍ، وَتَبَاتٍ وَأَسٍ، فَكَمَا أَنَّ الْمِدَادَ مِنْ حَيْثُ هُوَ صَالِحٌ لِلْأَسْمِ الشَّرِيفِ وَالْأَسْمِ الْوَضِيعِ، وَإِنَّمَا تُمَيِّزُ بَيْنَهُمَا الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ، أَيْ: الْكِتَابَةُ بِهِيَّتِهَا، وَهِيَ الْمَاهِيَّةُ الثَّانِيَّةُ.

كَذَلِكَ هَذِهِ الْهَيَوَلَى الْمُرَكَّبَةُ مِنَ الْوُجُودِ وَالْمَاهِيَّةِ، صَالِحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، وَلَا يَتَمَيِّزُ إِلَّا بِالصُّورَةِ الثَّانِيَّةِ، الَّتِي هِيَ الْخَلْقُ الثَّانِي، وَهِيَ الْمَاهِيَّةُ الثَّانِيَّةُ.

فَسَأَلَهُمْ لَعَلِمَهُ بِهِمْ حِينَ سَأَلُوهُ أَنْ يَسْأَلَهُمْ؛ فَقَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّكُمْ، وَأَلَّهُ وَخُلَفَاؤُهُ أَوْلِيَاكُمْ؟^(٢).
فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ: بَلَى.

مِنْهُمْ مَنْ قَالَهَا مُصَدِّقًا بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ عَنْ عِلْمٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، فَخَلَقَهُمْ مِنْ صُورَةِ التَّصْدِيقِ

(١) سورة النمل، الآية: ٢٤.

(٢) في متن شرح الفوائد: (وَعَلَيَّ وَلِيَّكُمْ؟).

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

وَالْمَعْرِفَةِ، وَهِيَ الصُّورَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ، وَهِيَ هَيْكَلُ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ مِنْ فَلَكَ
 الْبُرُوجِ، وَهُمْ الْمُرْسَلُونَ وَالْأَنْبِيَاءُ، وَالصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ.
 وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَهَا بِلِسَانِهِ، وَقَلْبُهُ مُنْكَرٌ مُكَذِّبٌ غَيْرُ قَائِلٍ، فَخَلَقَهُمْ مِنْ
 صُورَةِ التَّكْذِيبِ وَالْإِنْكَارِ وَالْجُحُودِ، وَهِيَ الصُّورَةُ الْحَيَوَانِيَّةُ الشَّيْطَانِيَّةُ،
 وَهُمْ الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ، وَأَتْبَاعُهُمْ مِمَّنْ تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى، فَأَعْرَضُوا عَنْهُ،
 وَهِيَ مِنْ طِينَةِ خَبَالٍ، وَهِيَ سِحِّينَ.

وَإِنَّمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا صُورُهُمْ صُورَةُ الْإِنْسَانِ؛ لِإِجَابَتِهِمْ بِاللِّسَانِ،
 الَّذِي هُوَ أَدْنَى، وَفِي الْآخِرَةِ تُسَلَّبُ مِنْهُمْ، وَتَظْهَرُ صُورُهُمْ الْحَقِيقِيَّةُ التَّابِعَةُ
 لِلْقَلْبِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَهَا بِلِسَانِهِ، وَقَلْبُهُ وَاقِفٌ، لَمْ يَقِرَّ وَلَمْ يَجْحَدْ، وَهَؤُلَاءِ
 خَلَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الصُّورَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ظَاهِرًا؛ لِإِقْرَارِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَمْ يَخْلُقْ
 بَوَاطِنَهُمْ حَتَّى يَقِرُّوا وَيَجْحَدُوا، فَخَلَقَهُمْ مِنْ حَالِهِمْ.

وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ، مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْهُمْ فِي الْبَرَزَخِ، وَمِنْهُمْ فِي
 الْآخِرَةِ، فَمَنْ خَلَقَ بَاطِنُهُ إِنْسَانًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ خَلَقَ غَيْرَ ذَلِكَ دَخَلَ فِي
 النَّارِ.

فَهَذِهِ الصُّورَةُ الَّتِي خُلِقَتْ مِنَ الْإِجَابَةِ أَوْ الْإِنْكَارِ هِيَ الطِّينَةُ، وَهِيَ
 الْأُمُّ الَّتِي يَسْعَدُ فِي بَطْنِهَا مَنْ سَعَدَ، وَيَشْقَى فِي بَطْنِهَا مَنْ شَقِيَ، وَذَلِكَ
 بَعْدَ أَنْ أَعْلَمَهُمُ بِالطِّينَةِ الطَّيِّبَةِ؛ الَّتِي هِيَ الْإِجَابَةُ، وَالطِّينَةِ الْخَبِيثَةِ؛ الَّتِي هِيَ
 الْإِنْكَارُ.

وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْلُقُهُمْ إِلَّا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَلَوْ خَلَقَهُمْ عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ لَمْ يَكُونُوا إِيَّاهُمْ، بَلْ كَانُوا غَيْرَهُمْ.

وَلَوْ لَمْ يَقْبَلُوا وَخَلَقَهُمْ مِنَ الْإِنْكَارِ، وَجَعَلَ لَهُمْ مَا جَعَلَ لِلْمُقَرَّرِينَ؛ لَوَقَعَ التَّنَافِي فِي خَلْقِهِمْ، وَخَلَقَهُ إِيَّاهُمْ؛ لِأَنَّ خَلْقَهُمْ كَمَا هُمْ مُنَافٍ لِيَجْعَلَهُم كَالْمُطِيعِينَ، وَجَعَلَهُمْ كَالْمُطِيعِينَ مُنَافٍ لِيَخْلُقَهُ كَمَا هُمْ، وَخَلَقُهُ كَمَا هُمْ مُنَافٍ لِيَخْلُقَهُ لَهُمْ لَيْسَ كَمَا هُمْ، ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾^(١).

فَهَذَا هُوَ الْخَلْقُ الثَّانِي، تَحْتَ النُّورِ الْأَخْضَرِ، فِي عَالَمِ الْأُظْلَةِ، فِي وَرَقِ الْآسِ، فَكَانُوا فِي الذَّرِّ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: «لِلْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَلِلنَّارِ وَلَا أُبَالِي»^(٢)، ثُمَّ كَثَرَهُمْ^(٣) فِي النُّورِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ثُمَّ رَجَعَهُمْ إِلَى الطِّينِ»، أَيِ: إِلَى طِينِ الطَّبِيعَةِ.

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

(٢) عَنْ حَبِيبِ السَّجِسْتَانِيِّ قَالَ؛ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمَّا أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ظَهْرِهِ لِيَأْخُذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِالرُّبُوبِيَّةِ لَهُ وَبِالنَّبُوَّةِ لِكُلِّ نَبِيٍّ. قَالَ ﷻ: إِنَّمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِيَعْبُدُونِ، وَخَلَقْتُ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَنِي وَعَبَدَنِي مِنْهُمْ، وَاتَّبَعَ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي، وَخَلَقْتُ النَّارَ لِمَنْ كَفَرَ بِي وَعَصَانِي وَلَمْ يَتَّبِعْ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي...» [الكافي، ج: ٢، ص: ٩. الاختصاص، ص: ٣٣٢-٣٣٣. علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٠-١١. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٢٦].

(٣) فِي مَتْنِ شَرْحِ الْفَوَائِدِ: (ثُمَّ كَسَرَهُمْ).

الفائدة الثامنة

[أجزاء المحدث على جهة الإجمال]

كُلُّ شَيْءٍ لَا يُجَاوِزُ وَقْتَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُوْجَدْ إِلَّا فِيهِ، وَلَا ذَكَرَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَكُلُّ ذِي وَقْتٍ فَوْقَهُ مُسَاوِقٌ لِمَكَانِهِ وَكَوْنِهِ، لِأَنَّ الْوَقْتَ وَالْمَكَانَ وَالْكَوْنَ مُتَسَاوِقَةٌ، إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ شَرْطٌ لِلْآخَرِ.

وَكَذَا بَاقِي الْمَعْنَيَاتِ وَالْمُشَخَّصَاتِ، فَيَلْزَمُهَا التَّضَايُفُ، كَالْمَشِئَةِ وَالسَّرْمَدِ، وَكُلُّ الْإِمْكَانِ، وَكَالْعَقْلِ الْأَوَّلِ [وَالدَّهْرِ]^(١)، وَكُلُّ الْمُمْكِنِ، وَكَالْجِسْمِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ.

وَمَرَاتِبُ الْمَشِئَةِ - كَمَا مَرَّ - أَرْبَعٌ، وَالسَّرْمَدُ وَالْإِمْكَانُ يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنَ الْأَرْبَعِ بِنِسْبَتِهَا، فَلِلرَّحْمَةِ بِالسَّرْمَدِ وَالْإِمْكَانِ رُتْبَةُ الذَّاتِ مِنَ الشَّجَرَةِ وَلِلْأَلْفِ بِهِمَا رُتْبَةُ الْأَصْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَلِلْسَحَابِ الْمَرْجَى، أَيُّ: الْحُرُوفِ بِهِمَا رُتْبَةُ الْفَرْعِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَلِلْسَحَابِ الْمُتْرَاكِمِ، أَيُّ: الْكَلِمَةِ بِهِمَا رُتْبَةُ الْكُلِّ مِنَ الشَّجَرَةِ.

فَنِسْبَةُ السَّرْمَدِ وَالْإِمْكَانِ إِلَى الْمَشِئَةِ بِجَمِيعِ مَرَاتِبِهَا؛ كَنِسْبَةِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ إِلَى مُحَدِّبٍ مُحَدَّدِ الْجِهَاتِ، يَعْنِي: نِهَايَةَ الْمُسَاوَقَةِ بِلَا حَوَايَةٍ غَيْرِ الْمُسَاوَقَةِ، إِذِ الْمُسَاوَقَةُ هِيَ التَّحَاوِي، لَا مُطْلَقُ الْحَوَايَةِ.

(١) ما بين المعقوفتين نقلناه من متن شرح الفوائد.

وَلِلْعَقْلِ الْأَوَّلِ فِي أَكْوَارِهِ الْأَرْبَعَةِ بِالذَّهْرِ وَالْمُمْكِنِ مَا لِلْمَشِيئَةِ
بِالسَّرْمَدِ وَالْإِمْكَانِ، وَمَا لَهُمَا مِنَ الْمَسَاوِقَةِ وَالتَّحَاوِي، وَلِلْجِسْمِ فِي أَدْوَارِهِ
الْأَرْبَعَةِ بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ مَا ذَكَرْنَا سَابِقاً حَرْفاً بِحَرْفٍ.

وَكَذَا فِي الْمَسَاوِقَةِ، أَيُّ: التَّحَاوِي، يَعْنِي: أَنَّ الْجِسْمَ حَاوٍ لِلزَّمَانِ
وَالْمَكَانِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمَا عَنْهُ شَيْءٌ، وَالزَّمَانُ حَاوٍ لِلْجِسْمِ وَالزَّمَانُ^(١)، لَا
يَخْرُجُ مِنْهُمَا عَنْهُ شَيْءٌ، وَالْمَكَانُ حَاوٍ لِلْجِسْمِ وَالزَّمَانِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمَا
عَنْهُ شَيْءٌ، وَذَلِكَ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِي الْمَشِيئَةِ وَفِي الْعَقْلِ حَرْفاً بِحَرْفٍ.

أَمَّا الْمَاءُ الْأَوَّلُ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْعَقْلِ وَمَا بَعْدَهُ، فَوَجْهُهُ فِي السَّرْمَدِ
وَالْإِمْكَانِ، وَهُوَ فِي الذَّهْرِ وَالْمُمْكِنِ.

وَأَمَّا التُّفُوسُ؛ فَإِنَّهَا مِنْ وَسْطِ الذَّهْرِ وَالْمُمْكِنِ، وَهُوَ الْأُظْلَةُ، وَبَيْنَهَا
وَبَيْنَ الْعَقْلِ الثُّورُ الْأَصْفَرُ، وَهُوَ الْبَرْزُخُ بَيْنَهُمَا، وَهُوَ الْأَرْوَاحُ، وَهُوَ مِنْ
الطَّرَفِ الْأَعْلَى، وَآخِرُهُ الثُّورُ الْأَحْمَرُ، وَجَوْهَرُ الْهَبَاءِ.

فَالْكَسْرُ فِي الثُّورِ الْأَحْمَرِ، وَالْامْتِزَاجُ فِي جَوْهَرِ الْهَبَاءِ، وَالْعَقْدُ فِي
الْمِثَالِ، وَالْمِثَالُ بَيْنَ الزَّمَانِ وَالذَّهْرِ، فَوَجْهُهُ فِي الذَّهْرِ، وَأَسْفَلُهُ فِي الزَّمَانِ،
أَيُّ: بِالْعَرَضِ لَتَبْعِيَّةِ الْجِسْمِ، فَلَهُ الْجِهَتَانِ: الذَّائِيَّةُ، وَالْعَرَضِيَّةُ، وَبِهِمَا مَعاً
تَحَقَّقَتْ بَرَزَخِيَّتُهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ ذَوِي رُوحٍ وَغَيْرِهِ قَدْ بَدَأَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَى الْاسْتِدَارَةِ، وَيَعُودُ إِلَى اللَّهِ كَذَلِكَ، وَيُقْبَلُ مِنَ اللَّهِ كَذَلِكَ،

(١) في متن شرح الفوائد ورد بدل كلمة: (وَالزَّمَانِ)، كلمة: (وَالْمَكَانِ).

وَسُرْعَةُ تَدْوِيرِهِ وَبُطْئُهُ عَلَى حَسَبِ كَوْنِهِ وَوَقْتِهِ، وَهِيَ تَنْقِلَاتٌ تَعُدُّ وَقْتَهُ،
وَلَا يُسْرِعُ لِدَاتِهِ أَزِيدُ مِنْ نِسْبَةِ كَوْنِهِ وَوَقْتِهِ.

فَإِذَا حَصَلَ لَهُ شَيْءٌ أَسْرَعُ بِهِ فَلَيْسَ قَاسِرًا لِدَاتِهِ مِنْ حَيْثُ هِيَ، فَلَا
يَحْدُثُ لَهَا تَغْيِيرٌ، وَإِنَّمَا يُعَيَّنُ ذَاتُهُ بِمَا يُمَكِّنُ لَهَا، إِذْ مَا يُمَكِّنُ لِلشَّيْءِ
عَلَى قِسْمَيْنِ:

قِسْمٌ يُمَكِّنُ لِدَاتِهِ بِذَاتِهِ.

وَقِسْمٌ يُمَكِّنُ لَهَا بِخَارِجِ عَنْهَا، وَهُوَ الْمَعِينُ.

وَلَوْ حَصَلَ بِالْخَارِجِ عَكْسُ مُقْتَضَى ذَاتِهِ؛ فَهُوَ مُعَيَّنٌ أَيْضًا لَا قَاسِرٌ، مَا
دَامَ لِمُقْتَضَاهَا فِعْلٌ، وَإِلَّا فَهُوَ قَاسِرٌ، وَحِينَئِذٍ لَا يَكُونُ الشَّيْءُ ذَلِكَ الشَّيْءَ،
بَلْ هُوَ غَيْرُهُ، وَهَذَا يُسَمَّى قَاسِرًا بِاعْتِبَارِ قَلْبِ الذَّاتِ الْمَوْجُودَةِ.

وَإِلَّا فَفِي الْحَقِيقَةِ: أَنَّ الشَّيْءَ لَا يَنْقَلِبُ إِلَى مَا لَا يُمَكِّنُ فِي ذَاتِهِ فِي
جَمِيعِ الوجودِ، بَلْ لَيْسَ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلَا تَتَعَلَّقُ بِهِ قُدْرَةٌ؛ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ لَا
تَتَعَلَّقُ إِلَّا بِالشَّيْءِ.

وَالشَّيْءُ الْمُمْكِنُ لَهُ خَمْسَةُ مَقَامَاتٍ:

الْأَوَّلُ: فِي الْإِمْكَانِ وَلَا يَكُونُ أَبَدًا، وَهُوَ فِي الْمَشِئَةِ مُمَكِّنُ الْكَوْنِ.

وَالثَّانِي: فِي الْإِمْكَانِ وَسَيَكُونُ، وَفِي الْمَشِئَةِ يُمَكِّنُ أَلَّا يَكُونُ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ كَانَ وَلَا يَزَالُ أَبَدًا، وَهُوَ فِي الْمَشِئَةِ يُمَكِّنُ مَحْوَهُ فِيمَا
بَعْدُ، وَإِبْثَانَهُ وَمَحْوَهُ.. وَهَكَذَا.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ كَانَ وَسَوْفَ يُعْدَمُ، أَيْ: يَرْجِعُ إِلَى مَا قَبْلَ كَوْنِهِ، وَفِي
الْمَشِئَةِ يُمَكِّنُ أَلَّا يُعْدَمَ، وَأَنْ يُعْدَمَ وَيُعَادُ.. وَهَكَذَا.

وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ قَدْ كَانَ كَوْنُهُ وَلَا يَكُونُ عَيْنُهُ، وَكَانَتْ عَيْنُهُ وَلَا يَكُونُ قَدَرُهُ، وَكَانَ قَدَرُهُ وَلَا يَكُونُ قَضَاؤُهُ، وَيَكُونُ قَضَاؤُهُ وَيَسْتَرُ إِمْضَاؤُهُ، وَظَهَرَ إِمْضَاؤُهُ وَيُعَدُّ مِنْهُ مَا كَانَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَكُلُّ ذَلِكَ وَمَا أَشَبَّهُهُ مِمَّا يُمَكِّنُ فِي ذَاتِهِ.

وَأَمَّا مَا لَا يُمَكِّنُ فِي ذَاتِهِ؛ بَأَن يَكُونُ مُسْتَحِيلًا، أَيْ: لَا شَيْءَ بِكُلِّ عِتْبَارٍ، أَوْ يَكُونُ وَاجِبًا لِدَاتِهِ، أَيْ: هُوَ الشَّيْءُ لَا سِوَاهُ، فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ فَرَضُ الْإِمْكَانِ، فَلَا يُمَكِّنُ فَرَضُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَلَا تَصَوُّرُهُ؛ لِأَنَّ التَّصَوُّرَ وَالْفَرَضَ مِنَ الْإِمْكَانِ، بَلْ لَا يُفَرَضُ وَلَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْإِمْكَانِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ.

فَفِي الْحَقِيقَةِ لَا يَتَحَقَّقُ الْقَاسِرُ إِلَّا بِقَلْبِ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِ مَا يَقْتَضِيهِ مِنْ ذَاتٍ أَوْ صِفَةٍ، وَهُوَ مِمَّا يُمَكِّنُ لَهُ، فَهُوَ مُطَاوِعٌ، فَلَا قَلْبَ، فَلَا امْتِنَاعَ فِي الْإِمْكَانِ، فَلَا قَسَرَ وَلَا إِمْكَانَ فِي الْوَاجِبِ وَلَا فِي الْمُسْتَحِيلِ. فَالشَّيْءُ الَّذِي هُوَ الشَّيْءُ لَا سِوَاهُ لَا إِمْكَانَ فِيهِ وَلَا رُجْحَانَ، وَلَا يَمْنَعُ النَّقِیْضَ، بَلْ هُوَ وَجُوبٌ بَحْتٌ، وَالْمُسْتَحِيلُ الَّذِي هُوَ لَا شَيْءَ بِكُلِّ عِتْبَارٍ - أَيْ: سِوَاءِ اعْتَبَرَتْ شَيْئَةً خَارِجِيَّةً أَمْ وَاقِعِيَّةً، أَمْ ذَهْنِيَّةً، أَمْ إِمْكَانِيَّةً، أَمْ وَهْمِيَّةً، أَمْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَعْتَبَرُهُ مُعْتَبِرٌ - لَا إِمْكَانَ فِيهِ، فَلَا يُعْتَبَرُ بِحَالٍ. فَافْهَمْ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ الْمَكْرَرَةَ الْمُرَدَّدَةَ لِلتَّفْهِيمِ.

الفائدة التاسعة

كُلُّ شَيْءٍ لَا يُدْرِكُ مَا وَرَاءَ مَبْدَئِهِ

لَأَنَّ الْإِدْرَاكَ إِنْ كَانَ بِالْفُؤَادِ فَهُوَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الذَّاتِ، وَأَوَّلُ جُزْئِيَّهَا، وَأَعْلَاهُمَا وَأَشْرَفُهُمَا، وَلَيْسَ لَهُ وَرَاءَ ذَلِكَ ذِكْرٌ فِي حَالٍ، فَلَا يَجِدُ نَفْسَهُ هُنَاكَ، وَلَا يَجِدُهُ غَيْرُهُ؛ إِذْ أَوَّلُ وَجْدَانِهِ ذَلِكَ الْإِدْرَاكَ، وَإِنْ كَانَ بِالْعَقْلِ وَالنَّفْسِ وَالْحِسِّ الْمَشْتَرَكِ وَبِالْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ، فَهِيَ بِجَمِيعِ إِدْرَاكَاتِهَا وَمُدْرَكَاتِهَا دُونَ ذَلِكَ، فَلَا يُدْرِكُ الشَّيْءَ مَا وَرَاءَ كَوْنِهِ، فَلِذَا تَصَوَّرَ شَيْئًا بغيرِ الْفُؤَادِ أَدْرَكَ مَا وَرَاءَهُ، أَيْ: أَنَّ مَا وَرَاءَهُ شَيْءٌ يُدْرِكُهُ. فَإِذَا أَدْرَكَ ذَلِكَ الْأَعْلَى؛ أَدْرَكَ وَرَاءَهُ شَيْئًا.. وَهَكَذَا، لَا يَقِفُ عَلَى حَدٍّ لَا يَجِدُ وَرَاءَهُ شَيْئًا.

وَهَذِهِ حُرُوفُ نَفْسِهِ وَمَرَاتِبُهَا، وَتِلْكَ الْحُرُوفُ وَالْمَرَاتِبُ لَا تَنْتَاهِي نَفْسُهُ، أَيْ: لَا تَقِفُ عَلَى حَدٍّ، لَا تَنْتَوِّهَمُ أَنْ لَا قَبْلَ لَهُ، فَهِيَ لَا تَفْقِدُ نَفْسَهَا فِي تِلْكَ الْمَرَاتِبِ.

فَإِذَا نَظَرَتْ ذَاتَهَا بِذَاتِهَا -أَيْ: نَظَرَتْ بِفُؤَادِهَا- انْقَطَعَ وُجُودُهَا، وَيَنْتَاهِي كَوْنُهَا إِذْ ذَاكَ؛ لِأَنَّهَا نَظَرَتْ مِنْ مِثْلِ سَمِّ الْإِبْرَةِ، فَاسْتَدَارَتْ عَلَى نَفْسِهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

قَدْ طَاشَتْ ^(١) التُّقْطَةُ فِي الدَّائِرَةِ وَلَمْ تَزَلْ فِي ذَاتِهَا حَايِرَةً
وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ؛ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ» ^(٢)، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لِكُمَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَحْوُ الْمَوْهُومِ، وَصَحْوُ الْمَغْلُومِ» ^(٣).

وَكُلَّمَا وَصَلَ الْعَبْدُ إِلَى مَقَامٍ ظَهَرَ لَهُ الْجَبَّارُ فِيهِ؛ حَصَلَ لَهُ الْمَحْوُ
وَالصَّحْوُ، فَهُنَاكَ عَرَفَ رَبَّهُ؛ لِأَنَّهُ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالْمَحْوِ وَالصَّحْوِ.
فَإِذَا اسْتَقَامَ فِيهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
اسْتَقَامُوا﴾ ^(٤)، حَتَّى ظَهَرَ لَهُ الْأَثَرُ، ظَهَرَ لَهُ الْجَبَّارُ فِي مَقَامٍ أَعْلَى مِنَ
الْأَوَّلِ، فَيَعْرِفُ فِيهِ رَبَّهُ بِحُكْمِ الْمَحْوِ وَالصَّحْوِ بِطَوْرٍ أَعْلَى، وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ
الْمَقَامَ الْأَوَّلَ مَقَامَ "خَلْقٍ" قَدْ تَعَرَّفَ لَهُ فِيهِ بِهِ، ثُمَّ تَعَرَّفَ لَهُ فِي الْأَعْلَى، قَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تُدَلِّجُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُدَلِّجِ مِنْ خَلْقِكَ» ^(٥).

فَإِذَا عَرَفَ رَبَّهُ فِي الْأَعْلَى بِظُهُورِهِ لَهُ فِيهِ بِهِ، وَنَظَرَ إِلَى الْأَسْفَلِ
الَّذِي ظَهَرَ لَهُ أَنَّهُ مَقَامُ خَلْقٍ؛ ﴿وَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: (قَدْ ضَلَّتْ).

(٢) مصباح الشريعة، ص: ١٣. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. غرر الحكم،
ص: ٢٣٢. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٣٢.

(٣) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وص: ١٧٠.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٠. وسورة الأحقاف، الآية: ١٣.

(٥) من أدعية قيام الليل، مروى عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، راجع: الكافي،
ج: ٢، ص: ٥٣٨. تهذيب الأحكام، ج: ٢، ص: ١٢٣. وسائل الشيعة، ج: ٦،
ص: ٣٤. مفتاح الفلاح، ص: ٢٩٣. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٨٧.

الْحِسَابُ»^(١)، وَهَكَذَا أَبْدَأُ يَسِيرُ بِلَا نِهَايَةٍ.

قَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ - حَدِيثِ الْأَسْرَارِ -: «كُلَّمَا رَفَعْتُ لَهُمْ عِلْمًا، وَضَعْتُ لَهُمْ حِلْمًا، وَلَيْسَ لِمَحَبَّتِي غَايَةٌ وَلَا نِهَايَةٌ»^(٢). وَهَذِهِ الْمُشَارُ إِلَيْهَا هِيَ الْمَقَامَاتُ الَّتِي لَا تُعْطِيلُ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، قَالَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي الْإِشَارَةِ إِلَى ذَلِكَ فِي دُعَاءِ رَجَبٍ: «وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تُعْطِيلُ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتَقُهَا وَرَتَقُهَا بِيَدِكَ، بَدُوَهَا مِنْكَ،

(١) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٢) رَوَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْلَةَ الْمَعْرَاجِ فَقَالَ: «يَا رَبِّ! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟».

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَيْسَ شَيْءٌ أَفْضَلُ عِنْدِي مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيَّ، وَالرِّضَا بِمَا قَسَمْتُ. يَا مُحَمَّدُ! وَجِبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَوَجِبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَعَاطِفِينَ فِيَّ، وَوَجِبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَوَجِبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيَّ، وَلَيْسَ لِمَحَبَّتِي عِلْمٌ وَلَا غَايَةٌ وَلَا نِهَايَةٌ، وَكُلَّمَا رَفَعْتُ لَهُمْ عِلْمًا وَضَعْتُ لَهُمْ عِلْمًا. أُوَلِّكَ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِنَظَرِي إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَرْفَعُوا الْحَوَائِجَ إِلَى الْخَلْقِ، بَطُولُهُمْ خَفِيفَةٌ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، نَعِيمُهُمْ فِي الدُّنْيَا ذِكْرِي وَمَحَبَّتِي، وَرِضَائِي عَنْهُمْ». [إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٩٩. بحار الأنوار، ج: ٧٤، ص: ٢١ -

وَعَوَّذَهَا إِلَيْكَ...إِلَخ»^(١).

وَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَنَا مَعَ اللَّهِ حَالَاتٌ نَحْنُ فِيهَا هُوَ، وَهُوَ نَحْنُ، وَهُوَ هُوَ، وَنَحْنُ نَحْنُ»^(٢).

وَهَذَا طَرِيقٌ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَا نِهَايَةَ لَهُ وَلَا غَايَةَ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَقَامٍ ظَهَرَ اللَّهُ فِيهِ لِعَبْدِهِ فَهُوَ مَظْهَرُهُ وَصِفَتُهُ، وَهِيَ خُرُوفُ ذَاتِ الْعَبْدِ، لَا حَقِيقَةَ لَهُ غَيْرُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ ظَهَرَ لَكَ بِكَ، وَبِكَ احْتَجَبَ عَنْكَ.

فَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا بِمَا تَعَرَّفَ لَكَ بِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّفَ لَكَ إِلَّا فِيكَ وَبِكَ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: «لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا»^(٣).

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ الْمُتَجَلَّى نُقْطَةً يَدُورُ عَلَيْهَا التَّجَلِّي، فَهُوَ كُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ لِفِعْلِ التَّجَلِّي، وَفِي الْإِنْجِيلِ: «أَيُّهَا الْإِنْسَانُ! اعْرِفْ نَفْسَكَ تَعْرِفْ

(١) إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص:

٥٢٩. مصباح المتعبد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٩٣.

(٢) اللمعة البيضاء، ص: ٢٨.

(٣) نهج البلاغة، ص: ٢٦٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ٢٠٤. شرح نهج البلاغة،

ج: ١٣، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٦١.

رَبِّكَ، ظَاهِرُكَ لِلْفَنَاءِ، وَبَاطِنُكَ أَنَا»^(١).

فَلِجَمِيعِ الْخَلْقِ اسْتِدَارَةٌ عَلَى فِعْلِ اللَّهِ وَاحِدَةٌ كَرِّيهِ، فَكُلُّ الْخَلْقِ كُرَّةٌ وَاحِدَةٌ مُحَوَّفَةٌ، تَدُورُ عَلَى نُقْطَةٍ هِيَ فَعْلُهُ تَعَالَى.

وَأُصُولُ الْخَلْقِ كُرَاتٌ مُحَوَّفَةٌ كَذَلِكَ، كُلُّ أَصْلِ كُرَّةٍ تَامَّةٌ تَدُورُ عَلَى نُقْطَةٍ، هِيَ وَجْهُهُ ذَلِكَ الْأَصْلُ مِنَ الْمَشِيقَةِ، وَلَا تَدُورُ عَلَى مَحْوَرٍ؛ لِأَنَّ الاسْتِدَارَةَ عَلَى مَحْوَرٍ تُحْدِثُ مِنْ أَجْزَاءِ الْكُرَّةِ دَوَائِرَ لَا كُرَاتٍ، فَتَكُونُ الاسْتِدَارَةُ عَلَى [إِلَى] جِهَةٍ، فَلَا تَكُونُ الْعِلَّةُ مُحِيطَةً بِالْمَعْلُولِ، وَلَا تَتَسَاوَى الْأَجْزَاءُ الْمُتَسَاوِيَةُ فِي الرُّتْبَةِ إِلَى مُتَنَصِّفِ الْمَحْوَرِ، الَّذِي هُوَ النُّقْطَةُ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ مَا كَانَ مِنَ الْأَجْزَاءِ فِي جِهَتِي الْقُطْبَيْنِ لِلْمَحْوَرِ لَا تَدُورُ عَلَى النُّقْطَةِ، وَوَجْهُهُ الْكُرَّةِ مِنَ الْعِلَّةِ لَيْسَ مَحْوَرًا مُسْتَطِيلًا، بَلْ نُقْطَةً.

وَالْأَصْلُ الثَّانِي يَدُورُ عَلَى الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّهُ لِلثَّانِي نُقْطَةٌ، وَيَدُورُ عَلَى النُّقْطَةِ الْأُولَى، فَلَهُ اسْتِدَارَتَانِ:

اسْتِدَارَةٌ ذَاتِيَّةٌ: تَدُورُ عَلَى نُقْطَةِ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ.

وَعَرَضِيَّةٌ: تَدُورُ عَلَى الْأَوَّلِ إِذَا كَانَ مُتَرْتَّبًا عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَعَلَى جِهَةٍ لَوَازِمِهِ مِنْ وَضْعٍ وَإِصَافَةٍ.. وَغَيْرِهِمَا.

وَهُمَا اسْتِدَارَةٌ وَاحِدَةٌ بِلِحَازٍ وَحِدَةِ الدَّائِرَةِ، وَلِهَذَا كَانَ أَبْطَأَ مِنْ

(١) قال الحافظ رجب البرسي؛ يقول الرب الحليل في الإنجيل: «أَيُّهَا الْإِنْسَانُ!، اعْرِفْ نَفْسَكَ تَعْرِفْ رَبِّكَ، ظَاهِرُكَ لِلْفَنَاءِ، وَبَاطِنُكَ لِلْبَقَاءِ». راجع: الجواهر السنية، ص: ١١٦.

الأصل الأول، كاستدارة الكوكب على قطب تدويره، واستدارته على قطب الخارج المركز، فإن استدارته في التدوير على نفسه، فهي عرضية بالنسبة إلى تحققه وأصلته، واستدارته على قطب الخارج المركز ذاتية؛ لأنها وجهه إلى أصل تحققه؛ لأن هذه أصل لاستدارته على تدويره، فائضة عنها، متفرعة عليها.

وإنما كانت استدارة الثاني بطيئة؛ لحصول الكثرة فيها، وكلما كثرت الوسائط كثرت الاستدارات وكان أبطأ، وتترتب العرضيات في القوة والضعف، فما قرب من الدائرة كان أضعف، والذاتية أبداً واحدة. وهكذا حكم كل أصل، وفروع ذلك الأصل هذا الحكم، كل فرع كرة واحدة له دورات، دورة على أصله، وعلى كل ما سبقه دورة، وعلى القطب الأول كذلك، وقس عليه كل شيء بنسبة حال ذاته وعوارضها، فكل عالم كرة، وكل نوع كرة، وكل صنف كرة، وكل شخص كرة، وكل جزء كرة.

وهكذا أحكامها في الأوضاع والتضاييف والنسب كلها، في التساوي والتعارف والتناكر، إلا أنها في التناكر تدور على التعاكس هكذا: (< >)، وفي التعارف على جهة التواجه هكذا: (< >)، وفي التساوي على جهة المماثلة: (>>).

وأما في التعاير في الذات وحدها هكذا: (> ٨)، وفي الصفات وحدها هكذا: (٧٨)، وفيهما معاً هو التناكر كما مر، قال عليه السلام: «الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها

اختلف^(١).

وَمَعْنَى التَّعَارُفِ: يَنْظُرُ أَحَدُهُمَا فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ.

وَمَعْنَى التَّنَاكُرِ: ظَهَرَهُ إِلَى ظَهْرِ صَاحِبِهِ.

وَالْمَسَاوَاةُ: مِنَ التَّعَارُفِ فِي التَّبَعِيَّةِ.

وَالْمُغَايِرَةُ: أَحْوَالٌ، وَأَنْظُرُ إِلَى تَمَثُّلِ الْأَشْكَالِ؛

وَلِكُلِّ رَأَيْتَ مِنْهُمْ مَقَامًا شَرَحَهُ فِي الْكِتَابِ مِمَّا يَطُولُ

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ الْكُرَّةَ إِنْ كَانَتْ اسْتِدَارَتُهَا عِبَارَةً عَنْ اسْتِدَارَةِ قَوْسٍ

مِنْ مُحِيطِهَا؛ فَهِيَ تَدُورُ عَلَى مُحْوَرٍ، وَتُحَدِّثُ مِنَ الْأَجْزَاءِ الدَّوَائِرَ لَا

الْكُرَاتِ، وَلَيْسَ تِلْكَ الاسْتِدَارَةُ الصُّدُورِيَّةُ عَنِ الْعِلَّةِ الْبَسِيطَةِ، الَّتِي هِيَ فِعْلُ

اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَمَشِيقَتُهُ.

بَلْ الاسْتِدَارَةُ الصُّدُورِيَّةُ: أَنْ يَكُونَ كُلُّ جُزْءٍ مِنَ الْكُرَّةِ عَلَى

قُطْبِهَا، فَتَكُونُ اسْتِدَارَةُ الْكُرَّةِ عَلَى قُطْبِهَا لَيْسَتْ إِلَى خُصُوصِ جِهَةٍ؛ لِأَنَّ

ذَلِكَ مِنْ خَوَاصِّ الْأَجْسَامِ فِي حَرَكَاتِهَا الْجِسْمَانِيَّةِ.

وَأَمَّا الْحَرَكَاتُ الْوُجُودِيَّةُ الصُّدُورِيَّةُ؛ فَلَيْسَتْ جِسْمَانِيَّةً، وَإِنْ كَانَتْ

مِنَ الْأَجْسَامِ فَهِيَ دَوْرَاتٌ دَهْرِيَّةٌ وَسَرْمَدِيَّةٌ، وَإِلَّا لَمْ تَحْطُ جِهَةً الْعِلَّةِ

بِجَمِيعِ جِهَاتِ الْمَعْلُولِ، وَلِهَذَا قُلْنَا: "كُلُّ جُزْءٍ كُرَّةٌ"، فَافْهَمْ فَهَمَّكَ اللَّهُ

(١) من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ٣٨٠. الأملاني للصدوق، ص: ١٤٥. جامع

الأخبار، ص: ١٧١. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٨٤. عوالي اللآلي، ج: ١، ص:

٢٨٨. المسائل السروية، ص: ٣٧. مصباح الشريعة، ص: ١٥٦.

تَعَالَى.

وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الطُّورُ مِنَ الْإِسْتِدَارَةِ لَا تُذَرِكُهُ النَّفْسُ وَلَا الْعَقْلُ،
وَأِنَّمَا يُذَرِكُهُ الْفُؤَادُ؛ لِأَنَّهُ جِهَةُ الصُّدُورِ، وَهِيَ جِهَةُ الرِّبْطِ بِالسَّرْمَدِ،
وَالسَّلَامُ.

الفائدة العاشرة في خلق الأشياء

اعْلَمْ؛ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِفِعْلِهِ وَإِبْدَاعِهِ، مِنْ غَيْرِ سَبْقٍ فِكْرٍ
أَوْ رَوْيَةٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَاللَّهُ خَالِقُهُ، سَوَاءٌ كَانَ فِي الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ أَمْ
الذِّهْنِيِّ، وَمَا فِي الذِّهْنِيِّ لَمْ يُوْجَدْ عَلَى اخْتِدَاءِ سَبْقِ ذَهْنٍ، فَالْوُجُودُ
الذِّهْنِيِّ فِي الْوَاقِعِ وَجُودٌ خَارِجِيٌّ.

وَإِنَّمَا قَسَمَ الْوُجُودُ إِلَى: الذِّهْنِيِّ وَالْخَارِجِيِّ؛ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الْوُجُودِ
الظَّلِيِّ الْإِنْتِرَاعِيِّ، وَالْأَصْلِيِّ اصْطِلَاحًا، وَلَا مُشَاحَةً فِي الْإِصْطِلَاحِ، وَإِلَّا فَهُوَ
فِي الْحَقِيقَةِ قَسَمٌ مِنَ الْوُجُودِ، خَلَقَهُ اللَّهُ لِحَاجَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ فِي التَّفَاهُمِ
وَالْتَعَارُفِ، لِيَحْصَلَ لَهُمْ إِدْرَاكُ مَا غَابَ عَنْ حَوَاسِهِمُ الظَّاهِرَةَ، وَذَلِكَ مِمَّا
يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ تَكْلِيفُهُمْ، وَنِظَامُ أُمُورِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ.

وَإِنَّمَا قُلْنَا أَنَّهُ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ؛ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ، بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ
كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا
بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(١).

فَإِنْ قُلْتُ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِي النَّفْسِ قُدْرَةً عَلَى اخْتِرَاعِ مَا شَاءَتْ مِنَ الصُّورِ، فَهِيَ تَخْتَرِعُ تِلْكَ الصُّورَ مِمَّا يُمَكِّنُ لَهَا، فَلَا يَكُونُ الوجودُ الذهنيُّ فِي الْحَقِيقَةِ خَارِجِيًّا.

قُلْتُ: إِنَّمَا جَعَلَهُ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا مِمَّا تَجْرِي فِيهِ عَلَى اخْتِيَارِهَا، لَيْسَ حَيْثُ أَعْطَاهَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْهُ، بَلْ هُوَ [فِي] يَدِهِ بَعْدَ الإِعْطَاءِ كَمَا هُوَ قَبْلَ الإِعْطَاءِ، بَلْ هُوَ حَالٌ وَاحِدَةٌ بَلَّا تَعَدُّدٍ إِلَّا فِي الْعِبَارَةِ، كِنَايَةً عَنْ ظُهُورِ الْعَطِيَّةِ فِي نَفْسِهَا.

وَتِلْكَ الْقُوَّةُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا فِعْلُهَا وَانْفِعَالُهَا، وَإِضَافَتُهَا وَتَعَلُّقُهَا بِمُخْتَرِعِهَا، إِنَّمَا كَانَ شَيْئًا فِي نَفْسِهِ بِكَوْنِهِ فِي يَدِهِ، فَإِذَا قَابَلَتِ الْمِرْآةَ الشَّيْءَ؛ أَوْجَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا فِيهَا الصُّورَةَ، وَإِنَّمَا لَهَا اخْتِيَارُ الْمُقَابَلَةِ وَانْتِزَاعُ الصُّورَةِ، اللَّذَانِ هُمَا شَيْءٌ بِكَوْنِهِمَا فِي يَدِهِ، فَافْهَمْ.

وَالِىَ هَذَا الْإِشَارَةَ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُلُّ مَا مَيِّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَذَقَ مَعَانِيهِ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ [مَصْنُوعٌ] مِثْلَكُمْ، مَرْدُودٌ إِلَيْكُمْ»^(١). فَافْهَمْ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَخْلُوقٌ مِثْلَكُمْ، مَرْدُودٌ إِلَيْكُمْ».

(١) روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر، راجع: بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٣.

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: «كُلَّمَا مَيِّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ، وَأَذَرَكْتُمُوهُ مِثْلًا فِي نَفْسِكُمْ، وَمُصَوِّرًا فِي أَذْهَانِكُمْ، فَهُوَ مُحَدَّثٌ مَصْنُوعٌ مِثْلَكُمْ». [إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٧٢].

فَإِنْ قُلْتُ: يَلْزَمُكُمْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمَعَاصِي وَالْكَفَرَ وَسَائِرَ الْقَبَائِحِ.
 قُلْتُ: نَعَمْ.. كَذَلِكَ اللَّهُ رَبُّنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
 وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(١)، وَلَكِنْ لَيْسَ عَلَى مَا تَفْهَمُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا
 يَخْلُقُ شَيْئًا إِلَّا عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ
 الْمَخْلُوقُ كَذَلِكَ، بَلْ يَكُونُ قَدْ خُلِقَ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَحِينَئِذٍ لَمْ يَكُنْ
 هُوَ إِيَّاهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ غَيْرُهُ، هَذَا خُلْفٌ.

وَإِذَا خَلَقَهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّمَا خَلَقَهُ عَلَى مُقْتَضَى سَبَبِ إِيجَادِهِ
 وَقَبُولِهِ لِلْوُجُودِ، وَذَلِكَ بِالْأَسْبَابِ الْخَارِجَةِ عَنْ حَقِيقَةِ مَا أَفَاضَهُ اللَّهُ بِذَاتِ
 فِعْلِهِ، وَإِنْ كَانَتْ بَعَوَارِضِهِ، وَتِلْكَ الْأَسْبَابُ مُقْتَضِيَاتٌ لِتَغْيِيرِ الْحَقَائِقِ
 بِحُكْمِ الْوَضْعِ، وَتِلْكَ الْمُقْتَضِيَاتُ مِنْ أَفْعَالِ الْخَلْقِ وَأَوْضَاعِهِمْ، فَلَوْ خُلِقَ
 عَلَى غَيْرِ الْمُقْتَضَى؛ لَكَانَ قَدْ مَنَعَ مَا أُعْطِيَ، وَأَبْطَلَ مَا قَدَّرَ.

مَثَلًا: خَلَقَ الْحَدِيدَ يَقْطَعُ، وَلَا يَقْطَعُ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِذَا ذَبَحَ زَيْدٌ عَمْرًا
 بِالسَّيْفِ، فَإِنْ لَمْ يُوجِدِ اللَّهَ الذَّبْحَ بِمُقْتَضَى فِعْلِ زَيْدٍ وَالْحَدِيدِ؛ لَكَانَ قَدْ
 مَنَعَ الْحَدِيدَ مَا خَلَقَهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ الْحَدِيدُ حَدِيدًا، وَمَنَعَ زَيْدًا مُقْتَضَى
 فِعْلِهِ، فَلَمْ يُمَكِّنْ زَيْدًا مَنْ فَعَلَ الْمَعْصِيَةَ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الطَّاعَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا
 تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالتَّمَكُّنِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَمْ يَحْسُنْ إِيجَادُهُ،
 وَيَبْطُلُ الْإِيجَادُ مِنْ أَصْلِهِ، وَالْوُجُودُ الذَّهْنِيَّ حَدَثَ عَنِ اللَّهِ بِهَذَا النَّحْوِ.

ثُمَّ اَعْلَمْ؛ أَنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾^(١)،
 حَيْثُ أَتَى الشَّيْءَ مِنْ جِهَةِ إِفْرَادِهِ بِجَمْعِ خَزَائِنٍ؛ سِرًّا تَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَيْهِ، وَهُوَ
 أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ خَزَائِنٌ، فَأَعْلَى خَزَائِنِهِ الرَّحْمَةُ، ثُمَّ الرِّيحُ، ثُمَّ السَّحَابُ
 الْمَرْجَى، ثُمَّ السَّحَابُ الْمُتْرَاكِمْ، ثُمَّ الْبَحْرُ الْمُمَكِنُ وَهَبَاؤُهُ، ثُمَّ سَحَابُهُ
 الْمَرْجَى، ثُمَّ الْمُتْرَاكِمْ.

ثُمَّ الْأَكْوَانُ السِّتَةُ، الَّتِي أَشَارَ عَلَيْهِ إِِلَيْهَا:
 الْكَوْنُ التَّوْرَانِي: وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ حِجَابُ
 السِّرِّ.

ثُمَّ الْكَوْنُ الْجَوْهَرِي: وَهُوَ الْحِجَابُ الْأَبْيَضُ، وَهُوَ الرُّكْنُ الْأَيْمَنُ
 الْأَعْلَى، عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ.

ثُمَّ الْكَوْنُ الْهَوَائِي: وَهُوَ الْحِجَابُ الْأَصْفَرُ، وَهُوَ الرُّكْنُ الْأَسْفَلُ
 الْأَيْمَنُ، عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ.

ثُمَّ الْكَوْنُ الْمَائِي: وَهُوَ الْحِجَابُ الْأَخْضَرُ، وَهُوَ حِجَابُ الزُّمْرَدِ، وَهُوَ
 الرُّكْنُ الْأَيْسَرُ الْأَعْلَى، عَنْ يَسَارِ الْعَرْشِ.

ثُمَّ الْكَوْنُ النَّارِي: وَهُوَ الْحِجَابُ الْأَحْمَرُ، وَقَصَبَةُ الْيَاقُوتِ، وَهُوَ
 الرُّكْنُ الْأَيْسَرُ الْأَسْفَلُ، عَنْ يَسَارِ الْعَرْشِ.

ثُمَّ الْكَوْنُ الْأَضِلَّةُ: وَهُوَ الْهَبَاءُ الْآخِرُ، وَكَوْنُ الذَّرِّ الثَّانِي.
 ثُمَّ الْعَرْشُ مُحَدَّدُ الْجِهَاتِ، ثُمَّ الْكُرْسِيُّ، ثُمَّ فَلَكُ الْبُرُوجِ، ثُمَّ فَلَكُ

النَّازِلِ، ثُمَّ فَلَكَ الشَّمْسُ فِي زُحَلٍ وَفِي الْقَمَرِ، ثُمَّ مِنَ الشَّمْسِ فِي
 الْمُشْتَرِيِّ وَعَطَارِدَ، ثُمَّ مِنَ الشَّمْسِ فِي الْمَرِيخِ وَفِي الزُّهْرَةِ، ثُمَّ تَنْزُلُ إِلَى
 الْأَذْهَانِ صُورَتُهُ، بِتَسْخِيرِ شَمْعُونِ وَسَيْمُونِ وَزَيْتُونِ لِحُجُودِهِمْ وَأَعْوَانِهِمْ
 مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِفَلَكَ عَطَارِدَ، وَمَا حَمَلَ مِنْ مُتَمَمَاتِهِ وَحَامِلِهِ،
 وَمُدِيرِهِ وَتَدْوِيرِهِ، وَكَوْكَبِهِ وَأَشْعَتِهِ.

وَإِنَّمَا يَنْزِلُ إِلَى الذَّهْنِ بَعْدَ أَنْ يَنْزِلَ مِنَ الْخَزَائِنِ الْعُلْيَا إِلَى مَا
 دُونَهَا.. وَهَكَذَا، إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى الذَّهْنِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا
 بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(١)؛ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ النَّازِلَ مِنْ كُلِّ مَرْتَبَةٍ إِنَّمَا يَنْزِلُ بِإِذْنِ
 وَأَجَلٍ وَكِتَابٍ.

وَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ كُلُّهَا مِنَ الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ، وَمَا فِي الذَّهْنِ كَمَا فِي
 الْمِرْآةِ، فَإِنَّهُ وُجُودٌ خَارِجِيٌّ.

ثُمَّ مَا فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الَّتِي هِيَ الْخَزَائِنِ قِسْمَانِ: أَصْلٌ، وَظَلٌّ.
 وَالْمُنْتَقِشُ فِي مِرْآةِ الذَّهْنِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَصْلِ؛ انْتَقَشَتْ فِيهِ صُورَتُهُ،
 وَإِنْ كَانَ مِنَ الصُّورَةِ انْتَقَشَتْ صُورَةُ الصُّورَةِ مَعَ مِرَاتِبِهَا، إِلَّا أَنَّ الذَّهْنَ
 إِنَّمَا يَنْتَقِشُ فِيهِ عَلَى قَدَرِهِ مِنَ الْكَمِّ وَالْهَيْئَةِ وَالْكَيفِ.

فَإِنْ كَانَ صَافِيًا مُسْتَقِيمًا؛ حَكَى مَا فِي الْمُقَابِلِ بِلَا تَغْيِيرٍ، وَإِلَّا اخْتَلَفَ
 الْمُنْتَقِشُ فِيهِ فِي الْكَمِّ بِكَمِّ هَذَا الذَّهْنِ، وَفِي الْهَيْئَةِ بِهَيْئَةِ الذَّهْنِ فِي الطُّوْلِ

وَالْعَرَضِ، وَالْأَعْوَجَاجِ وَالْإِنْحِرَافِ، وَفِي الْكَيْفِ بِكَيْفِهِ؛ مِنْ بَيَاضٍ أَوْ سَوَادٍ.. أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، كَاخْتِلَافِ صُورِ الْوَجْهِ الْوَاحِدِ فِي الْمَرَايَا الْمُتَعَدِّدَةِ الْمُخْتَلَفَةِ كَذَلِكَ.

هَذَا إِذَا كَانَ مَا فِي الذَّهْنِ مِنْ ظِلِّ الْحَقِّ، فَإِنْ كَانَ مَا فِيهِ مِنْ ظِلِّ الْبَاطِلِ؛ انْعَكَسَ إِلَى الْأَسْفَلِ، فَقَابَلَ الَّذِي فِي خَزَائِنِ الشَّمَالِ، وَهِيَ ثَمَانِي عَشَرَ خِرَازَةً مَنكُوسَةً، كُلُّ مَا فِيهَا دَعَاوَى لَا حَقَائِقَ، إِلَّا أَنَّهُ تُشَبِّهَ مَا فِي الْحَقِّ، كُلُّ خِرَازَةٍ تُشَبِّهَ ضِدَّهَا، فَيَنْتَقِشَ فِيهِ مَا قَابَلَهُ مَعَ مَا فِي الذَّهْنِ مِنَ الْهَيْئَةِ فِي الْكَيْفِ، وَمَا لَهُ مِنَ الْكَمِّ.

وَإِنَّمَا قُلْنَا: (أَنَّهُ ظِلِّي انْتِرَاعِي فِي غَيْرِ ذِهْنٍ عِلَّةِ الْمَوْجُودَاتِ)؛ لِأَنَّكَ لَا تُدْرِكُ مَا غَابَ عَنْ بَصْرِكَ بِخَيَالِكَ، إِلَّا فِي وَقْتِهِ وَمَكَانِهِ، وَلَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تُدْرِكَ شَيْئًا سَمِعْتَهُ أَوْ نَظَرْتَهُ إِذَا غَابَ عَنْكَ، أَوْ غَبَتْ عَنْهُ، إِلَّا إِذَا انْتَفَتَّ فِي نَفْسِكَ إِلَى زَمَانِهِ وَمَكَانِهِ الَّذِي أَدْرَكْتَهُ فِيهِ أَوْ لَا فَتُدْرِكُهُ فِيهِ، وَإِنْ ذَهَبَتْ شَهَادَتُهُ، فَإِنَّ غَيْبَهُ لَمْ يَذْهَبْ، كُلَّمَا طَلَبْتَهُ وَجَدْتَهُ فِيهِ.

كَمَا لَوْ ذُكِرَ لَكَ: أَتَيْتُكَ كَلَّمْتُ عَمْرًا أَمْسَ بِكَذَا، فَإِنَّكَ لَمْ تَذْكُرْهُ حَتَّى تَلْتَفِتَ نَفْسُكَ بِخَيَالِكَ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالْمَكَانِ، فَتَرَى فِيهِ عَمْرًا بَعَيْنِهِ وَكَلَامَكَ بَعَيْنِهِ مَوْجُودَيْنِ فِي الْكِتَابِ الْحَفِیْظِ، فَيُعْطِي الْكِتَابَ الْحَفِیْظَ ذِهْنَكَ صُورَةَ الشَّخْصِ وَالْكَلَامِ وَالْوَقْتِ وَالْمَكَانِ، فَتُخْبِرُ عَمَّا انْتَقَشَ فِي ذِهْنِكَ مِنْ ذَلِكَ، عَلَى نَحْوِ مَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ مِنْ كَيْفِيَّةِ الْإِنْتِقَاشِ.

وَاعْلَمَ؛ أَنَّ الْوَقْتَ الَّذِي ذَكَرْتَ فِيهِ، وَالْمَكَانَ الَّذِي رَأَيْتَ فِيهِ
الشَّخْصَ، وَالْكَلَامَ؛ هِيَ نَفْسُ مَا رَأَيْتَ أَوَّلًا فِي الزَّمَانِ، إِلَّا أَنَّ الْجِسْمَ
الْمَرْتَبِيَّ بِالْبَصَرِ، وَالْكَلَامَ الْمَسْمُوعَ بِهَذِهِ الْأُذُنِ قَبْلَ هَذَا الذِّكْرِ فِي الزَّمَانِ،
وَهُوَ شَهَادَتُهُمَا.

وَأَمَّا إِذْ رَأَيْتَ لِحَالَتَيْهِمَا فِي ظَرْفَيْهِمَا؛ فَقِي وَقْتُ وَاحِدٍ، وَمَكَانٌ
وَاحِدٌ.

وَنَظِيرُهُ - فِي غَيْرِ الْوَقْتِ -: لَوْ كَانَ عِنْدَكَ كِتَابَةٌ فِي قِرْطَاسٍ
فَنَظَرْتَ إِلَيْهَا فِي وَقْتَيْنِ، فَإِنَّ الْمَرْتَبِيَّ وَالْمَكَانَ وَاحِدًا.
وَمَا نَحْنُ فِيهِ كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ الْوَقْتَ وَاحِدًا، وَهُوَ وَقْتُ الْأُظْلَةِ مِنْ يَوْمِ
الْجُمُعَةِ، وَقْتُ الْعَصْرِ بَعْدَ الْأَذَانِ وَالصَّلَاةِ، فَإِنْ كَانَ بَصْرُكَ حَدِيدًا عَرَفْتَ
هُنَاكَ ذَلِكَ الشَّخْصَ، هَلْ صَلَّى أَمْ لَا؟، فَافْهَمْ.

الفائدة الحادية عشر

في بيان صدور الأفعال من الإنسان، والإشارة إليه

اعلم؛ أن الإنسان مركَّب من الوجود والماهية، والمخلوق أبداً محتاج في بقائه إلى المدد من أحد الطرفين؛ طرف الوجود، وطرف الماهية، فمدد الوجود بفعل الله الذاتي، فهو أبداً قائم بأمره قيام صدور ومن فعله للأعمال الصالحة.

فالحافظ أمر الله، والمدد من الأعمال الصالحة من فعل الله ومن فعل العبد، فما بفعل الله مقبول، وما بفعل العبد قبول.

ومدد الماهية بفعل الله العرضي، فهي أبداً قائمة بفعل الله العرضي قيام صدور ومن فعلها من الأعمال الخبيثة، فالحافظ أمر الله التابع والمدد بالأعمال الخبيثة بفعل الله ومن فعل العبد، فما بفعل الله مقرر ومقوم، وما من فعل العبد متكوّن ومتقوم.

ثم لما كان الإنسان في نفسه مركَّباً من ضدين متعادين في الذات والصفة والانبعاث، محدثين محتاجين في تقويمهما إلى المدد منهما أو من أحدهما.

فَإِنْ كَانَ مِنْهُمَا؛ جَرَى عَلَى ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْوَزْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَالْحِسَابِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَدِهِمَا؛ ضَعْفُ الْآخَرِ، وَلَمْ يَبْقَ عَنْهُ إِلَّا قَدْرُ مَا
يَحْفَظُ الْآخَرُ، وَيَكُونُ حُكْمُهُ حُكْمُ الْقَوِيِّ.

فَإِنْ كَانَ الْقَوِيُّ الْوُجُودُ؛ اطمَأَنَّتِ النَّفْسُ، وَكَانَتْ أُخْتُ الْعَقْلِ،
وَرَقَّتِ الْمَاهِيَّةُ، وَشَابَهَتْ الْوُجُودَ، كَالْحَدِيدَةِ الْمَحْمِيَّةِ بِالنَّارِ، فَلَا فَرْقَ فِي
الْفِعْلِ بَيْنَهُمَا، وَإِنْ كَانَ مَا بَهَا بِالْعَرَضِ كَالْحَدِيدَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

رَقَّ الرَّجَا حُجَّ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ فَتَشَاكَلَا وَتَشَابَهَ الْأَمْرُ
فَكَانَمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحُ وَكَانَمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ

وَإِنْ كَانَ الْقَوِيُّ الْمَاهِيَّةُ؛ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى الْعَكْسِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
إِنَّمَا يَسْتَمِدُّ وَيَقْوَى بِمَدَدٍ مِنْ جَنْسِهِ، إِذْ لَا يَسْتَمِدُّ مِنْ نَحْوِ مَا هُوَ مِنْ
ضِدِّهِ، فَلَا يَسْتَمِدُّ الثُّورُ مِنَ الظُّلْمَةِ وَلَا الْعَكْسُ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ كَذَلِكَ،
وَمِثْلُ الْآخَرِ مَعَهُ إِنَّمَا هُوَ لِبَقَائِهِمَا.

فَالْوُجُودُ يَسْتَمِدُّ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرَاتِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ نَوْعِهِ، وَالْمَاهِيَّةُ تَسْتَمِدُّ
مِنْ أَنْوَاعِ الشُّرُورِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ نَوْعِهَا، وَالْمُرَكَّبُ الْوَاحِدُ لَا يَسْتَمِدُّ مِنْ طَرَفَيْهِ
مَعًا إِذَا كَانَا مُتَعَانِدَيْنِ إِلَّا عَلَى التَّعَاقُبِ.

وَإِذَا كَانَ وُجُودُ أَحَدِ الْجُزْأَيْنِ شَرْطًا لَوْجُودِ الْآخَرِ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ
فَعْلُ ذَلِكَ الشَّيْءِ وَاحِدًا، فَلَوْ فَعَلَ الْوُجُودُ الْخَيْرَ وَالْمَاهِيَّةُ الشَّرَّ فِي حَالٍ
وَاحِدٍ؛ لَزِمَ الْإِنْفِرَادُ الْمُسْتَلْزِمُ لِلْإِنْفِكَاحِ، الْمُسْتَلْزِمُ لِفَنَاءِ الشَّيْءِ؛ لِأَنَّهُ عِبَارَةٌ
عَنْهُمَا مُنْضَمَّيْنِ، وَيَفْتِنَانِ هُمَا أَيْضًا؛ لِتَوْقُفِ وُجُودِ كُلِّ مِنْهُمَا عَلَى
انْضِمَامِ الْآخَرِ إِلَيْهِ.

وَلَكِنْ يَتَعَارِضَانِ فِي الْمِيلِ الْمُنْبَعِثِ عَنْ شَهْوَةٍ كُلٍّ إِلَى الْاسْتِمْدَادِ مِنْ جَنْبِهِ؛ لِأَنَّ مِيلَ أَحَدِهِمَا إِلَى شَيْءٍ يَقْتَضِي مِيلَ الْآخَرِ إِلَى ضِدِّهِ، لِأَنَّهُمَا ضِدَّانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلِهَذَا يَضْعُفُ أَحَدُهُمَا بِفِعْلِ الْآخَرِ؛ لِأَنَّهُمَا مَعَ الْفَاعِلِ عَلَى خِلَافٍ مَا يَقْوَى بِهِ، وَمِنْ ثَمَّ يَتَعَارِضَانِ، وَيَطْلُبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْآخَرِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ فِي مَحَبَّتِهِ لِتَوْقُفِ فِعْلِهِ لِمَا يُرِيدُ عَلَى تَحَقُّقِهِ فِي نَفْسِهِ، وَإِذَا فَارَقَهُ الْآخَرُ لَمْ يَتَحَقَّقْ.

وَأَمَّا مُجَرَّدُ الْمِيلِ؛ وَهُوَ الْإِلْتِفَاتُ لَشَهْوَةِ الْمُشَاكِلِ، فَلَيْسَ كَالْفِعْلِ يَحْصُلُ بِهِ تَيْلُ الْمَدَدِ الْمُسَكِّنِ لِلشَّهْوَةِ، فَلَا يَحْصُلُ بِهِ السُّكُونُ، وَلَا تَرْجِيحُ أَحَدِ الْمِيلَيْنِ، وَلَا يُمَكِّنُ انْبِعَاثَهُمَا مَعًا مُحْتَمِعَيْنِ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا ذَاتِيًّا وَالْآخَرُ عَرْضِيًّا، وَلَا مُخْتَلَفَيْنِ؛ لِاسْتِلْزَامِ ذَلِكَ الْمَفَارَقَةِ، لِاسْتِحَالَةِ انْبِعَاثَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ مِنَ الْمُرَكَّبِ الْوَاحِدِ، الَّذِي لَا يُوجَدُ إِلَّا بِالْإِنْضِمَامِ دُفْعَةً، لِاسْتِلْزَامِ ذَلِكَ عَدَمِهَا، لِتَوْقُفِ تَحَقُّقِهَا عَلَى الْإِنْضِمَامِ؛ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَا عَلَى التَّعَاقُبِ.

وَإِذَا مَالَ الْوُجُودُ إِلَى الْخَيْرِ مَالًا بِالْمَاهِيَّةِ؛ فَمَالَتْ مَعَهُ بِالْعَرَضِ عَلَى خِلَافِ مَحَبَّتِهَا، فَإِذَا مَالَتْ إِلَى الشَّرِّ مَالَتْ بِالْوُجُودِ؛ فَمَالَتْ مَعَهَا بِالْعَرَضِ عَلَى خِلَافِ مَحَبَّتِهِ، وَيَتَعَاقَبَانِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ.

فَمَنْ رَجَحَ مِيلُهُ، بِحَيْثُ لَا يَمِيلُ مَعَ الْآخَرِ؛ غَلَبَ، وَمَالَ مَعَهُ الْآخَرُ بِالْعَرَضِ، وَفَعَلَ الْغَالِبُ مَطْلُوبَهُ بِالذَّاتِ؛ فَيَقْوَى الْفَاعِلُ، وَيَضْعُفُ التَّابِعُ بِنِسْبَةِ مَا يَقْوَى بِهِ الْمُتَبَوِّعُ.

وَلَا يَحْصُلُ السُّكُونُ لِلْمُرَكَّبِ إِلَّا بِالْفِعْلِ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى
يَنْمَحِقَ مِثْلُ الضَّعِيفِ فِي مِثْلِ الْقَوِيِّ، إِلَى أَنْ لَا يَبْقَى مِنَ الضَّعِيفِ إِلَّا مَا
يَتَقَوَّمُ وَيَتَحَقَّقُ بِهِ الْقَوِيُّ.

لَأَنَّ وُجُودَ الضَّعِيفِ شَرْطٌ فِي تَحَقُّقِ وُجُودِ الْقَوِيِّ، وَيَكْفِي فِيهِ رَأْسُ
نُقْطَةِ الْمَخْرُوطِ؛ لَأَنَّ الضَّعِيفَ الْمُتَنَاسِبَ يَقْتَضِي حُصُولَ هَيْئَةِ الْمَخْرُوطِ، لِأَنَّهُ
فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَضْعَفُ التَّابِعُ، وَيَقْوَى الْفَاعِلُ.

وَشَرَحُ حَالِ ذَلِكَ: أَنَّ الْوُجُودَ لَهُ وَجْهٌ إِلَى مِثْلِهِ وَمَطَالِبُهُ الطَّبِيعَةُ؛
وَهُوَ الْعَقْلُ، وَهُوَ وَزِيرُهُ، وَلِلْمَاهِيَةِ وَجْهٌ إِلَى مِثْلِهَا وَمَطَالِبُهَا الْحَبِيبَةُ؛ وَهُوَ
النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ، وَهِيَ وَزِيرُهَا.

وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ هُوَ ذَلِكَ الْمُرَكَّبُ مِنْهُمَا؛ ظَهَرَتْ فِيهِ الْوَاحِدِيَّةُ
بِصُورَتَيْهَا، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ لَهُ جِسْمٌ وَاحِدٌ، وَجَسَدٌ وَاحِدٌ، وَاسْمٌ وَاحِدٌ،
وَأَلَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَوَجَبَ فِي ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا صَالِحَةً لاسْتِعْمَالِ الْوُجُودِ
لَهَا عَلَى الْإِنْفِرَادِ بِمُقْتَضَى فِعْلِهِ، كَمَا قُلْنَا.

وَصَالِحَةُ لاسْتِعْمَالِ الْمَاهِيَةِ لَهَا عَلَى الْإِنْفِرَادِ بِمُقْتَضَى فِعْلِهَا، وَكَذَلِكَ
مُتَعَلِّقَاتُ أَفْعَالِهَا مِنَ الْمَاكِلِ وَالْمَشَارِبِ، وَالْمَلَابِسِ وَالْمَنَاجِحِ.. وَغَيْرَ ذَلِكَ،
وَكُلٌّ مِنْهُمَا صَالِحٌ لاسْتِعْمَالِهَا عَلَى الْإِنْفِرَادِ، وَهِيَ كَافِيَةٌ لِلْوُجُودِ إِذَا
اسْتَعْمَلَهَا بِوَاسِطَةِ الْعَقْلِ، بِحَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ فِي جَمِيعِ مِوَلَاتِهِ لَا
يُوجَدُ فِي مُقْتَضَى الْعَقْلِ مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَكَذَلِكَ الْمَاهِيَةِ، بَلْ تَكُونُ تِلْكَ
الْأُمُورُ مُعْنِيَةً لِكُلِّ مِنْهُمَا فِي كُلِّ شَيْءٍ.

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ الْعَقْلَ فِي الْإِنْسَانِ وَالنَّفْسَ الْأَمَّارَةَ مَرءَانَانِ:

مِرَاةَ الْعَقْلِ؛ عَنْ يَمِينِ الْقَلْبِ، وَوَجْهَهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَنْطَبِعُ فِيهِ
صُورَةُ الرَّأْسِ الْمُخْتَصِّ بِهِ مِنَ الْعَقْلِ الْأَوَّلِ، وَعَلَى الْأُذُنِ الْيُمْنَى مِنَ الْقَلْبِ
الَّتِي هِيَ بَابُ وَحْيِهِ مَلَكٌ مُؤَيَّدٌ، وَتَحْتَهُ جُنُودٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، بَعْدَ
أَفْعَالِ الْعَقْلِ وَمُيُولَاتِ الْوُجُودِ، تُعِينُهُ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ.

وَمِرَاةَ النَّفْسِ؛ عَنْ يَسَارِ الْقَلْبِ، وَجْهَهَا إِلَى الْأَرْضِ، فَتَنْطَبِعُ فِيهَا
صُورَةُ الرَّأْسِ الْمُخْتَصِّ بِهَا مِنَ الْجَهْلِ الْأَوَّلِ، وَعَلَى الْأُذُنِ الْيُسْرَى مِنَ
الْقَلْبِ، الَّتِي هِيَ بَابُ وَحْيِهَا شَيْطَانٌ مُقْبِضٌ، وَتَحْتَهُ جُنُودٌ كَثِيرَةٌ مِنَ
الشَّيَاطِينِ، بَعْدَ أَفْعَالِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ، وَمُيُولَاتِ الْمَاهِيَةِ تُعِينُهُ عَلَى كُلِّ شَرٍّ.
وَكُلُّ مَلَكٍ مُوَكَّلٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ لَا غَيْرَ، وَضِدُّهُ شَيْطَانٌ مُوَكَّلٌ
بِضِدِّ مَا وَكِّلَ بِهِ الْمَلَكُ مِنَ الشَّرِّ لَا غَيْرَ، فَإِذَا طَلَبَ الْوُجُودَ مِنَ الْعَقْلِ شَيْئاً
مِنَ الْخَيْرِ، وَطَلَبَهُ الْعَقْلُ بِجُنُودِهِ؛ طَلَبَتِ الْمَاهِيَةُ ضِدَّهُ مِنَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ
بِجُنُودِهَا، فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا الْحَرْبُ.

فَإِنْ غَلَبَ الْعَقْلُ؛ قَتَلَ ذَلِكَ الْمَلَكُ ذَلِكَ الشَّيْطَانَ الْخَاصَّ بِمُضَادَّتِهِ،
وَذَلِكَ بِعَوْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنْ غَلَبَ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ؛ ذَهَبَ ذَلِكَ الْمَلَكُ عَنْ
ذَلِكَ الشَّخْصِ، وَلَحِقَ بِمَرْكَزِهِ مِنَ الْوُجُودِ يَعْبُدُ اللَّهَ، وَاسْتَوَلَى ذَلِكَ
الشَّيْطَانُ الْخَاصُّ عَلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ، وَذَلِكَ بِتَخْلِيَةٍ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

وَلِذَلِكَ مِثَالٌ وَبَيَانٌ عَلَى سَبِيلِ الْإِشَارَةِ.

فَالْأَوَّلُ: اعْلَمْ أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْجِدَارِ اسْتَتَارَ وَجْهُهُ
بِشُعَاعِ الشَّمْسِ، وَظَهَرَ الظِّلُّ مِنْ خَلْفِهِ، وَلَوْ لَا الْجِدَارُ لَمَا ظَهَرَ نُورُ

الشَّمْسِ وَإِنْ كَانَ مِنْهَا، وَلَوْ لَا الشَّمْسُ لَمَا ظَهَرَ الظِّلُّ مِنَ الْجِدَارِ وَإِنْ كَانَ مِنْهُ، فَلَا سِتَارَةَ مِنَ الشَّمْسِ بِالْجِدَارِ، وَالظِّلُّ مِنَ الْجِدَارِ بِالشَّمْسِ. وَاعْلَمْ؛ أَنَّا نُرِيدُ بِالْجِدَارِ نَفْسَ الثُّورِ مِنْ حَيْثُ نَفْسِهِ، لَا مِنْ حَيْثُ الشَّمْسِ.

فَالْإِسْتِنَارَةُ تَقَوَّمتْ بِنُورِ الشَّمْسِ تَقَوُّمُ صُدُورٍ، وَبِالْجِدَارِ تَقَوُّمُ تَحَقُّقٍ، وَالظِّلُّ تَقَوُّمُ بِالْجِدَارِ تَقَوُّمُ صُدُورٍ، وَبِنُورِ الشَّمْسِ تَقَوُّمُ تَحَقُّقٍ؛ **(ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا)** ^(١).

فَالْإِسْتِنَارَةُ آيَةُ الْحَسَنَةِ بِفِعْلِ الْعَبْدِ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ، وَالظِّلُّ آيَةُ الْمَعْصِيَةِ مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ بِقَدَرِ اللَّهِ.

وَالثَّانِي: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «وَذَلِكَ أَنِّي أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي» ^(٢)، وَهُوَ مَعْنَى: «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ»، أَي: أَنَا أَوْلَى بِهَا، «وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ» ^(٣)، أَي: أَنْتَ أَوْلَى بِهَا.

(١) اقتباس من سورة الفرقان، الآية: ٤٥.

(٢) ورد بطرق متعدّده، وبألفاظ مختلفه، راجع: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٢. تفسير العياشي، ج: ١، ص: ٢٥٨. تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٢١٠. التوحيد، ص: ٣٣٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٤٣. فقه الرضا عليه السلام، ص: ٣٤٩-٣٥٠. قرب الإسناد، ص: ١٥١. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٩.

كَمَا فِي الْمَثَالِ؛ تَقُولُ الشَّمْسُ: يَا جِدَارُ! أَنَا أَوْلَى بِالِاسْتِضَاءَةِ مِنْكَ؛ لَأَنَّهَا مِنْ نُورِي، وَإِنْ كَانَتْ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِالظِّلِّ مِنِّي؛ لِأَنَّهُ مِنْكَ، وَإِنْ كَانَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِي.

فَالْحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ أَوَّلًا وَبِالذَّاتِ، بِمَعْنَى: رَاجِحِيَّةُ جِهَةِ الْوُجُودِ فِيهَا؛ لِرُجُوعِهَا مِنْ جِهَةِ قَدْرِ اللَّهِ إِلَى فِعْلِهِ، وَبِالْعَبْدِ ثَانِيًا وَبِالذَّاتِ أَيْضًا؛ لِأَنَّهَا مِنْ وَجُودِهِ بِاللَّهِ، فَهِيَ مِنْ جِهَةِ فِعْلِ الْعَبْدِ، يَرْجِعُ إِلَى وَجُودِهِ الرَّاجِحِ إِلَى فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَالسَّيِّئَةُ مِنَ الْعَبْدِ أَوَّلًا وَبِالذَّاتِ، بِمَعْنَى: رَاجِحِيَّةُ مَا هِيَ فِيهَا، وَبِاللَّهِ ثَانِيًا وَبِالْعَرَضِ، بِمَعْنَى: الْمُسَاوَقَةِ فِي الْوُجُودِ، وَتَحَقُّقِ الْمَاهِيَةِ بِالْوُجُودِ الْمُتَقَوِّمِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَمَشِيئَةُ الْعَبْدِ لِلْحَسَنَةِ بِالذَّاتِ مِنْ مَشِيئَةِ اللَّهِ لَهَا بِالذَّاتِ، وَمَشِيئَةُ الْعَبْدِ لِلْسَّيِّئَةِ بِالذَّاتِ مِنْ مَشِيئَةِ اللَّهِ لَهَا بِالْعَرَضِ، عَلَى نَحْوِ مَا أَشْرْنَا لَكَ إِلَيْهِ.

وَاسْأَلْكَ طَرِيقًا بَيْنَ هَذِهِ الْحُدُودِ جَامِعًا لَهَا عَلَى نَحْوِ مَا يَأْتِي، وَهَذَا الطَّرِيقُ الْجَامِعُ هُوَ سَبِيلُ اللَّهِ، (فَاسْأَلْكَ سَبِيلَ رَبِّكَ ذُلًّا) ^(١).

وَأَصْلُ الْمَسْأَلَةِ: هُوَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الشَّيْءَ يَتَحَقَّقُ بِوُجُودِهِ وَمَاهِيَّتِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا قِيَامَ لَهُ بِنَفْسِهِ، لَا فِي أَفْرَادِهِ وَلَا فِي الْمَجْمُوعِ، وَإِنَّمَا يَتَقَوَّمُ بِأَمْرِ اللَّهِ قِيَامَ صُدُورٍ، فَهُوَ قَائِمٌ بِهِ قِيَامَ صُدُورٍ، فَهُوَ طَرِيقٌ أَبَدًا.

وَالِيهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾^(١)، وَفِي دُعَاءِ يَوْمِ السَّبْتِ - رَوَاهُ فِي الْمَصْبَاحِ - قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُلُّ شَيْءٍ سِوَاكَ قَامَ بِأَمْرِكَ»^(٢).

إِلَّا أَنَّهُ فِي كُلِّ حَالٍ نَهْرٌ يَجْرِي مُسْتَدِيرًا اسْتِدَارَةً صَحِيحَةً. وَلَيْسَ قَوْلُنَا: "أَنَّهُ نَهْرٌ يَجْرِي"؛ أَنَّهُ دَائِرَةٌ، بَلْ هُوَ كُرَةٌ مُجَوَّفَةٌ، وَأَفْعَالُهُ أَيْضًا قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ جِهَةٍ مَا تَقَوَّمتْ بِهِ ذَاتُهُ تَقَوُّمًا تَبَعِيًّا عَلَى نَحْوِ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ سَابِقًا.

وَالْمُرَادُ بِالتَّبَعِيِّ: أَنْ يَكُونَ نِسْبَةُ مَا تَقَوَّمتْ بِهِ الْأَفْعَالُ إِلَى مَا تَقَوَّمتْ بِهِ الذَّاتُ نِسْبَةَ الشُّعَاعِ إِلَى الْمُنِيرِ نِسْبَةً وَاحِدٍ مِنْ سَبْعِينَ. فَالذَّاتُ قَامَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَفْعَالُهَا قَامَتْ بِتَوَرُّدِ ذَلِكَ الْأَمْرِ، وَاخْتِلَافُهَا عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ، فَالْأَمْرُ هُوَ الْحَفِظُ لَهَا كَمَا ذَكَرْنَا، وَالْفِعْلُ الْمَحْفُوظُ مُسْتَنَدٌ إِلَى فَاعِلِهِ الْمَحْفُوظِ، وَحَفِظَ الْاسْتِنَادَ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ أَيْضًا.

وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى إِشَارَةٌ بِقَوْلِ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ، وَالْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ»^(٣).

(١) سورة الروم، الآية: ٢٥.

(٢) مصباح المتعجب، ص: ٤٣١. البلد الأمين، ص: ٩٧. بحار الأنوار، ج: ٨٧، ص: ١٤٨.

(٣) عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، ذكر عنده الخبر

وَالِاخْتِيَارُ الَّذِي فِي الْعَبْدِ نَشَأٌ مِنْ اقْتِضَاءِ الضَّدَّيْنِ: الوجودَ وَالْمَاهِيَّةَ؛ لِقِطْعَاءِ مَا لَهُمَا كَمَا مَرَّ، وَمِنْ خَلْقِ آلَةِ الصَّالِحَةِ لِلْمُتَضَادَّيْنِ، وَمِنْ الْإِسْطِطَاعَةِ لِلْفِعْلِ فِي الْفِعْلِ، وَمِنْ إِمْكَانِهَا قَبْلَ الْفِعْلِ -أي: الصَّحَّة- وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ الْعَبْدُ بِهَا مُتَحَرِّكًا مُسْتَطِيعًا لِلْفِعْلِ؛ وَلِأَنَّهُ أَثَرُ الْمُخْتَارِ فَيَكُونُ مُخْتَارًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(١).

فَإِذَا فَعَلَ الْعَبْدُ الْمُخْتَارُ الْمُتَقَوِّمَ بِأَمْرِ اللَّهِ فِعْلَهُ الْمُتَقَوِّمَ بِنُورِ أَمْرِ اللَّهِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى تَرْكِهِ، كَانَ قَدْ فَعَلَ فِعْلَهُ وَحْدَهُ بِقَدْرِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ الْمَحْفُوظَ

→...

وَالْتَفْوِيزُ فَقَالَ: «أَلَا أُعْطِيكُمْ فِي هَذَا أَصْلًا لَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَلَا تُخَاصِمُونَ عَلَيْهِ أَحَدًا إِلَّا كَسَرْتُمُوهُ. قلنا: إن رأيت ذلك.

فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يُطِغْ بِإِكْرَاهٍ، وَلَمْ يُغْصَ بِغَلَبَةٍ، وَلَمْ يُهْمَلِ الْعِبَادَ فِي مُلْكِهِ، هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ، وَالْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ ائْتَمَرَ الْعِبَادُ بِطَاعَتِهِ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ عَنْهَا صَادًّا، وَلَا مِنْهَا مَانِعًا، وَإِنْ ائْتَمَرُوا بِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ فَعَلَّ، وَإِنْ لَمْ يَحُلْ وَفَعَلُوهُ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَذْخَلَهُمْ فِيهِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: مَنْ يَضْبِطْ حُدُودَ هَذَا الْكَلَامِ فَقَدْ خَصِمَ مَنْ خَالَفَهُ». [التوحيد،

ص: ٣٦١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤١٤. الاختصاص، ص: ١٩٨. إرشاد

القلوب، ج: ١، ص: ١٦٣. تحف العقول، ص: ٣٧. العدد القوية، ص: ٣٤.

عيون أخبار الرضا ﷺ، ج: ١، ص: ١٤٤. كشف الغمة، ج: ٢، ص:

[٢٨٩].

مُسْتَنَدٌ إِلَى فِعْلِهِ الْمَحْفُوظِ وَخَذَهُ، فَبَقَدَرَ اللَّهُ تَقَوَّمَ الْفَاعِلُ وَالْفِعْلُ، وَتَقَوَّمَ اسْتِنَادُهُ إِلَى فَاعِلِهِ.

وَالِى ذَلِكَ يُشِيرُ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾^(١)، فَقَدَرَ اللَّهُ رُوحَ فِعْلِ الْعَبْدِ، وَفِعْلَ الْعَبْدِ جَسَدَهُ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ، وَهُوَ سِرُّ الْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

وَمِثَالُ ذَلِكَ التَّقَوُّمُ: كَمَا تَقَوَّمتُ الاستِضَاءَةَ فِي الْجِدَارِ بِنُورِ الشَّمْسِ، فَالْأَمْرُ: وَجْهَ الشَّمْسِ.

وَالنُّورُ الَّذِي هُوَ الْمَاءُ: نُورُ الشَّمْسِ الْمُنْبَثِّ.

وَالاستِضَاءَةُ فِي الْجِدَارِ: وَجُودُ الْإِنْسَانِ.

وَالجِدَارُ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ، وَهُوَ نَفْسُ الاستِضَاءَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ مَاهِيَّتُهُ وَفِعْلُهُ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهِ؛ هُوَ مَثَلُ الانْعِكَاسِ عَنِ الاستِضَاءَةِ، وَهُوَ نَوْعَانِ: فَمَا انْعَكَسَ عَنْهَا مِنْ جِهَةِ نُورِ الشَّمْسِ؛ فَهُوَ خَيْرٌ وَنُورٌ، وَحَسَنَةٌ وَطَاعَةٌ. وَمَا انْعَكَسَ عَنْهَا مِنْ جِهَةِ نَفْسِهَا؛ فَهُوَ شَرٌّ وَظُلْمَةٌ، وَسَيِّئَةٌ وَمَعْصِيَةٌ.

فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ: فِعْلُ الْعَقْلِ عَنِ الْوُجُودِ.

وَالثَّانِي: فِعْلُ النَّفْسِ عَنِ الْمَاهِيَّةِ، فَتَفْهَمُ.

وَاعْلَمْ؛ أَنَّ الْمَاهِيَّةَ مَوْجُودَةٌ بِوُجُودِ الْوُجُودِ مَا دَامَ مَوْجُودًا، وَإِذَا لَمْ تُوجَدْ لَمْ يُوجَدْ الْوُجُودُ؛ لِأَنَّهَا شَرْطٌ لِلِإِيجَادِ، وَتَمَامُ الْقَابِلِيَّةِ لِلِإِيجَادِ كَالْعَكْسِ.

وَإِنَّمَا قَالُوا: "أَنَّهَا عَدَمٌ مَا شَمَّتْ رَائِحَةُ الْوُجُودِ"؛ لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنَّهَا لَمْ تُوجَدْ أَوَّلًا وَبِالذَّاتِ قَطْ؛ لَا أَنَّهَا لَمْ تُوجَدْ أَصْلًا، بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ بِفَاضِلِ إِيجَادِ الْوُجُودِ كَمَا قُلْنَا آنفًا.

وَذَلِكَ الْفَاضِلُ إِذَا تُسَبَّ إِلَى إِيجَادِ الْوُجُودِ كَانَ نِسْبَةً الْوَاحِدِ مِنْ سَبْعِينَ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الْآثَارِ وَالصِّفَاتِ، هَذَا فِي الظَّاهِرِ.

أَمَّا فِي الْحَقِيقَةِ الْمُطَابَقَةِ لِلْوَاقِعِ: فَهِيَ مَوْجُودَةٌ بِوُجُودِ آخَرَ، مُسْتَقِلٌّ فِي نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ مُتَرْتِبًا عَلَى الْأَوَّلِ، فَإِنَّ نِسْبَةَ وُجُودِهِ إِلَى الْأَوَّلِ كَنِسْبَةِ وُجُودِ الْإِنْكَسَارِ إِلَى وُجُودِ الْكَسْرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَوَّلَ مِنْ تَمَامِ قَابِلِيَّةِ وُجُودِهَا لِلِإِيجَادِ، فَالْوُجُودُ فِي الْأَوَّلِ مَوْجُودٌ بِالِإِيجَادِ الَّذِي هُوَ الْفِعْلُ، أَوْجَدَهُ بِنَفْسِهِ، لَا بِوُجُودِ مُغَايِرٍ لِنَفْسِهِ.

وَإِنْ إِيجَادُهُ بِنَفْسِهِ إِدَارَتَهُ بِنَفْسِهِ كُرَّةٌ تَدُورُ عَلَى نُقْطَةٍ هِيَ الْحَرَكَةُ الْكُونِيَّةُ مِنَ الْفِعْلِ، وَالْكُرَّةُ الظَّاهِرَةُ تَدُورُ عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي، وَالْبَاطِنَةُ عَلَى التَّوَالِي، وَفِي الثَّانِي مَوْجُودٌ بِنُورِ إِيجَادِ الْأَوَّلِ مِنَ الْفِعْلِ، وَهُوَ نُقْطَةٌ تَدُورُ نَفْسُ الْمَاهِيَّةِ عَلَيْهَا عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي، وَالْمَاهِيَّةُ تَدُورُ عَلَى نَفْسِهَا عَلَى خِلَافِ هَيْئَتِهَا، وَخِلَافِ التَّوَالِي، وَعَلَى الْوُجُودِ فِي جِهَةٍ غَيْرِ جِهَتِهِ.

فَحَصَلَ مِنَ الْوُجُودِ وَالْمَاهِيَّةِ كُرَّتَانِ مُتَدَاخِلَتَانِ فِي الْأَجْزَاءِ، مُتَمَازِجَتَانِ فِي الذَّرَّاتِ، مُتَقَابِلَتَانِ فِي السُّطُوحِ، مُخْتَلِفَتَانِ فِي الدُّوَرَانِ،

وَتَمَازُجِهِمَا مِنْ غَيْرِ اسْتِهْلَاكِ شَيْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِمَا وَذَرَاتِهِمَا فِي الْآخِرِ، وَلَا اسْتِبَانَةَ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا فِي الْإِعْتِبَارِ وَالْأَفْعَالِ وَالْمِيلِ؛ لِاخْتِلَافِ الشَّهَوَتَيْنِ، لَتَعَاوُدِ الدَّائِتَيْنِ.

وَكُلَّمَا قَرُبَ مِنَ النُّقْطَةِ الْكُونِيَّةِ كَانَ أَنْوَرُ؛ لِغَلَبَةِ الْوُجُودِ، وَكُلَّمَا بَعُدَ كَانَ أَشَدَّ ظُلْمَةً؛ لِغَلَبَةِ الْمَاهِيَّةِ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّدَّةُ وَالضَّعْفُ إِلَى نُقْطَةِ الْحَرَكَةِ الْكُونِيَّةِ، وَإِلَى مُحَدَّبِ الْكُرَّةِ، فَتَنْتَهِيَ الظُّلْمَةُ فِي جِهَةِ الْحَرَكَةِ الْكُونِيَّةِ إِلَى نُقْطَةٍ عِنْدَ وَجْهِ الْحَرَكَةِ الْكُونِيَّةِ، فَتَبْعُدُ مُنْفَرِجَةً عَلَى هَيْئَةِ مَخْرُوطَةٍ قَاعِدَتَهُ مُحَدَّبُ الْكُرَّةِ الظَّاهِرَةِ، وَيَنْتَهِيَ الثُّورُ فِي جِهَةِ مُحَدَّبِ الْكُرَّةِ إِلَى نُقْطَةٍ عَلَى هَيْئَةِ مَخْرُوطٍ قَاعِدَتِهِ عِنْدَ وَجْهِ الْحَرَكَةِ الْكُونِيَّةِ.

فَتَدْوُرُ الْكُرَّتَانِ الْمُتَمَرِّجَتَانِ عَلَى وَجْهِ الْحَرَكَةِ الْكُونِيَّةِ فِي الْخَلْقِ تَحْتَ الْحِجَابِ الْأَحْمَرِ بِنِثَالِثِ حَرَكَاتٍ أَبَدًا:

حَرَكَةُ الْوُجُودِ الدَّائِيَّةِ عَلَى التَّوَالِي.

وَحَرَكَةُ الْمَاهِيَّةِ الدَّائِيَّةِ عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي.

وَالْحَرَكَةُ الثَّلَاثَةُ عَرْضِيَّةٌ؛ فَفِي حَالِ الطَّاعَةِ تَدْوُرُ الْمَاهِيَّةُ بِالْحَرَكَةِ الْعَرْضِيَّةِ عَلَى التَّوَالِي، وَبِحَرَكَتِهَا الدَّائِيَّةِ عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي، وَفِي حَالِ الْمَعْصِيَةِ يَدْوُرُ الْوُجُودُ بِالْحَرَكَةِ الْعَرْضِيَّةِ عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي، وَبِحَرَكَتِهِ الدَّائِيَّةِ عَلَى التَّوَالِي.

فَإِذَا تَتَابَعَتِ الطَّاعَاتُ ضَعُفَتْ حَرَكَةُ الْمَاهِيَّةِ الدَّائِيَّةِ وَأَبْطَأَتْ، وَأُسْرِعَتْ عَرْضِيَّتُهَا، وَإِذَا تَتَابَعَتِ الْمَعَاصِي ضَعُفَتْ حَرَكَةُ الْوُجُودِ الدَّائِيَّةِ وَأَبْطَأَتْ، وَأُسْرِعَتْ عَرْضِيَّتُهُ؛ وَلِأَجْلِ أَنَّ الْحَرَكَةَ الدَّائِيَّةَ لَا تَتَّبِعُ الدَّائِيَّةَ أَبَدًا،

وَأِنَّمَا تَتَّبِعِ بِالْعَرَضِيَّةِ؛ ثَقُلَتِ الطَّاعَةُ وَالْمَعْصِيَةُ لِحُصُولِ التَّعَاكُسِ، حَتَّى يَفْنَى
اعْتِبَارُ أَحَدِهِمَا لِمِيلِهِ، فَيُخَفِّفُ مُقْتَضَى الْمَوْجُودِ الْمِيلَ.
وَتَدُورُ الْكُرَّتَانِ عَلَى وَجْهِ الْحَرَكَةِ الْكَوْنِيَّةِ فِي الرِّزْقِ تَحْتَ الْحِجَابِ
الْأَبْيَضِ بِثَلَاثِ حَرَكَاتٍ:

حَرَكَةُ الْوُجُودِ الذَّاتِيَّةِ لِمَدَدِ الرِّزْقِ عَلَى التَّوَالِي.
وَحَرَكَةُ الْمَاهِيَةِ الذَّاتِيَّةِ لِمَدَدِ الْحِرْمَانِ عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي.
وَالْحَرَكَةُ الثَّلَاثَةُ عَرَضِيَّةٌ؛ فَفِي حَالِ الرِّزْقِ تَدُورُ الْمَاهِيَةُ بِالْحَرَكَاتِ
الْعَرَضِيَّةِ عَلَى التَّوَالِي، وَبِالذَّاتِيَّةِ بِالْعَكْسِ، وَفِي حَالِ الْحِرْمَانِ يَدُورُ الْوُجُودُ
بِالْعَرَضِيَّةِ عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي، وَبِالذَّاتِيَّةِ بِالْعَكْسِ.
وَتَدُورُ الْكُرَّتَانِ عَلَى وَجْهِ الْحَرَكَةِ الْكَوْنِيَّةِ تَحْتَ الْحِجَابِ الْأَخْضَرِ
بِثَلَاثِ حَرَكَاتٍ فِي الْمَوْتِ:

حَرَكَةُ الْوُجُودِ الذَّاتِيَّةِ عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي.
وَحَرَكَةُ الْمَاهِيَةِ الذَّاتِيَّةِ عَلَى التَّوَالِي.
وَعَرَضِيَّتُهُمَا عَلَى الْعَكْسِ.
وَتَدُورُ الْكُرَّتَانِ عَلَى وَجْهِ الْحَرَكَةِ الْكَوْنِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ، تَحْتَ الْحِجَابِ
الْأَصْفَرِ بِثَلَاثِ حَرَكَاتٍ، كُلُّ وَاحِدَةٍ بَعَكْسِهَا فِي الْمَوْتِ فِي الذَّاتِيَّةِ
وَالْعَرَضِيَّةِ.

فَكَانَ لِلْوُجُودِ وَالْمَاهِيَةِ فِي مَرَاتِبِ الْوُجُودِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي بَنَى اللَّهُ عَلَيْهَا
الْعَرْشَ، وَتَجَلَّى الرَّحْمَنُ بِأَفْعَالِهِ عَلَى الْعَرْشِ بِهَا، وَهِيَ: الْخَلْقُ وَالرِّزْقُ،
وَالْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ^(١)؛ اثْنَتَا عَشْرَةَ حَرَكَةً، ثَمَانِ ذَاتِيَّاتٍ، وَأَرْبَعِ عَرَضِيَّاتٍ فِي عَالَمِ الْمَعَانِي عَالَمِ الْجَبَرُوتِ.

وَاثْنَتَا عَشْرَةَ حَرَكَةً كَذَلِكَ فِي عَالَمِ الصُّورِ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ اثْنَتَا عَشْرَةَ حَرَكَةً كَذَلِكَ فِي عَالَمِ الْأَجْسَامِ عَالَمِ الْمُلْكِ، وَفِي عَالَمِ الرِّقَاقِ عَالَمِ الْأَظْلَةِ كَذَلِكَ، وَفِي عَالَمِ الْأَشْكَالِ عَالَمِ الْمَثَالِ كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ عَرَضِيَّتَهُمَا فِي عَالَمِ الْجَبَرُوتِ بِالْقُوَّةِ، وَفِي عَالَمِ الْأَظْلَةِ بِالتَّهْيُؤِ، وَفِي مَا دُونَ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ.

فَهَذِهِ سِتُّونَ حَرَكَةً لِلْوُجُودِ وَالْمَاهِيَةِ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ ذَاتِيَّةً، وَعِشْرُونَ عَرَضِيَّةً.

وَاعْلَمْ؛ أَنَّ لِلْوُجُودِ وَالْمَاهِيَةِ بِاعْتِبَارِ ذَرَاتِهِمَا حَرَكَةً دَهْرِيَّةً غَيْرَ حَرَكَةِ الْكُلِّ، فَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنَ الْوُجُودِ تَدُورُ عَلَى وَجْهِهَا لَا إِلَى جِهَةٍ، وَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنَ الْمَاهِيَةِ تَدُورُ عَلَى وَجْهِهَا لَا إِلَى جِهَةٍ، وَكَذَلِكَ نِهَايَاتِ كُلِّ مِنْهُمَا.

وَلِكُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَجْمُوعِ حُكْمٌ فَلِكِ التَّدْوِيرِ فِي الْحَامِلِ مِنَ الْإِسْرَاعِ وَالْإِنْطَاءِ، وَالْإِقَامَةِ وَالرُّجُوعِ، وَحُكْمِ الْمَجْمُوعِ فِي الْحَاجَةِ وَالْاسْتِمْدَادِ وَالْكَرَوِيَّةِ.

فَكُلُّ مُتَوَجِّهٍ إِلَى مَبْدَئِهِ، وَاقِفٌ بِمَسَائِلَتِهِ بِيَابِ رَبِّهِ، لَا يَزِيدُ فِي فَقْرِهِ بِجَنَابِ غِنَاهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ عَرْضِيَّةَ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَا هِيَ جِهَةٌ فَقَرَهُ إِلَى ضِدِّهِ،
فَعَرْضِيَّةُ الوجودِ جِهَةٌ فَقَرَهُ إِلَى الماهِيَّةِ فِي الظُّهُورِ، وَعَرْضِيَّتُهَا جِهَةٌ فَقَرَهَا
إِلَى الوجودِ فِي التَّحَقُّقِ، فَلِهَذَا تَتَّبِعُ عَرْضِيَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ ذَاتِيَّةَ الْآخَرِ.

قلتُ:

الفائدةُ الثانيةُ عشرُ في بيانِ ثبوتِ الاختيارِ

اعْلَمْ؛ أَنَّ الاختِيَارَ نَشَأَ مِنْ مِيلِ الْوُجُودِ إِلَى مَا يُنَاسِبُهُ، وَمِنْ مِيلِ
الْمَاهِيَةِ إِلَى مَا يُنَاسِبُهَا كَمَا ذَكَرْنَا مِرَارًا، وَهُوَ ذَاتِيٌّ وَفِعْلِيٌّ.
فَالأَوَّلُ: هُوَ اسْتِدَارَةُ الشَّيْءِ بَوَجْهِ افْتِقَارِهِ عَلَى قُطْبِ اسْتِعْنَائِهِ، أَيِ:
مَا يَطْلُبُ مِنْهُ الاسْتِعْنَاءُ، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى هَذَا فِيمَا سَبَقَ مِنْ حَرَكَتِهِ عَلَى
قُطْبِهِ.

وَالثَّانِي: اسْتِدَارَتُهُ بِآلَاتِهِ عَلَى جِهَةِ قُطْبِهِ لِحَاجَةِ مَنْ أَحَدِهِمَا.
وَحَيْثُ كَانَ لِلشَّيْءِ مِيلَانِ مُتَعَاكِسَانِ يَكْتَفِي بِمُتَعَلِّقٍ أَحَدِهِمَا؛ جَاءَ
الِاخْتِيَارُ، فَهُوَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، هَذَا فِي الْمِيلِ الْفِعْلِيِّ.
وَأَمَّا الْمِيلُ الذَّاتِي: فَهُوَ مُخْتَارٌ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ شَقِيهِ، أَيِ: مُخْتَارٌ
فِي مِيلِ الْوُجُودِ نَفْسِهِ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ، وَفِي مِيلِ الْمَاهِيَةِ نَفْسِهَا إِلَى مَا
تَقْتَضِيهِ.

وَبَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّ الْوُجُودَ لَا يَشْتَهِي إِلَّا الثَّوْرَ، وَلَا يَشْتَهِي لِذَاتِهِ
الظُّلْمَةَ، وَإِنْ اشْتَهَاهَا بِالْعَرَضِ وَالْإِعْتِبَارِ الَّذِي هُوَ عَرَضِيٌّ.

وَلَا يُمَكِّنُ فِي ذَاتِهِ مِنْ حَيْثُ صُدُّوْرُهُ بِفَعْلِ اللَّهِ أَنْ يَشَاءَ الظُّلْمَةَ لَأَنَّهَا
جِهَةٌ الْمَاهِيَّةُ مِنْهُ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَشَاءَ إِلَّا يَشَاءَ مَا يَشَاءُوهُ، إِذِ الْمَشِئَةُ وَاحِدَةٌ،
فَلَا تَنْبَعُ حَيْثُ لَا تَنْبَعُ.

وَكَذَا الْكَلَامُ فِي الْمَاهِيَّةِ نَفْسِهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ.
وَلَا تَظُنَّ أَنَّ هَذَا مُنَافٍ لِمَا نَذَرُوهُ؛ مِنْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ
إِلَّا بِاخْتِيَارٍ، وَلَا جَبَرَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، لَا لَهَا وَلَا مِنْهَا؛ لِأَنَّ الْوُجُودَ لَا
شَيْئَةَ لَهُ إِلَّا فِي الْمَاهِيَّةِ، وَالْمَاهِيَّةُ لَا شَيْئَةَ لَهَا إِلَّا بِالْوُجُودِ، وَمَا لَيْسَ لَهُ فِي
حَقِيقَتِهِ حَقِيقَةٌ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ إِلَّا جِهَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُمَكِّنُ فِيهِ تَعَدُّدُ مِثْلِ أَوْ
اخْتِلَافُ انْبِعَاطٍ.

وَلَيْسَ هَذَا جَبْرًا؛ لِأَنَّ الْجَبَرَ: أَنْ يَمِيلَ الشَّيْءُ غَيْرَهُ عَلَى خِلَافِ
مُقْتَضَى ذَاتِهِ بِغَيْرِ مِثْلِ ذَاتِهِ، وَهَذَا بِمِثْلِ ذَاتِهِ، فَلَيْسَ جَبْرًا، فَهُوَ اخْتِيَارٌ، إِذِ
لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا.

إِلَّا أَنْ يُقَالَ عَلَيْهِ: أَنَّهُ جُزْءُ اخْتِيَارٍ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنَ الْاخْتِيَارِ: هُوَ
الْمِيلُ إِلَى جِهَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ، لِذَاعِيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ عَنِ الْإِرَادَةِ الْمُرَكَّبَةِ مِنْ ذَلِكَ
الشَّيْءِ الْمُرَكَّبِ، فَهَذَا الْاخْتِيَارُ هُوَ الْاخْتِيَارُ النَّاقِصُ.

وَنَظِيرُهُ: الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ فِي الْحَرْفِ، فَإِنَّهُ إِذَا ضُمَّ إِلَى غَيْرِهِ تَمَّ
الْمَعْنَى.

وَلَا يُقَالُ: أَنَّ هَذَا هُوَ اخْتِيَارُ الْوَاجِبِ لِبَسَاطَةِ ذَاتِهِ، فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا
اخْتِيَارُ جِهَةٍ، كَمَا قَالَه كَثِيرُونَ؛ مِنْ أَنَّ وَحْدَةَ مَشِئَتِهِ تُنَافِي الْاخْتِيَارَ، وَإِنْ

أَمْرٍ "إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ"؛ فَحُكْمُ رَاجِعٍ إِلَى الْمُمْكِنِ مِنْ حَيْثُ هُوَ.

لَأَنَّ هَذَا بَاطِلٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْاِخْتِيَارَ الْمَنْسُوبَ إِلَى الْمُمْكِنِ بِحَيْثُ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ فَإِنَّمَا ذَلِكَ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَثَرٍ مُشَابِهٍ لِصِفَةِ مُؤَثِّرِهِ، وَهُوَ مَا فِي الْمَشِئَةِ فِي نَفْسِهَا، إِذْ جَمِيعُ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى الْمُمْكِنِ مِنْ فِعْلٍ وَانْفِعَالٍ وَإِضَافَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ صِفَةُ لِدَاتِ ذَلِكَ الْمُمْكِنِ.

فَمَا لَا يُمَكِّنُ فِي تِلْكَ الدَّاتِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ أَوْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، وَلَا يُمَكِّنُ فِي ذَاتِهِ إِلَّا مَا يُمَكِّنُ فِي الْمَشِئَةِ، وَلَا يُمَكِّنُ فِي الْمَشِئَةِ إِلَّا مَا يُمَكِّنُ فِي الْعِلْمِ، وَهُوَ الدَّاتُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَاخْتِيَارُ الْمُمْكِنِ أَثَرٌ لِاخْتِيَارِ الْمَشِئَةِ، وَاخْتِيَارُ الْمَشِئَةِ أَثَرٌ لِاخْتِيَارِ الْوَاجِبِ.

فَإِنْ قِيلَ: هَلْ يَعْلَمُ فِي الْأَزَلِّ زَيْدًا فِي الْحُدُوثِ أَنَّهُ حَيَوَانٌ نَاطِقٌ، أَمْ لَا؟، فَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ؛ لَمْ يَجْزُ إِلَّا يَخْلُقْهُ، أَوْ يَخْلُقْهُ فَرَسًا، وَإِلَّا انْقَلَبَ عِلْمُهُ جَهْلًا، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ؛ لَزِمَ الْجَهْلُ بِمَا سَيَكُونُ، وَهُوَ بَاطِلٌ بِالضَّرُورَةِ، فَوَجَبَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ حَيَوَانٌ نَاطِقٌ.

وَالْمَشِئَةُ صِفَةٌ تَابِعَةٌ لِلْعِلْمِ، فَيَجِبُ أَنْ يَخْلُقْهُ كَذَلِكَ، وَلَا يُمَكِّنُ فِي حَقِّهِ غَيْرُ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ زَيْدٌ فِي نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُمَكِّنًا فِي حَقِّهِ التَّغْيِيرِ.

قُلْنَا: هُوَ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ، وَمَا يَشَاءُ أَنْ يُغَيِّرَ إِلَى مَا شَاءَ، فَكُلُّ طَوْرٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْمُمْكِنُ عَلَيْهِ فَهُوَ يَعْلَمُهُ، وَكُلُّ اِحْتِمَالٍ فِيمَا يَشَاءُ فَهُوَ يَعْلَمُهُ، وَيَعْلَمُ مَا يَكُونُ مِمَّا يَشَاءُ، حِينَ يَشَاءُ، كَيْفَ يَشَاءُ.

فَإِذَا عِلْمَ زَيْدًا أَنَّهُ سَيَكُونُ حَيَوَانًا نَاطِقًا فَهُوَ فِي عِلْمِهِ، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُغَيَّرَ إِلَى مَا يَشَاءُ فَهُوَ فِي عِلْمِهِ، فَإِذَا أَرَادَ غَيْرَ مَا شَاءَ كَيْفَ يَشَاءُ، وَفِي كُلِّ تَغْيِيرٍ وَتَقْرِيرٍ، وَمَحْوٍ وَإِثْبَاتٍ، فَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ فِي عِلْمِهِ، فَتَغْيِيرُ مَا عِلْمٌ إِذَا تَقْرِيرٌ لِمَا عِلْمٌ؛ لِأَنَّهُ شَاءَ مَا عِلْمٌ، فَإِذَا شَاءَ تَغْيِيرُهُ كَانَ شَائِيًا لِمَا عِلْمٌ، سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ، لَا يَقْدِرُ الْوَاصِفُونَ وَصْفَهُ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ جَمِيعَ مَا يُمَكِّنُ فِي الْمُمْكِنِ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ مَشِيئَتِهِ، وَمَا فِي مَشِيئَتِهِ فِي عِلْمِهِ، فَإِذَا عِلْمٌ أَنَّ زَيْدًا يَكُونُ فِي الْوَقْتِ الْمَخْصُوصِ، فِي الْمَكَانِ الْمَخْصُوصِ، ثُمَّ انْتَقَلَ زَيْدٌ عَنِ الْمَكَانِ؛ كَانَتْ الْحَالَةُ الْأُولَى فِي عِلْمِهِ، وَالْحَالَةُ الثَّانِيَّةُ فِي عِلْمِهِ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ، بَلْ هُوَ الثَّبَاتُ، إِلَّا أَنَّهُ فِي الْمَكَانِ الْأَوَّلِ فِي عِلْمِهِ فِي الْمَكَانَيْنِ، فَإِذَا كَانَ فِي الْأَوَّلِ وَقَعَ غَيْبُهُ عَلَى شَهَادَتِهِ، فَإِذَا انْتَقَلَ إِلَى الثَّانِي؛ فَارْقَتْ شَهَادَتُهُ غَيْبَهُ، وَوَقَعَ غَيْبُ الثَّانِي عَلَى شَهَادَتِهِ بِغَيْرِ تَغْيِيرٍ فِي الْعِلْمِ عَلَى الْحَالَيْنِ، وَإِنَّمَا تَغْيِيرَ زَيْدٍ بِتَغْيِيرِهِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّكَ إِذَا عَلِمْتَ زَيْدًا فِي مَكَانٍ فِي وَقْتٍ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ يَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى آخَرَ؛ لَا يَتَغَيَّرُ عِلْمُكَ إِذَا انْتَقَلَ كَمَا عَلِمْتَ، بَلْ كَانَ عِلْمُكَ ثَابِتًا، وَعِلْمُكَ بِهِ أَوَّلًا لَمْ يَتَغَيَّرْ بِتَغْيِيرِ حَالِ زَيْدٍ، بَلْ لَمْ تَزَلْ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِي الْأَوَّلِ، وَالصُّورَةُ الْعِلْمِيَّةُ مِنْ حَالَتِهِ الْأُولَى بَاقِيَةٌ عِنْدَكَ، وَالثَّانِيَّةُ الَّتِي طَابَقَهَا زَيْدٌ بِانْتِقَالِهِ بَاقِيَةٌ لَمْ تَتَغَيَّرْ، وَإِنَّمَا انْطَبَقَتْ وَوَقَعَتْ عَلَى الْمَعْلُومِ حِينَ انْتَقَلَ، فَافْهَم.

ثُمَّ إِنَّكَ تَقُولُ بِالْبَدَاءِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^(١)، وَهَذَا شَرْحُ مَا نَحْنُ فِيهِ، وَتَفْصِيلُ الْأَشْيَاءِ يَطُولُ بِهِ الْكَلَامُ، فَلَا فَائِدَةَ فِيهِ مَعَ ظُهُورِ الْمَرَامِ.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ مُخْتَارٌ، بِمَعْنَى: إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، وَلَيْسَ عَلَى حَدِّ اخْتِيَارٍ مَا ذَكَرْنَا فِي الْوُجُودِ الْبَسِيطِ.

وَلَا يُقَالُ: أَنَّ الْعِلَّةَ فِي الْوُجُودِ إِنَّمَا كَانَتْ لِبَسَاطَتِهِ، وَذَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَشَدُّ بَسَاطَةً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَيَجْرِي فِيهِ ذَلِكَ بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلِيِّ، فَيَكُونُ مَعْنَى أَنَّهُ مُخْتَارٌ: أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ بِقَصْدٍ وَرِضَاءٍ بِمَا فَعَلَ؛ لِأَنَّهُ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ؛ لِأَنَّ هَذَا مُقْتَضَى الْمُرَكَّبِ مِنَ الضَّدَّتَيْنِ كَمَا قَرَّرْتُمْ سَابِقًا.

لِأَنَّا نَقُولُ: قَدْ قَرَّرْنَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَّصِفُ بِجِهَتِي التَّقْيِصَيْنِ، وَبِجِهَتِي ارْتِفَاعِهِمَا، وَبِجِهَةِ الْمُرَكَّبِ مِنْ حَيْثُ بَسَاطَتِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا يُمَكِّنُ فِي غَيْرِهِ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، وَكُلَّمَا يَمْتَنِعُ فِي غَيْرِهِ يَجِبُ لَهُ.

وَلِهَذَا قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُنْهُهُ تَفْرِيقُ بَيْنِهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَغُيُورُهُ تَحْدِيدُهُ لِمَا سِوَاهُ»^(٢)، فَالْبَسِيطُ مِنْ حَيْثُ بَسَاطَتِهِ لَا تَصْدُرُ عَنْهُ آثَارُ الْمُرَكَّبِ وَبِالْعَكْسِ، هَذَا فِي الْخَلْقِ.

(١) كما قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾، سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٢) رواه محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن أبي الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، راجع: عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ج: ١، ص: ١٥١. الاحتجاج،

وَأَمَّا فِي ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَذَلِكَ بِخِلَافِ مَا يُمَكِّنُ فِي الْخَلْقِ، فَهُوَ الْعَالِي فِي دُنُوهِ، وَالْدَّانِي فِي عُلُوِّهِ بِجِهَةٍ وَاحِدَةٍ، الظَّاهِرُ بِيُطُونِهِ، الْبَاطِنُ بِظُهُورِهِ بِجِهَةٍ وَاحِدَةٍ، الْقَرِيبُ فِي بُعْدِهِ، وَالْبَعِيدُ فِي قُرْبِهِ بِجِهَةٍ وَاحِدَةٍ، الْأَوَّلُ بِآخِرِيَّتِهِ، الْآخِرُ بِأَوَّلِيَّتِهِ بِجِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا يَجْرِي ذَلِكَ وَمَا أَشَبَّهُهُ فِيمَا سِوَاهُ وَيَجِبُ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ.

فَهُوَ فِي بَسَاطَتِهِ أَحَدِي الْمَعْنَى، فَلَا تَكْثُرُ فِي ذَاتِهِ وَلَا تَعُدُّدٌ، وَلَا حَيْثٌ وَحَيْثٌ، وَلَا جِهَةٌ وَجِهَةٌ، وَلَا اخْتِلَافٌ فِي ذَاتِهِ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، لَا فِي الْإِمْكَانِ وَلَا فِي الْفَرَضِ وَالتَّوَهُّمِ، وَلَا فِي الْوَاقِعِ.

فَ«كُلُّ مَا مَيِّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَدَقِّ مَعَانِيهِ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ [مَصْنُوعٌ] مِثْلَكُمْ، مَرْدُودٌ إِلَيْكُمْ»^(١)، يَعْنِي: مِنْكُمْ إِلَيْكُمْ، «وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ»^(٢).

→

ج: ٢، ص: ٣٩٨. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٨. وورد في بعض المصادر قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَعُبُورُهُ تَجْدِيدٌ لِمَا سِوَاهُ». راجع: التوحيد، ص: ٣٦.

(١) روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر، راجع: بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٣.

وفي رواية أخرى قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُلَّمَا مَيِّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ، وَأَذَرْتُمُوهُ مَثَلًا فِي نُفُوسِكُمْ، وَمُصَوِّرًا فِي أَذْهَانِكُمْ؛ فَهُوَ مُحَدَّثٌ مَصْنُوعٌ مِثْلَكُمْ». [إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٧٢].

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٨.

وَمَعَ هَذَا فَهُوَ الْمُؤَلَّفُ بَيْنَ الْمُتَعَادِيَاتِ، وَالْجَامِعُ بَيْنَ الْمُعَانِدَاتِ، وَتَصَدَّرُ عَنْهُ الْأَفْعَالُ الْمُتَضَادَّةُ، فَلَيْسَ بَيْنَ فِعْلِهِ وَبَيْنَ مَا سِوَاهُ مُوَافَقَةٌ وَلَا مُخَالَفَةٌ؛ لِأَنَّهُ أَثَرُ ذَاتِهِ الَّتِي لَا يُضَادُّهَا شَيْءٌ، وَلَا يُنَادِّهَا شَيْءٌ، هُوَ هُوَ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

إِنَّمَا الشَّيْءُ مِنْ مَشِيئَتِهِ، فَفِعْلُ الشَّيْءِ وَتَرْكُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَشِيئَتِهِ سَوَاءٌ، فَهُوَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، بِجِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمَشِيئَةٍ وَاحِدَةٍ، كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي، كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي.

وَالْتَنْظِيرُ بِالْخَلْقِ تَشْبِيهُ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، وَفِي الدُّعَاءِ: «بَدَتْ قُدْرَتُكَ يَا إِلَهِي وَلَمْ تَبْدِ هَيْئَةُ يَا سَيِّدِي، فَشَبَّهْتُكَ وَأَتَّخَذُوا بَعْضَ آيَاتِكَ أَرْبَابًا يَا إِلَهِي، فَمَنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوكَ يَا إِلَهِي»^(١)، فَهَذَا حَالُ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ هَيْئَةً فَعَرَفَ بِهَا رَبَّهُ، وَالرَّبُّ لَا يُعَرَفُ بِخَلْقِهِ، بَلِ الْخَلْقُ يَعْرِفُونَ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَنَا عَالِمٌ وَهُوَ عَالِمٌ، وَأَنَا حَيٌّ وَهُوَ حَيٌّ، أَنَا مَوْجُودٌ وَهُوَ مَوْجُودٌ، وَلَا يَسْتَدِلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ وَصْفِهِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ إِلَّا بِمَا نَجِدُهُ.

هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بَدَتْ قُدْرَتُكَ يَا إِلَهِي وَلَمْ تَبْدِ هَيْئَةُ.. إلخ»^(٢)، إِنَّمَا وَصَفْنَاهُ بِالْعِلْمِ؛ لِأَنَّهُ خَلَقَ فِينَا الْعِلْمَ، وَبِالْحَيَاةِ لِحَلْقِهِ فِينَا الْحَيَاةَ، وَبِالْوُجُودِ لِلِإِجَادَانَا.

(١) ورد باختلافات يسيرة، راجع: مصباح التهجيد، ص: ١١٦. فلاح السائل،

ص: ٢٦١. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١١٠.

(٢) راجع المصدر السابق.

وَلَيْسَ هَذَا كَمَثَلِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا قَبْلَ مِنْكُمْ هَذِهِ التَّوَصِيَّاتُ وَتَعَبَّدَ كَمِ بِهَا؛ لِأَنَّهَا مَبْلَغُ وَسْعَتِكُمْ، وَحَقِيقَةُ ذَوَاتِكُمْ، الَّتِي تَعْرِفَ لَكُمْ بِهَا، بِمَا هُوَ كَمَالٌ عِنْدَكُمْ، وَأَنَّ الذَّرَّةَ لَتَزْعَمُ أَنَّ اللَّهَ زَبَانَيْنِ؛ لِأَنَّ كَمَالَهَا فِي وَجُودِهِمَا لَهَا^(١)، وَلِهَذَا قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَأَسْمَاؤُهُ تَغْيِيرٌ، وَصِفَاتُهُ تَفْهِيمٌ»^(٢)، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٣).

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ مَا نَجِدُ مِنَ الْاِخْتِيَارِ التَّامِ فَهُوَ أَثَرُ اخْتِيَارِ فِعْلِهِ، وَاخْتِيَارُ فِعْلِهِ أَثَرُ اخْتِيَارِ ذَاتِهِ، وَالْوُجُودُ بِأَثَرِهِ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهُ اضْطِرَارٌّ مَحْضٌ، وَلَا جَبَرٌ خَالِصٌ، بَلْ كُلُّهُ مُخْتَارٌ، وَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنَ الْوُجُودِ مُخْتَارَةٌ؛ لِأَنَّ أَثَرَ الْمُخْتَارِ مُخْتَارٌ.

وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ اشْتَرَكَ فِيهَا جَمِيعُ مَا خُلِقَ؛ الْإِنْسَانُ وَغَيْرُهُ، إِلَّا أَنَّهُ كُلَّمَا قَرَّبَ مِنَ الْفِعْلِ كَانَ أَقْوَى اخْتِيَارًا وَأَظْهَرَ، وَكُلَّمَا بَعُدَ كَانَ أَضْعَفَ

(١) عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «كُلَّمَا مَيَّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَذَقٍ مَعَانِيهِ؛ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مِثْلُكُمْ، مَرْدُودٌ إِلَيْكُمْ، وَلَعَلَّ التَّمَلُّ الصَّغَارَ تَتَوَهَّمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَبَانَيْنِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَمَالَهَا، وَتَتَوَهَّمُ أَنَّ عَدَمَهَا نُقْصَانٌ لِمَنْ لَهَا يَتَّصِفُ بِهِمَا، وَهَذَا حَالُ الْعُقَلَاءِ فِيمَا يَصِفُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ». [كلمات مكنونة، ص: ١٩. بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٢-٢٩٣].

(٢) التوحيد، ص: ٣٦. الأمل للمفيد، ص: ٢٥٥. الأمل للطوسي، ص: ٢٢. عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ج: ١، ص: ١٥١. العدد القوية، ص: ٢٩٥. تحف العقول، ص: ٦٣. أعلام الدين، ص: ٦٩. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٩.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٨٠.

اِخْتِيَارًا وَأَخْفَى، كَالْتُّورِ الْمُتَشَعِّشِ مِنَ الْمُنِيرِ، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْهُ كَانَ أَشَدَّ نُورًا، وَأَقْوَى إِظْهَارًا أَوْ ظُهُورًا، وَكُلَّمَا بَعُدَ كَانَ أَوْضَعَفَ وَأَخْفَى، حَتَّى يَنْتَهِيَ الْوُجُودُ، فَيَفْنَى الْاِخْتِيَارَ حَيْثُ يَفْنَى الْوُجُودُ، سَوَاءَ كَانَ ذَاتِيًّا أَمْ عَرَضِيًّا، كُلُّ بِحَسَبِهِ.

وَمَا تَرَى مِنَ الْمَجْبُورِ؛ كَنْزُولِ الْحَجَرِ الَّذِي لَا يَقْوَى ظَاهِرًا عَلَى الصُّعُودِ، فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَكَلَّ بِهِ مَلَكًا يَضَعُهُ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ، وَذَلِكَ مِمَّا يُمَكِّنُ فِي الْحَجَرِ مِنَ التَّنْزُولِ.

وَمَا تَرَى مِنَ الْمَجْبُورِ ظَاهِرًا؛ كَالْحَجَرِ الَّذِي يَدْفَعُهُ الشَّخْصُ إِلَى جِهَةِ الْعُلُوِّ فَيَصْعَدُ، مَعَ أَنَّ شَأْنَهُ التَّنْزُولُ، فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَكَلَّ بِهِ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِبَعْضِ الشَّخْصِ الدَّافِعِ، هُوَ أَقْوَى مِنَ الْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِالتَّنْزُولِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلِكَ الْمُوَكَّلَ بِالتَّنْزُولِ أَنْ يَمَثِلَ أَمْرَ الْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِالدَّفْعِ إِلَى انْتِهَاءِ شُعَاعِ ذَلِكَ الْمَلِكِ، وَشَهْوَةِ الْحَجَرِ فِي شَهْوَةِ الْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِالتَّنْزُولِ.

وَإِذَا انْتَهَى شُعَاعُ الدَّافِعِ اشْتَهَى الْمُنْزِلُ التَّنْزُولَ، وَاشْتَهَى الْحَجَرُ مَا اشْتَهَاهُ الْمَلِكُ، وَلَيْسَتْ فِي الْحَقِيقَةِ قَسْرًا، وَإِنَّمَا هِيَ شَهْوَةُ اِخْتِيَارٍ، كَشَهْوَةِ الْجَائِعِ لِلْأَكْلِ، فَإِنَّهُ يَأْكُلُ لِكُنْهَ مُخْتَارٍ.

مَعَ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الْجَائِعَ الَّذِي يَحْصَلُ لَهُ الطَّعَامُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْأَكْلِ مِنْهُ، وَلَيْسَ لَهُ مَانِعٌ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا مِنْ خَارِجٍ بِكُلِّ فَرَضٍ، لَا بُدَّ أَنْ يَأْكُلَ، مَعَ أَنَّهُ مُخْتَارٌ قَطْعًا.

هَذَا كَمَثَالِ الْحَجَرِ حَرْفًا بِحَرْفٍ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، وَلَكِنَّ الطَّرْفَ
الْآخَرَ مِنَ اخْتِيَارِ الْحَجَرِ - وَهُوَ عَدَمُ النُّزُولِ مِنْهُ بِاخْتِيَارِهِ - مَخْفِيٌّ جِدًّا؛
لَأَنَّ الْاِخْتِيَارَ مِنَ الْجَمَادَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ لَا يَعْرِفُهُ الْإِنْسَانُ، إِلَّا بِطَوْرِ وَرَاءِ
طَوْرِ الْعَقْلِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ بِأَبْنَاءِ نَوْعِهِ وَجِنْسِهِ، فَلَا يَعْرِفُ مِنَ الْاِخْتِيَارِ إِلَّا
مَا كَانَ مِنْ نَوْعِهِ كَالْإِنْسَانِ، وَمِنْ جِنْسِهِ كَالْحَيَوَانَ، وَإِذَا كَانَ مِمَّنْ لَهُ
طَوْرٌ مِنَ الْمَشَاعِرِ وَرَاءَ الْعَقْلِ؛ عَرَفَ اخْتِيَارَ النَّبَاتَاتِ وَالْجَمَادَاتِ.

وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ شَيْئَيْنِ: مِثَالًا، وَبَيَانًا، تَسْتَدِلُّ بِهِمَا عَلَى إِبْثَاتِ اخْتِيَارِ
النَّبَاتَاتِ وَالْجَمَادَاتِ وَشُعُورِهِمَا.

فَالْأَوَّلُ: اعْلَمْ أَنَّ الْوُجُودَ الصَّادِرَ عَنِ الْمَشِيئَةِ كَالنُّورِ الصَّادِرِ عَنِ
السَّرَاجِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَجْزَاءَ النُّورِ كُلَّمَا قُرِبَ مِنَ السَّرَاجِ كَانَ أَقْوَى نُورًا
وَحَرَارَةً وَيُبُوسَةً مِمَّا كَانَ أَبْعَدَ مِنْهُ.. وَهَكَذَا، حَتَّى يَكُونَ أَجْزَاءُ النُّورِ
أَضْعَفُ الْأَجْزَاءِ نُورًا وَحَرَارَةً وَيُبُوسَةً، فَإِذَا فَقِدَ النُّورُ فَقِدَتِ الْحَرَارَةُ
وَالْيُبُوسَةُ، لَا يُمَكِّنُ وُجُودُ أَحَدِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ بَدُونِ الْآخَرَيْنِ، بَلْ إِذَا
وُجِدَ وَاحِدٌ وَجِدَتِ الثَّلَاثَةُ، وَإِذَا فَقِدَ فَقِدَتِ الثَّلَاثَةُ.

فَكَذَلِكَ الْوُجُودُ الصَّادِرُ عَنِ الْمَشِيئَةِ؛ كُلَّمَا قُرِبَ مِنْهَا كَانَ أَقْوَى
وُجُودًا وَشُعُورًا وَاخْتِيَارًا كَالْعَقْلِ الْأَوَّلِ، وَكُلَّمَا بَعُدَتْ ضَعُفَتْ الثَّلَاثَةُ عَلَى
حَدِّ سَوَاءٍ إِلَى الْجَمَادَاتِ، فَتَكُونُ الْجَمَادَاتُ أَضْعَفُ وَجُودًا وَشُعُورًا
وَاخْتِيَارًا.

كَمَا قُلْنَا فِي نُورِ السَّرَاجِ؛ لِأَنَّهُ آيَةُ اللَّهِ فِي الْآفَاقِ لِهَذَا الْمَطْلَبِ، لِمَنْ وَرَدَ هَذَا الْمَشْرَبَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ اللَّهُ الْحَقُّ﴾^(١)، فَافْهَمُ.

وَالثَّانِي: اعْلَمْ أَنَّ الشَّيْءَ الْجَمَادَ مَثَلًا كَالْحَجَرِ إِذَا أَتَاهُ شَيْءٌ دَفَعَهُ إِلَى الْعُلُوِّ لَا يَنْدَفِعُ، إِلَّا إِذَا كَانَ يُمَكِّنُهُ الْاِنْدِفَاعُ، وَلَا يُمَكِّنُهُ مَا لَيْسَ فِي حَقِيقَتِهِ، بَلْ إِنَّمَا يَنْدَفِعُ إِلَى الْعُلُوِّ لِأَنَّ ذَاتَهُ قَابِلَةٌ لَذَلِكَ، كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ قَابِلَةٌ لِلنُّزُولِ بِنِسْبَةِ وَاحِدَةٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ عَلَّةَ النُّزُولِ وَشَهْوَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ رَاجِحَةً مُلَازِمَةً لِلْجَمَادِ بِتَسْخِيرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ لِأَجْلِ مَنَفْعَةِ الْخَلْقِ، وَأَبَانَ عَلَّةَ الصُّعُودِ وَشَهْوَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ بِوُجُودِ الْمُقْتَضِي لَهُ، كَمَا أَنَّ عَلَّةَ النُّزُولِ وَشَهْوَتَهُ بِوُجُودِ الْمُقْتَضِي لَهُ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمُّوهُ الْعَوَامُّ بِالثَّقَلِ.

وَإِذَا دَفَعَهُ إِلَى الْعُلُوِّ دَافِعٌ؛ فَلَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ قَاسِرًا، بَلْ هُوَ مُعَيَّنٌ لِمَا تَقْتَضِيهِ ذَاتُهُ؛ لِأَنَّ الْقَاسِرَ: هُوَ مَا يَسْلُكُ بِالشَّيْءِ مَا لَا يُمَكِّنُ فِي ذَاتِهِ، وَهَذَا مُحَالٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا دَفَعَهُ، وَكَانَ الْاِنْدِفَاعُ غَيْرَ مُمَكِّنٍ فِي ذَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَفِعْ لَمْ يَقَعْ قَسْرٌ، فَإِذَا اِنْدَفَعَ فَلَيْسَ هُوَ ذَلِكَ، بَلْ الْمُنْدَفِعُ غَيْرُهُ.

لِأَنَّهُ إِذَا أُمَكِّنَ فِيهِ مَا لَا يُمَكِّنُ فِيهِ؛ لَا يَكُونُ حَتَّى تَتَغَيَّرَ حَقِيقَتُهُ إِلَى مَا يُمَكِّنُ فِيهِ، فَلَا يَكُونُ هُوَ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّ مَا لَا يُمَكِّنُ فِيهِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُمَكِّنَ فِيهِ.

فَإِذَا دَفَعَهُ فَأَنْدَفَعَ كَانَ الْإِنْدِفَاعُ مُمَكِّنًا فِيهِ، وَلَكِنْ لَطِيفَتُهُ مِنَ الْوُجُودِ
قَصُرَتْ عَمَّا يُمَكِّنُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ بِنَفْسِهِ، فَكَانَ هَذَا الدَّافِعُ مُعِينًا لِمَا يُمَكِّنُ
أَنْ يَنْدَفَعَ، وَمُتَمِّمًا لَهُ، فَكَانَ بِهِ الْإِنْدِفَاعُ مُمَكِّنًا فِي ذَاتِهِ، وَهُوَ مُطَاوَعَةٌ،
وَهُوَ اخْتِيَارٌ لِمَنْ يَفْهَمُ.

فَالاخْتِيَارُ لَازِمٌ لِجَمِيعِ ذَرَاتِ الْوُجُودِ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ الْمُحْكَمَ: أَنْ
يَكُونَ الشَّيْءُ عَلَى كَمَالٍ مَا يَنْبَغِي، وَكَمَالُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ التَّابِعُ تَابِعًا
بِاخْتِيَارِهِ لِأَحْوَالِ الْمُتَبَوِّعِ مِنْ حَيْثُ الْمُتَبَوِّعِيَّةُ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنِ التَّابِعُ تَابِعًا، وَلَا
الْمُتَبَوِّعُ مُتَبَوِّعًا، إِذِ التَّابِعِيَّةُ وَالْمُتَبَوِّعِيَّةُ نِسْبَةُ ارْتِبَاطٍ بَيْنَهُمَا، وَمُشَابَهَةٌ فِي
الدَّوَاتِ تَقْتَضِي الْمُجَانَسَةَ، الْمُقْتَضِيَّةَ لِلْمِثْلِ الذَّاتِي، الْمُقْتَضِي لِلاخْتِيَارِ بِسَبَبِ
اِخْتِلَافِ جِهَةِ كُلِّ مِنْهُمَا، كَمَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ مَرَارًا.

وَلَوْ كَانَ تَابِعًا بَغَيْرِ اخْتِيَارِهِ لَمْ يَكُنْ تَابِعًا؛ لِمَا قُلْنَا.

وَالنَّبَاتُ وَالْجَمَادُ فِي الْوُجُودِ تَابِعَانِ لِلْحَيَوَانِ؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ فَاضِلِ
طَبِئَتِهِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ تَابِعًا فِي تِلْكَ الْأَحْوَالِ، فَيَجِبُ فِي الْحِكْمَةِ
-لِإِنْتِظَامِ الْوُجُودِ- أَنْ يَكُونَ تَابِعٌ يَحْمِلُهُ وَيُقْلَهُ؛ كَالْمَاءِ وَالتُّرَابِ، وَتَابِعٌ
يُظْلَهُ؛ كَالنَّارِ وَالسَّمَاءِ، وَتَابِعٌ يُحِيطُ بِهِ؛ كَالْهَوَاءِ، لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَكْوَانِ تَابِعٌ
لِلْإِنْسَانِ، فَعِلَّةُ الصُّعُودِ وَالتَّزْوُلِ لِتَسْخِيرِ وَلِيِّ التَّدْبِيرِ؛ لِأَنَّهُ إِعَانَةٌ مِنْهُ لَهَا
فِيمَا أَرَادَ مِنْهَا.

فَكَمَالُ التَّابِعِ عَلَى مَا يَنْبَغِي، وَكَمَالُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْمُتَبَوِّعُ
مُتَبَوِّعِيَّةَ التَّابِعِ وَيُرِيدَهَا، وَيَخْتَارُ التَّابِعُ تَبَعِيَّةَ الْمُتَبَوِّعِ وَيُرِيدَهَا، وَهُوَ الْمُرَادُ
مِنِ الْاخْتِيَارِ، وَسَخَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كُلًّا مِنْهُمَا مُعَوَّنَةً مِنْهُ لِمَا أَحَبَّ، وَإِلَّا لَمْ

يَكُونَا إِيَّاهُمَا، إِذْ لَا يَكُونُ الشَّيْءُ إِلَّا بِمَا يُمَكِّنُ لَهُ، فَافْهَمْ مَا كَرَّرْنَا لَكَ.

وَلَيْسَ تَسْخِيرُهُ تَعَالَى قَسْرًا، وَإِنَّمَا خَلَقَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَمَا هِيَ عَلَيْهِ إِلَّا سَأَلْتُهُ، وَلَمْ يُجِبْزَهَا عَلَى السُّؤَالِ، بَلْ سَأَلَهَا بِاخْتِيَارِهَا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^(١)، اسْتَخْبَارًا وَتَقْرِيرًا لِمَا عَلِمُوا، فَآتَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ، وَمَا انْطَوَوْا عَلَيْهِ، وَرَضُوا بِهِ.

فَلَمَّا آتَاهُمْ بِالْاِخْتِيَارِ وَخَيْرَهُمْ؛ أَقَرَّ مَنْ أَقَرَّ، وَجَحَدَ مَنْ جَحَدَ، وَلَوْ قَسَرَهُمْ لَمْ يَمْتَنِعَ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَهَذَا الْمِثَالُ وَالْبَيَانُ، إِنَّمَا هُوَ بِاللِّسَانِ الظَّاهِرِيِّ.

وَأَمَّا الْمَعْنَى الْبَاطِنِي؛ فَهُوَ مَا ذَكَّرْنَا لَكَ، مِنْ أَنَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَكَمَالُ الْبَيَانِ يَطُولُ بِهِ الْكَلَامُ، لِمَا فِي الْمَقَامِ مِنَ الدَّقَائِقِ الْخَفِيَّةِ، وَلَكِنْ هَذَا تَلْوِيحٌ وَتَمَثِيلٌ وَإِشَارَةٌ.

وَاعْلَمْ؛ أَنَّ هَذَا التَّكْرَارُ فِي الْعِبَارَاتِ وَالتَّرْدِيدُ؛ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّفْهَمِ، وَلَوْ هَذَبْتُ الْعِبَارَةَ، وَاقْتَصَرْتُ عَلَى الْإِشَارَةِ، لَكَلَّتِ الْبَصَائِرُ، وَأَنْسَدَّتِ الْمَذَاهِبُ إِلَى هَذِهِ الْمَطَالِبِ.

وَمَعَ هَذَا فَإِنْ عَرَفْتَ فَأَنْتَ أَنْتَ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

[خاتمة كتاب الفوائد الاثني عشر]:

إلى هنا انتهت هذه الفوائد، في الليلة التاسعة من شهر شوال، سنة: (١٢١١)، احدى وعشرة بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية، على مهاجرها أفضل الصلاة وأزكى السلام، بقلم مؤلفها لها؛ العبد المسكين أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن داغر الأحسائي المطيرفي.

والحمد لله رب العالمين .

قد وفقت بتنميق هذه الرسالة الشريفة، بإشارة من جناب عالي الجاه، حاجي ميرزا نجف علي (وفقه الله تعالى بتوفيقه الخفي والجلي).

وأنا الداعي، خادم أهل الله والسالكين؛ محمد علي الخراساني، الساكن بمحروسة إسلام بول، في اليوم العشرين من شوال، سنة ألف ومائتين وسبعة وثمانين هجرية، على مهاجرها وآله صنوف الصلاة والتحية.

والحمد لله رب العالمين.

شرح الفوائد

في حكمة أهل البيت عليهم السلام

شيخ المناهلين الأوحد

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

إعداد وتحقيق

الشيخ مراضي ناص السلمان الأحسائي

[مقدمة المؤلف:]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقَي - وبه نستعين

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

أمّا بعد: فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي؛ أنّ جناب الموفق المسدّد، والأكرم الممجّد، جناب الآخوند الأوحد، الملاً مشهد، ابن المقدّس العليّ المبرور حسين علي - سلك الله به رضاه، وبلغه ما يتمناه، من أمر آخرته ودنياه - قد التمس منّي إثبات بعض الكلمات؛ في بيان معنى ما ذكرته وأشرت إليه في الرّسالة التي سميتها بـ: (الفوائد)، وهي مشتملة على اثني عشرة فائدة.

❁ [دواعي شرح متن كتاب الفوائد]:

لأنّها لما كانت مشتملة على معانٍ لم يذكرها أحدٌ من العلماء، ولم يعثر عليها شخصٌ من الحكماء، حتى كانت - مع تأصّلها في اليقين، وابتناء الحق عليها في الدّين - غريبةً مجهولة، إذ لم تجر على الخواطر، ولم

تُكتب في الدفاتر، وإنما نبّهوا عليها أئمة الهدى في الأخبار المروية عنهم عليهم السلام، وفيما فسّروه من كتاب الله تعالى.

فأشار إليّ -سَلِّمَهُ اللهُ-، وبلّغه كلّ ما يتمناه، من أمور دنياه وعقباه-
أن أُبين ذلك بياناً يُفهم منه عبارة تلك الرّسالة، ويحصل منه صريح
الدّلالة، وإن لم يُذكر الدليل؛ لأن الغاية معرفة عباراتها، والوقوف على
إشاراتها.

وكان ذلك الالتماس منه في طريق سفرنا مع جنابه المحترم إلى مكة
المشرّقة، ومعلوم أنّ في مثل تلك الحالة، لا يتمكّن الإنسان من إثبات
الاستدلال؛ لكثرة الاشتغال والملال، وغاية التّشويش والاستعجال بالحلّ
والارتحال، وذكر لي -أيّده الله تعالى- أنّ هذا أمرٌ واجبٌ؛ لتوقّف
الانتفاع بها، وفهم عباراتها عليه.

فحيث كان ذلك عندي معلوماً؛ لعدم الأُنس بها، ولم تكن تلك
المعاني مذكورة في كتاب، ولا جارية^(١) في سؤال ولا جواب؛ ليراجع
الطالب ذلك الكلام، ليفهم منه المراد، وإنّما هي أشياء بالنّسبة لما ذكره
العلماء والحكماء غريبة مبتكرة، وإن كانت بين أئمة الهدى عليهم السلام وبين
خواصّ شيعتهم مذكورة مشتهرة^(٢).

(١) في بعض النسخ: (ولا طارية).

(٢) في بعض النسخ: (مشهورة).

❁ [لا يسقط الميسور بالمعسور]:

وكان - سلّمه الله - على ما ألزمت نفسي من حقّه ملتمساً لذلك،
 أوجبت ذلك الالتماس عليّ، إلّا أنّي أت بما يسهل الإتيان به؛ لأنّ هذا
 منّي في مثل هذه الحال غاية المقدور، ولا يسقط الميسور بالمعسور،
 مستعيناً بالله على الأداء، وسائلاً منه وَعَلَيْكَ الرِّضَا، إنّه على كلّ شيء
 قدير.

وَصَدَّرْتُ الْمَتْنَ بِقَوْلِي: (قُلْتُ)، وَالْبَيَانَ بِقَوْلِي: (أَقُول)؛ لِيَتَبَيَّنَ مِنْ
 ذَلِكَ الْفُرُوعُ وَالْأَصُولُ.

[الغاية من تأليف الكتاب]

قلت: (إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الطَّلَبَةِ يَتَعَمَّقُونَ فِي الْمَعَارِفِ الإِلَهِيَّةِ).

أقول: وذلك لشدة تحقيقاتهم، وكثرة تدقيقاتهم، وإيرادهم للإشكالات، وإثباتهم للاعتراضات، حتَّى لا تكاد تجد شخصين متوافقين؛ وذلك لاختلاف أفهامهم وأنظارهم، وتغاير مذاقاتهم واعتباراتهم، والسَّبب في ذلك أنَّهم يقولون: "أَنَّ الاعتقادات أمورٌ عقلية، ولا يجوز التَّقْلِيد فيها".

ويلزم من هذا؛ أَنَّ كُلَّ واحدٍ يثبت ما يفهمه، وحيث كان الظَّاهر تابعاً للباطن، ودليلاً عليه، كما قال الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، [في كلامه مع عمران الصَّائِي، وهو طويل مروي في التَّوْحِيد والعيون]^(١): «قَدْ عَلِمَ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ أَنَّ الْأَسْتِدْلَالَ عَلَى مَا هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هَاهُنَا»^(٢).

وأنت إذا نظرت إلى صُور أجسامهم وكلامهم وأفعالهم الطبيعية؛ رأيتها كُلُّها مختلفة، وهي صفة بواطنهم، وإذا جرى كُلُّ واحدٍ منهم على مقتضى طبيعته خاصة، كما هو معنى قولهم: "أَنَّ الاعتقادات أمور عقلية،

(١) ما بين المعقوفين ورد في حاشية بعض النسخ.

(٢) عيون أخبار الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ج: ١، ص: ١٧٥. التَّوْحِيد، ص: ٤٣٨. بحار

الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

لا يجوز فيها التّقليد"، وَجِبَ أَنْ يَخْتَلَفُوا وَلَا يَتَّفِقُوا، بِخِلَافِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ بِعَقُولِهِمْ بِمَا يَفْهَمُونَهُ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ، بِأَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ طَالِباً لِلْمُرَادِ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ؛ لِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيْهِ.

مثاله: إِذَا نَظَرَ جَمَاعَةٌ إِلَى شَخْصٍ حَاضِرٍ عِنْدَهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي وَصْفِهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً؛ لِأَنَّ أَفْهَامَهُمْ فِي إِدْرَاكِ صِفَاتِهِ تَابِعَةٌ لِأَبْصَارِهِمْ، فَيَفْهَمُونَ مِمَّا رَأَوْا.

وهؤلاء أمثال العلماء الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ بِعَقُولِهِمْ بِمَا عَلَّمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَخْبَرَهُمْ نَبِيُّهُ ﷺ وَأَوْصِيَائُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُمْ لَا يَكَادُونَ يَخْتَلِفُونَ؛ لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَكَلَامَ نَبِيِّهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) يَجْمَعُهُمْ.

وَأَمَّا الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ مَا يَخْطُرُ عَلَى خَوَاطِرِهِمْ، مِنْ غَيْرِ أَمْرِ جَامِعٍ تَرْجِعُ تِلْكَ الْخَوَاطِرُ إِلَيْهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنْ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُمْ كَمَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِي الصُّورِ -بِحَيْثُ لَا تَجِدُ اثْنَيْنِ عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ- كَذَلِكَ هُمْ فِي اعْتِقَادَاتِهِمْ.

❁ [تَوْهُمَاتُهُ بِاطْلَالَةٍ]:

قلت: (وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُمْ تَعَمَّقُوا فِي الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ).

أقول: المراد أَنَّهُمْ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ تَدْقِيقَاتِهِمْ إِنَّمَا هِيَ فِي تَحْقِيقِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ الْمَقْصُودُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ هُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ أَوْلِيَائِهِ، لَا عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْحُكَمَاءِ، فَإِذَا كَانَ تَعَالَى أَكْمَلَ الدِّينِ لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَنَبِيِّهِ قَدْ اسْتَحْفَظَهُ

كله عند أوصيائه (عليه وعليهما)، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١)، فمن أراد أن يعرف الله بعقله؛ فليعرفه بما وصف به نفسه، ولا وصف نفسه إلا على السنة أوليائه عليهما، فالواجب أن ينظر فيما قالوا، ويفهم ما أرادوا.

وأما مَنْ لم ينظر في ذلك، ويريد أن يعرف الله سبحانه، فإنه لا يقع فهمه إلا على الباطل؛ لأنه ما وصل إلى الأزل، ولم يره ليصف ما رأى، والعقول لا تدرك تلك الأمور المقدسة عن الإدراك، فكيف يعرف الله مَنْ لم يأخذ عن الله سبحانه وتعالى؟!.

❖ [تعمّق في الألفاظ]:

قلت: (وَهُوَ تَعَمَّقُ فِي الْأَلْفَافِ لَا غَيْرِ).

أقول: وذلك لأنهم إذا لم يصلوا إلى القديم تعالى، ولم ينزل إليهم؛ كان ما يعرفون ما يدلم اللفظ عليه، ولهذا قالوا: (أنّ الوجود يُطلق على الله تعالى وعلى المخلوق بالإشتراك المعنوي)^(٢). لأنهم يقولون: (أنّ المفهوم منه هو المعنى المصدريّ الرّابطي، أو النسبي أو البسيط، المعبر عنه بالفارسية بـ "هست"). وهذا عندهم هو حقيقة الشيء، سواء كان واجباً أم ممكناً.

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) راجع: نص النصوص، ص: ٤٢٤. الأسفار، ج: ١، ص: ٣٥. شرح

المواقف، ج: ١، ص: ٢٣٣. نهاية المرام، ج: ١، ص: ٣٠.

فيلزمهم أن يكون الخالق تعالى والمخلوق من سنخ واحد؛ فيلتزمون به، ولا شك أن من كان كذلك فهو مشابه لغيره، ويلزم منه القول بالحدوث في الواجب تعالى.

ولو أنهم رَجَعُوا في تعقلهم وفهمهم إلى ما وصف به نفسه؛ لاستقام اعتقادهم، مثل قوله تعالى: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)**^(١)، فإن من صدّق الله بما أنزل في كتابه؛ بأنّه تعالى ليس كمثله شيء، لم يقل بأنّ الوجود يصدق على الرّب والعبد حقيقة بطريقة الاشتراك المعنوي؛ لاستلزام ذلك المساواة، التي هي أشدّ من المماثلة.

ومن قال بالاشتراك المعنوي؛ فإنّه إنّما عوّل على مدلولات الألفاظ، فإنّ وجود الله تعالى عنده وجودٌ في الحقيقة، ووجود العبد المخلوق الفاني وجودٌ في الحقيقة.

وهذا هو معنى قولي: (وَهُوَ تَعَمُّقٌ فِي الْأَلْفَاظِ لَا غَيْرَ).

❁ [التدريج أسلوب في تفهيم هذه المطالب:]

قلت: (رَأَيْتُ اللَّهَ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُرَوِّعَهُمْ بِعَجَائِبِ مِنَ الْمَطَالِبِ).
أقول: إنّي لما أردتُ هداية من سبقت له العناية بالنّجاة، لا يمكن ذلك منّي في حق من عنده علم بشيء، خصوصاً من تسمّى نفسه بالعلم، فإنّه قد أنس بأشياء لا تقدر نفسه على مفارقتها، ولا يقدر أن يُقال فيه:

"أنه كان لا يعلم حتى تعلم". فإذا سمع خلاف ما عنده؛ ردّه بمثله من كلامهم، فترضى نفسه بالبقاء على الحالة الأولى.

وأما إذا ذكرت أشياء لم يُسمع بها، ولم تُذكر قط؛ فلا يكون له سبيل إلى فهمها، فضلاً عن ردّها؛ لأنّ نفسه ترتاع إذا سمع شيئاً غريباً، فتطلب الإطلاع عليه، مع الغفلة عن مُعارضته، فيكون حينئذٍ قلبه فارغاً، فيتمكن من فهم هذا الأمر الجديد؛ الذي فيه نجاته.

وهذا معنى قولي: (أَنْ أُرْوَعَهُمْ بِعَجَائِبِ مِنَ الْمَطَالِبِ).

﴿هل ذكرت هذه المطالب سابقاً في كتابي؟﴾:

قلت: (لَمْ يُذَكَّرْ أَكْثَرُهَا فِي كِتَابٍ، وَلَمْ يَجْرِ ذِكْرُهَا فِي خِطَابٍ).
أقول: إِنَّمَا قُلْتُ: (لَمْ يُذَكَّرْ أَكْثَرُهَا فِي كِتَابٍ)، يعني: أنه قد يُذكر بعضٌ منها في كتاب؛ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى هَذَا التَّحْوِ مِنَ الْبَيَانِ، أَوْ يُذَكَّرُ مُجْمَلًا.

مثل ما يأتي: في ذكر الحصص الحيوانية في الإنسان والفرس والطيور، فإنهم يذكرون أنها من حقيقة واحدة هي: (الحيوانية)^(١)، وأنها متساوية، وإنما تُميّزها الفصول. وأنا قد ذكرتها على نحو ما عثر عليه الحكماء، ولا وقف عليه العلماء؛ لأنهم يأخذون بتحقيقات علومهم بعض عن بعض.

(١) في بعض النسخ: (الحيوان).

﴿مَنْ أَخَذَ مِنْهُمْ عَلِيًّا لَا يُخْطِئُ﴾:

وأنا لما لم أسلك طريقهم، وأخذت تحقيقات ما علمت عن أئمة الهدى عليهم السلام؛ لم يتطرق على كلماتي الخطأ؛ لأنني ما أثبت في كُتبي فهو عنهم، وهم عليهم السلام معصومون عن الخطأ، والغفلة والزلل، ومن أخذ عنهم لا يُخطئ؛ من حيث هو تابع، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾^(١).

(١) سورة سبأ، الآية: ١٨. وهذا التأويل هو ما أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام في الرواية عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ قَالَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: «نَحْنُ الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ أَقَرَّ بِفَضْلِنَا، حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْتُونَا؛ فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾، وَالْقُرَى الظَّاهِرَةُ: الرُّسُلُ وَالثَّقَلَةُ عَنَّا إِلَى شِيعَتِنَا وَفَقَهَاءُ شِيعَتِنَا إِلَى شِيعَتِنَا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾؛ فَالسَّيْرُ مَثَلٌ لِلْعِلْمِ يَسِيرُ بِهِ.

﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾؛ مَثَلًا لِمَا يَسِيرُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ فِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ عَنَّا إِلَيْهِمْ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْفَرَائِضِ.

﴿آمِنِينَ﴾ فِيهَا إِذَا أَخَذُوا عَنْ مَعْدِنِهَا الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَأْخُذُوا عَنْهُ، آمِنِينَ مِنَ الشُّكِّ وَالضَّلَالِ، وَالثَّقَلَةُ إِلَى الْحَرَامِ مِنَ الْحَلَالِ، فَهُمْ أَخَذُوا الْعِلْمَ عَمَّنْ وَجَبَ لَهُمْ بِأَخْذِهِمْ عَنْهُمْ الْمَغْفِرَةُ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ الْعِلْمِ مِنْ آدَمَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا، ذُرِّيَّةَ مُصَفَّاةٍ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ...» [الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٢٧. تأويل

الآيات الظاهرة، ص: ٤٦٢. وسائل الشيعة، ج: ٢٧، ص: ١٥٢. مستدرک

الوسائل، ج: ١٧، ص: ٣١٦].

وقولي: (وَلَمْ يَجْرِ ذِكْرُهَا فِي خِطَابٍ)، يعني: في خطاب أحدٍ غيرهم عليه السلام، وإلا فإنها قد ذكرت في الأحاديث بالإشارة والتلويح لأهله^(١)، وعلى الله قصد السبيل.

(١) اختلفت في هذا المقطع عبارات النسخ المخطوطة، إلا أن معنى الجميع واحد، وما أثبتناه هو نص ما هو موجود في أحدها، ولعله هو الأنسب من غيره.

[منهجية الاستدلال]

قلت: (وَيَكُونُ ذَلِكَ بِدَلِيلِ الْحِكْمَةِ).

أقول: الحكمة قد تُطلق ويُراد بها الحكمة العلمية، وقد يُراد بها الحكمة العملية، ونحن نُريد بها الحكمة العلمية والعملية معاً؛ لأنَّ دليل الحكمة هو الدليل الكشفي العياني، الذي يُخبر به المستدل بعد معاينة ما أراد من معاني ألفاظه، لا مجرد الألفاظ، والكلُّ يدَّعي ذلك، ولكنَّ الدَّعوى بغير شروط المدَّعى باطلة.

✽ [دليل الحكمة العلمية والعملية وشروطهما]:

فنقول: دليل الحكمة؛ هو الحكمة العلمية والعملية معاً بشروطهما^(١)، لأنَّ أحدهما لا يكفي عن الآخر، وإنَّ كان بشروطه.

وشروط العلميّة:

[الأوّل]: أن يجمع قلبه على استماع المقصود، والتَّوجه إليه من غير أن يريد العناد والرَّد؛ لأنَّه لو استمع وهو يُريد الرَّد والعناد، كان مُشتغلاً بغير ما هو بصدد، فيتفرَّق قلبه، ولا يفهم المراد.

(١) هذا ما ورد في إحدى نسخ الكتاب، وأما في غيرها فقد اختلفت العبارات، وفي بعضها قال: (دليل الحكمة العلمية والعملية)، وفي نفس هذه النسخة جاء في حاشيتها ما نصه: (قوله -أعلى الله مقامه- دليل الحكمة: مبتدأ، والإضافة بيانية. والعلمية والعملية: خبره. والتَّأنيث باعتبار المضاف إليه).

و[الثاني]: أن لا تركز نفسه إلى ما أنست به، فإنَّ حُبَّ الشيء يُعمي ويُصم، حتّى أنّه يصعب عليه مفارقة ما عنده؛ وإنَّ ظهر له كونه مرجوحاً، فيتكلّف في الجواب عمّا يُخالفه.

و[الثالث]: أن لا يعتمد على مجرد ما عنده من القواعد والضوابط، فإنَّ من اعتمد على ذلك غالباً لا يكاد يُصيب الحق، بل يرى كل ما يُوافق قواعده صحيحاً، وإنَّ كان عند نفسه مرجوحاً، فإذا التفت إلى مرجوحيته؛ أغمض عنه اعتماداً على قواعده، ويرى كل ما يُخالفها باطلاً، وإنَّ كان وجد في نفسه راجحيته أو حقيته اتكالا على قواعده، ولعلَّ الغلط إنما هو في قواعده، إمّا في أصل صحتّها، أو في عمومها.

فإذا ترك العناد والرُّكون والأنس بالمسألة، وعدم الالتفات إلى القواعد، وإنّما ينظر فيما يرد عليه من الكتاب والسنة، وفيما أراه الله تعالى من آياته في الآفاق وفي نفسه^(١)، بمحض فهمه وذكائه، بحيث يكون متعلّماً من الكتاب والسنة وآيات الله سبحانه، قابلاً منها، مصدّقاً لها، فيكون تابعاً، ولا يكون مؤوَّلاً للكتاب والسنة وآيات الله سبحانه على ما يُلائم مراده وشهوته، فيكون متبوعاً، وهي تابعة له.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سُتْرِيبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. [سورة فصلت، الآية:

وشروط العملية:

أن يكون مخلصاً لله ﷻ في توحيده وعبادته، بحيث لا يكون له غرض إلا رضى الله سبحانه في كل شيء.

فإذا تمت له شروط العلم وشروط العمل جميعاً على الوجه المطابق للكتاب والسنة؛ حصل له دليل الحكمة، الذي لا يُعرف الله إلا به.

❁ [هل يمكن معرفته ﷻ بدليل المجادلة؟]:

قلت: (لأن الذي كانوا طلبوا به الغاية؛ دليلُ المجادلةِ بالتي هي أحسن).

أقول: وأعني بدليل المجادلة بالتي هي أحسن؛ ما ذكره العلماء في كتبهم من البراهين والأقيسة بكل أنواعها - كما هو مقرر في المنطق، وفي علم الأصول - وهذه الأدلة إنما هي مستنبطة من إدراكات عقولهم وأفهامهم، ولو عُرف بها الله تعالى؛ لكان مُدرَكًا بعقولهم وأفهامهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

هذا إذا كانت المجادلة بالتي هي أحسن؛ بأن يكون^(١) الدليل على نحو ما قد قُرّر في محله، وأمّا لو كان بخلاف ذلك؛ لم يُنتفع به، وإن كان في غير معرفة الله سبحانه.

(١) في بعض النسخ: (بأن يُحكّم).

قلت: (وَذَلِكَ لَا يُوصِلُ إِلَّا إِلَى عَالَمِ الصُّورِ أَوْ الْمَعَانِي).

أقول: يَعْنِي أَنَّ دَلِيلَ الْمَجَادَلَةِ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ - عَلَى كِمَالِ مَا يَنْبَغِي فِيهِ - لَا يُوصِلُ إِلَّا إِلَى عَالَمِ الصُّورِ؛ أَلَّتِي هِيَ الْمَحْدُودَةُ بِالْأَبْعَادِ، سَوَاءَ كَانَتْ جَوْهَرِيَّةً كَالْتَّفُوسِ، أَوْ عَرْضِيَّةً كَالْأَشْبَاحِ الْمَثَالِيَّةِ، أَوْ إِلَى الْمَعَانِي أَلَّتِي هِيَ الذَّوَاتُ الْمَادِّيَّةُ سَوَاءَ كَانَتْ مَادَّتَهَا عُنْصَرِيَّةً، أَمْ نُورِيَّةً، أَمْ غَيْرَهُمَا، كَمَعَانِي الْمَصَادِرِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا مَا هُوَ أَعَمُّ مِنَ الذَّوَاتِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ، أَعْنِي: مَا وُضِعَتْ الْأَلْفَاظُ بِإِزَائِهَا، أَوْ مَا لَيْسَ بِجَنَّةٍ، وَسَوَاءَ كَانَتْ كَلِمَةً أَمْ جُزْئِيَّةً؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْهَا حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ الْمَطْلُوقَةِ، سَوَاءَ كَانَتْ هِيَ الْمَوَادِّ خَاصَّةً أَمْ الْأَشْيَاءُ الْمُرَكَّبَةُ مِنْهَا وَمِنَ الصُّورِ، مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ التَّرَكِيبِ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ - أَعْنِي: مَا يَكُونُ مُدْرَكًا وَمُتَحَصِّلًا بِدَلِيلِ الْمَجَادَلَةِ - لَا يَنْفَكُ عَنِ الْإِشَارَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَوْ الْحَسِّيَّةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُسْتَلَزِمٌ لِلْحَصْرِ وَالْإِحَاطَةِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ فِي مَعْرِفَةِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَلَا تَحْوِيهِ خَوَاطِرُ الْأَفْكَارِ.

فلذا قلنا: (بِأَنَّ هَذَا الدَّلِيلَ لَا يُوصِلُ إِلَّا إِلَى عَالَمِ الصُّورِ أَوْ الْمَعَانِي)، وما كان كذلك؛ امتنع استعماله فيما ليس كذلك.

قلت: (وَلَا يُوصِلُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَشْيَاءِ كَمَا هِيَ، كَمَا قَالَ العلامة **العلامة**): «اللَّهُمَّ أَرِنِي الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ» ^(١).

أقول: إنَّ دليل الحكمة يُوصل من استعمله إلى معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، وهي التي سألتها ﷺ من ربه أن يُريه إيَّاهَا؛ لأنَّ الأشياء إذا نظرت إليها من حيث هي -مع قطع النظر من مشخصاتها ومميَّزاتها- كانت مجردة عن كلِّ ما سوى ذواتها، والشَّيء إذا نظرت إليه مع قطع النظر عن جميع مشخصاته ومميَّزاته؛ خلَّصَ من جميع الجهات والكيفيَّات والنَّسب.

وإذا خلص من ذلك كلُّه؛ تجرَّد عن الإشارات والهيئات والأوضاع، فلا يكون معنى ولا صورة؛ لاستلزامهما الإشارة.

﴿لا سبيل إلا بدليل الحكمة لمن التمس الهدى﴾:

قلت: (وَلَا يُوصِلُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا دَلِيلُ الْحِكْمَةِ).

أقول: لأنَّه يُوصل إلى معرفة الشَّيء مُعرِّى عن كلِّ شيء، حتَّى عن جهة التَّعري، والتَّجرد عن الكيف والإشارة، بخلاف غيره من دليل الموعظة الحسنة، ودليل المجادلة بالتي هي أحسن.

قلت: (وَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَهْدِيَ بِهِ مَنْ أَلْتَمَسَ الْهُدَى بِهَذَا الدَّلِيلِ سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).

أقول: وإنَّما قلتُ؛ (مَنْ أَلْتَمَسَ الْهُدَى بِهَذَا الدَّلِيلِ)؛ لأنَّ مَنْ كان كذلك لا بُدَّ أن يكون همُّه رضا الله لا غير، ومن كان كذلك لا يقصد العناد، ولا الرُّكون إلى ما أنست به نفسه، وإنَّ تبَيَّن له أنَّه مرجوح، ولا يرجع إلى قواعده لا غير؛ مع أنَّ ما خالفه فهو أيضاً جارٍ على قواعد

تعارض قواعده، وربما تكون أصح منها، وإنما يطلب الحق، وهو حينئذٍ محسنٌ؛ لعدم تقصيره.

وقد ضمن الله سبحانه لمثل هذا أن يهديه إلى الحق الذي يرضى به، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، ولا يكون في الحقيقة مجاهداً في الله؛ إلا إذا وفق لاستعمال هذا الدليل، وذلك لأن الله سبحانه لا يخلف وعده، فلو كان ما يدعونه يصدق باستعماله أنه مجاهد في الله؛ لكان كل من فعل ذلك وصل إلى العلم الدوقي؛ لضمان الله تعالى للمجاهد فيه [أن يهديه سبيله]^(٢)، فلمَّا لم يصل أولئك إلى العلم العياني بمثل استعمال المجادلة بالتي هي أحسن، علم بأن ذلك لا يتحقق به المجاهدة في الله.

وإنما يتحقق باستعمال دليل الحكمة، بشروطه التي يتحقق بها دليل الحكمة، من مثل الشروط التي ذكرناها؛ التي هي الصِّدْق في العلم والعمل، كما أشرنا إليه سابقاً.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النسخ.

شرح

الفائدة الأولى

في ذكر تفصيل الأدلة الثلاثة

قلتُ:

(الفائدة الأولى)
فِي ذِكْرِ تَفْصِيلِ الْأَدِلَّةِ الثَّلَاثَةِ

أقول: يعني في ذكر بيان أقسامها، وأنها تنقسم -باعتبار أنواعها- إلى ثلاثة أدلة.

قلتُ: (وَذِكْرُ مُسْتَنَدِهَا وَشَرْطِهَا).

أقول: يعني في ذكر منشئها الذي تتحصّل هي منه، وشرطها الذي يتحقّق به على كمال ما ينبغي.

✽ [محددها وموقعها في القرآن الكريم]:

قلتُ: (اعْلَمْ أَنَّ الْأَدِلَّةَ ثَلَاثَةً؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)).

[دَلِيلُ الْحِكْمَةِ]

(فَالأَوَّلُ: دَلِيلُ الْحِكْمَةِ).

أقول: يعني أن قوله تعالى: ﴿اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾^(١)، أي: إلى ما يُريد الله سبحانه من عباده المكلفين بأحد أدلة ثلاثة؛ لأن المدعوين من المكلفين ثلاثة أنواع، فإن كانوا من الحكماء العقلاء، والعلماء النبلاء؛ ادعهم إلى الحق الذي يُريد الله منهم من معرفته بدليل الحكمة، يعني: بالدليل الذوقي العياني، الذي تلزم منه الضرورة والبدهة بالمستدل عليه؛ لأنه نوع من المعاينة.

مثل ما قلنا في كثير من كتبنا ومباحثاتنا لمن يقول: (إنَّ حقائق الأشياء كامنة في ذاته تعالى بنحوٍ أشرف، ثم أفاضها... إلخ).
بأن قلنا: لا بد أن يكون لذاته تعالى قبل الإفاضة حالٌ مغاير لما بعد الإفاضة، سواء كان التغير في نفس الذات، أم فيما هو في الذات؛ لأنه إن حصل التغير^(٢) في الذات، لزم حدوث الذات، وإن حصل التغير^(٣) فيما هو في الذات - أعني: حقائق الأشياء - فقد كانت الذات محلاً للتغير المختلف، ويلزم حدوث الذات.

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) في بعض النسخ: (حصل التغير).

(٣) في بعض النسخ: (حصل التغير).

وهذا شيء قطعي ضروري، من نوع دليل الحكمة، وهو أشرف الأدلة؛ ولهذا قدّمه الله سبحانه، وقلنا: (فَالأَوَّلُ دَلِيلُ الْحِكْمَةِ).

❁ [آلية دليل الحكمة]:

قلتُ: (وَهُوَ آلَةٌ لِلْمَعَارِفِ الْحَقِّيَّةِ).

أقول: يعني أن دليل الحكمة آلة لتحصيل المعارف الإلهية الحقيقية، وبه يُعرف الله لا بغيره من الأدلة، والذين يطلبون معرفة الله بغيره؛ مثل دليل الموعظة الحسنة، [لا يحصل بهم المعرفة الحقة وذلك]^(١) كما إذا قلت: إن اعتقدت أن لك صانعاً، فلا شك في كونك ناجياً من عقوبته، وإن لم تعتقد لم تقطع بنجاتك من عقوبته، بل يجوز أن يُعذّبك، فلا يحصل لك القطع بالنّجاة؛ إلّا مع اعتقاد وجوده تعالى.

فهذا مثل نحو دليل الموعظة الحسنة، ومثل ذلك لا تحصل به المعرفة الحقّة وإنّما هو بيان طريق السّلامة، وكذلك مثل دليل المجادلة بالتي هي أحسن كما إذا قلت: إن كان في الموجودات قدسٌ خالق وليس بمخلوق؛ ثبت الواجب تعالى، وإلّا فلا بُدَّ لها من صانع، إذ يستحيل أن توجد نفسها، أو تُوجد بغير مُوجد لها، وكلا الوجهين مُحال.

وهذا مثل دليل المجادلة بالتي هي أحسن، ومثل هذا لا تحصل به المعرفة الحقّة، وإنّما يقطع حجّة المخالف، بخلاف مثل دليل الحكمة؛ كما

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النسخ.

إذا قلت: أن كل أثر يُشابه صفة مؤثره، وأنه قائم به -أي: بفعله- قيام صدور، كالكلام؛ فإنه قائم بالمتكلم قيام صدور، وكالأشعة بالمنيرات، والصُور في المرايا.

فالأشياء هي ظهور الواجب بها لها؛ لأنه تعالى لا يظهر بذاته، وإلا لاختلفت حالاته، ولا يكون شيء أشد ظهوراً وحضوراً وبياناً من الظاهر في ظهوره؛ لأن الظاهر أظهر من ظهوره، وإن كان لا يمكن التوصل إلى معرفته إلا بظهوره.

مثل القيام والقعود؛ فإن القائم أظهر في القيام من القيام، وإن كان لا يمكن التوصل إليه إلا بالقيام، فتقول: يا قائم!، ويا قاعداً، فأنت إنما تعني القائم لا القيام؛ لأنه بظهوره لك بالقيام غيب عنك مشاهدة القيام أصلاً، إلا أن تلتفت إلى نفس القيام فيحتجب عنك القائم بالقيام.

فهذا الاستدلال الذي هو من دليل الحكمة؛ يكون سبحانه عند العارف أظهر من كل شيء، كما قال سيد الشهداء عليه السلام: «أَيُّ كَوْنٍ لِّغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ؛ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهَرُ لَكَ»^(١)، وتحصل به المعرفة الحقّة، ولا تحصل بغيره أصلاً.

قلتُ: (وَبِهِ يُعْرِفُ اللَّهُ، وَيُعْرِفُ مَا سِوَاهُ).

أقول: يعني أن دليل الحكمة به يُعرف الله، ويُعرف ما سواه، أي: ما سوى الله سبحانه؛ مثل آياته الدالة عليه تعالى، كمعرفة النفس، فإنك

إذا عرفتَها مجردة عن كلِّ نسبة وإضافة، وعن جميع العوارض والمشخصات، بأن تعتبرها مجردة عن جميع سُبُحاتها من غير إشارة، عرفت الله تعالى؛ لأنَّها حينئذٍ هي وصفه لنفسه تعالى لعبده، فمن عرف وصفه لنفسه عرفه، وهي حينئذٍ حقيقة ذلك الوصف.

❁ [مستند حليل الحكمة]:

قلت: (وَمُسْتَنَدُهُ: الْفُؤَادُ وَالتَّنْقُلُ).

أقول: يعني أنَّه ينشأ عن الفؤاد؛ لأنَّه إنَّما يدرك بنظره.

والمراد بالفؤاد في كلام الأئمة عليهم السلام: هو الوجود بالمعنى الثاني، الذي ذكرته في شرح مشاعر الملا صدر الدِّين الشِّيرازي^(١)، أعني الشَّيء من حيث كونه أثراً لفعل الله تعالى، فإنَّ الشَّيء له اعتباران: اعتبار من ربِّه: وهو أنَّه آية الله، وأثر فعله.

واعتماد من نفسه: وهو هويَّته من حيث نفسه، وهو الماهية الثانية. ويَحْتَمِلُ أن يُراد بالفؤاد: ما ذكرناه بالمعنى الأوَّل، وهو أوَّل فائض من فعل الله، وهو عندنا هو المادَّة المطلقة، وانفعاله عند فعل الله؛ هو الماهية الأولى، الَّتِي هي قابليته.

(١) ذكر ذلك في مواطن عديدة من شرح المشاعر، منها في شرح قوله: (ومعرفة النفس..)، ص: ٣٤، وفي ص: ٨٥. وفي ص: ٢٨١. وفي ص: ٦٥٧، وغيرها.

والحاصل: أَنَّ الْفُؤَادَ هُوَ الْوُجُودُ، وَهُوَ الَّذِي يَعْرِفُ اللَّهَ، وَبِهِ يَعْرِفُ اللَّهَ، وَهُوَ فِي الْإِنْسَانِ بِمَنْزِلَةِ الْمَلِكِ فِي الْمَدِينَةِ، وَالْقَلْبُ بِمَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ.

وإِنَّمَا انْخَصَرَ دَلِيلُ الْحِكْمَةِ الْإِصْطِلَاحِيِّ فِي إِدْرَاكِ الْفُؤَادِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُدْرِكُ الشَّيْءَ بِمَجْرَدِّهِ عَنْ جَمِيعِ مَا سِوَى مُحَضِّ وَجُودِ الشَّيْءِ، مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ جَمِيعِ عَوَارِضِ الشَّيْءِ الذَّاتِيَّةِ، كَأَرْكَانِ الْقَابِلِيَّةِ وَمَتَمِّمَاتِهَا وَالْعَارِضِيَّةِ، بَلَا إِشَارَةٍ وَلَا كَيْفٍ، وَلَا يَحْصُلُ مِنْ غَيْرِ الْفُؤَادِ؛ فَلِذَا كَانَ مَحَلُّ الْمَعْرِفَةِ. وَلِذَا قُلْنَا: (مُسْتَنْدَهُ الْفُؤَادُ).

وَأَمَّا النَّقْلُ؛ وَالْمُرَادُ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَمَعْنَى كَوْنِهِمَا مُسْتَنْدَأً لِذَلِكَ الدَّلِيلِ؛ أَنَّهُمَا مَحَلُّ اسْتِنْبَاطِهِ، لِاشْتِمَالِهِمَا عَلَى الْإِحْتِجَاجِ بِهِ عَلَى وَجْهِ لَا يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ وَالْغَفْلَةَ، وَسَيَأْتِي الْإِشَارَةُ إِلَى بَيَانِ ذَلِكَ.

قُلْتُ: (أَمَّا النَّقْلُ؛ فَهُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ).

أَقُولُ: إِنَّمَا قَدَّمْنَا ذِكْرَ النَّقْلِ عَلَى ذِكْرِ الْفُؤَادِ؛ لِكَوْنِهِ أَصْلًا لِاسْتِنْبَاطِ ذَلِكَ الدَّلِيلِ، وَمَتَّبِعًا لِلْفُؤَادِ؛ وَلِأَنَّ الْكَلَامَ فِي النَّقْلِ قَلِيلٌ، إِذْ لَا يُرَادُ بَيَانُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِمَجْرَدِّ ذِكْرِهِ، وَأَخَّرْنَا الْفُؤَادَ فِي الْبَيَانِ لَطَوِيلِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّقْلِ.

وَالْمُرَادُ بِمُسْتَنْدَهُ مِنْهُمَا؛ هُوَ الْمَحْكَمُ مِنْهُمَا، لَا الْمُتَشَابِهَ.

قُلْتُ: (وَأَمَّا الْفُؤَادُ فَهُوَ؛ أَعْلَى مَشَاعِرِ الْإِنْسَانِ).

أَقُولُ: لِأَنَّ مَشَاعِرَ الْإِنْسَانِ [ثَلَاثَةٌ]:

[الأول]: الصِّدْر؛ والمراد به الخيال والنَّفْس الكلية، الَّتِي هِيَ محلُّ الصُّور العلميَّة، كَلِيَّةٌ أَوْ جُزْئِيَّة، فهو محل العلم، ويُقابله الجهل.

و[الثاني]: القلب؛ وهو محلُّ المعاني واليقين بالنسب الحكميَّة، ويُقابله الشك والرَّيب.

و[الثالث]: الفؤاد؛ وهو محل المعارف الإلهية، المجردة عن جميع الصُّور والنَّسب، والأوضاع والإشارات، والجهات والأوقات، ويُقابله الإنكار؛ فهو إذن أعلى مشاعر الإنسان.

قلتُ: (وَهُوَ نُورُ اللَّهِ الَّذِي ذَكَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»^(١)).

أقول: لَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُرِيدُ بِهَذَا النُّورِ هُوَ الفؤاد؛ لَأَنَّ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ أَنَّ ضِيَاءَ الْمَعْرِفَةِ يَنْجَلِي فِي الفؤاد، وَذَكَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ:

(١) الكافي، ج: ١، ص: ٢١٨. وسائل الشَّيعة، ج: ١٢، ص: ٣٨.
 الاختصاص، ص: ٣٠٧. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٣٠. الأمالي؛ للطوسي،
 ص: ٢٩٤. بصائر الدَّرَجَات، ص: ٣٥٥. تأويل الآيات الظَّاهِرة، ص: ٢،
 تفسير العيَّاشي، ج: ٢، ص: ٢٤٧. شواهد التنزيل، ج: ١، ص: ٤٢٢.
 عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ج: ٢، ص: ٢٠٠. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ١٢٣.

«أَنَّهُ هُوَ نُورُ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُ الْمُؤْمِنَ، وَأَنَّهُ هُوَ نُورُ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْفَرَّاسَةُ»^(١)، كما في الحديث.

❖ [ماهيّة دليل الحكمة]:

قلت: (وَهُوَ الْوُجُودُ؛ لِأَنَّ الْوُجُودَ هُوَ الْجِهَةُ الْعُلْيَا مِنَ الْإِنْسَانِ).
أقول: يعني وجهه من ربّه، كما ذكرنا قبل؛ من أن كل شيء له اعتباران: اعتبار من ربه؛ وهو الوجود، وهو الفؤاد، وله وزير يُعينه على ما يقتضيه من الطاعات، وهو العقل.
واعتبار من نفسه؛ وهو الماهية، ولها وزير يُعينها على ما تقتضيه من المعاصي، وهو النفس الأمارّة بالسوء.

قلت: (لِأَنَّ الْوُجُودَ لَا يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ أَبَدًا؛ بَلْ إِلَى رَبِّهِ، كَمَا أَنَّ الْمَاهِيَةَ لَا تَنْظُرُ إِلَى رَبِّهَا أَبَدًا؛ بَلْ تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهَا).
أقول: يعني أن الوجود أثر وصفة، والأثر والصفة لا تتحقق -ولو في النّقل- إلّا تابعاً متقوماً بغيره، بخلاف الماهية؛ فإنها هي هوية الشيء

(١) عن ابن عباس أنه قال، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اتَّقُوا فَرَّاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، قَالَ؛ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! كَيْفَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ﷻ؟!»
قال عليه السلام: «لَأَنَّا خُلِقْنَا مِنْ نُورِ اللَّهِ، وَخُلِقَ شَيْعَتُنَا مِنْ شُعَاعِ نُورِنَا؛ فَهُمْ أَصْفِيَاءُ أَبْرَارٍ، أَطْهَارٌ مُتَوَسِّمُونَ، نُورُهُمْ يُضِيءُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، كَالْبَدْرِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ» [بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٢١].

من حيث هو، فهي لا تعقل إلا مستقلة، ولهذا قيل: إنها عدمية الأصل؛
﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(١).

وقد أشار الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى في تفسير قوله تعالى:
﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ﴾^(٢)، قال عليه السلام: «الظالم؛ مَنْ يَحُومُ حَوْلَ نَفْسِهِ، وَالْمُقْتَصِدُ؛
 يَحُومُ حَوْلَ قَلْبِهِ، وَالسَّابِقُ؛ يَحُومُ حَوْلَ رَبِّهِ»^(٣).

فالأول في هذا الحديث: العامل بمقتضى ماهيته، فإنها ناظرة إلى
 نفسها لا غير.

والثاني فيه: العامل بعقله، فإنه بمقتضاه ناظر إلى قلبه لا غير.
 والثالث فيه: العامل بفؤاده ووجوده، فإنه بمقتضاه ناظر إلى ربه لا غير.

(١) اقتباس من سورة إبراهيم، الآية: ٢٦.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٣) عن أبي عبد الله العلوي، بإسناد متصل إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، أنه
 سئل عن قول الله عز وجل: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ
 ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ﴾** [سورة فاطر،
 الآية: ٣٢]، فقال: «الظالم يحوم حوم نفسه، والمقتصد يحوم حوم قلبه،
 والسابق يحوم حوم ربه عز وجل» [معاني الأخبار، ص: ١٠٤. بحار الأنوار، ج:
 ٢٣، ص: ٢١٤].

❖ [شرط دليل الحكمة]:

قلت: (أَمَّا شَرْطُهُ: فَإِنْ تُنْصِفَ رَبُّكَ؛ لِأَنَّكَ حِينَ تَنْظُرُ بِدَلِيلِ الْحِكْمَةِ أَنْتَ تُحَاكِمُ رَبَّكَ، وَهُوَ يُحَاكِمُكَ إِلَى فُؤَادِكَ، كَمَا قَالَ سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا»^(١)).

أقول: والمراد من شرط دليل الحكمة؛ ما يتوقف عليه فتح باب النور على فؤادك، لأنك إذا لم تنصف ربك؛ لم يفتح باب النور والبصيرة، مثلاً هو تعالى قال: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾^(٢)، وقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ❖ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٣)، يعني: أن الشيطان يدعوكم إلى النار، والله يدعوكم إلى الجنة والمغفرة بإذنه، فإذا بين لك في نفسك شيئاً حقاً، فالله تعالى يحاكمك عند نفسك ويقول: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٤).

(١) نهج البلاغة، ص: ٢٦٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ٢٠٤. بحار الأنوار، ج:

٤، ص: ٢٦١.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٣) سورة يس، الآية: ٦٠-٦١.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣٥.

فإنَّ قَبْلَتَ مَنْهُ؛ فَتَحَ لَكَ بَابَ النُّورِ وَالْهُدَى، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُ، وَاتَّبَعْتَ شَهْوَةَ نَفْسِكَ، أَوْ مَا تَعَوَّدْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ مَا يُطَابِقُ قَوَاعِدَكَ وَهِيَ بِخِلَافِ مَا ظَهَرَ لَكَ؛ لَمْ تُنْصَفْ رَبُّكَ، فَإِذَا لَمْ تُنْصَفْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَكَ مِنَ الْحَقِّ فِي نَفْسِكَ، حَجَبَ عَنْكَ نُورَ الْهُدَى وَالْفَهْمِ، فَلَمْ تُنْتَفِعْ بِمَا ظَهَرَ لَكَ فِي نَفْسِكَ.

فشرطه: أَنْ تُنْصَفَ رَبُّكَ، بِأَنْ تُتَّبَعَ مَا بَيَّنَّ لَكَ مِنَ الْحَقِّ.

ومعنى قول أمير المؤمنين: «بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا»، يعنى: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَظْهَرُ بِذَاتِهِ لَخَلْقِهِ، وَإِلَّا لَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ ثُمَّ ظَهَرَ، وَمَتَغَيَّرَ الْأَحْوَالُ حَادِثٌ، وَإِنَّمَا يَظْهَرُ لِلشَّيْءِ بِصَنْعِهِ لَهُ، فَإِذَا وَجَدَ الْمَصْنُوعَ، وَنَظَرَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ مَصْنُوعٌ؛ عَرَفَ أَنَّ لَهُ صَانِعًا، فَقَدْ ظَهَرَ لَهُ بِهِ.

ومعنى قَوْلِهِ: «وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا»، أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَهَا وَجَبَ أَنْ تَظْهَرَ مُتَلَبِّسَةً بِصُورَةِ الْمَصْنُوعِيَّةِ؛ مِنَ التَّرْكِيبِ وَالتَّأْلِيفِ، وَالْحَاجَةِ وَالْعِجْزِ، فَإِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ؛ لَا تَعْرِفُ إِلَّا مَا هِيَ عَلَيْهِ، فَلَا تَعْرِفُ إِلَّا مَا كَانَ مِثْلَهَا، فَكَانَ وَجُودُهَا حِجَابًا لَهَا عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِ عِزَّتِهِ.

قُلْتُ: (فَرُبُّكَ يُخَاصِمُكَ عِنْدَكَ).

أَقُولُ: يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى يُقِيمُ عَلَيْكَ الْحُجَّةَ فِي نَفْسِكَ، حَتَّى تَعْرِفَ فِي نَفْسِكَ صِحَّةَ مَا يُرِيدُ مِنْكَ، فَإِنْ أَجَبْتَهُ، وَأَقْرَرْتَ بِمَا عَرَّفَكَ إِقْرَارًا لَا بِخُصُوصِ اللِّسَانِ، بَلْ بِاللِّسَانِ فِي الْأَقْوَالِ، وَبِالْجَنَانِ فِي الْإِعْتِقَادَاتِ، وَبِالْأَرْكَانِ فِي الْأَعْمَالِ؛ فَقَدْ أَنْصَفْتَ رَبُّكَ، وَحِينَئِذٍ يَنْفَعُكَ اسْتِدْلَالُكَ

بدليل الحكمة، حتى تصل به إلى عالم الأنوار، وتقف به على خفايا الأسرار، وإلا فلا.

قلت: (فَرَنْ بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)^(١).
أقول: يعني أنك تجتهد بدليل الحكمة في النظر في الآفاق وفي الأنفس، مع اجتهادك في إخلاص النية في العلم والعمل، ولا تسامح في كثير ولا قليل.

قلت: (وَتَقِفْ عِنْدَ بَيَانِكَ وَتَبَيِّنْكَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾)^(٢).

أقول: إنك تقف عند بيانك، أي: عندما أثبت لنفسك من البيان، في معارفك واعتقاداتك.

وعند تبينك، أي: عند تحصيلك البيان، وطلبك له.

وعند تبينك، أي: عند تبينك لغيرك ما خفي عليه.

تقف عند ذلك كله، أي: تكون حينئذ ذاكراً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾^(٣)؛ ليكون ذلك زاجراً لك عن القول على

(١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. [سورة الإسراء، الآية: ٣٥].

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

الله بغير علم، فإِنَّكَ مسؤول عما سمعته أذنك، ورأته عينك، ووعاه فؤادك.

قلت: (وَتَنْظُرُ فِي تِلْكَ الْأَحْوَالِ كُلِّهَا بِعَيْنِهِ تَعَالَى، لَا بِعَيْنِكَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(١)).

أقول: تنظر في تقدير معارفك على حسب احتمالك، واحتمال من تعلمه، وفي استماعك وإبصارك وإفهامك، فيما لك ولغيرك؛ تنظر في تلك الأمور كلها بعينه تعالى، أي: بالعين التي هي وصف نفسه لك. أعني: وجودك من حيث كونه أثراً ونوراً، وهو حالة معرفتك لنفسك، إذا كشفت عنها جميع السُّبُحات من غير إشارة، فإنها حينئذٍ عينٌ من الله سُبْحَانَهُ أَعَارَكَ إِيَّاهَا؛ لتعرفه بها، إذ لا يعرف إلا بها، لا بعينك التي هي أنت من حيث أنك أنت أنت، فإِنَّكَ لا تعرف بهذه العين إلا الحادثات، المحتاجة الفانية.

فلا تمش في أرض قابليتك من حيث هي هي، فَإِنَّهُ هو المشي المرح؛ لأنه مشيٌّ في ظلمة الماهية، فإِنَّكَ حينئذٍ عَاجِزٌ ذليل، ليس لك قدرة على حال ولا استقلال، فلا تقدر على أن تثقب الأرض؛ فتتصرف فيها بنوريتك، التي من ذاتك، إذ لا نورية لك إلا من عطاء الله، الذي لا يناله إلا الخاشعون العابدون، ولا على أن تبلغ طول الجبال من نفسك كذلك.

قلت: (فَهَذَا نَمَطُ دَلِيلِ الْحِكْمَةِ).

أقول: يعني أن هذه الوصية؛ بأنك لا تتساهل في تحقيق الأشياء، بل ترغها بالقسطاس المستقيم، ولا تتبّع فيه ما ليس لك علم، فلا تقل: (سمعتُ). ولم تسمع، أو (رأيتُ). ولم تر، أو (فهمتُ). ولم تفهم، و[نحو] ذلك، فإنك مسؤول عن ذلك كلّ، وإذا أدركت شيئاً، فلا تنسب شيئاً من ذلك إلى نفسك؛ إذ لا حول لك ولا قوة إلّا بالله، فإنّ هذه وأمثالها من نوع دليل الحكمة.

[دليل الموعظة الحسنة]

قلت: (وَأَمَّا دَلِيلُ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ؛ فَهُوَ آلَةُ لِعِلْمِ الطَّرِيقَةِ، وَتَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ، وَعِلْمِ الْيَقِينِ وَالتَّقْوَى).

❖ [آلية دليل الموعظة الحسنة]:

أقول: وذلك لأنه طريق الاحتياط، وما منه السلامة والنَّجاة والظفر المطلوب.

وعلم الطَّرِيقَةِ، أي: علم طريق السلوك العملي، الذي هو روح السلوك العلمي، وذلك بمعرفة تهذيب الأخلاق، والظفر بالمطلوب؛ من تعديل أحوال النفس، بأن تعرف التَّخَلُّقُ بأخلاق الله، وتتخلَّقُ بها، على نحو ما تخلَّقُ بها الرُّوحانيون؛ من الدَّوامِ عليها، والملازمة لها بالأعمال والآداب^(١)، بامتنال أخلاق الله؛ من دوام الذِّكْرِ، وعدم الغفلة عنه تعالى، وتجنُّب ما فيه الضَّرر، كالأخلاق الذِّميمة؛ من الطَّمع والحرص، والبُخل

(١) في بعض النُّسخ: (بالأعمال والأداء).

والشُّح، والسَّرَف والتبذير، والجن والتَّهْوَر، والبلادة والجريزة^(١)... وأمثال ذلك.

وعلم اليقين: الاستقامة على الطَّاعات، والأعمال الصَّالحات، والتَّقوى والزُّهد، حتى تتخلَّق بأخلاق الرُّوحانيين، وأنفع الأشياء لتحصيل هذه وأمثالها؛ دليل الموعظة الحسنة.

قلتُ: (وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ تُسْتَفَادُ مِنْ غَيْرِهِ).

أقول: يَعْنِي أَنَّ عِلْمَ الْيَقِينِ وَالتَّقْوَى، وتهذيب الأخلاق؛ قد تستفاد من غير هذا الدَّلِيل، الذي هو دليل الموعظة الحسنة.

قلتُ: (وَلَكِنْ بَدُونَ مُلَاحَظَةِ هَذَا الدَّلِيلِ لَا تَقِفُ عَلَى الْيَقِينِ؛ لِأَنَّهُ أَقَلُّ مَا قَسَمَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ).

أقول: يَعْنِي أَنَّ الْيَقِينِ وَالِاطْمِئْنَانَ، الَّذِي هُوَ أَصْلُ عِلْمِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَكَادُ يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِهَذَا الدَّلِيلِ؛ لِأَنَّهُ بَاعَثُ إِلَى الْعَمَلِ، وَمَانِعٌ مِنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ، فَلَا بَدَّ فِي حَصُولِ الْيَقِينِ مِنْ مِلَاحَظَةِ هَذَا الدَّلِيلِ.

(١) جريز الرجل: ذهب، أو انقبض. [القاموس المحيط، ج: ٢، ص: ١٦٨]. ويُقال:

(رجل جريز بين الجريزة)، أي: خبث، خبيث. [تاج العروس، ج: ٤، ص: ١٤].

وقال ابن ميثم البحراني: (الحكمة محتوشة برذيلتين:

أحدهما: البله، وهو جانب التفريط منها، ونعني به تعطيل القوة الفكرية وإطراحها.

الثاني: السفه، وهو طرف الإفراط منها، ونعني به استعمال تلك القوة فيما لا

ينبغي، وتسمى (الجريزة).. [شرح مئة كلمة، ص: ٢٣].

✽ [مستند دليل الموعظة الحسنة]:

قلت: (وَمُسْتَنَدُهُ؛ الْقَلْبُ وَالنَّقْلُ).

أقول: يعني أن منشأه - المرتب له والمقوم لأركانه - القلب؛ لأنه مقر اليقين، ودليل الموعظة الحسنة، ثمرته اليقين. والنقل: هو الكتاب والسنة؛ لأنهما مستند كل شيء، ومبدأ كل خير.

✽ [شرط دليل الموعظة الحسنة]:

قلت: (وَشَرْطُهُ إِنْصَافُ عَقْلِكَ. بِمَعْنَى: أَنْ لَا تَظْلِمَهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ، وَمَا يُرِيدُ مِنْكَ مِنَ الْحَقِّ).

أقول: يعني أن شرط صحته وصحة الانتفاع به، وتمام تأثيره؛ إنصاف عقلك، بمعنى: أنه إذا ورد عليك هذا الدليل، فإن مفاده الحق والنجاة والاحتياط، والعقل يحكم عليك بما يقتضي أمثال ذلك، فإن أنصفته؛ أطعت عقلك، بأن تلتزم ما ألزمك به من هذا الدليل؛ لما بينهما من كمال المجانسة والاتحاد.

ولما كان العقل أشد الأشياء صداقة ونصحاً؛ كان مستحقاً للقبول منه، فإذا لم تقبل منه، فقد ظلمته ما يستحقه.

❁ [مثال حليل الموعظة الحسنة]:

قلت: (وَمِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(١)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢)).

وَقَوْلِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ ابْنِ أَبِي الْعَوَّجَاءِ حِينَ أَنْكَرَ عَلَى الطَّائِفِينَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ، قَالَ -مَا مَعْنَاهُ-: «إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ، وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ؛ فَأَنْتُمْ وَهُمْ سَوَاءٌ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ، وَهُوَ كَمَا يَقُولُونَ؛ فَقَدْ نَجَوْا وَهَلَكْتُمْ»^(٣).

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٠.

(٣) ورد نصُّ هذه الرواية في خبرٍ طويلٍ جدًّا، نذكر هنا قسمًا منها إتماماً للفائدة؛ فعَنْ أَبِي مَنْصُورٍ الْمُتَطَبِّبِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَابْنُ أَبِي الْعَوَّجَاءِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفِّعِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفِّعِ: تَرَوْنَ هَذَا الْخَلْقَ -وَأَوَّمَا بِيَدِهِ إِلَى مَوْضِعِ الطَّوَافِ- مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ أَوْجِبُ لَهُ اسْمُ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْحَالِسُ -يَعْنِي: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَأَمَّا الْبَاقُونَ فَرَعَاغٌ وَبَهَائِمٌ.

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوَّجَاءِ: وَكَيْفَ أَوْجَبْتَ هَذَا الْاسْمَ لِهَذَا الشَّيْخِ دُونَ هَؤُلَاءِ؟
قَالَ: لِأَنِّي رَأَيْتُ عِنْدَهُ مَا لَمْ أَرَهُ عِنْدَهُمْ.

أقول: هذا وأمثاله من نوع هذا الدليل المشار إليه.

→...

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: لَا بُدَّ مِنِ اخْتِبَارِ مَا قُلْتَ فِيهِ مِنْهُ.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُقَفِّعِ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَفْسِدَ عَلَيْكَ مَا فِي يَدِكَ.

فَقَالَ: لَيْسَ ذَا رَأْيِكَ، وَلَكِنْ تَخَافُ أَنْ يَضْعُفَ رَأْيُكَ عِنْدِي، فِي إِخْلَالِكَ إِيَّاهُ الْمَحَلَّ الَّذِي وَصَفْتَ.

فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفِّعِ: أَمَّا إِذَا تَوَهَّمْتَ عَلَيَّ هَذَا فَقُمْ إِلَيْهِ، وَتَحَفَّظْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الزَّلَلِ، وَلَا تَتْنِي عِنَانُكَ إِلَى اسْتِرْسَالٍ؛ فَيُسَلِّمَكَ إِلَى عِقَالٍ، وَسِمُهُ مَا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ.

قَالَ: فَقَامَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: وَبَقِيْتُ أَنَا وَابْنُ الْمُقَفِّعِ جَالِسَيْنِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْنَا ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ قَالَ: وَيْلَكَ يَا ابْنَ الْمُقَفِّعِ! مَا هَذَا بَيَّشَرُ، وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا رُوحَانِي يَتَحَسَّدُ، إِذَا شَاءَ ظَاهِرًا، وَيَتَرَوَّحُ إِذَا شَاءَ بَاطِنًا، فَهُوَ هَذَا.

فَقَالَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

قَالَ: جَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرِي ابْتَدَأَنِي فَقَالَ: «إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ، وَهُوَ عَلَى مَا يَقُولُونَ - يَعْنِي: أَهْلُ الطَّوَافِ - فَقَدْ سَلِمُوا وَعَظِمْتُمْ،

وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَقُولُونَ، وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ؛ فَقَدْ اسْتَوَيْتُمْ وَهُمْ».

فَقُلْتُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَأَيُّ شَيْءٍ نَقُولُ، وَأَيُّ شَيْءٍ يَقُولُونَ، مَا قَوْلِي وَقَوْلُهُمْ إِلَّا

وَاحِدٌ.

فَقَالَ: «وَكَيْفَ يَكُونُ قَوْلُكَ وَقَوْلُهُمْ وَاحِدًا؛ وَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ لَهُمْ مَعَادًا وَثَوَابًا

وَعِقَابًا، وَيَدِينُونَ بِأَنَّ فِي السَّمَاءِ إِلَهًا، وَأَنَّهَا عُمْرَانٌ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ السَّمَاءَ

خَرَابٌ، لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ...». [الكافي، ج: ١، ص: ٧٤-٧٥. بحار الأنوار، ج:

ولهذا قلتُ: (فَهَذَا نَمَطٌ دَلِيلُ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ).

أقول: إِنَّمَا مَثَلْتُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ؛ لِيَعْرِفَ هَذَا النَّمَطُ، وَهُوَ كَثِيرُ

الْأَصْنَافِ فِي الْإِحْتِجَاجَاتِ.

[دليل المجادلة بالتي هي أحسن]

قلتُ: (وَأَمَّا دَلِيلُ الْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).

❁ [دليل المجادلة؛ رتبته وخصائصه]:

أقول: أمّا دليل المجادلة بالتي هي أحسن؛ فهو مشهور معروف بين العلماء، بل ربما يُقال أنَّ الدليل منحصرٌ فيه؛ لأنَّه محل المناقشات والمعارضات.

وأمّا الدليلان الأوَّلان، فليس فيهما مناقشة ولا معارضة؛ لأنَّه لو استدل شخصٌ بأحد الدليلين الأوَّلين، وعارض فيه شخصٌ آخر؛ كانت المعارضة فيه ليست منه، وإنما هي من دليل المجادلة بالتي هي أحسن؛ لأنَّه لما كان مَبْنِيًّا على المقدمات، وفيها حملٌ بالمتعارف الشائع وحملٌ أوَّلي، ومعانيها منها مفاهيم، ومنها معاني، ومنها مصاديق، ومنها معانٍ مصدرية، ومنها لغوية، ومنها اصطلاحية، ومنها مدلولات، فيحصل في كثير من القضايا الاشتباه لبعضها ببعض.

على أنَّ تلك النَّسب إنما تترتَّب على حَسَبِ أفهامهم، وأفهامهم مختلفة، فتزد فيها الإشكالات والاشتباكات؛ بخلاف الدَّليلين الأوَّلين؛ فإنَّهما لم يبنيا على شيء من ذلك، فإذا اعترض عليهما معترض، فقد اعترض فيهما بغيرهما.

❖ [دليل المجادلة؛ طبيعة آله ونهايته]:

قلتُ: (فَهُوَ آلَةٌ لِّعِلْمِ الشَّرِيعَةِ).

أقول: يعني أن هذا في الغالب أعظم منفعة في الأحكام الشرعية الفرعية، والأصل في ذلك أن العلوم النافعة ثلاثة؛ كما في الحديث النبوي ﷺ: «آيَةُ مُحْكَمَةٍ، وَفَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، وَسُنَّةٌ قَائِمَةٌ؛ وَمَا خَلَا ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ»^(١).

والأدلة ثلاثة كما مر، ومعلوم عند أهل العلم العياني أن دليل الحكمة للآية المحكمة، أي: علم التوحيد وما يلحق به. ودليل الموعظة الحسنة للفريضة العادلة، أي: علم الأخلاق وتهذيب النفس.

ودليل المجادلة بالتي هي أحسن للسنة القائمة، أي: علم الشريعة؛ ولأجل هذا أشرت إلى التوزيع بأن يكون كل دليل لعلم من العلوم الثلاثة.

(١) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ؛ آيَةُ مُحْكَمَةٍ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ» [الكافي، ج: ١، ص: ٣٢. وسائل الشيعة، ج: ١٧، ص: ٣٢٧. بحار الأنوار، ج: ١، ص: ٢١١. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٧٩. منية المريد، ص: ١١٣].

✽ [مستند دليل المجادلة بالتي هي أحسن]:

قلت: (وَمُسْتَنَدُهُ؛ الْعِلْمُ وَالْتَّقْلُّ).

أقول: أي؛ منشأ هذا الدليل (العلم)، أعني: حصول المعلوم به أو بصورته، وهو عبارة عن المكتوب في النفس، كما أن اليقين عبارة عن المجموع في القلب من المعاني اليقينية، وأن المعرفة عبارة عن انجلاء نور المعرفة في الفؤاد، على نحو ما أشرنا إليه، ويأتي -إن شاء الله- كثير من بيان ذلك.

✽ [شرط دليل المجادلة بالتي هي أحسن]:

قلت: (وَشَرْطُهُ؛ إِنْصَافُ الْخَصْمِ).

أقول: بأن يُقيم الدليل على النحو المقرر في علم الميزان، وقد ذكره العلماء في كتبهم الأصولية والفروعية، بل لا يكاد يسمع منهم غير هذا الدليل.

ولو قرّر على خصمه في إقامة الدليل على المدعى أو على إبطال دعوى خصمه بنوع من المغالطات؛ فقد ظلم الخصم، وإن كان مبطلاً في دعواه، ولا تكون المجادلة بالتي هي أحسن؛ بل تكون بالتي هي أسوأ.

ولهذا قلت: (وَالْإِلا لَمْ تَكُنْ الْمُجَادَلَةُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).

❖ [مثال دليل المجادلة بالتي هي أحسن]:

[قلت]: (وَهُوَ مِثْلُ مَا قَرَّرَهُ أَهْلُ الْمَنْطِقِ؛ مِنْ الْمَقْدَمَاتِ وَكَيْفِيَّةِ الدَّلِيلِ، وَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الْأُصُولِ وَغَيْرِهِمْ؛ مِنْ الْأَدَلَّةِ وَكَيْفِيَّةِ الْاسْتِدْلَالِ، عَلَى نَحْوِ لَا يَكُونُ فِيهِ إِنْكَارُ حَقٍّ؛ وَإِنْ كَانَ مِنْ خَصْمِكَ الْمُبْطَلِ فِي مَطْلَبِهِ، وَلَا اسْتِدْلَالٌ بِبَاطِلٍ عَلَى حَقٍّ، وَلَا عَلَى إِبْطَالِ بَاطِلٍ. وَلَا يَحْتَاجُ هَذَا إِلَى تَمْثِيلٍ؛ لِأَنَّ الْكُتُبَ مَشْحُونَةً بِهِ، بَلْ لَا تَكَادُ تَجِدُ غَيْرَهُ إِلَّا نَادِرًا، وَذَلِكَ لضعفِ الْمُسْتَدِلِّينَ وَالْمُسْتَدَلِّ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ لَا تَغْفُلُ عَنْ أَخْذِ حَظٍّ مِنْ دَلِيلِ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، فَإِنَّهُ بِشَرْطِ طَرِيقِ السَّلَامَةِ وَالرَّاحَةِ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ. وَهَذَا إِذَا لَمْ تَلْ دَلِيلَ الْحِكْمَةِ؛ وَإِلَّا فَخُذْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَ"لَيْسَ وَرَاءَ عَبَّادَانَ قَرْيَةٌ"^(١)، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَحْفَظُ لَكَ وَعَلَيْكَ).

أقول: وهذه الكلمات معناها ظاهر.

(١) عَبَّادَان - على صيغة التشبيه -: بلدٌ على بحر فارس بقرب البصرة شرقاً.

وعن الصنعاني أنَّ عَبَّادَانَ: جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة. [جمع البحرين، ج: ٣، ص: ٩٢]، وقال ابن نجم المصري: (عبادان: حصن صغير على شط البحر، وفي المثل: (ما وراء عَبَّادَانَ قَرْيَةٌ). [البحر الرائق، ج: ٥، ص: ١٧٧]، وهذا المثل: يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ غَيْرُهُ.

شرح الفائدة الثانية

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ الْوُجُودِ
وَالْإِشَارَةِ إِلَى الْقِسْمِ الْأَوَّلِ

قلتُ:

(الفائدة الثانية)

في بيان معرفة الوجود، [والإشارة إلى القسم الأول]

أقول: يعني في بيان تقسيم ما يُسمَّى بهذا الاسم عند الطالبين؛ لمطلق معرفته، وبيان رسمه، سواء كان لذاته أو لعنوانه.

قلتُ: (اعلم أن الذي يُعبّر عنه عند طلب معرفته بالوجود).

أقول: يعني إذا أريد رسمه بشيء يعرف به عند الطلب، سواء كان بحدّه أو برسمه، أم بتعريف عنوانه، كما في الواجب؛ لأنّه المجهول المطلق، والواجب الحق، ولا يُعرف إلّا بما وصف به نفسه، وإذا وصف نفسه؛ كان ذلك الوصف من جملة مخلوقاته، وهو تعالى لا يُعرف بمخلوقاته، ولا بشيء من صفاتهم.

❁ [أقسام الوجود، ووجه الحصر]:

قلتُ: (ثلاثة أقسام).

أقول: وجه الحصر في الثلاثة؛ أن الشيء إمّا صانع أو صنّع أو مصنوع، فالصانع؛ هو الواجب تعالى. والصنّع؛ فعله. والمصنوع؛ ما سوى الله سبحانه من مصنوعاته.

❖ [القسم الأول؛ الوجود الحق، الذي ليس كمثله شيء]:

قلتُ: (الأوّل؛ الوجودُ الحقّ).

أقول: نعني بالوجود الحق؛ الوجود الواجب، المقدّس عن كلّ ما سواه، ومن جملة ما هو مقدّس عنه إطلاق العبارة عليه، فإذا أطلقت عليه العبارة تقع على العنوان، أعني: الدليل عليه، وهو ما أوجده الله تعالى من وصفه لعباده، وهو -أي: ذلك العنوان الذي هو الوصف- ليس كمثله شيء؛ ولهذا يُعرف به أنّه **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)**^(١)، ولو كان لذلك الوصف الذي يعرف به مثل؛ لكان يُعرف الله بأنّ له مثلاً.

فإن قلتُ: قد قال عليٌّ عليه السلام: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ؛ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»^(٢)، وعلى قولكم؛ يلزم أن يكون النَّفس ليس كمثله شيء، وهو خلاف المعروف من مذهب أهل الإسلام.

قلتُ: إنّما يعرف الله سبحانه بمعرفة النَّفس، إذا جُرِّدَت عن جميع السُّبُحات؛ حتّى عن التَّجريد، كما قال عليه السلام: «كَشَفُ سُبُحاتِ الْجَلالِ مِنْ غَيْرِ إِشارةٍ»^(٣)، ولا شك إنّها حينئذٍ ليس كمثله شيء؛

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) غرر الحكم، ص: ٢٣٢. عوالي الآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ١٥٦. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. شرح نهج البلاغة، ج: ٢٠، ص: ٢٩. بحار الأنوار، ج: ٥٨، ص: ٩٩٢.

(٣) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وَص: ١٧٠.

لأنك تجردها عن كل شيء، حتى من المماثلة لشيء من الأشياء، وحينئذ تكون ليس كمثله شيء، فإنها حينئذ تكون آية معرفته، فإذا عرفت الله بها؛ عرفت أنه ليس كمثله شيء.

فافهم هذا؛ ولا تفهم من هذا الكلام ما فهمه الصوفية، فافهم يقولون: إذا جرّدتها هكذا فهي الله. ولهذا يقول قائلهم: "أنا الله بلا أنا". وهذا كفرٌ صريحٌ، ولكن إذا جرّدتها؛ تكون آية الله وعلامة معرفته، كما قال تعالى: ﴿سُورِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١)، ولم يقل: سنريهم ذاتنا، فافهم واعتبر.

❁ [لَا يُدْرِكُ الْوَاجِبُ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ]:

قلتُ: (وَهَذَا الْوُجُودُ؛ لَا يُدْرِكُ بِعُمُومٍ وَلَا خُصُوصٍ، وَلَا إِطْلَاقٍ وَلَا تَقْيِيدٍ).

أقول: يعني هذا الوجود الحق تعالى؛ لا يعرفه أحد ممن سواه من نحو ذاته، وإنما يعرف بما وصف به نفسه، وهو قد وصف نفسه بما يدل عليه، وكل ما فيه جهة من صفات الخلق، لا يعرف به؛ فلا يصف به نفسه.

ومّا فيه جهة من صفات الخلق ما ذكرناه هنا؛ وهو العموم: وهو اشتمال لفظٍ أو معنى لأفراد غير متناهية، يكون كل فرد منها مصداقاً

لذلك العام، المنتشر على جهة البدلية، من غير تعيين أو بتعيين قيود ومشخصات.

والخصوص: وهو بعكس العموم، وهما من أحوال الخلق.

والإطلاق: وهو أن يكون للشيء اعتباران:

اعتبار لذاته بشرط لا شيء.

واعتبار لِمَا يلحقه بشرط شيء، وهو التقييد.

فالعموم: فردُّ له بالاعتبار الأوَّل، والخصوص: فردُّ له بالاعتبار الثاني.

والأحوال الأربعة كلّها جهات الخلق وصفاتهم، كلّها مستلزم

للتركيب؛ بالقوة أو بالفعل.

قلت: (وَلَا كُلٌّ وَلَا كُلِّيٌّ، وَلَا جُزْءٌ وَلَا جُزْئِيٌّ).

أقول: لأنَّ الكلَّ له بعض، والجزء بعضٌ منه، والكلِّيُّ له أفراد

متعددة يوجد فيها، والجزئي فرد منها، وكلُّها صفات الخلق، لا يُعرف بها

الخالق تعالى؛ لأنَّه هو سنَّها وأبداها وأجراها، ولا يجري عليه ما هو

أجراه.

قلت: (وَلَا بِمَعْنَى وَلَا لَفْظٍ، وَلَا كَيْفٍ، وَلَا رُبَّةٌ وَلَا

جِهَةٌ).

أقول: يعني ولا يُعرف تعالى بمعنى؛ لأنَّ المعنى ما وُضع اللَّفظ بإزائه،

أوما تولد من دلالته، أو حلَّ في المدركة.

فالأوَّل: يلزمه الاقتران باللَّفْظ.

والثاني: يلزمه، مع كونه^(١) كان ناشئاً من اللفظ وهو المفهوم؛ كما قال الرضا عليه السلام: «..لأنه لا يُؤلف شيء من ثلاثة أحرف أو أربعة أحرف، أو أكثر أو أقل؛ إلا لمعنى مُحدث لم يكن قبل ذلك..»^(٢)، فالمعنى المفهوم متولد من دلالة اللفظ، كما حُقق في محله.

والثالث: المجرّد الذاتي الحال في الدّهر، والحال العرضي الحال في العقل، فالأوّل مقترن باللفظ، والثاني متولد منه، والثالث الجوهرى والعرضي الدّهريّان.

والاقتران والتّولد والحلول صفات الحوادث، ولا يُعرف بها إلّا الحادث.

(١) في بعض النسخ: (مع ذلك).

(٢) مقطوعة من مناظرات الإمام الرضا علي بن موسى (صلوات الله عليه) واحتجاجه على أرباب الملل المختلفة، والأديان المتشعبة في مجلس المأمون، قال عليه السلام: «..والله تبارك وتعالى سابق للإنداع؛ لأنه ليس قبله شيء، ولا كان معه شيء، والإنداع سابق للحروف، والحروف لا تدل على غير نفسها. قال المأمون: وكيف لا تدل على غير نفسها؟»

قال الرضا عليه السلام: «لأن الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئاً لغير معنى أبداً، فإذا ألف منها أحرفاً أربعة، أو خمسة أو ستة، أو أكثر من ذلك أو أقل؛ لم يؤلفها لغير معنى، ولم يك إلا لمعنى مُحدث، لم يكن قبل ذلك شيئاً..» [التوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٥].

ولا يُعرف بلفظ؛ لأنَّ اللفظ مؤلَّف من الحروف والأصوات المسموعة^(١)، والكلُّ حادث.

والكمُّ: مقدار متصل أو منفصل أو مقداري؛ كالموزونة والمكيّلة، والمعدودة والممسوحة، وكلُّها حادث.

والكيف: كاليّثات والألوان، وهي حادثة مفتقرة إلى الحوادث.

والرتبة: نسبة المسافة من المنتسبين.

والجهة: مقصد الطالب من ناحية المطلوب، سواءً كانت من الجهات السّت الشّهودية؛ الّتي هي متعلّق بالإشارة الحسيّة، أم من الجهات الغيبية؛ الّتي هي متعلّق بالإشارة الخيالية أو العقلية، وكلُّ ذلك صفات الحادّثات.

قلتُ: (وَلَا وَضْعٌ وَلَا إِضَافَةٌ، وَلَا نِسْبَةٌ وَلَا ارْتِبَاطٌ).

أقول: الوضع -بمعانيه الثلاثة- حادث؛ لافتقاره إلى الحوادث.

فالأوّل: في البسيط كالمحلّ للجوهر البسيط المجرّد، والجوهر الفرد.

والثاني: ترتب أجزاء الشّيء بين بعضها إلى بعض.

والثالث: ترتب أجزاء الشّيء بينها وبين الأجزاء الخارجة عنه.

والإضافة: فيما يتوقّف تحقّقه على ما يتوقّف تحقّقه عليه، على نحو

المعّية والتّساوق، الّذي به التحاوي؛ كالأبوّة والبنوّة، وظهور الكسر والانكسار.

(١) في بعض النّسخ: (الأصوات المصنوعة).

والنسبة: هي اعتبار حال الشيء في جهة شيء، سواء كان على جهة اللزوم أو الاتفاق، وسواء تحقق اللزوم من الطرفين أم من أحدهما، وسواء كان ذلك الاعتبار الذاتي كل من المنتسبين أم لعرضيهما، أم لذاتي أحدهما وعرضي الآخر.

والارتباط: مطلق التعلق من الطرفين أو من أحدهما.
وكل ذلك من صفات الخلق، التي لا تعتبر إلّا في الحادث؛ لإستلزامها التركيب والاحتياج.

قلت: (وَلَا فِيْ وَقْتٍ وَلَا فِيْ مَكَانٍ، وَلَا عَلَى شَيْءٍ وَلَا فِيْ شَيْءٍ، وَلَا فِيْهِ شَيْءٌ وَلَا مِنْ شَيْءٍ، وَلَا لَشَيْءٍ وَلَا كَشَيْءٍ، وَلَا عَنْ شَيْءٍ).
أقول: يعني هو تعالى لا يُعرف بأنه في وقت ولا في مكان؛ وإلّا لكان محصوراً فيهما.

ولا على شيء؛ وإلّا لكان محمولاً، وحامله أقوى منه.
ولا في شيء؛ وإلّا لكان ذلك الشيء محيطاً به.
ولا فيه شيء؛ وإلّا لكان محلاً لغيره، وغيره حادث، ومحل الحادث حادث.

ولا من شيء؛ وإلّا لكان مولوداً.
ولا لشيء؛ وإلّا لكان معللاً ومسبقاً.
ولا كشيء؛ وإلّا لكان شبيهاً لغيره.
ولا عن شيء؛ وإلّا لكان متجاوزاً عنه، منتقلاً زائلاً.
وكل ذلك من صفات مخلوقاته.

قلتُ: (وَلَا بُلُطْفٌ وَلَا بَغْلَظٌ، وَلَا اسْتِدَارَةٌ وَلَا امْتِدَادٌ، وَلَا حَرَكَةٌ وَلَا سَكُونٌ، وَلَا اسْتِضَاءَةٌ وَلَا ظُلْمَةٌ، وَلَا بَانْتِقَالٌ وَلَا بِمَكْثٌ، وَلَا تَغْيِيرٌ وَلَا زَوَالٌ).

أقول: إنه تعالى أيضاً لا يُعرف بلطف، أي؛ رقة ودقة ونعومة، وما أشبه ذلك؛ فإنَّها صفات الأجسام.

ولا بغلظ: وهو عكس اللطف.

ولا استدارة: كالدائرة والكرة.

ولا امتداد: وهو مطُّ الشيء؛ ويكون في الذات والأوقات^(١)، والأمكنة والصفّات، والأفعال والتأثيرات؛ أو ما أشبه ذلك.

ولا حركة ولا سكون: لأنهما من الأكوان الأربعة؛ التي تلزم الحادث.

ولا استضاءة ولا ظلمة: لأنهما من نوع الحركة والسكون المعنويين.

ولا انتقال: كالحركة أو ما يلزمها.

ولا بمكث: كالسكون أو ما يلزمه.

ولا تغْيِيرٌ: من حال إلى حال.

ولا زوال: كالانتقال.

(١) في بعض النسخ: (في الذوات والأوقات).

وكلُّ هذه أحوال الخلق وصفاتهم، فلا يُعرف بشيء منها؛ وإلَّا لُعرف بخلقه، فيكون مثلهم.

قلتُ: (وَلَا يُشَابِهُهُ شَيْءٌ، وَلَا يُخَالِفُهُ شَيْءٌ، وَلَا يُوَافِقُهُ شَيْءٌ، وَلَا يُعَادِلُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَبْرُزُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَا يَبْرُزُ مِنْهُ شَيْءٌ).

أقول: ولا يشابهه شيء^(١)؛ وإلَّا لكان حادثاً مثله.

ولا يخالفه شيء؛ وإلَّا لما صدر عن فعله.

ولا يوافقه شيء؛ وإلَّا لأشبهه في جهة الموافقة.

ولا يعادله شيء؛ وإلَّا لكان ندّاً له أو ضدّاً له، فيكون حادثاً.

ولا يبرز من شيء؛ وإلَّا لكان مولوداً.

ولا يبرز منه شيء؛ وإلَّا لكان والدّاً، ومن كان مولوداً كان مشاركاً، ومن كان مولوداً والدّاً كان مورثاً هالكاً^(٢).

قلتُ: (وَكُلُّ صِفَةٍ أَوْ جِهَةٍ، أَوْ صُورَةٍ أَوْ مِثَالٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُمَكِّنُ فَرْضَهُ أَوْ وُجُودَهُ، أَوْ تَمَيِّزَهُ أَوْ إِبْهَامَهُ؛ فَهُوَ غَيْرُهُ).

أقول: وكلُّ صفة أو جهة، أو صورة أو أمثال ذلك لا يُعرف بها؛ لأنها فروع وتوابع، ولو عُرف [بها]^(٣)؛ كان معروفاً بمتبوعيه غيره، وتابعيته لغيره تعالى عن ذلك.

(١) في بعض النسخ: (ولا يُشبهه شيء).

(٢) في بعض النسخ: (كان مورثاً هالكاً).

(٣) ما بين المعقوفتين ورد في بعض النسخ.

أو غير ذلك مما ذكر، ممَّا يمكن فرضه؛ لأنَّه حادث، إذ ما يعرف
بالممكن ممكن.

أو وجوده: أي ما يمكن وجوده؛ لأنَّ ممكن الوجود حادث.
أو تميزه؛ لأنَّ ما يتميَّز فقد أحاطت به حدود التَّميِّز^(١)، وأحصته
مدارك التعيين، فهو محدود معين، وكلُّ محدود معين فهو حادث، تشخَّص
بالمشخصات.

أو إبهامه؛ لأنَّ الإبهام طالب للتعين والتميز، فهو محتمل الزيادة
ومحتمل، الزيادة محتمل النقصان، فهو ممكن.
فهو غيره: أيَّ كلِّ ما يلحقه الإمكان والفرض، والتَّميِّز والإبهام لا
يُعرف به؛ لأنَّها صفات الحوادث.

❁ [لَا يُعْرَفُهُ بغيره، وَتَحْدِثُهُ يُعْرَفُهُ بِهِ:]

قلتُ: (وَلَا يُدْرِكُ بِشَيْءٍ مِّمَّا ذُكِرَ أَوْ غَيْرِهِ، وَلَا بِضِدِّهِ).
أقول: هو تعالى لا يُعرف بشيء مما ذكرنا من هذه الأوصاف؛ وإلَّا
لكان مدركاً بها، والمدرك بغيره حادث.
ولا بغير المذكورات، مما يصدق عليها الغيرية؛ لأنَّها حدود
الحوادث.

(١) في بعض النسخ: (أحاطت به صُور التَّميِّز).

ولا بضد ذلك، وإلّا لكان حادثاً؛ لأنّ الغيرية والضدية صفات الخلق، كما يأتي.

قلتُ: (وَلَا يُعْرَفُ بِمَا هُوَ فِي سِرٍّ وَلَا عَلَانِيَةٍ، وَلَا طَرِيقٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِوَجْهِهِ، لَا بِنَفْسِي وَلَا بِإِثْبَاتٍ، إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ).

أقول: يعني لا يُعرف بإشارة وتلويح، ورمز وتصريح وبيان، ولا طريقة إلى معرفته بوجه من الوجوه.

نعم.. يُعرف بما وصف به نفسه، وذلك لأنّ معرفة الشيء لا تمكن إلّا لمن أحاط بالمعروف بالكنه بالعلم العياني، أو بدعوى الرؤيا والسَّماع بالوصول إلى الأزل؛ ليشاهد ما هنالك وينزل ويخبر عمّا عاين ورأى، وإذا لم يكن أحد وصل إلى الأزل، لا بعروج جسد ولا روح، ولا بإدراك خيال ولا عقل، فكيف يمكن له أن يصفه؟!.

نعم.. لَمَّا تَعَذَّرَ ذَلِكَ عَلَى الْخَلْقِ، وَالْحَالُ أَنَّهُ تَعَالَى يُرِيدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ؛ وَجِبَ فِي الْحِكْمَةِ وَاللُّطْفِ بِالْعِبَادِ الضُّعْفَاءِ أَنْ يَصِفَ نَفْسَهُ لَهُمْ؛ لِيَعْرِفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَمَّا لَمْ يَجِزْ أَنْ تَدْرِكَهُ الْأَبْصَارُ، وَلَا تَحْوِيهِ خَوَاطِرُ الْأَفْكَارِ؛ خَلَقَ خَلْقاً أَقْوِيَاءَ، يَقْدِرُونَ عَلَى تَلْقِيِ التَّعْرِيفِ وَالْوَحْيِ مِنْهُ، وَيَبْلُغُونَهُ إِلَى الضُّعْفَاءِ، فَأَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، فَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ، وَبَلَغَتْ حُجَّتُهُ؛ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١).

(١) اقتباس من الآية: ٤٦، في سورة فصلت.

قلت: (وَلَا يُدْرِكُ أَحَدٌ كُنْهَ صِفَتِهِ؛ وَإِنَّمَا يَعْرِفُهُ بِمَا تَعْرِفَ لَهُ بِهِ).
أقول: وهذا - إن شاء الله - بالغ الحجة ظاهر الدلالة.

قلت: (وَلَمْ يَتَعَرَّفْ لِأَحَدٍ بِخَوِ مَا عَرَفَهُ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَإِلَّا لَشَابَهُهُ
سُبْحَانَهُ).

أقول: إِنَّهُ تَعَرَّفَ لَكَ نَفْسَهُ، يعني: وصف لك سبحانه نفسه،
وعرَّفَكَ نَفْسَهُ، وعرَّفَكَ غَيْرَهُ مِنْ خَلْقِهِ؛ وَلَكِنَّهُ ^{عَلَيْكَ} لَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ لِأَحَدٍ
بِمِثْلِ مَا وَصَفَ غَيْرَهُ لَهُ.

مثلاً: عَرَفَهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)^(١)، وعَرَفَهُ غَيْرَهُ بِأَنَّ
الزَّنجِفَرَ^(٢) أَحْمَرُ، وَالْقُرْطَاسُ أَبْيَضُ، وَالْمَدَادُ أَسْوَدُ، وَالرُّمُحُ طَوِيلٌ، وَالتَّارُ
حَارَّةٌ، وَالْمَاءُ بَارِدٌ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.. وَلَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ
الْأَوْصَافِ، وَإِلَّا لَشَابَهُهُ، فَلَوْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْحُمْرَةِ لَشَابَهُهُ الزَّنجِفَرُ، وَلَوْ
وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْبَيَاضِ لَشَابَهُهُ الْقُرْطَاسُ، فَهُوَ تَعَالَى لَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ بِوَصْفٍ
يُشَابَهُهُ شَيْءٌ مِنْ أَوْصَافِ الْخَلْقِ، فَافْهَم.

ولهذا قلنا: (أَنْ وَصَفَ نَفْسَهُ: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)^(٣)).

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) الزنجفر - بالضم -: صيغ معروف، وهو أحمر، يُكتب به ويُصنع، وهو معدني
ومصنوع، أما المعدني: فهو استحالة شيء من الكبريت إلى معدن الزئبق، وأما
المصنوع: فأنواع. راجع: تاج العروس، ج: ٣، ص: ٢٤٤.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

قلتُ: (فَهُوَ الْمَعْلُومُ وَالْمَجْهُولُ، وَالْمَوْجُودُ وَالْمَفْقُودُ).

أقول: فهو تعالى المعلوم بما وصف به نفسه، والمجهول بحقيقة كنهه؛ لأنه لم يبين حقيقة كنهه لأحد من خلقه، فهو مجهول الكنه. والموجود بآياته وآثار صنعه؛ فَإِنَّ الْأَثْرَ يَدُلُّ عَلَى وَجُودِ مُؤَثِّرِ صُنْعِهِ، والمفقود بذاته لمن طلب حقيقة ذاته، فَإِنَّهُ تَعَالَى ذَاتَهُ فَاتَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ.

قلتُ: (فَجِهَةٌ مَعْلُومِيَّتِهِ نَفْسُ مَجْهُولِيَّتِهِ، وَنَفْسُ مَشْهُودِيَّتِهِ عَيْنُ مَفْقُودِيَّتِهِ).

أقول: يعني أنه من حيث هو معلوم هو نفس من حيث هو مجهول؛ لَأَنَّكَ إِنَّمَا تَعْرِفُهُ بِأَنَّهُ لَا يُوصَفُ وَلَا يُحَاطَ بِهِ عِلْمًا، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ، وَأَنَّ كُلَّ مَعْلُومٍ بِنَفْسِهِ مُصْنُوعٌ لَهُ وَأُمَثَالُ هَذَا، فَلَا يُعْرَفُ سُبْحَانَهُ إِلَّا بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ.

وهذه الأوصاف هي الموجبة لكونه تَعَالَى مجهول الكنه.

وقولنا: (ونفس مشهوديته عين مفقوديته)؛ تُرِيدُ بِهِ أَنَّ حَقِيقَةَ مَشَاهِدَتِهِ أَنَّ كُلَّ مَا يَشَاهَدُ فَهُوَ صُنْعُهُ وَأَثَرُهُ، الْمُتَقَوِّمُ بِفَعْلِهِ قِيَامَ صَدُورٍ، مِثْلُ: صَوْتِ الْكَلَامِ^(١).

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ: (مِثْلُ: صَوْتِ الْمُتَكَلِّمِ).

فإنَّ كلَّ شيءٍ يُدركُ ويُشاهد بالأبصار أو البصائر، وجميع المدارك والمشاعر؛ فإنَّه أثر فعله، بمنزلة صوت الكلام إذا سمعته من متكلم خلف الجدار مثلاً، وهو دالٌّ على وجوده بذلك الصَّوت في حال غيبته، فحال إدراكه إنما هو أثره^(١) مع غيبة ذاته، فمشاهدته إنما هي بآثار صنعه حال غيبته، فوجدانه عين فقدانه.

قلتُ: (فَهُوَ لَا يُعْرِفُ بغيرِهِ، وَغَيْرُهُ يُعْرِفُ بِهِ).

أقول: أنَّه تعالى لا يُعرف بغيره؛ لأنَّ كنهه تفريقٌ بينه وبين خلقه، وغيره يُعرف به، يعني: أنَّ غيره لما عرفته بنفسه؛ ذلك على أنَّه مصنوع، قد عرفك إياه صانعه بأنَّه مصنوعه وأثر فعله.

قلتُ: (أَمَّا أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ بَعْمُومٍ وَلَا خُصُوصٍ... إلخ؛ فَلِأَنَّهَا جِهَاتُ الْخَلْقِ وَصِفَاتُهُمْ، وَهِيَ لَا تَحُدُّ إِلَّا أَنْفُسَهَا، وَلَا يُدْرِكُ بِهَا إِلَّا مِثْلَهَا).

أقول: يعني أنَّ كونه تعالى لا يُدرك بعموم... إلخ؛ فلأنَّ تلك الصِّفات من صفات الخلق، وصفة الشَّيء لا يُعرف بها غيره.

مثلاً: الأحمر صفة الحمرة، ولا يُعرف بالحمرة الأبيض؛ لأنَّها غير صفته، والصِّفات إنما تصدق على موصوفاتها لا على غيرها، ولا يُدرك بها غيرها، وإنَّما يُدرك بها مثلها، وذاته تعالى وصفاته مخالفة لذوات خلقه وصفاتهم، فلا يُعرف بصفاتهم؛ إذ لا يُعرف بصفاتهم إلَّا الحادث.

(١) في بعض النُّسخ: (إنَّما هو بآثره).

❁ [لماذا لا يُدرك الواجب بضد؟]:

قلتُ: (وَأَمَّا أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ بِضِدٍّ؛ فَلِأَنَّ الْمُمْكِنَ ضِدَّ الْمُمْكِنِ مُمَكِّنٌ، إِذِ الْقَدِيمَ لَا ضِدَّ لَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَشَابَهَهَا فِي تَضَادِّهَا).

أقول: يعني أنه لا يُدرك بضد^(١)؛ لأنَّ الضدَّ إنما يُعقل للشيء إذا كان في رتبته، وهو الأزل، وليس في رتبته غيره، وما ليس في رتبته - كالممكن - لا يكون ضداً للقديم، وأيضاً يكون مشابهاً للمخلوقات؛ التي لها ضدٌّ.

والضدُّ - على الأصحَّ المشهور - هو المعاكس في الصفات الذاتية، مع الاتفاق في الرتبة مثلاً يكونان أزليين، هذا في الرتبة، ويكون إذا حرك أحدهما شيئاً طلب الآخر تسكينه، وذلك بمقتضى الطبع الذاتي، ومقتضى الرتبة؛ أن يكون كل منهما نسبته إلى كل شيء على السواء، فتساوى المقتضيان^(٢) منهما إلى كل شيء، فلا يصدر شيء عنهما، ولا عن أحدهما؛ للتضاد المذكور.

فإن وقع مقتضى أحدهما دون الآخر، لم يكن الآخر ضداً؛ لنقض ضدَّيته في الرتبة، أو في الطبع الذاتي.

(١) في بعض النسخ: (لا يُدرك بضدٍّ؛ إذ لا ضدَّ له).

(٢) في بعض النسخ: (فيتساوى المقتضيان).

وقولي: (فلأنَّ ضدَّ الممكن)، ولم أقل: (فلأنَّ ضدَّ القديم)، أريد به: أنَّ القديم يَسْتَحِيلُ فرض صدقه^(١) في العقل، ومن تصوَّر ضده فإنما تصوّر ضدَّ الممكن؛ لأنَّه إذا تصوّر معه غيره فليس ذلك بقديم، فمهما فُرض وقع في الممكن؛ ولذا قلتُ: (إذ القديم لا ضدَّ له).

قلتُ: (وَلِأَنَّهُ إِنْ كَانَ قَدِيمًا؛ لَزِمَ تَعَدُّدُ الْقَدَمَاءِ).

أقول: يعني أن الضدَّ - لو فُرض؛ وإن لم يصحَّ الفرض - لزم تعدُّد القدماء، المتفق على بطلانه، على ما هو مقرر في أدلة التوحيد.

قلتُ: (وَلَا يُمَكِّنُ فَرَضُ ذَلِكَ فِي الْأَزْلِ؛ لِأَنَّ الْأَزَلَ هُوَ الذَّاتُ الْبَسِيطُ الْبَحْتُ، وَلَا مَدْخَلَ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْأَزَلَ صَمَدٌ).

أقول: لا يمكن فرض الضد والكثرة في الأزَل مطلقاً، سواء كان ضدّاً أو ندّاً؛ لمنافات ذلك الأزَل^(٢)، وذلك لأنَّ الأزَل هو الذات البحت البسيط، الذي لا كثرة فيه بكلِّ اعتبار، وما خرج عن تلك الذات البحت فهو ممكن، والذَّات البحت صمَدٌ لا مدخل فيه؛ لأنَّ من كان فيه مدخل لغيره، فهو مؤلَّف محتاج.

ولهذا قلتُ: (وَالَا فَهُوَ إِمَّاكَانٌ).

(١) في بعض النسخ: (فرض ضده).

(٢) في بعض النسخ: (ذلك للأزَل).

أقول: يعني إذا كان شيء بخلاف ما وصفنا؛ بأن يكون فيه مدخل لغيره، أو ليس ببسيط، أو أنه - كما يتوهمونه - ظرفٌ قد حلَّ فيه الواجب الحق، وفيه فضل^(١) يسع أن يُفرض فيه غيره، كما هو شأن كلِّ ظرف؛ فهو ظاهر البطلان.

قلت: (وَإِنْ كَانَ الضَّدُّ مُمَكِّنًا، لَمْ يَصَحَّ فَرَضُ كَوْنِ الْمُمَكِّنِ ضِدًّا لِلْوَاجِبِ؛ لِخُذُوثِهِ بِهِ).

أقول: وإذا فرض الضَّدُّ ممكنًا، لم يصح كونه ضدًّا للواجب؛ لتغاير الرتبة - كما ذكرنا سابقًا - لأنه إذا فرض الضد ممكنًا، كان إنما وجد بإحداث الواجب تعالى، فكيف يحدث ما هو ضده، وما ذلك إلَّا كمثل أن النار من جهة كونها حارة؛ أحدثت برودة بتأثيرها الحار.

قلت: (وَإِنَّمَا قُلْنَا أَنَّ ضِدَّ الْمُمَكِّنِ مُمَكِّنٌ؛ لِأَنَّ الْقَدِيمَ وَالْمُمْتَنِعَ لَا يَصْلُحَانِ لِمُطْلَقِ الضَّدِّيَّةِ، وَإِلَّا لَكَانَا مُمَكِّنَيْنِ).

أقول: لأنَّ القديم لا يُعرف بالتعدد والضدية؛ لأنَّهما من صفات الخلق، فلا يفرض كون القديم ضدًّا إلَّا على تحقق الإمكان، وأمَّا الممتنع فليس شيئاً يُفرض كونه ضدًّا للشيء، أو كون شيء ضدًّا له، ولهذا قلنا: (وَإِلَّا لَكَانَا مُمَكِّنَيْنِ).

(١) في بعض النسخ: (وفيه فضل).

قلتُ: (وَأَمَّا فِي الْوَاجِبِ؛ فَلِأَنَّ الضَّدَّ جِهَةً الْمُقَابَلَةَ وَطَرَفَهَا، وَهُوَ مُمَكِّنٌ).

أقول: يعني إنما امتنع الضد من الواجب؛ لأنَّ الضد مأخوذ في مفهومه جهة ضده، فلاجل الالتفات لم يصح أن يكون بسيطاً؛ ولذا يقولون: أن الضد يحضر في الذهن عند ذكر ضده.

والأصل فيه هذا، أي: أنه مأخوذ في مفهومه جهة مقابلة ضده.

قلتُ: (وَأَمَّا فِي الْمُمْتَنِعِ؛ فَلِأَنَّ الضَّدَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ ضِدّاً، وَإِنْ كَانَ شَيْئاً، كَانَ مُمَكِّناً).

أقول: إنَّ الممتنع ليس شيئاً، لا في الخارج ولا في الذهن، ولا في نفس الأمر، فإذا لم يكن شيئاً لم يكن ضدّاً، فإنَّ وجد ضدّ فهو ممكن، فلا يُعقل كونه ضدّاً.

وَمَنْ فَرضَ ذلك؛ فإنما فرض ممكناً سماه بهذا الاسم، ومجرد التسمية لا يثبت الشيء ولا يحققه في الواقع؛ ولذا قال تعالى لمن يدّعي أنه له شريكاً: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾^(١)، ولو كانت التسمية تثبت الشيء، وتجعل ما ليس ثابتاً ثابتاً؛ لما

قال تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، حين سَمُّوا أصنامهم شركاء؛ لأنَّهم لو ثبتوا بالتَّسمية؛ لعلمهم، وقد أخبر أنَّه لا يَعلم ذلك.

❖ [لماذا لا يصلح العدم لضدية الوجود؟]:

قلت: (وَلِهَذَا لَا يَصْلَحُ الْعَدَمُ لِضِدِّيَةِ الْوُجُودِ، إِلَّا مَجَازًا؛ لِأَنَّ الْعَدَمَ الْمُمْكِنَ وَجُودٌ فِي الْإِمْكَانِ، لَا فِي الْأَعْيَانِ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ اخْتِلَافِ زُرَّارَةَ وَهَشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فِي النَّفْيِ، هَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ أَمْ لَا؟، فَقَالَ زُرَّارَةُ: لَيْسَ بِشَيْءٍ. وَقَالَ هَشَامُ: النَّفْيُ شَيْءٌ - فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قُلْ بِقَوْلِ هَشَامٍ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ»^(٢)).

أقول: ولأجل أنَّ العدم ليس بشيء؛ لا يصلح لضدية الوجود، نعم الوجود الذي هو المعنى البسيط، المعبر عنه بالفارسية: بـ(هست) يصلح العدم، الَّذي هو عدم الكون للضدية؛ لأنَّ هذا العدم شيء ممكن، ولو أريد به المفهوم المطلق صلح مجازاً، لأنَّ العدم الممكن وجود في الإمكان لا

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٢) عن علي بن يونس بن هَمْن قال؛ قلت للرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: جُعِلَتْ فداك، إنَّ أصحابنا قد اختلفوا، فقال: «فِي أَيْ شَيْءٍ اخْتَلَفُوا...»

قلت: جُعِلَتْ فداك، من ذلك ما اختلف فيه زُرَّارَةُ وهَشَامُ بن الحكم، فقال: زُرَّارَةُ النَّفْيُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، و ليس بمخلوق. وقال هَشَامُ: إنَّ النَّفْيَ شَيْءٌ.

فقال لي: قُلْ فِي هَذَا بِقَوْلِ هَشَامٍ، وَلَا تُقُلْ بِقَوْلِ زُرَّارَةَ» [بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٣٢٢].

في الأعيان، فيكون من حيث تحقق الشيئية صلح لمطلق الضدية، ومن حيث أن الشيئية مختلفة من حيث الإمكان والأعيان كان مجازاً؛ لصحة نفي الشيئية عن الممكن، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾^(١)، وإثباتها كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾^(٢)، قال الصادق عليه السلام: «كَانَ مَذْكُوراً فِي الْعِلْمِ، وَلَمْ يَكُنْ مُكُوناً»^(٣).

فباعتبار تحقق الشيئية؛ صلح للضدية، وباعتبار أن هذه الشيئية ليست في رتبة ضده في الواقع، وإنما هي في الاستعمال كانت مجازاً، والآية الدالة على إثبات الشيئية للممكن شاهدة للحديث المذكور.

قلت: (وَأَمَّا الْمُتَمَتِّعُ؛ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ وَلَا عِبَارَةٌ لَهُ، وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُ الْعِبَارَةَ لِجَهَةِ إِمْكَانِهِ).

أقول: إنما ذكرنا المتمتع مرتين؛ لأن الأولى: في بيان عدم صلوحه للضدية. والثانية: لبيان عدم شيئته.

(١) سورة مريم، الآية: ٦٧.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ١.

(٣) عن شعيب الحداد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال -في تفسيره للآية-: «كَانَ مَذْكُوراً فِي الْعِلْمِ، وَلَمْ يَكُنْ مَذْكُوراً فِي الْخَلْقِ». [بحار الأنوار، ج: ٥٧، ص: ٣٢٨].

ومعنى هذا الكلام؛ أن الممتنع المقصود ليس شيئاً أصلاً، وإذا عُبِّرَ عنه؛ فإنه إنما تقع العبارة على ما يتوهمه المخبر عنه، والمتوهم والمتخيّل والمعقول، كلّ منها ممكن موجود؛ لأنّ ما في الذّهن إنّ كان هو الذات المشار إليها بالامتناع، فهي موجودة، فلا معنى لجعلها ممتنعة الوجود، وإنّ كان صفة -والصفة لا توجد إلّا مترتبة على الموصوف- فيكون الممتنع عندهم على الفرضين ممكناً.

❁ [نفى الشراكة والشريك المطلق]:

قلت: (مثل: "لَا شَرِيكَ لَهُ"؛ لِأَنَّ النَّفْيَ فَرَعُ الثَّبُوتِ).
أقول: إذا قلت؛ (لا شريك له). فهذا نفى، فإنّ كان واقعاً على ثابت؛ لزم ثبوت الشريك، وإنّ لم يقع على شيء؛ لم يكن للنفي معنى.
فلما ثبت صحّة النّفي؛ دلّ على ثبوت الشّريك، وهو خلاف نفس الأمر، مع أنّه تعالى قال: ﴿تَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١)، إذ لو كان شيء لعلمه تعالى، فلما نفى علمه به؛ دلّ على عدمه بكل اعتبار، في جميع الأحوال.
وأنت -أيّها المدّعي ثبوت الشّريك في الأذهان- يلزمك أنّك علمت ما لم يعلمه الله، وليس كذلك؛ لأنّ الذي تتصوره صورة منتزعة من أحكام الأوهام، حيث حكموا بكون (هبل) -مثلاً- شريكاً لله

سبحانه، وتوهمت الأوهام مطلق الشريك، وأخذ العلماء في محو^(١) ما في الأوهام بما يناسب ما فيها من العبارات، حيث تصوّرت الشريك المنفي المحو.

ففي الحقيقة؛ أن العبارة واقعة على ما خلقته الأوهام، كما قال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾^(٢)، وهو ممكن، وتسميتهم له بالمتنع أمرٌ لفظي، كما قال تعالى: ﴿أَمْ بَظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾^(٣)، ومرادهم أن هذا المتوهم يمتنع كونه شريكاً، فالامتناع في كون هذا الممكن المحدث شريكاً، لا أنه -أي: المشار إليه بنفي كونه شريكاً- شيء ممكن؛ لأنه لو كان كذلك، لم يكن ممتنعاً.

قلت: (وَذَلِكَ أَنَّ الْأَوْهَامَ تُصَوِّرُ شَيْئاً وَتُسَمِّيهِ شَرِيكاً، مِنْ جِهَةٍ تَجْوِيزُهَا ذَلِكَ، أَوْ تَوْهَمِ وَجُودِهِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾^(٤)).

أقول: لما استعملوا أشياء اعتقدوا فيها بأنها تنفع وتضر، وسَمَّوها آلهة، وهم يعرفون أن الخالق هو الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ

(١) في بعض النسخ: (في نحو).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ^(١)، سموها شركاء الله تعالى، وشفعاء عند الله، والسبب في التسمية؛ تجويزهم ذلك، أو توهم كونه موجوداً.

قلتُ: (فَأَتَى بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ مَكْنَسَةً لِّغُبَارِ الْأَوْهَامِ).

أقول: يعني أتى بقوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ»، مكنسة لغبار الأوهام، أعني تجويزها الشريك، وتوهم^(٢) وجوده.

قلتُ: (وَهِيَ عِبَارَةٌ حَادِثَةٌ، وَارِدَةٌ عَلَى حَادِثٍ).

أقول: لأنَّ اللفظ إنما يُوضع بإزاء المعنى الموجود في الخارج أو في الذهن، ولا يصح أن يوضع لفظ على لا شيء؛ لأنَّه لو وُضع ولا شيء موضوع له، لم يكن موضوعاً لشيء، فلا يدل على شيء هف^(٣).

قلتُ: (وَأَمَّا الْمُمْتَنِعُ؛ فَلَيْسَ شَيْئاً، وَلَا عِبَارَةً عَنْهُ).

أقول: هذا هو الموضوع الثاني الذي ذكرنا قبل؛ بأنَّ الأولى: في بيان عدم صلوحه للضدية. والمرّة الثانية: هو ما هنا، وهو بيان عدم شيءيته في نفسه أصلاً، وذكرناه أيضاً هنالك.

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٥. وكذلك: سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٢) أو توهم. (ن:ب).

(٣) (هف): بمعنى خلاف الفرض.

ووجه آخر: أننا ذكرنا أولاً؛ لبيان عدميته. والثاني -وهو ما هنا:- لعدميته، وأنه مع امتناعه؛ فلم يعبر عنه، والعبارة إنما تكون للممكن، ولهذا قلت هنا: (ولا عبارة عنه)، فإذا وجدت العبارة؛ فإنما هي لغيره، باعتبار التعبير [به]^(١) عنه.

قلت: (وَتَغْيِيرِي عَنْهُ بِالْعِبَارَةِ؛ لِهَذَا الْعُنْوَانِ الْمُتَوَهَّمِ).

أقول: يعني أن التعبير عنه بهذه العبارة، مع أن العبارة لا تستعمل فيما ليس شيئاً، وإلاً لم تكن عبارة لشيء (هف)، ولكن لما كان له معنى من المعاني، بمعنى أنه لو كان شيئاً؛ لكان يُقال فيه: كذا وكذا. فكانت العبارة للعنوان المتوهم؛ لأن العنوان -الذي هو الدليل للأفهام، على ما ترد عليه العبارات- لما لم يكن مدلوله هنا شيئاً أصلاً، من غير جهة يقصد منه المراد، وإنما يتوهم بعض الأوهام الناقصة لفرض شيءته، وإن كان على ما تفهمه الأفهام الضعيفة؛ وإلاً فإنه في الأفهام القوية ممتنع الفرض والتجويز والاحتمال بكل وجه، فلا عبارة عندها؛ إلا مع مخاصمة الأوهام الضعيفة فيما تجري فيه.

فلما كان هذا العنوان إنما هو بهذا النمط؛ لعدم تحقق مدلوله بكل احتمال، قلنا: (أنه عنوان متوهم)؛ لأنه لو كان حقيقياً لكان مدلوله ثابتاً، كما في عنوان الواجب.

(١) ما بين المعقوفين لم يرد إلا في بعض النسخ.

قلتُ: (وَهُوَ حَدِيثٌ، خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمُقْتَضَى أَوْهَامِهِمْ؛ مِنْ بَابِ الْحُكْمِ الْوَضْعِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الْأَصُولِ).

أقول: إِنَّ هَذَا الْعُنْوَانَ الْمَتَوَهَّمُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ مُبْتَنِي ثُبُوتَهُ عَلَى ثُبُوتِهِ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا تَوَهَّمَتِ الْأَوْهَامُ ثُبُوتَ أَصْلِهِ فِي مَحَلِّ التَّعْقُلِ مِنَ الذَّهْنِ، خَلَقَهُ اللَّهُ بِمُقْتَضَى أَوْهَامِهِمْ، كَمَا خَلَقَ الْكُفْرَ فِي الْكَافِرِ بِكُفْرِهِ حِينَ كَفَرَ؛ خَلَقَهُ بِمُقْتَضَاهُ.

وكَمَا خَلَقَ ابْنُ الزُّنَا -الَّذِي هُوَ عَنْهُ- بِمُقْتَضَى النُّطْفَةِ الْمَوْضُوعَةِ فِي الرَّحِمِ، وَإِنْ كَانَتْ وَضَعَتْ بِغَيْرِ رِضَاهُ، وَخَلَقَ الزَّرْعَ الَّذِي كَانَ بِذَرِهِ مَغْصُوباً وَمَاؤُهُ وَأَرْضُهُ كَذَلِكَ، وَهُوَ قَدْ هُوَ عَنْ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ حِينَ خَلَقَ الْبَذَرَ، وَجَعَلَهُ صَالِحاً لِأَن يَنْبِتَ، إِذَا وَضَعَ فِي الْأَرْضِ، وَسُقِيَ بِالْمَاءِ، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ مَعِيناً لِلظَّالِمِ عَلَى ظُلْمِهِ؛ حِينَ خَلَقَ بِمُقْتَضَى تِلْكَ الْأَسْبَابِ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ عَطِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ، وَنَظَائِرَ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

قلتُ: (لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ).

أقول: إِنَّهُ ﷻ قَدْ أُعْطِيَ -بِكْرَمِهِ- كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مَا يَقْتَضِيهِ بِأَسْبَابِهِ، فَلَا يَمْنَعُ عَطِيَّتُهُ بِسَبَبِ مَخَالَفَةِ أَمْرِهِ، بَلْ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ، وَعَلَيْهِ سُبْحَانَهُ الْحِسَابِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ جَبَرًا وَلَا ظُلْمًا، وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ.

قلتُ: (وَلَيْسَ هَذِهِ الْعِبَارَةُ عَنْ هَذَا الْعُنْوَانِ؛ كَالْعِبَارَةِ عَنْ عُنْوَانِ حُكْمِ الْوُجُوبِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُدْرِكُ لِدَاتِهِ).

أقول: يعني أن التعبير عن عنوان الممتنع ليس كالتعبير عن عنوان الواجب تعالى؛ لأنَّ الواجب تعالى ثابت، وإنَّ كان لا يُدرك، وإنَّما يعرف عنوانه الذي جعله آية لمعرفة؛ ليستدل به عليه، وعنوان الممتنع وهميٌّ لا حقيقة له، كما هو المراد منه، إذ الممتنع ليس شيئاً، فكيف تكون آيته شيئاً؟!.

نعم.. لَمَّا كانت الأوهام الضَّعِيفَةُ تتوهمه؛ وضع له عنوان نفيه، وهو أيضاً وهميٌّ؛ إذ الممتنع في الحقيقة مفاده العبارة اللفظية، فكان عنوانه صورة نفي ذلك، فهو موهومٌ لفظي.

قلت: (إِلَّا أَنَّ الْعُنْوَانَ لِمَظَاهِرِهِ وَمَقَامَاتِهِ؛ الَّتِي لَا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ).

أقول: وذلك كما قال الحجة عليه السلام في دعاء شهر رجب: «فَجَعَلْتُهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأَرْكَانًا لِتَوْحِيدِكَ، وَآيَاتِكَ وَعَلَامَاتِكَ، وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتَقْهَرُهَا وَرَتَّقُهَا بِيَدِكَ، بَذَوُهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ...»^(١).

فهذه العلامات؛ الَّتِي هي عنوان الواجب ودليله؛ الَّتِي لا فرق بينه وبينها، يعني: فيما ينسبه الخلق إليه من الصِّفَاتِ والتَّأثيرات، مثل: مَنْ

(١) إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص:

٥٢٩. مصباح المتهجد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٣٩٣.

أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، وفعلهم فعل الله، وقولهم قول الله، وأمرهم أمر الله، ونهيهم نهي الله، إلى غير ذلك، في كل ما يُنسب الخلق إليه.

ومثال ذلك: كالحديدة المحماة بالنار، فإن فعلها فعل النار، من عرفها عرف النار، وإن كانت في الحقيقة إنما تحرق النار بفعلها؛ الذي حل في الحديدة، وليس للحديدة شيء من التأثير، كذلك المقامات؛ لأنها محال فعله ومشيتها، فهي الدليل عليه، بخلاف عنوان الممتنع؛ فإنه ليس شيئاً، فلا يكون عنوانه شيئاً؛ لأن ثبوته فرع ثبوت أصله، فافهم.

قلت: (وَلَيْسَ لِلْمُمْتَنِعِ مَظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ الْمَظَاهِرَ فَرَعُ الثُّبُوتِ).

أقول: يعني أنه إنما كان العنوان مُتَحَقِّقاً للواجب تعالى؛ لأن الواجب ثابت، والثابت تكون له مظاهر بخلاف الممتنع، فإنه لو كان ثابتاً كان عنوانه ثابتاً، فلمَّا كان لا شيء لم تكن له مظاهر، والعنوانات مظاهر للمستدل عليه، فإذا تُصَوِّرَ له مظاهر؛ كانت موهومة.

قلت: (وَإِنَّمَا سَمَّيْتُمْ مُمَكِّنًا بِمُمْتَنِعٍ، كَمَا لَوْ سَمَّيْتَ رَجُلًا بِمَعْدُومٍ).

أقول: إن الممتنع الذي يبحثون عنه ممكن، وإن أرادوا به الممتنع، فلأجل هذا كان له عنوان، وإِنَّمَا سَمَّيْنَاهُ مَوْهُومًا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرِيدُونَ مِنْهُ الْمُمْكِنَ لِيَكُونَ مُتَحَقِّقًا.

قلت: (وَلَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا اللَّهُ وَصِفَاتُهُ وَأَسْمَاؤُهُ).

أقول: يعني أن الممتنع ليس شيئاً، إذ الشيء لا يكون إلا ما هو المتحقق، وليس متحققاً إلا الله بذاته وصفاته وأسمائه تعالى.

❁ [لا يُعرّف إلا بما وصف به نفسه]:

قلت: (وَأَمَّا أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ؛ فَلِأَنَّ الْأَزَلَ لَيْسَ شَيْئاً غَيْرَهُ تَعَالَى، وَمَا سِوَاهُ فَهُوَ فِي الْإِمْكَانِ، وَالْأَزَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَدْخُلُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ فَيُخْبِرُ عَمَّا هُنَاكَ، وَيَصِفُ مَا فِيهِ).

أقول: يعني أنه تعالى لما كان هو الأزل؛ وجب أن يكون ما سواه غير الأزل، وغير الأزل ممكن، ولما ثبت أن غيره لا يساويه، ولا يصل إليه؛ وجب أن لا يعرف غيره لذاته، فإذا كان كذلك وأراد أن يعرفه عباده، وصف نفسه لهم؛ لأنهم لم يصلوا إليه ولم يدركوه، ولم يروه ليعرفوه [وإنما يعرفوه]^(١) بذلك الوصف، الذي وصف نفسه به؛ لأنه هو الذي يُعرّف نفسه.

(١) ما بين المعقوفين لم يرد إلا في بعض النسخ.

قلتُ: (وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ، إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ).
أقول: وذلك لأنه لا يصل إليه غيره، ولا يصفه أحد؛ لعدم اطلاعه
عليه، إلا بتعريفه نفسه له.

قلتُ: (وَهُوَ كَمَا يَقُولُ، لَا يُدْرِكُهُ غَيْرُهُ، فَلَا يَعْرِفُ كُنْهَهُ إِلَّا هُوَ؛
لأنَّ عِلْمَهُ بِنَفْسِهِ عَيْنُ ذَاتِهِ).

أقول: هذا هو العلة والسبب في عدم إدراكه لأحد غيره، وكون
معرفته بذاته عين ذاته؛ ولهذا امتنع معرفته بذاته لغيره.

قلتُ: (فَإِذَا وَصَفَ نَفْسَهُ؛ كَانَ وَصْفُ الْحَقِّ لِلْحَقِّ حَقًّا، وَيَقَعُ
عَلَيْنَا وَصْفُهُ خَلْقًا).

أقول: يعني أن وصفه نفسه بنفسه هو نفسه؛ لعدم المغايرة هناك،
لاستلزامها الكثرة، المستلزمة للحدوث، فيكون وصف الحق للحق تعالى
حقاً؛ لأنه هو هو، وما وصل إلينا من ذلك التعريف فهو حادث بحدوثنا،
فهو في الحقيقة ذواتنا، وذلك الوصف أثر من فعله؛ لأنه فعله لنا لنعرفه
به، فهو آية فعله، وفعله آية علمه، الذي هو ذاته؛ فلذا قلنا: (ويقع علينا
وصفه خلقاً)؛ لأنه هو حقائقنا، لأن أنفسنا أنموذج هيكل توحيده، فتدل
أنفسنا بهيئتها على ذلك الهيكل؛ لأنه أثره، والأثر يشابه صفة المؤثر من
جهة التأثير.

ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»^(١)، يعني أن كل أحدٍ فنفسه دليل ربه وآيته؛ لأنه أثر فعله، فمن عرفه، أي: عرف ذلك الوصف، عرف الموصوف، وهذا ظاهر.

قلت: (وَنَحْنُ ذَلِكَ الْوَصْفُ؛ الْوَاقِعُ عَلَيْنَا بِنَا، فَقَدْ تَعَرَّفَ لَنَا بِنَا).

أقول: يعني أن نفوسنا -أي: ذواتنا وحقائقنا- هي ذلك الوصف؛ لأنه لما أراد أن نعرفه، خلقنا على هيئة معرفته. مثاله: أنك إذا أردت أن يعرف زيد شيئاً طويلاً بصفة طوله؛ رسمت له خطاً طويلاً، على هيئة طول ذلك الشيء المطلوب معرفته بطوله، أو معرفة طوله.

ولو كان المطلوب معرفته عريضاً، رسمت لزيد شيئاً عريضاً، على هيئة عرض ذلك الشيء المطلوب معرفته بعرضه، أو معرفة عرضه. وهذا معنى قولنا: (فقد تعرّف لنا بنا)، ومعنى قولنا ظاهر.

(١) غرر الحكم، ص: ٢٣٢. عوالي الآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ١٥٦. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. شرح نهج البلاغة، ج: ٢٠، ص: ٢٩. بحار الأنوار، ج: ٥٨، ص: ٩٩٢.

قلتُ: (فَكَانَ وَصْفُهُ لِلْخَلْقِ خَلْقًا).

أقول: يعني أن وصفه الحق بذاته لذاته يصل إلينا أثره خلقاً؛ لأنَّ القديم لا يتغير عن حاله ولا ينزل، فإذا نزل أو ظهر؛ فإنَّما يكون ذلك من الحادث، إذ القديم حاله واحدة، لا يتغير ولا يتبدل.

قلتُ: (لَأَنَّ الْخَلْقَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا خَلْقًا، إِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا).

أقول: هذا تعليل لما قلنا؛ من أنه تعالى لا يُعرف من نحو ذاته، وإنَّما يُعرف بما وصف به نفسه، فلذا قلنا: (أَنَّ الْخَلْقَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا خَلْقًا)، فلذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا»^(١)، يُريد عليه السلام: أن الشيء لا يُدرك إلا ما هو من جنسه، أو نوعه أو صنعه.

قلتُ: (فَلَا يُدْرِكُ شَيْءٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ جِنْسِهِ).

أقول: يعني أن كلَّ شيء لا يدرك ما ليس من جنسه ولا من نوعه ولا من صفته؛ لأنَّ كل مدرك إنما إدراكه بنحو طبيعته، فإدراك الجسم

(١) الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤٠٠. أعلام الدين، ص: ٥٩. تحف العقول، ص:

٦١. التوحيد، ص: ٣٩. فحج البلاغة، ص: ٢٧٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام،

ج: ١، ص: ١٥٢. شرح فحج البلاغة، ج: ١٣، ص: ٧. بحار الأنوار، ج: ٤، ص:

بنحو طبيعة الجسمية، لا بنحو طبيعة المجردات، وإدراك المجرد بنحو طبيعة المجرد، لا بنحو طبيعة الجسمية.

فمن ثم حكموا على العقول بكونها مفارقات، يعني أنها لم تكن مقترنة بشيء من الماديات، فلا تدرك إلا المعاني، وأما غير المعاني فلا تدركها إلا بتوسط ما هو من جنسها، والنفوس كذلك؛ يعني أنها في إدراكها مثل نسبة إدراك العقول، فهي مفارقة في ذاتها، ومقارنة في فعلها، فإدراكها الذاتي إنما هو للصّور الجوهرية، والفعلية ما كان من نوع الجسمانيّات.

قلت: (وَمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَتَعَرَّفُ لِأَحَدٍ بِنَحْوِ مَا عَرَفَهُ مِنْ غَيْرِهِ؛ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ عَرَفَ الْخَلْقَ لِلْخَلْقِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ).

أقول: يعني هو سبحانه تعرّف للخلق بما تعرفه عليه من التحقق في الوصفية، يعني على حسب ما يقتضيه وصفه لنفسه من البيان، وهذا بخلاف ما وصف خلقه به لخلقهم.

فإنه -مثلاً- وصف نفسه لزيد بأنّه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)^(١)، وإن كل ما ميّزه زيد في أدق معانيه، فهو مثل زيد مخلوق مردود على زيد^(٢)،

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) مقتبس من قول الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، حيث قال: «كُلُّ مَا مَيَّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ، فِي أَدَقِّ مَعَانِيهِ؛ مَخْلُوقٌ مَصْتَوَعٌ مِثْلُكُمْ، مَرْدُودٌ

أي: منعطف عليه، لأنَّه صفة نفسه، ووصف عمرو لزيد بأنَّه مخلوق مركَّب، متغيِّر مختلف، فلا يمكن أن يُوصف المخلوق إلَّا بهذا التَّوَع على هذا النحو، ولا يمكن أن يَصِف الخالق نفسه إلَّا بهذا التَّحو المشار إليه في وصفه تعالى لنفسه.

قلتُ: (إِنَّهُمْ خَلَقٌ، وَهُوَ عَرَفَ نَفْسَهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِخَلْقٍ، وَلَا يُشَبِّهُ شَيْئًا مِنَ الْخَلْقِ).

أقول: يعني أنَّ تعريف الشيء؛ إنَّما هو بوصفه على ما هو عليه، وذلك في وصف الخلق أنَّهم مركَّبون مؤلَّفون، متشابهون محدودون، محصورون محتاجون.. وأمثال هذه الأوصاف، وفي وصفه تعالى لنفسه أنَّه لا يُشابه شيئاً من صفات خلقه.

قلتُ: (فَلَا يُدْرِكُ مَا تَعَرَّفَ لَهُمْ بِهِ بِشَيْءٍ مِنْ بَصَائِرِهِمْ، وَلَا مِنْ أَبْصَارِهِمْ).

أقول: لأنَّ بصائرهم وأبصارهم إنَّما تدرك ما هو من نوعها، وبينهما مشابهة ومقارنة؛ وإلَّا لما أدركته.

→

إِلَيْكُمْ». [بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٢. ويقرب منه ما في إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٧٢].

قلت: (وَإِنَّمَا يُعْرِفُ بَبَصَرٍ مِنْهُ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ»^(١))، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا رَامَ عَاشِقُهَا نَظْرَةً وَلَمْ يَسْتَطِعْهَا فَمِنْ لُطْفِهَا
أَعَارَتْهُ طَرْفًا رَأَاهَا بِهِ فَكَانَ الْبَصِيرُ بِهَا طَرْفَهَا.

أقول: إنما يُعرف ببصر منه؛ لأنَّ تلك البصيرة هي نور ما تجلّى له به، والأشياء إنما تدرك نظائرها، ولذا قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ»، يعني؛ اعرفوا الله بما وصف نفسه به لكم، وهو معرفته بما هو عليه بالنسبة إلى إدراك العارفين، فإنَّ الشيء إنما يُعرف بما هو عليه.

ولمَّا كان تعالى ما هو عليه في ذاته ممتنعاً على ما سواه، وكان قد وصف نفسه لخلقه، ليعرفوه بذلك الوصف؛ كان ما تعرّف به لهم هو ما وصف به نفسه لهم، فهم يعرفونه بذلك الوصف؛ الَّذي معرفته عليه مما وصف لهم.

وهذا هو معنى: أَنَّهُ أَعَارَ الْعَارِفَ عَيْنًا مِنْهُ -أي: من تعريفه وتوصيفه- يعرفه بها.

(١) الكافي، ج: ١، ص: ٨٥. التوحيد، ص: ٢٨٦. روضة الواعظين، ج: ١، ص: ٣٠. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٦. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٢٧٠.

﴿هو المعلوم والمجهول﴾:

قلتُ: (وَمَعْنَى فَهُوَ الْمَعْلُومُ وَالْمَجْهُولُ... إلخ؛ أَنَّهُ الْمَعْلُومُ بِصُنْعِهِ، وَالْمَجْهُولُ بِكُنْهِهِ، الْمَوْجُودُ بِآيَاتِهِ، الْمَفْقُودُ بِذَاتِهِ).

أقول: يعني يستدل على وجوده بصنعه؛ لأنَّ صنعه أثر فعله، والأثر يدل على المؤثر، ويستدل على وصفه -الذي تعرّف به لخلقه- بما أظهره في صنعه؛ من الآيات الدالة على ذلك، كما قال تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١)، فكما أنَّ هيئة الكتابة تدلُّ على صفة حركة يد الكاتب، كذلك صفات خلقه وهيئاتهم تدل على صفة فعله تعالى؛ لأنَّها أثر فعله، والأثر يشابه صفة مؤثره، التي بها صدر؛ فمعلوميته بآثار فعله.

كما أنَّ الدخان المرئي يدل على وجود النَّار، ومجهوليته من حيث كنهه؛ لأنَّ كل ما سواه مغاير له من كل جهة، وتلك المغايرة رسم لما سواه، فهو موجود بآياته؛ لأنَّ كل من نظر وجد آيات تدل على موجدتها حيثما توجه، ومفقود من حيث ذاته؛ لكون كنهها تفريقاً بينه وبين ما سواه، فلا يوجد من حيث ذاته، ولا يفقد من حيث آثار فعله.

قلت: (فَظَهَرَ؛ فَلَا شَيْءَ أَظْهَرَ مِنْهُ، وَإِنَّمَا ظَهَرَ كُلُّ شَيْءٍ بِأَثَرِ ظُهُورِهِ).

أقول: يعني أن كونه أظهر من كل شيء؛ لأنَّ ظهور كل ما سواه إنما هو أثر ظهوره بذلك السَّواء، يعني: أنه تعالى ظهر للمخلوق بذلك المخلوق -أي: بإيجاده- وهو ~~مَعْلُومٌ~~ لم يتحوَّل ولم يتغير عن أزليَّته، فمعنى ظهوره لزيد مثلاً ظهوره بزيد -أي: إحداثه- فيكون لا ظهور لزيد إلَّا ظهور الله سبحانه، فالظهور لفعله تعالى، فلا يكون شيء أظهر منه. وهذا معنى قولي: (وإنَّما ظهر كل شيء بأثر ظهوره)؛ لأنَّ ظهور الأشياء إنما هو ظهور فعله بها، فلا ظهور لها غير ظهور فعله بها لها.

قلت: (وَبَطْنٌ، فَلَا شَيْءَ أَبْطَنُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَظْهَرُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا خَفِيَ لَشِدَّةِ ظُهُورِهِ، وَاسْتَرَعَ لِعَظَمِ نُورِهِ).

أقول: يعني أن الشَّيء إذا ظهر كمال الظهور لنفسه أو لغيره، وصل في ظهوره إلى نهاية لا يحتاج ذلك الغير إلى أزيد منها، ويكون حينئذٍ ظهوره واقفاً متناهيًا، فهو حينئذٍ ناقص الظهور، يحتمل الزيادة بالنسبة إلى آخر غير الأوَّل، الذي انتهى الظهور إليه، فلا يكون نهاية الظهور للأوَّل نهاية بالنسبة إلى الثاني، بل يحتاج الثاني إلى زيادة الظهور، والثاني لو وقف الظهور عنده عن الزيادة بالنسبة إليه؛ جاز أُلَّا يقف عند ثالث عن الزيادة، فمهما فرض للظهور نهاية فهو يحتمل الزيادة، وما يُحتمل الزيادة يحتمل النقصان، وذلك حادث؛ لأنَّه صفة الحادث المحتمل للزيادة والنقصان،

بخلاف صفة القديم سبحانه؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَنَاهَى، فَلَا تَتَنَاهَى صِفَتُهُ، فَظُهُورُهُ
غَيْرُ مَتْنَاهُ.

فَإِذَا ظَهَرَ لَخَلْقٍ كَانَ تَجَلَّى ذَلِكَ الظُّهُورُ، وَظُهُورُهُ غَيْرُ وَاقِفٍ عَلَى
حَدٍّ نِسْبَةِ الْمُتَجَلَّى لَهُ، بَلْ يَكُونُ مَتْرَافِيًّا فِي الظُّهُورِ وَالتَّجَلِّيِ بِلَا نِهَآيَةٍ،
فَيَتَجَاوَزُ كُلَّ شَيْءٍ مُحَدَّثٍ، وَكُلَّ شَيْءٍ تَجَاوَزَ الظُّهُورُ إِدْرَاكَهُ خَرَجَ
بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ عَنْ حَدِّ الظُّهُورِ إِلَى حَدِّ الْبُطُونِ وَالْخَفَاءِ، فَيَبْلُغُ الظُّهُورُ فِي
التَّجَاوُزِ إِلَى حَالٍ خَارِجٍ عَنْ كُلِّ حَدٍّ، وَمَا تَجَاوَزَ عَنْهُ الْإِدْرَاكُ هُوَ عَيْنُ
الْبُطُونِ وَالْخَفَاءِ، فَبَشْدَةُ ظُهُورِهِ وَعَدَمُ تَنَاهِيهَا، وَوَقُوفُهَا إِلَى حَدِّ بَطْنِ
بُطُونًا لَا نِهَآيَةَ لَهُ، وَخَفِيَّ خَفَاءً لَا حَدَّ لَهُ؛ فَجِهَةُ ظُهُورِهِ غَيْرُ جِهَةِ بَطُونِهِ
وَخَفَائِهِ.

وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِي: (وَبَطْنٌ؛ فَلَا شَيْءَ أَبْطُنُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَظْهَرُ
مِنْهُ)، وَمَعْنَى قَوْلِي: (وَإِنَّمَا خَفِيَ لَشِدَّةُ ظُهُورِهِ، وَاسْتَرَّ لِعَظَمِ نَوْرِهِ).
وَاعْلَمْ؛ أَنِّي إِنَّمَا عَبَّرْتُ الْمَطْلَبَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ؛ لِلْبَيَانِ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ
نَاقِصَةً عَنْ تَأْذِيَةِ الْمَعْنَى، إِلَّا أَنَّ الْعَارِفَ يَفْهَمُ مِنْ مَدْلُولِهَا الْمَعْنَى الْمُرَادَ.
[وَإِنَّمَا كَانَتْ نَاقِصَةً لِعِلَّتَيْنِ.

إِحْدَاهُمَا: مِنْ قِصُورِي، إِذْ لَمْ يُؤْذَنْ لِي فِي أَزِيدٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ أُعْطَ
الْعِبَارَةُ، إِذْ لَوْ أُذِنَ لِي لِأَعْطَيْتِ الْعِبَارَةَ.

والثانية: مني طلباً للاختصار، وصوناً للأسرار، إذ ليس كل ما يُعلم يقال؛ لقصور أكثر الأذهان عن فهم ذلك البيان، لو كان ذلك والسلام^(١).

❖ [جهة معلوميته نفس مجهوليته]:

قلت: (وَمَعْنَى جِهَةِ مَعْلُومِيَّتِهِ نَفْسُ مَجْهُولِيَّتِهِ؛ أَنَّ الشَّيْءَ لَا يُعْرَفُ وَلَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هُوَ عَلَيْهِ).

أقول: يعني أنه لما كان الشيء لا يعلم إلا بما هو عليه، كان مقتضى الأزل أن يكون مجهولاً؛ لأن المعلومية للشيء تقتضي الإحاطة به، وشأن الأزل ألا يكون محاطاً به، وما هو عليه ألا يكون محاطاً به، فإذا ثبت أن الشيء لا يعلم إلا بما هو عليه؛ ثبت أنه لا يُعلم إلا بأن لا يُحاط به، وهو معنى: (أن جهة معلوميته نفس مجهوليته).

ومعنى قولي: (أن الشيء لا يُعرف ولا يُعلم إلا بما هو عليه).

قلت: (فَالطَّوِيلُ يُعْرَفُ بِطَوْلِهِ، وَالْعَرِيزُ يُعْلَمُ بِعَرْضِهِ، وَالْقَصِيرُ يُعْرَفُ بِقَصَرِهِ، وَالْأَبْيَضُ بَبَيَاضِهِ، وَالْأَسْوَدُ بِسَوَادِهِ، وَذُو الْهَيْئَةِ بِهَيْئَتِهِ، وَمَا لَا مِقْدَارَ لَهُ وَلَا لَوْنَ وَلَا هَيْئَةَ يُعْرَفُ بِذَلِكَ).

أقول: هذا معنى ما بينت لك؛ من أن الشيء لا يُعرف إلا بما هو عليه، من الجهة التي يتعلّق بها التعرّف والتّعريف، فلو كان شيء أحمر

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النسخ.

وطويل، وكان المطلوب معرفته من جهة الحمرة؛ عُرف بالأحمر لا بالطويل وبالعكس.

فمعنى أنه إنما يُعرف بما هو عليه من النَّحو الذي تتعلق به المعرفة منه، وإذا كان لَا يُدْرِكُ لا يُدرك من نحو ذاته، إذ كل ما ميَّزته الأوهام فهو مخلوق مثلها؛ كان الذي هو عليه من النَّحو الذي يعرف به أنه لا يدرك ولا يعلم لأحد، فيُعرف سبحانه بأنه لا يُدرك ولا يُوصف، وهذا المعنى هو الذي هو عليه من جهة معرفته، ولو كان طويلاً يعرف بطوله إلخ..

فلماً لم يُوصف بشيء من جهات الخلق -مما يجري الإمكان بإدراكه- عُرف بذلك، أي: بأنه لا يُعرف إلّا بأنه لا يُعرف إلّا بما وصف به نفسه، وهو سبحانه وصف نفسه بأنه بخلاف ما تتوهمه الأوهام وأدركته العقول.

قلت: (فَالْوَاجِبُ سُبْحَانَهُ يُعْرِفُ بِأَنَّهُ لَا كَيْفَ لَهُ وَلَا شَبَهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يُدْرِكُ كُنْهَهُ، وَلَا تُعْلَمُ صِفَتُهُ، وَلَا يُحَاطُ بِهِ عِلْماً، وَأَنَّ كُلَّ مُدْرِكٍ فَهُوَ غَيْرُهُ؛ فَيُعْرِفُ بِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى اكْتِنَاهِهِ، وَلَا إِلَى إِدْرَاكِ صِفَتِهِ، فَهُوَ يُعْرِفُ بِالْجَهْلِ بِهِ).

أقول: هذا كله هو معنى ما ذكرت لك؛ أن من طلب معرفته بكنهه لم يجده، ومن طلب معرفته بآياته -التي تعرّف بها- وجده ظاهراً له بها، محتجباً عنه بها.

قلت: (فَذَلِكَ مَا تَعْرِفُ بِهِ لَنَا).

أقول: يَعْنِي أَنَّهُ لَا يُعْرِفُ إِلَّا بِآيَاتِهِ؛ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مِثْلٌ فِي خَلْقِهِ، يَعْنِي لَا تَصْلُحُ صِفَةٌ لَشَيْءٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَلَا تَدُلُّ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ دَلَالَةُ التَّعْرِيفِ وَالِإِسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ، كَدَلَالَةِ الْأَثَرِ عَلَى الْمُؤَثِّرِ، لَا أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَيْهِ دَلَالَةً تَكْشِفُ عَنْ كُنْهِهِ، فَهِيَ مَعَ أَنَّهَا لَيْسَ لَهَا مِثْلٌ وَلَا شَبَهٌ؛ لَا تَدُلُّ عَلَيْهِ إِلَّا دَلَالَةُ الْأَثَرِ عَلَى الْمُؤَثِّرِ.

قلت: (فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا مِثْلَنَا).

أقول: يَعْنِي لَمَّا كَانَتِ الْأَشْيَاءُ لَا تَدْرِكُ إِلَّا نَظَائِرَهَا، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ مَا تَعْرِفُ بِهِ لَنَا مَخْلُوقاً، وَإِلَّا لَمَّا أَمَكْنَ لَنَا أَنْ نَدْرِكَهَ، وَإِذَا كَانَ مَخْلُوقاً لَمْ يَدُلَّ عَلَى كُنْهِهِ الذَّاتِ دَلَالَةً تَكْشِفُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ تَعَالَى دَلَالَةُ الْأَثَرِ عَلَى الْمُؤَثِّرِ، وَالْأَثَرُ يَدُلُّ عَلَى صِفَةِ مُؤَثِّرِهِ الْأَقْرَبِ، فَهُوَ يُشَابِهُهُ صِفَةً فَعَلَهُ تَعَالَى، لَا صِفَةً ذَاتَهُ تَعَالَى؛ الَّذِي هُوَ الْمُؤَثِّرُ الْأَبْعَدُ عِنْدَ فَرْضِ الْمُبَاشَرَةِ.

كَالْكِتَابَةِ؛ فَإِنَّهَا تُشَابِهُهُ صِفَةً حَرَكَةً يَدِ الْكَاتِبِ، الَّتِي هِيَ الْمُؤَثِّرُ الْأَقْرَبُ مِنَ حَيْثُ الْمُبَاشَرَةُ، وَلَا تُشَابِهُهُ صِفَةً الْكَاتِبِ؛ لِأَنَّهُ الْمُؤَثِّرُ الْأَبْعَدُ عِنْدَ الْمُبَاشَرَةِ، نَعَمْ يَدُلُّ عَلَى وَجُودِهِ -أَعْنِي: عِنْدَ وَجُودِهِ الَّذِي هُوَ ذَاتُهُ- وَلَا تَدُلُّ عَلَى وَجُودِهِ الَّذِي هُوَ ذَاتُهُ؛ وَإِلَّا لَكَانَ تَعَالَى مُشَابِهاً لَهَا، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.

قلت: (فَهُوَ الْوَاجِبُ الْحَقُّ، وَالْمَجْهُولُ الْمُطْلَقُ).

أقول: هذا تفريعٌ على ما تقدم من الأوصاف التي لا تجري للحوادث؛ لأنَّه بمقتضى ما أشرنا إليه هو الواجب الحق: الذي كلُّ ما سواه ليس بشيء، إلَّا بفعله تعالى.

وهو المجهول المطلق: الذي لا سبيل في الإمكان مطلقاً إلى معرفة ذاته بوجه من الوجوه، بل هو في الإمكان مجهول من كل جهة، فلا يصدق المجهول المطلق في الحقيقة على ما سواه.

﴿العبارات التي تُطلق على هذا القسم﴾:

قلت: (وَهَذَا الْقِسْمُ يُعْبَرُ عَنْهُ بِالذَّاتِ الْبَحْتِ).

أقول: يعني أنَّه ذاتٌ بسيط ليس له وجود غير ماهيته، ولا ماهية غير وجوده، ولا ذاته غير صفته، ولا صفته غير ذاته^(١)، لا في نفس الأمر -أي: الثابت بالدليل القطعي-، ولا في الخارج -أي: المقابل للذهني، أو الذي تترتب الآثار على صفاته- ولا في الذهن؛ الذي هو عكس الخارج في المعنيين، ولا في الإمكان؛ لأن الوجوب ليس في شيء منه إمكان، ولا في الفرض والاعتبار؛ لأنهما جهات الممكن، فهو سبحانه ذات بحت، أحديُّ المعنى، ليس فيه احتمال كثرة أو تعدد، بكلِّ فرض واعتبار.

(١) في بعض النسخ: (ولا ذات غير صفته، ولا صفة غير ذاته).

قلت: (وَمَجْهُولُ النَّعْتِ).

أقول: يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ سَبِيلٌ إِلَى نَعْتِهِ؛ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، مِنْ آيَاتِهِ وَأَثَارِ فِعْلِهِ، فَهُوَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا سِوَاهُ؛ بِمَجْهُولِ النَّعْتِ.

قلت: (وَعَيْنُ الْكَافُورِ).

أقول: يَعْنِي أَنَّهُ إِنَّمَا يُوجَدُ بِأَثَارِ فِعْلِهِ، كَالْكَافُورِ الَّذِي بَرَأَتْهُ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِقَوْلِهِمْ: (عَيْنُ الْكَافُورِ)؛ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ ذَاتُ الْكَافُورِ. وهذا على مذهب القائلين بوحدة الوجود، أي: أَنَّ الْكَافُورَ -الْمَكْنَى بِهِ عَنِ الرِّوَايَةِ الَّتِي هِيَ مِثَالُ الْحَوَادِثِ- هُوَ ذَاتُهُ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ، وَهُوَ الْمُؤَثِّرُ وَالْأَثَرُ. وهذا عندنا باطل، والقول به كفر.

ويَحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِقَوْلِهِمْ عَيْنَ الْكَافُورِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْعَيْنُ الَّتِي تَفْرُحُ مِنْهَا الرِّوَايَةُ، أَي: هُوَ مَبْدَأُ الْأَشْيَاءِ، وَهَذَا صَحْتُهُ وَفَسَادُهُ تَابِعَةٌ لِمَقْصُودِ الْقَائِلِ بِهِ، فَإِنْ أَرَادَ بِهِ: أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى مَبْدَأُ الْأَشْيَاءِ؛ فَهُوَ كَالْأَوَّلِ فِي الْفَسَادِ، وَإِنْ أَرَادَ: أَنَّ فِعْلَهُ مَبْدَأُ الْأَشْيَاءِ؛ فَهُوَ حَقٌّ.

قلت: (وَشَمْسُ الْأَزَلِ).

أقول: مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ -عَلَى نَحْوٍ مِنَ الْإِسْتِنْبَاطِ- فِي قَوْلِهِ لَكُمْ: «تُورُّ أَشْرَقَ مِنْ صُبْحِ الْأَزَلِ...»^(١)، حَيْثُ شَبَّهَ الْمَشِئَةَ

(١) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وص: ١٧٠.

بصبح الأزل، والصبح: نور الشمس -أي: شمس الأزل- والإضافة هنا بيانية.

قلتُ: (وَمُنْقَطِعُ الْإِشَارَاتِ).

أقول: أن الإشارات الحسية والخيالية، والروحانية والعقلية، والسرمدية كلها تنقطع دون عزّ جلاله.

أمّا الأربع الأول فظاهر، وأمّا الخامسة فهي وإن لم تكن هناك إشارة لينسب إليها انقطاع، إلّا أن المشيئة توصف بجهات تعلقاتها، فوقوعها على المنشأ وتعلّقها به تعتريه الإشارة عليه^(١)، باعتبار المتعلّق والتعلّق، وإن لم تكن الإشارة لاحقة لنفس المشيئة؛ لأنّها محدثة بها، ولا يجري عليها ما أجرته، فافهم.

قلتُ: (وَالْمَجْهُولُ الْمُطْلَقُ، وَالْوَاجِبُ الْحَقُّ، وَاللَّاتَعَيَّنُّ).

أقول: تقدّم منّا البيان للمجهول المطلق، والواجب الحق.

وأمّا اللاتعيّن: فالمراد منه معنى المجهول المطلق، وذلك لأنه تعالى لا يتعيّن عند ما سواه بجهة من جهات التعيّن، على حال من الأحوال.

(١) في بعض النسخ: (تعبر به الإشارة عليه).

قلت: (وَالْكَنْزُ الْمَخْفِيُّ).

أقول: إشارة إلى قوله تعالى: «كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِياً، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ؛ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِكَيْ أُعْرِفَ»^(١)، أي: أنه خلق الخلق ليعرف بخلقه وآثاره لا بذاته، فهو كنز مخفي عما سواه مطلقاً، وُجد ذلك السَّواء أم لم يوجد.

وبه ظهر جواب ما استشكله بعضهم هنا فقال: ما معنى مخفي، وليس هناك شيء يختفي عنه؟.

والجواب: بهذا، وهو أنه مقتضى الأزل ذلك، أمّا مع عدم الغير؛ فهي سالبة بانتفاء الموضوع، وأما مع وجود الغير؛ فلعدم إدراكه له تعالى. ويرد -هنا أيضاً- إشكال: وهو أن الظاهر من الكلام؛ أنه قبل الخلق مخفي، وأمّا بعد أن خلق الخلق فلا.

وجوابه: أن المراد بالخفاء؛ الخفاء المطلق، الصادق على عدم المعرفة بالآثار، وهذا هو المراد من الكنز المخفي، فلمّا خلق الخلق؛ عُرف بما عرّف به نفسه.

(١) شرح توحيد الصدوق، ج: ٤، ص: ٤٠. جامع الأسرار، ص: ١٠٢. بحار

الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٩٩ - ٣٤٤.

قلتُ: (وَالْمُنْقَطِعِ الْوَجْدَانِي).

أقول: يَعْنِي أَنَّ كُلَّ مُدْرِكٍ سِوَاهُ سُبْحَانِهِ يَنْقَطِعُ وَجْدَانُهُ لِذَاتِهِ تَعَالَى، فَهُوَ لَا يَجِدُهُ غَيْرُهُ بِذَاتِهِ، وَلَا يَفْقِدُهُ بِآيَاتِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمُنْقَطِعُ الْوَجْدَانِي لِمَا سِوَاهُ.

قلتُ: (وَذَاتٌ سَادَجٌ، وَذَاتٌ بِلَا عَتَبَارٍ.. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ).

أقول: ذَاتٌ سَادَجٌ، أَي: بِحِثِّ خَالِصٍ مِنَ التَّعَدُّدِ وَالتَّكْثِيرِ وَالتَّرَكِيبِ، لَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَلَا فِي الْخَارِجِ وَلَا فِي الذَّهْنِ، لَا فَرَضًا وَلَا اِحْتِمَالًا، وَتَحْوِيزًا وَاعْتِبَارًا.

وَذَاتٌ بِلَا عَتَبَارٍ: يَعْنِي مَجْرَدَةٌ عَنْ كُلِّ قَيْدٍ، حَتَّى عَنْ التَّجْرِيدِ.

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي يَطْلُقُونَهَا عَلَى الْوُجُودِ الْحَقِّ وَحْدَهُ.

﴿إِنَّمَا أَيْ شَيْءٍ تَقَعُ هَذِهِ الْعِبَارَاتُ؟﴾:

قلتُ: (وَكُلُّهَا عِبَارَاتٌ مَخْلُوقَةٌ، تَقَعُ عَلَى مَقَامَاتِهِ وَعِلَامَاتِهِ؛ الَّتِي لَا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ).

أقول: يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَافَ الْمَذْكُورَةَ، مِثْلُ: الذَّاتِ الْبَحْتِ، وَالْمَجْهُولِ النَّعْتِ.. إلخ، هِيَ وَمَعَانِيهَا -الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا- مَخْلُوقَةٌ، خَلَقَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ لِيَعْرِفُوهُ بِهَا؛ لِأَنَّهَا تَدُلُّ بِصِفَةِ الْاسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ لَا بِصِفَةِ الْكَشْفِ لَهُ، فَإِذَا أُطْلِقَتْ هَذِهِ الْأَلْفَافُ دَلَّتْ عَلَى تِلْكَ الْمَعَانِي، الَّتِي هِيَ الْعُنَوَانَاتُ لِلذَّاتِ.

وهذه العنوانات؛ مظاهر له، خلقها وجعلها محالاً أفعاله وإرادته، وهي وجهه إلى عباده، يعرفه بها من عرفه، كما تعرف النار إذا رأيت الحديد المحماة بها؛ لأنها -أي: الحديد المحماة- محلُّ فعل النار وتأثيرها، وتلك المقامات لا تفقد في حال، كما قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُؤْلَوُا فَتُمْ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(١).

قلت: (وَهِيَ مَوْضُوعُ عِلْمِ الْبَيَانِ، وَالَّذِي يُنَحِّثُ فِيهِ عَنْهُ هُوَ الْمَعَانِي، وَهِيَ أَرْكَانُ التَّوْحِيدِ).

أقول: هذه المقامات هي موضوع علم البيان -أي: التَّوْحِيدِ- كما قاله أمير المؤمنين عليه السلام، يعني أنَّ علم التوحيد يبحث فيه عن عوارض هذه المقامات الذاتية.

وليس موضوع علم التوحيد -كما قال المتكلمون-: أنه ذات الله تعالى؛ لأنَّ ذات الله لا تُدرك، فكيف يبحث عن عوارضها الذاتية؟! مع أنَّه تعالى لا عوارض له إلا صفات هي عين ذاته، بكل اعتبار أو أحكام المقامات؛ الَّتِي هي عنوانه.

فإذا توجَّهت العبارات المطلقة، والاعتقادات الصَّادقة^(٢)؛ وَقَعَتْ على العنوان، إنَّ كانت من أهل المعرفة والإيمان، وَالَّذِي يبحث العارف فيه من المقامات هي المعاني -أي: أركان التَّوْحِيدِ- وهو المستفاد من

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٢) في بعض النسخ: (الاعتقادات الصافية).

كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وعلي بن الحسين عليه السلام، لأن تلك المقامات عوارضها الذاتية هي المعاني، أي: أركان التوحيد، وإلى هذا أشاروا عليه السلام بقولهم: «نَحْنُ الْأَعْرَافُ الَّذِينَ لَا يُعْرِفُ اللَّهُ إِلَّا بِسَبِيلٍ مَعْرِفَتَنَا»^(١)، و«لَوْلَا مَا عُرِفَ اللَّهُ»^(٢)، و«مَنْ عَرَفَنَا عَرَفَ اللَّهَ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنَا لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ»^(٣)، و«يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ»^(٤)، «مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَدَّهُ قَبْلَ عَنكُمُ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ»^(٥)، وأمثال ذلك من كلماتهم عليه السلام.

(١) الكافي، ج: ١، ص: ١٨٤. تأويل الآيات الظاهرة، ص: ١٨. تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ١٩. تفسير فرائد الكوفي، ص: ١٤٣. بصائر الدرجات، ص: ٤٩٧. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٣٨.

(٢) بصائر الدرجات، ص: ٦١. مسائل علي بن جعفر عليه السلام، ص: ٣. بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٥٢٠.

(٣) عن أبي الحسن موسى عليه السلام، عن آبائه عليه السلام قال؛ قال رسول الله ﷺ: «..مَنْ عَرَفْنَا فَقَدْ عَرَفَ اللَّهَ، وَمَنْ أَكْرَرْنَا فَقَدْ أَكْرَرَ اللَّهُ ﷻ..». [بحار الأنوار، ج: ١٦، ص: ٣٦٤ - ج: ٢٣، ص: ١٢٨. الأمل للصدوق، ص: ٦٥٧. كمال الدين، ج: ١، ص: ٢٦١].

(٤) من دعاء شهر رجب؛ راجع: إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح التهجد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٣٩٣.

(٥) من الزيارة الجامعة الكبيرة، راجع: من لا يحضره الفقيه، ج: ٢، ص: ٦١. تهذيب الأحكام، ج: ٦، ص: ٩٩. مستدرک الوسائل، ج: ١٠، ص: ٤٢٣. بحار

→...

الأنوار، ج: ٩٩، ص: ١٣١. البلد الأمين، ص: ٣٠٠. عيون أخبار الرضا عليه السلام،
ج: ٢، ص: ٢٧٦.

شرح

الفائدة الثالثة

في الإشارة إلى القسم الثاني

قلتُ:

(الفائدة الثالثة)

فِي الْإِشَارَةِ إِلَى الْقِسْمِ الثَّانِي: وَهُوَ الْوُجُودُ الْمُطْلَقُ

❖ [مناسبة التسمية، والمراد بالاطلاق]:

أقول: لَمَّا جَرَى الاصطلاح في التقسيم على تسمية المقامات والعنوانات بالوجود الحق، إذ لا يعرف منه إلا هي؛ ناسب أن يجري هنا على تسمية هذه الرتبة، التي: هي أوَّل التعينات، بالوجود المطلق، يعني أن هذا ليس هو الوجود الحق، ولكنه غير مقيد بشرط يتوقف عليه ولا ينتظر به.

وليس مرادنا بالإطلاق ما يقولونه؛ من أن المراد به الصَّادق على الواجب والممكن، بل المراد من الإطلاق هذا المعنى؛ لَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْأَزَل لَا تَعَيَّنَ فِيهِ، وَكَانَ الْإِمْكَانُ أَوَّلَ التَّعَيَّنِ، وَلَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ هُنَاكَ لِيَتَوَقَّفَ عَلَيْهِ؛ كَانَ تَعَيَّنُهُ فِي نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ، وَمِنْ جِهَةٍ تَعَلَّقَهُ مَتَعَلِّقُهُ، وَالتَّعَلُّقُ مَعْنَى فَعْلِي، فَتَعَيَّنَهُ مِنْ رَبِّهِ بِنَفْسِهِ، وَتَعَيَّنَهُ بِنَفْسِهِ كَانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا سِوَاهُ مِنَ الْمَفْعُولَاتِ، الَّتِي يَكُونُ حَصُولُهَا مَتَوَقِّفًا عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ مُطْلَقًا، أَي: غَيْرَ مَتَوَقِّفٍ الْحَصُولَ عَلَى شَيْءٍ غَيْرِ نَفْسِهِ.

❖ [إطلاقات هذا القسم من الوجود]:

قلت: (وَالْتَعَيَّنُ الْأَوَّلُ).

أقول: يُراد منه أوَّل صادرٍ بنفسه، وهو المشيئة والإرادة والإبداع؛ كما قال الرضا عليه السلام: [«الْمَشِيئَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْإِبْدَاعُ؛ ثَلَاثَةُ أَسْمَاءَ، وَمَعْنَاهَا وَاحِدَةٌ»^(١)]^(٢)، وإنما تُسمَّى هذه الرتبة بهذا الاسم؛ لمقابلته مرتبة الأزل، المسماة بـ(اللا تعين).

قلت: (وَالرَّحْمَةُ الْكُلِّيَّةُ).

أقول: إشارة إلى مبدأ الكون؛ المشتمل على الفضل والعدل، فإنَّه صفة الرَّحْمَنِ العامة، وهي التي استوى بها على عرشه^(٣)، وهي التي وسعت كل شيء^(٤)، والرَّحْمَةُ الخاصة صفة الرَّحِيمِ، المختصة بالمؤمنين.

(١) التوحيد، ص: ٤٣٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٣. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٤.

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في بعض النسخ.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، [سورة طه، الآية: ٥].

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾، [سورة الأعراف، الآية:

فالرَّحمة الكلية لها إطلاقان:

أحدهما: يُراد منه الفعل والمشية^(١)، كما هو هنا.

وثانيهما: يراد منه أوّل صادر عنه، وهو الحقيقة المحمّدية.

قلتُ: (وَالشَّجَرَةُ الْكُلِّيَّةُ).

أقول: يراد بهذه الشجرة الكلية إذا أطلقت أحد المعنيين السابقين، وسمّيت بالشجرة؛ لكثرة تطورها في مظاهرها وآثارها، كالشجرة في تطورها إلى أصلٍ ولقاح، وغصون وورق وثمر.

قلتُ: (وَالنَّفْسُ الرَّحْمَانِي الْأُولَى).

أقول: هذا أيضاً يُطلق على المعنيين السَّابِقِينَ، فمعنى النَّفْس الرَّحْمَانِي -بفتح الفاء-: أن هذا الوجود تقوَّمت به الوجودات الكونية تقوُّم صدور، إذا أريد بالنَّفْس الرَّحْمَانِي المعنى الأول، أي: المشيئة والإرادة والإبداع، كما تقوَّمت الحروف بحركة المتكلِّم بشفتيه ولسانه وأسنانه ولهاته. وتقوُّماً ركنياً، إذا أريد به المعنى الثاني -أي: أوّل صادر عن المشيئة- أعني: الحقيقة المحمدية عليه السلام، كما تقوَّمت الحروف بالصَّوت الممتد من جوف المتكلِّم إلى الفضاء.

(١) في بعض النسخ: (الفعل وهو المشيئة).

وإذا قيد بالأولى - كما هو ها هنا - احتمال أن يُراد به المعنى الأول خاصة، وأن يُراد به الرتبة الثانية منه عند اعتبار تزييله كما يأتي؛ إلا أنه هنا يكون الأنسب أن يُراد به المعنى الأول.

قلت: (وَالْمَشِيئَةُ، وَالْكَافُ الْمُسْتَدِيرَةُ عَلَى نَفْسِهَا، وَالْإِرَادَةُ).

أقول: المشيئة؛ هي الذكر الأول، يعني أن الفاعل إذا أراد صنع شيء، أول ما يذكره وتتوجه إليه العناية؛ هو المشيئة. وإذا تأكد ذلك؛ العزم سُمِّيَ إرادة، وهو ما روى يونس عن الرضا عليه السلام^(١).

(١) عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ؛ قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا يُونُسُ لَا تَقُلْ بِقَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ، فَإِنَّ الْقَدَرِيَّةَ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَا بِقَوْلِ أَهْلِ النَّارِ، وَلَا بِقَوْلِ إِبْلِيسَ، فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالُوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٤٣]، وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١٠٦]، وَقَالَ إِبْلِيسُ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [سورة الحجر، الآية: ٣٩].

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَقُولُ بِقَوْلِهِمْ، وَلَكِنِّي أَقُولُ؛ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى.

فَقَالَ: يَا يُونُسُ! لَيْسَ هَكَذَا، لَا يَكُونُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى، يَا يُونُسُ! تَعْلَمُ مَا الْمَشِيئَةُ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: هِيَ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ، فَتَعْلَمُ مَا الْإِرَادَةُ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: هِيَ الْعَزِيمَةُ عَلَى مَا يَشَاءُ، فَتَعْلَمُ مَا الْقَدَرُ؟ قُلْتُ: لَا.

وسُمِّيت بالكاف؛ لأنها هي أمر الله المعبر عنه بـ(كن)، فالكاف إشارة إلى الكون، وهو المشيئة أو أثر المشيئة، والثُّون إشارة إلى العين، وهي الإرادة أو أثر الإرادة، فسُمِّيت المشيئة بالكاف؛ لأنها منشأ الكون وهو الوجود، وسُمِّيت الإرادة بالكاف بمعنى المشيئة وبالنون؛ لأنها منشأ العين، وبالمستديرة على نفسها؛ لأنَّ المشيئة هي الكاف وخلقها الله بنفسها، فهي في الاعتبار كاف خلقت بكاف، واستدارتها في اعتبار كونها علة معاكسة لاستدارتها في اعتبار كونها معلولة، لأنَّ العلة استدارتها استدارة فاعلية، والمعلول فاستدارته استدارة مفعولية.

فلذا قيل لها: الكاف المستديرة على نفسها؛ لأنها باعتبار كونها معلولة تدور على نفسها باعتبار كونها علة.

→...

قَالَ: هِيَ الْهَنْدَسَةُ، وَوَضَعَ الْحُدُودَ مِنَ الْبَقَاءِ وَالْفَنَاءِ.

قَالَ ثُمَّ قَالَ: وَالْقَضَاءُ هُوَ الْإِبْرَامُ وَإِقَامَةُ الْعَيْنِ».

قَالَ: فَاسْتَأْذَنَهُ أَنْ أُقْبَلَ رَأْسَهُ، وَقُلْتُ: فَتَحَتْ لِي شَيْئاً كُنْتُ عَنْهُ فِي غَفْلَةٍ. [الكافي،

ج: ١، ص: ١٥٧-١٥٨. تفسير القمي، ج: ١، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٥،

ص: ١١٦-١١٧].

قلت: (وَالْكَلِمَةُ الَّتِي انْزَجَرَ لَهَا الْعُمُقُ الْأَكْبَرُ).

أقول: مأخوذ من دعاء السَّماتِ لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِ عليه السلام ^(١)، والكلمة هي المشيئة، والمراد بها إمَّا [المشيئة] ^(٢) الإمكانية، أو الكونية، أو مطلقاً. والعمق الأكبر على الأوَّل: هو الإمكان، الَّذي هو محل الوجود الرَّاجح ومتعلِّقه، الَّذي وقته السَّرمَد. وعلى الثَّاني: هو الممكنات كلها، الَّتِي وقتها الدَّهر، والكلمة حينئذٍ كالأوَّل، وقتها السَّرمَد، وإنَّ كان متعلِّقها وقته الدَّهر. وعلى الثَّالث: هو العمق الأكبر مطلقاً، أي: سواء كان العمق الأكبر حقيقةً؛ كالإمكان، أم إضافياً؛ كالممكنات. وانزجر: أي انفعل وانقاد، أي: العمق الأكبر بمعناها الثَّالث.

قلت: (وَالْإِبْدَاع).

أقول: الإبداع هو الفعل، وهو خلق ساكن لا يدرك بالسكون، كما قال الرضا عليه السلام ^(٣)؛ يعني أَنَّهُ ساكن، أي: غير متغير، لا أَنَّهُ ساكن

(١) دعاء السَّماتِ المروي عن أَبِي عمرو العمري، راجع: البلد الأمين، ص: ٩٠. جمال الأسبوع، ص: ٥٣٧. المصباح للكفعمي، ص: ٤٢٥. مصباح المتهجد، ص: ٤١٩.

(٢) ما بين المعقوفتين ورد في بعض النسخ.

(٣) ورد في مناظرات الإمام الرُّضا علي بن موسى (صلوات الله عليه) واحتجاجة

بالسكون الذي هو ضد الحركة؛ لأنَّ هذا السُّكون محدث به، ولا يجري عليه ما هو أجراه.

قلت: (وَالْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ﷺ).

أقول: الحقيقة المحمدية لها عندنا إطلاقان، وقد نُطلقها ونريد بها المقامات التي هي اسم الفاعل، كـ(القائم) الذي هو اسم فاعل القيام، والقائم مركب في الحقيقة من فعل متقوم بفاعله تقوُّم صدوره من أثر فعله، وهو القيام الذي هو الحدث، وهذا المقام أعلى ما يحصل في الإمكان الراجح.

ومثالها: الحديدية الحماية بالنار، فإنه لا فرق بين النار في تأثيرها وبين الحديدية الحماية بها؛ لأنها إذا أثرت فتأثيرها إنما هو تأثير النار بها، أي:

→...

على أرباب الملل المختلفة والأديان المتشعبة في مجلس المأمون، قال عمران: يا سيدي! ألا تخبرني عن الإبداع، أخلق هو أم غير خلق؟.

قال له الرضا عليه السلام: «بَلْ خَلَقَ سَاكِنٌ لَا يَدْرِكُ بِالسُّكُونِ، وَإِنَّمَا صَارَ خَلْقًا؛ لِأَنَّهُ شَيْءٌ مُّحَدَّثٌ، وَاللَّهُ الَّذِي أَحَدَثَهُ، فَصَارَ خَلْقًا لَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ اللَّهُ ﷻ وَخَلَقَهُ، لَا ثَالِثَ بَيْنَهُمَا، وَلَا ثَالِثَ غَيْرَهُمَا، فَمَا خَلَقَ اللَّهُ ﷻ أَنْ يَكُونَ خَلْقُهُ، وَقَدْ يَكُونُ الْخَلْقُ سَاكِنًا وَمُتَحَرِّكًا، وَمُخْتَلِفًا وَمُؤْتَلِفًا، وَمَعْلُومًا وَمُتَشَابِهًا، وَكُلَّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ حَدٌّ فَهُوَ خَلْقُ اللَّهِ ﷻ». [التوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤. تحف العقول، ص: ٤٢٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦، وَج: ٥٤، ص: ٥٠].

جعلت النار فعلها في الحديدية، والحديدية محل فعلها، وهذا الفعل أحدثته النار به لا بفعل غيره، فمجموع الفعل وأثره كـ(القائم)؛ كـ(الحديدية المحماة بالنار).

فهذه الرتبة أوّل التعينات وأعلاها، وهو المثل الأعلى -بفتح الثاء-^(١)، والمثل الذي ليس كمثله شيء -بكسر الميم، وسكون الثاء-^(٢)؛ لأنّ الله سبحانه خلقه آية له، لا يدل على غيره تعالى، ولا يدل على نفسه؛ ولو كان مثله شيء لدلّ عليه، ولو دلّ على غير الله تعالى؛ لزم التشبيه وارتفع التوحيد، وهذا هو التوحيد الخالص.

وقد تُطلقها وتُريد بها أثر المشيئة الكونية، وهو أوّل صادر من مشيئة الله، وهو الوجود، وهو الماء الذي جعل منه كلّ شيء حي^(٣)، وهو العنصر الأوّل لكل محدث، وهو نور الأنوار، والمادّة الأولى التي خلق الله كل شيء من شعاعها، وهي بمنزلة القيام.

فعلى المعنى الأوّل لا إشكال؛ إذ لم يكن قبل ذلك شيء.

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، [سورة النحل، الآية: ٦٠].

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، [سورة الشورى، الآية: ١١].

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، [سورة الأنبياء، الآية: ٣٠].

وعلى المعنى الثاني؛ فعلى حصر الاصطلاح لأقسام الوجود في الثلاثة الأقسام، فهل يكون هذا الثور الذي هو أوّل صادر عن الفعل لاحقاً بالمطلق؛ لعدم تقييده بشيء، كما لا يتقيّد الفعل، أم لا يكون لاحقاً، بل هو من المقيد؛ لأنّه متوقّف على قابليته وانفعاله، وهو غيره؟. فيه احتمالان.

وقد يُستفاد من بعض الأخبار إلحاقه بالأوّل، والله سبحانه أعلم.

قلت: (وَالْوَلَايَةُ الْمَطْلَقَةُ).

أقول: المراد بالولاية المطلقة؛ السّلطنة العامة لكل شيء دخل في ملك الله سبحانه، في كلّ ما تتعلق به إرادة الله سبحانه، والمعنى فيها مثل ما قبلها؛ لأنّ الحقيقة المحمّدية والولاية المطلقة اسمان على معنى واحد عندنا، وإنما يختلف مفهومهما بالاعتبار.

قلت: (وَالْأَزَلِيَّةُ الثَّانِيَّةُ).

أقول: نريد أنّ هذه المرتبة هي الرتبة الثانية عند ملاحظة التقسيم، وحيث كانت الأولى هي الأزلية الأولى؛ كانت الثانية هي الأزلية الثانية. وأمّا قول علي عليه السلام: «إِنَّا أَصْحَابُ الْأَزَلِيَّةِ الْأَوَّلِيَّةِ»، فيُحتمل أن يُراد منه الأولى الإضافية؛ لأنّ الآزال كثيرة، وكلها حادثة؛ فإذا أطلق الأزل احتمل أحدها، بخلاف ما لو قيل: (أزل الآزال)، فإنّه لا يُراد منه إلّا الواجب الحق ﷻ، وأن يراد منه الأولى الحقيقية، ويكون المعنى: (أنا الذي ولايتي ولاية الله).

قلت: (وَعَالَمٌ: «فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ»).

أقول: إشارة إلى قوله تعالى: «كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِياً؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ»^(١)، فإنه تعالى قبل التعريف كان كنزاً مخفياً، وقد تقدّم الكلام فيه، فكان أوّل ما صدر في الإمكان محبته لأن يُعرف، فهذا مأخوذ من الحديث.

قلت: (وَالْمَحَبَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ).

أقول: المراد بالمحبة الحقيقية؛ هو عالم: «فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ»؛ لأنّ المحبة تُستعمل في الوجوب؛ وهي ذاته، ويُعرف بالتقييد بالحقية، وفي الإمكان الراجح؛ وهي فعله، ويُعرف بالتقييد بالحقيقية كما هنا، فالمحبة الحقيّة ذاته المقدسة، والمحبة الحقيقية فعله، وأول صادر عنه كما هنا.

قلت: (وَحَرَكَةٌ بِنَفْسِهَا).

أقول: يُراد به الفعل؛ لأنّ مفعوله أنّه حركة إيجادية، وكونها حركة بنفسها على حدّ خلق الله المشيئة بنفسها.

(١) شرح توحيد الصدوق، ج: ٤، ص: ٤٠. جامع الأسرار، ص: ١٠٢. بحار

الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٩٩ - ٣٤٤.

قلت: (وَالْإِسْمُ الَّذِي اسْتَقَرَّ فِي ظِلِّهِ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ).
أقول: مأخوذ من الدعاء عنهم عليهم السلام^(١)، والمراد أن الفعل اسمه
تعالى. ومعنى استقر في ظله تعالى، أي: أنه أقامه بنفسه، فهو الاسم وهو
الظل.

والضمير في (ظله): يَجُوزُ أَنْ يَعُودَ إِلَى اللَّهِ، أي: استقرَّ في ظل الله
تعالى، وظل الله هو ذلك الاسم. ويجوز أن يَعُودَ الضمير إلى ذلك الاسم،
والمراد من ظله نفسه، كما في الحديث: «يُؤْمِسُكَ الْأَشْيَاءُ بِأَظْلَتِهَا»^(٢)،
ويكون المعنى على الاحتمالين واحداً.

و معنى (عدم خروجه منه إلى غيره): أنه لا تتكوّن منه الأشياء، كما
يذهب إليه ضرار وأصحابه وكثير من الصوفية؛ بأن الأشياء مركبة من

(١) زوى محمد بن علي الطرازي بإسناده إلى أبي علي بن إسماعيل بن يسار قال:
لَمَّا حَمَلَ مُوسَى عليه السلام إِلَى بَغْدَادَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً،
دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ، وَهُوَ مِنْ مَذْخُورِ أَدْعِيَةِ رَجَبٍ: «..وَهَذَا رَجَبُ الْمَرْجَبِ
[الْمُكْرَمِ]، الَّذِي أَكْرَمْتَنَا بِهِ، أَوَّلَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، أَكْرَمْتَنَا بِهِ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، يَا ذَا
الْجُودِ وَالْكَرَمِ، فَنَسْأَلُكَ بِهِ، وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ، الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ،
الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ؛ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ..». [إقبال الأعمال، ص: ٦٧٨. البلد الأمين، ص: ١٨٤.

المصباح للكفعمي، ص: ٥٣٦. مصباح المتجهد، ص: ١٥].

(٢) الكافي، ج: ١، ص: ٩١. التوحيد، ص: ٥٨. بحار الأنوار، ج: ٤، ص:

وجود؛ وهو مشيئة الله، ومن ماهية؛ وهي الإنيَّة، ولو كان كذلك لخرج منه إلى غيره، فافهم الإشارة.

قلت: (وَهُوَ الْمَكْنُونُ الْمَخْزُونُ عِنْدَهُ).

أقول: مأخوذ من حديث (حُدُوثُ الْأَسْمَاءِ)؛ المرويُّ في الكافي^(١)، فَإِنَّهُ هُنَاكَ هُوَ هَذَا، والمعنى هنا مثل المعنى: (استقرَّ في ظلِّه).

قلت: (وَصُبِّحُ الْأَزَلِّ).

أقول: مأخوذ من قول علي عليه السلام لكميل في قوله: «نُورٌ أَشْرَقَ مِنْ صُبْحِ الْأَزَلِّ»^(٢)، أي: من المشيئة.

قلت: (وَفِعْلٌ بِنَفْسِهِ).

أقول: مَعْنَاهَا مِثْلُ خَلْقِ اللَّهِ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا .

(١) وإليك الحديث بتمامه، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْمًا بِالْحُرُوفِ غَيْرَ مُتَّصَوِّتٍ، وَبِالْلَفْظِ غَيْرَ مُنْطَقٍ، وَبِالشَّخْصِ غَيْرَ مُجَسَّدٍ، وَبِالتَّشْبِيهِ غَيْرَ مَوْصُوفٍ، وَبِالْلَوْنِ غَيْرَ مَصْبُوغٍ، مَنَفْسِيٌّ عَنْهُ الْأَقْطَارُ، مُبَعَّدٌ عَنْهُ الْحُدُودُ، مَحْجُوبٌ عَنْهُ حَسُّ كُلِّ مُتَوَهِّمٍ، مُسْتَتَرٌّ غَيْرُ مَسْتُورٍ، فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَةً عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مَعًا، لَيْسَ مِنْهَا وَاحِدٌ قَبْلَ الْآخَرِ، فَظَهَرَ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ: لِفَاقَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهَا، وَحَجَبِ مِنْهَا وَاحِدًا، وَهُوَ الْإِسْمُ الْمَكْنُونُ الْمَخْزُونُ». [الكافي، ج: ١، ص: ١١٢. التوحيد، ص: ١٩٠. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ١٦٦].

(٢) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وص: ١٧٠.

قلت: (وَعَالَمَ الْأَمْرِ).

أقول: عالم الأمر مقابل عالم الخلق، من قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، والأمر هنا في الآية يحتمل معناه الظاهري، أي: مردُّ الأمور كُلِّها، في الغيب والشَّهادة، والدُّنيا والآخرة؛ إلى حكمه.

ويُحتمل أن يُراد به: المشيئة.

ويُحتمل أن يُراد به: الحقيقة المحمَّدية.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾^(٢)، وقول الصادق عليه السلام - في الدعاء -: «كُلُّ شَيْءٍ سِوَاكَ قَامَ بِأَمْرِكَ»^(٣)، يحتمل الأمر فيهما الإحتمالين الأخيرين، فإن أُريد به المشيئة؛ كان قيام كلِّ شيء به قياماً صدورياً، وإن أُريد به الحقيقة المحمَّدية؛ كان قيام كلِّ شيء به قياماً ركنياً كما تقدَّم.

قلت: (وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ).

أقول: يعني من الأسماء الَّتِي يُسَمَّى بها هذا الوجود، كما اصطَلَحُوا عليه.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٥.

(٣) من دعاء يوم السبت؛ راجع: البلد الأمين، ص: ٩٧. مصباح المتعاهد، ص:

٤٣١. بحار الأنوار، ج: ٨٧، ص: ١٤٨.

❁ [صفة مبدأ الوجود المطلق]:

قلتُ: (وَصِفَةُ بَدْنِهِ بِنَفْسِهِ).

أقول: أي كَيْفِيَّةٌ بَدْنُهُ عَلَى حَسَبِ مَا تُدْرِكُهُ الْأَفْعَدَةُ الْمُسْتَتِيرَةُ بِنُورِ اللَّهِ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ لَا كَيْفِيَّةَ لَهُ وَلَا تَوْصِيفَ؛ لِأَنَّهُمَا إِنَّمَا وَجُودًا بِهِ، فَإِذَا أُطْلِقَا تَبَادُرَا إِلَى اللَّهِ وَمِثَالِهِ وَعُنْوَانُهُ الَّذِي فِي الْأَفْعَدَةِ.

وَمَعَ هَذَا فَلَا يَتَوَجَّهُ ذَلِكَ التَّوْصِيفُ إِلَيْهِ بِذَاتِهِ، إِذْ لَوْ صَحَّ ذَلِكَ فِي عُنْوَانِهِ صَحَّ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُعْرَفُ بِهِ، وَإِنَّمَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ مُتَعَلِّقُهُ، فَإِنَّهُ تَجْرِي عَلَيْهِ الْكَيْفِيَّةُ وَالتَّوْصِيفُ، كَمَا تَعْتَبَرُ الْكَثْرَةُ وَالتَّعَدُّدُ فِي الْحَرَكَةِ عِنْدَ الْكِتَابَةِ، بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقِهَا بِالْحُرُوفِ؛ وَإِلَّا فَهِيَ فِي نَفْسِهَا بَسِيطَةٌ، وَتُسَمَّى جِهَاتِ التَّعَلُّقِ بِالْمُتَعَلِّقَاتِ رُؤُوسًا وَوُجُوهًا؛ فَلِذَلِكَ نَعْتَبِرُ لَهَا بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقِ رُؤُوسِهَا مَا يَجْرِي عَلَى مُتَعَلِّقَاتِهَا.

قلتُ: (إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَبْضٌ مِنْ رُطُوبَةِ الرَّحْمَةِ بِتِلْكَ الرُّطُوبَةِ نَفْسَهَا بِهَا).

أقول: يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى قَبْضٌ - وَقَبْضٌ: فَعْلٌ مِنْهُ - مِنْ رُطُوبَةِ الرَّحْمَةِ، وَهَذِهِ الرُّطُوبَةُ هِيَ نَفْسُ (قَبْضٍ). وَلِهَذَا قُلْتُ: (بِتِلْكَ الرُّطُوبَةِ)؛ لِأَنَّ (قَبْضٌ) هَذَا هُوَ الْفِعْلُ الْمَقْبُوضُ بِهِ، فَفَسَّرْتُهُ بِقَوْلِي: (بِتِلْكَ الرُّطُوبَةِ).

وقولي: (مِنْ رُطُوبَةِ الرَّحْمَةِ)، أَعْنِي الْمَقْبُوضُ مِنْهُ، وَفَسَّرْتُهُ بِقَوْلِي: (بِتِلْكَ الرُّطُوبَةِ)، فَقَوْلِي: (بِتِلْكَ الرُّطُوبَةِ)؛ تَفْسِيرٌ لِقَبْضٍ، أَعْنِي: الْمَقْبُوضُ

به، والمقبوض منه. فـ(قبض): فعل مقبوض به، ومقبوضٌ منه؛ لأنَّ (قبض) هو نفس تلك الرطوبة المقبوض بها، والمقبوض منها. ولمَّا كانت العبارة ضيقة؛ ربما يُتوهم أنَّ (من) في قولي: (من رطوبة الرِّحمة) للتبويض أو للابتداء، فيلزم على الحالين ثبوت رطوبة الرِّحمة قبل (قَبْضَ)، وأنا أريد أنَّ رطوبة الرِّحمة هي نفس (قَبْضَ)؛ رفعت ذلك التَّوهم بقولي: (بتلك الرطوبة نفسها).

وبيَّنت أنَّ المقبوض منها عين المقبوض بها، بلا تغاير إلَّا في التعبير؛ لضيق الألفاظ عن ذلك المعنى، فبيَّنته بتأكيد بقولي: (بها)؛ لئلاَّ يتوهم أنَّها في ذاتها باعتبار مأخوذ بها، وباعتبار آخر مأخوذ منها، أو هي مأخوذة، بل مراد أنَّها بلحاظ واحد، واعتبار واحد مأخوذ بها ومأخوذ منها، ومأخوذة -يعني: قبضت- بها، فلم يكن لها تحقق ولا ثبوت ولا ذكر في مرتبة من مراتب الوجود مطلقاً قبل قبضها بها، فافهم.

قلتُ: (أَرْبَعَةٌ أَجْزَاءُ بِهَا).

أقول: مفعول القبض، وأنَّ المعنى في هذا هو عين المعنى الأول، يعني أنَّ الأربعة الأجزاء هي: (القبض، والمقبوض، والمقبوض به، والمقبوض منه)، بلا تغاير حتى في الاعتبار.

وقوله: (بها)، أي: بالأربعة الأجزاء، التي هي حقيقة (قبض)، أي: رطوبة الرِّحمة، فإنَّ (قبض) هو تلك الرطوبة، وهو تلك الأربعة الأجزاء؛ ولهذا قلتُ: (بها). فكلُّ هذه الألفاظ المتعددة معناها شيء واحد لذاته، لا تعدُّ فيه؛ لا في نفس الأمر، ولا في الخارج، ولا في الذَّهن، وإنما توجَّه

الفؤاد في هذه الألفاظ المتعددة إلى المعنى البسيط باعتبار تعدُّد تعلُّقه، فافهم.

قلتُ: (وَمِنْ هَبَائِهَا بِهِ جُزْءٌ بِهِ).

أقول: يعني أنَّه قبض ذلك الفعل، الذي به قبض الرُّطوبة المذكورة، التي هي ذاته من هباء الرِّحمة - أعني: ييوسها - وهي الرُّطوبة المذكورة بهذا المقبوض به، ومنه جُزْءاً بذلك الجزء، الذي هو نفس الأربعة المذكورة سابقاً، فالرُّطوبة نفس الييوسة، والأربعة عين الواحد، وإنما اختلفت أسماءها باعتبار الآثار المختلفة.

ولا يُتوهم أنَّ هذا شيء ممتنع ولا تدركه العقول، فإنَّك تسمِّي زيداً عالماً ونجاراً وحيَّاطاً وكاتباً، وليست هذه الأسماء المختلفة واقعة على متعدّد في ذاته؛ لأنَّه هو العالم، وهو النّجار، وهو الحيَّاط، وهو الكاتب، وليس مرجع (هو) مختلفاً متعدّداً، ولكن بالآثار تكثّرت أسماء صفاته، وليس تكثّر ذواتها وذواته، وإنما سُمِّي بها باعتبار آثارها، وكذلك أنت سميع، أنت بصير، أنت قدير، وليست القدرة فيك شيئاً متميزاً غير البصر، وهو غير السمع، بل يُقال: (أنت)، و(أنت) ليست بصفة من صفاتك، وإنما هي لك، فأنت أنت لا غيرك، وسمّيت بها باعتبار الآثار.

وإلى هذا المعنى أشار علي عليه السلام بقوله: «وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ

الصفات عنه، بِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ.. إلخ»^(١)، فمن فهم ما أشرت إليه؛ فهم كلامه عليه السلام، وإلا فلا.

وما أشرنا إليه من هذا النحو، فإنَّ الوجود المطلق ليس شيئاً في الإمكان، ولا من الممكنات أبسط منه، إذ كلُّ ما سواه منه كان^(٢)، وعنه صدر، فلا يتعدَّد، ولا يتركَّب؛ لأنَّ التعدُّد والتركيب محدثان به.

قلت: (فَقَدَرَهُمَا بِهِمَا فِي تَعْفِينِ هَاضِمَتِهَا).

أقول: فقدر الجزئين، أعني الأربعة الأجزاء الرطبة، والجزء اليابس بهما، أي: بذينك الجزئين؛ لأنهما هنا نفس (قدَّر) الذي هو فعل التقدير، على نحو ما تقدَّم.

والمراد بهذا التَّقدير: هو تقدير الحدود الفعلية والهندسة الإيجادية، وهي عين هذا المقدر.

وقولي: (في تعفين هاضمتها)، أريد به: أنه لَمَّا اجتمعت الرطوبة واليبوسة، التي هي منشأ الحرارة، حصل بها التعفين؛ لأنَّ كلَّ مكون لابد

(١) الكافي، ج: ١، ص: ١٤٠. التوحيد، ص: ٥٧. وفي بعض المصادر جاء على النحو التالي: «وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ..». [فج البلاغة، ص: ٣٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ١٩٩. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٢٦. فج الحق، ص: ٦٥].

(٢) في بعض النسخ: (ما سواه منه فبه كان).

لَهُ مِنْ تَعْفِينٍ بِنَسْبَتِهِ، وَالتَّعْفِينُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْحَرَارَةِ وَالرُّطُوبَةِ، فَإِنْ كَانَ الْمَكُونُ مَرْكَبًا - كَالْمَفَاعِيلِ - تَعَدَّدَتِ الْجِهَاتُ فِيهِ وَتَكَثَّرَتْ، وَإِنْ كَانَ بَسِيطًا مُطْلَقًا - كَمَا فِي الْفِعْلِ - اتَّحَدَتْ جِهَاتُهُ، وَأَحْكَامُ الْجِهَاتِ إِنَّمَا تَطْلُقُ عَلَيْهِ بِاعْتِبَارِ مُتَعَلِّقَاتِهِ عِنْدَ تَعْلُقِهِ بِهَا كَمَا مَرَّ.

وَلَمَّا كَانَ كُلُّ مَكُونٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ التَّعْفِينِ - كَمَا بُرِّهْنِ عَلَيْهِ فِي الْحِكْمَةِ الطَّبِيعِيَّةِ - وَكَانَ هَذَا التَّقْدِيرُ مَكُونًا بِنَفْسِهِ؛ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ لَهُ تَعْفِينٌ يَفْرُضُ سَبْقَهُ عَلَيْهِ، بَيَّنْتُ ذَلِكَ بِقَوْلِي: (فِي تَعْفِينِ هَاضِمَتِهَا). أَعْنِي: أَنَّ هَاضِمَةَ تَعْفِينِ هَذَا التَّقْدِيرِ حِينَ تَحَقَّقَتْ فِي نَفْسِهَا تَحَقَّقَتْ هَذَا التَّقْدِيرُ؛ لِأَنَّهَا عَيْنُهُ بِلَا مَغَايِرَةٍ، وَإِنْ فَرَضَ سَبْقُهَا عَلَيْهِ، كَمَا هُوَ فِي مُتَعَلِّقِ الْفِعْلِ مِنْ سَائِرِ الْمَفْعُولَاتِ، فَقُلْتُ: (فِي هَاضِمَةِ تَعْفِينِهَا)، أُرِيدُ: أَنَّهُ قَدَرُ فِيهَا؛ لِأَنَّهَا هُوَ.

وَالْمُرَادُ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ إِذَا كَانَتْ فِي الْمَفْعُولِ أَنْ أَجْزَائِهِ تَنْحَلُّ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، حَتَّى تَكُونَ بِطَبَخِ الْحَرَارَةِ وَالرُّطُوبَةِ شَيْئًا وَاحِدًا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ. وَالْفِعْلُ لَمَّا كَانَ شَدِيدَ الْبَسَاطَةِ؛ أُلْحِقَ أَحْكَامُ مُتَعَلِّقَاتِهِ بِهِ فِي الْإِعْتِبَارِ الْفَوَّادِيِّ، لَا فِي الْوَاقِعِ الْخَارِجِيِّ؛ لِشِدَّةِ بَسَاطَتِهِ فِيهِ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ سَابِقًا أَنَّ الرُّطُوبَةَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ وَالْيَبُوسَةَ جِزءً وَاحِدًا؛ لِأَنَّ الْأَجْزَاءَ الرُّطْبِيَّةَ لَوْ كَانَتْ أَقَلَّ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى الْمَاءِ الْغُلْظَةُ، وَلَا يَصْلَحُ لِمُتَعَمَّالِهِ عَبِيطًا، فَإِنَّ الْمَاءَ كَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأَشْيَاءُ فِي الْأَغْذِيَّةِ، الَّتِي هِيَ مَوَادُّهَا وَوُجُودُهَا كَذَلِكَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الشَّرْبِ، الَّذِي هُوَ مَزَاجُ تِلْكَ الْأَغْذِيَّةِ.

فَلَوْ قُلْتُ: الْأَجْزَاءَ الرُّطْبِيَّةَ لَمْ يَكُنْ مَاءً، وَلَوْ زَادَتْ لَمْ تَحْصُلْ

المشكلة، يعني: إننا نريد أن يكون بين الماء والتراب مشاكلة؛ ليحصل التأليف للغذاء منهما، والمشاكلة إنما تحصل في الماء للتراب إذا انحل فيه شيء من التراب، فإنه إذا انحل فيه وافق التراب في تركيب الغذاء - كما يأتي -.

والحالة المعتدلة في تركيب الماء ليشاكل التراب ولا ينفر منه؛ أن ينحل في الأربعة الأجزاء الرطبة جزء من التراب، فإذا زادت الرطوبة ضعفت المشاكلة، وإن نقصت ضعف جانب المائية، وإنما حصل الاعتدال في الأربعة؛ لسرّ ظهر آثاره في الموجودات، لا يسهل بيانه إلا بذكر أشياء لم تتم إلا بذلك.

مثل: الزوج له أربعة نساء في الحال التام، الذي يغلب فيه حصول العدل؛ ولو زادت غلب عدم العدل، ولهذا إنما حصل الزائد عليهن في النبي ﷺ؛ لعدم حصول حيف في طبيعته، ومع هذا فأعانه الله بقوله: **﴿تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ..﴾**^(١)، ومنع عنه الأئمة عليهم السلام؛ للمشاركة للرعية.

ومثل: كون الأشياء أربعة للشيء الواحد، فإن الوجود يدور على خلق ورزق وحياة وممات، وهو واحد، والإنسان واحد، وطبائعه أربع، والعرش مربع، والبيت المعمور مربع، والكعبة مربعة؛ كما في الحديث^(٢).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥١.

(٢) روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل لم سُميت الكعبة كعبة؟

والكلمات التي بُني عليها الإسلام أربع: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر). وأحرف الاسم الأعظم أربعة: (التوحيد، والثبوت، والإمامة، والشّيعَة). والبَسْمَلَة -التي فيها سرُّ القرآن، وفتحة الكتاب- أربعة: (الله، والرحمن، والرحيم، واسم). وإن شئت قلت: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وهي واحدة.

والحاصل: ربما تنوّه أنّ هذه الأمور إنما هي مناسبات، لا يبتنى عليها أسرار الخليقة.

وأقول: ليس كذلك، ولكن لما لم يكن بيان السرّ في نفسه، الذي حصل عند الأربعة، قيل: أنّها مناسبات، وهي حكم سرها الله سبحانه بحجب من الغيوب، وأظهر آثارها في خلقه، وجعل الآثار دالة على

→...

قال: «لأنّها مُرَبَّعَةٌ.

فَقِيلَ لَهُ: وَلِمَ صَارَتْ مُرَبَّعَةً.

قال: لِأَنَّهَا بِحِذَاءِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَهُوَ مُرَبَّعٌ.

فَقِيلَ لَهُ: وَلِمَ صَارَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ مُرَبَّعاً؟

قال: لِأَنَّهُ بِحِذَاءِ الْعَرْشِ، وَهُوَ مُرَبَّعٌ.

فَقِيلَ لَهُ: وَلِمَ صَارَ الْعَرْشُ مُرَبَّعاً؟

قال: لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ أَرْبَعٌ؛ وَهِيَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ». [من لا يحضره الفقيه، ج: ٢، ص: ١٩. علل

الشرائع، ج: ٢، ص: ٣٩٨. بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ٥].

الأسرار، قال الرضا عليه السلام: «قَدْ عَلِمَ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ؛ أَنَّ الْإِسْتِدْلَالَ عَلَى مَا هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هَا هُنَا»^(١).

قلت: (وَأَنحَلَّا بِهِمَا، وَأَنعَقَدَّا بِهِمَا، وَتَرَكَمَا بِهِمَا).

أقول: يعني أن الأجزاء الرطبة والجزء اليابس انحلا، أي: ذاب كل منهما بالآخر، الذي هو نفسه حتى كان الاثنان واحداً، على فرض حكم المتعلق.

وانعقدا - كذلك - أي: جمدا كناية عن قيامهما بأنفسهما.

وتراكما - كذلك - أي: اجتمع كل شيء منه بكل شيء منه.

مثاله: كالهواء الذي جذبه من يريد الكلام إلى جوفه، فيجمعه في الخارج؛ وهو كناية عن حله، ثم يقطع الحروف؛ وهو عبارة عن عقده، ثم يركب الكلام؛ وهو عبارة عن تراكمه.

وحاصل معنى جميع ما سمعت: هو أنه أحدث الفعل بنفسه بغير اعتبار تعدد، فإذا أردت تفصيله على فرض ما لو كان مركباً؛ فهو كما سمعت، وعلى لحاظ عدم تركيبه؛ فكما عبرنا به من اتحاد المقبوض به، والمقبوض منه، والقبض، وهكذا إلى آخره.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٥. التوحيد، ص: ٤٣٨. بحار

الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

قلت: (وَهَذَا هُوَ الْمَشِيئَةُ، وَهُوَ الْمُسَمَّى بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ).

أقول: يعني هذا هو الوجود المطلق، وهو الوجود الراجح، والإمكان الراجح؛ الذي ذكرنا كيفية بدء متعلقه.

ونسبناها له؛ لما بين المتعلق وبين التعلق من المناسبة، ولما بينهما وبين الفعل من مشابهة الصفة الفعلية، فإنَّ كلَّ أثر يشابه صفة مؤثره التي عنها صدر.

❁ [مراقب الوجود المطلق في تزييل الفؤاد]:

قلت: (وَلِهَذَا الْمَقَامِ فِي تَزْيِيلِ الْفُؤَادِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ).

أقول: لهذا المقام، أي: الوجود المطلق، والإمكان الراجح، والسرمد. في تزييل الفؤاد، أي: في تمييزه وتقسيمه وتفريقه، فإنَّ غير الفؤاد من المشاعر والمدارك لا تدرك شيئاً ولا حالاً، من نحو هذا المقام.

أربع مراتب: من السَّمْع^(١) والبصر والخيال والعقل؛ لأنها إنما تدرك الكيفية المحدودة بحدود الحسية أو الخيالية أو العقلية، بخلاف الفؤاد؛ فإنه يدرك الشيء مجرداً عن كلِّ سُبُحاته^(٢) وعوارضه الذاتية والعرضية؛ ولهذا جاز استعماله في هذا المقام البسيط العاري عن كلِّ ما سوى محض ذاته.

(١) مثل السمع: (في بعض النسخ).

(٢) سُبُحات -بضمين- موضع السُّجود، وسبحات وجه الله: أنواره. (هامش بعض النسخ).

وإنما قسّمه إلى أربع مراتب؛ بأجزاء أحكام^(١) متعلقاته عليه - كما مرّ - فإنه لما اعتبر آثاره التي تشابه حدود ذواتها صفته وتعريفه ووجودها؛ خرجت في هذه الأربعة المراتب، وقد قال عليه السلام: «الْعُبُودِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهَهَا الرُّبُوبِيَّةُ، فَمَا فَقَدَ فِي الْعُبُودِيَّةِ وَجَدَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَمَا خَفِيَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ أُصِيبَ فِي الْعُبُودِيَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾»^(٢) «^(٣).

حكم على هذه المقام بتلك الأحكام، وإن كانت باعتبار متعلقاته، لا باعتبار ذاته؛ وذلك لأنّ (وجده) كلمة من الفاعل، والكلمة إذا اعتبرها في نشؤها وبدئها وجدها كذلك، أي: في هذه الأربعة المراتب، فأجرى عليها حكمها؛ لأنها آية تعريفها، وهي أيضاً كلمة الله، فكما أن المتكلم يأخذ بحركة جوفه من الهواء أربعة أجزاء رطبة - أي: حية - لصلوحها لصوغ الحروف.

وكونها أربعة؛ لأنها هي نسبة المادة الأولى إلى الصورة، التي هي جزء واحد بالنسبة إلى المادة، يعني أن صورة الحروف من ترتيبها وحركاتها بالنسبة إلى مادتها واحد من أربعة، كما أشرنا إليه سابقاً مما يطول بيانه، ويخفى برهانه.

(١) في بعض النسخ: (بأجزاء الأحكام).

(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٣) من أقوال الإمام الصادق عليه السلام، راجع: مصباح الشريعة، ص: ٧.

ويصوغ ذلك الهواء المأخوذ حروفاً بعد حله بتسهيله في المخارج، وإعطائه الأصوات منه، أي: من الهواء بها، أي: بتلك الآلات الفاعل بها من حركة اللسان والشفة والأسنان واللسان، ثم يركبه كلمة.

فالمرتبة الأولى: الهواء المأخوذ إلى الجوف.

والثانية: حله ومده ألفاً من الجوف إلى الفضاء، وهو المسمى بالنفس الرحامي في كل شيء بنسبته.

والثالثة: صوغه حروفاً.

والرابعة: تركيبه كلمة تامة مفهومة.

فكما أن الكلمة اللفظية -التي هي فعلٌ منك- لا تتم إلا بهذه المراتب الأربعة، كذلك الكلمة الفعلية -التي هي قولٌ من الله- لا تتم إلا بهذه الأربع المراتب، فالكلمة اللفظية آية بيان الكلمة الفعلية.

قلتُ: (فَالْأُولَى؛ الرَّحْمَةُ وَالنَّقْطَةُ، وَالسِّرُّ الْمُسْتَسِرُّ، وَالسِّرُّ الْمُجَلَّلُ بِالسِّرِّ).

أقول: يعني فالمرتبة الأولى -بالنسبة إلى توصف المشيئة- الرحمة، مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾^(١). يعني أن الرحمة سابقة، والرياح علامة حصولها، وبشرى بين يديها.

فأول التعيين والذكر؛ الرحمة السابقة، التي هي علة الإمكان وعلة

الأكوان، ويسمى أيضاً بالنقطة، بملاحظة كون الكتاب التدويني مطابقاً للكتاب التكويني وبالعكس، والكتاب التدويني أول ما صدر منه: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وأولها الباء، وأول الباء النقطة؛ لأن الكاتب أول ما يكتب أن يضع القلم على القرطاس؛ فتحدث به النقطة، ثم يجر القلم؛ فتحدث الباء، وهذه النقطة صورتها النقطة تحت الباء، وكونها تحت الباء كناية عن كونها حاملة للباء، أي: متقومة بها وأخذ لكل أصل اسم النقطة، ومن هذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنَا النُّقْطَةُ تَحْتَ الْبَاءِ»^(١).

والسر المستسر، والسر المجمل بالسر؛ مأخوذ من قول الصادق عليه السلام: «إِنَّ أَمْرَنَا هُوَ الْحَقُّ، وَحَقُّ الْحَقِّ، وَهُوَ الظَّاهِرُ، وَبَاطِنُ الظَّاهِرِ، وَبَاطِنُ الْبَاطِنِ، وَهُوَ السِّرُّ، وَسِرُّ السِّرِّ، وَسِرُّ [المُسْتَسِرِّ، وَسِرُّ مُقَنَّعٍ] بِالسِّرِّ»^(٢)، وفي رواية: «وَسِرُّ مُجَلَّلٌ بِالسِّرِّ».

ومعنى المجلل والمقنّع واحد؛ ويراد بهما هذه الرتبة من الفعل، فهذه

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «جَمِيعُ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَجَمِيعُ مَا فِي الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ، وَجَمِيعُ مَا فِي الْقُرْآنِ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَجَمِيعُ مَا فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي بِسْمِ اللَّهِ، وَجَمِيعُ مَا فِي بِسْمِ اللَّهِ فِي الْبَاءِ، وَجَمِيعُ مَا فِي الْبَاءِ فِي النُّقْطَةِ تَحْتَ الْبَاءِ، وَأَنَا النُّقْطَةُ تَحْتَ الْبَاءِ». [شرح خطبة البيان، ص: ١٣، وقريب منه في: مشارق أنوار اليقين، ص: ٢١. المجلسي، ص: ٤٠٩. مصابيح الأنوار، ج: ١، ص: ٤٣٥. نور البراهين، ج: ٢، ص: ٤].

(٢) بصائر الدرجات، ص: ٢٩. بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٧١، ما بين المعقوفتين

الأسماء الأربعة لهذه الرتبة من الفعل.

قلتُ: (وَالثَّانِيَةُ؛ الرِّيحُ، وَالتَّنَفُّسُ الرَّحْمَانِيُّ الْأَوَّلِيُّ -بِفَتْحِ الْفَاءِ- الْمُشَارِ إِلَيْهِ بِالْإِنْجِلَالِ الْأَوَّلِ).

أقول: يعني الرتبة الثانية تسمى بالرياح، من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾^(١)، ويُسمى التَّنَفُّسُ الرحمانى -بفتح الفاء- الأوَّلِيُّ؛ لأنَّ إطلاق التَّنَفُّسِ الرحمانى فى اصطلاحهم يختلف باختلاف أماكنه، فالأولى هنا كالألف فى التلفظ بالكلمة، فإنه يمتد من الجوف إلى الفضاء، ومنه تقطع الحروف، وهذا وإن لم يكن كذلك؛ لأنَّ الألف تقطع منه الحروف من ذاته أو من صفات ذاته، وعلى الاحتمالين ولا يصلح مثلاً للفعل؛ لأنَّ المفعولات لا تقطع من ذات الفعل، ولا من صفة ذاته، وإنما يصلح الألف اللينة مثلاً للتَّنَفُّسِ الرحمانى الثانوى، الذى هو الرتبة الثانية من أول صادر من الفعل، أى: الموجود^(٢)، المعبر عنه بالعنصر، الذى منه خلق كل شيء، وبالماء الذى منه كل شيء حى^(٣).

نعم.. إذا أراد بالحروف المصاغة من الألف -الذى هو التَّنَفُّسُ الرحمانى الأوَّلِيُّ- رؤوس المشيئة ووجوهها المتعلقة بالمشيئات الجزئية؛ صلح

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٢) فى بعض النسخ: (أى: الوجود).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، [سورة الأنبياء،

مثلاً لذلك، فالتَّفسُّ الرحماني السَّاري في الأشياء بالقيومية الصدورية هو هذا، وهو الأول، أو الكلمة بعد اعتبار تمامها، أو أنه سار في وجوها بالقيومية الركنية.

وأما التَّفسُّ الرحماني القائم في الأشياء بالقيومية الركنية؛ فهو الألف الثانوي، الذي هو أول صادر من الفعل.

وقولي: (المشار إليه بالانحلال الأول)، إذا لاحظ فيه ما ثبت في العلم الطبيعي؛ من أن كل مكون لا بد فيه من حلين وعقدين، فالهواء المأخوذ للكلمة اللفظية يحل من الجوف ألفاً ممتداً إلى الفضاء، وهو الحل الأول، ثم يقطع حروفاً؛ وهو العقد الأول، ثم تبسط للتركيب؛ وهو الحل الثاني، لا اعتبار مناسبة بعضها لبعض وملاءمتها له، وعدم منافقتها، ثم يركب هذا المحلول الثاني كلمة؛ وهو العقد الثاني.

كذلك في الكلمة الفعلية؛ فأولها الرحمة، ثم يمتد ألفاً، وهو الحل الأول، وهو الرِّيح في [تأويل]^(١) الآية الشريفة: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ..﴾^(٢)؛ كما مر، ثم تقطع حروفاً، وهو السحاب المزجي، وهو العقد الأول، ثم يحل لمناسبة التأليف؛ كما أشرنا إليه في الكلمة اللفظية، وهو الحل الثاني.

ثم تركيب الكلمة التامة، وهو العقد الثاني، فأشار بامتداد الألف

(١) مابين المعقوفتين ورد في بعض النسخ.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

وإرسال الرياح إلى الحل الأول، وهو قولي: (المشار إليه بالانحلال الأول)، أي: الحل الأول.

قلت: (وَالثَّالِثَةُ؛ الْحُرُوفُ، الْمَشَارُ إِلَيْهَا بِالْإِنْعِقَادِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ السَّحَابُ الْمَرْجَى، الْمَشَارُ مِنْ شَجَرِ الْبَحْرِ).

أقول: المراد بالحروف هنا؛ بمعنى الأجزاء المفروضة فيه باعتبار متعلقه، كما في الكلمة اللفظية، وما يُعتبر فيها من الحروف المقطعة من الألف.

أمّا أنه يُشار إليها بالانعقاد الأول، فذلك لازم؛ لاعتبار كلٍّ من التأليف الاعتباري والحقيقي، كلٌّ بحسبه؛ لأنها صيغت حروفاً متميزة من الألف بعد أن كانت نفساً منبثاً^(١).

وأمّا أنها هي السَّحَابُ الْمَرْجَى؛ فلملاحظة كون تلك الكلمة سحاباً متراكماً، كما في التشبه عند سوقها وتوجهها إلى موات أرض القابليات، فإذا مثلت بالسَّحَابِ، كما في تأويل الآية، أعني: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ..﴾^(٢)، وذلك حين تراكمها، الذي هو عبارة عن تمامها؛ كانت قبل التمام والتركيب تمثل بالسَّحَابِ الْمَرْجَى، الذي هو أول نشوئه؛ فإنه ينشئ بخاراً من شجرٍ في البحر.

(١) البث: النشر والتفريق. (هامش بعض النسخ).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

والمراد: أن الأبخرة التي تجذبها أشعة الشمس حال دورانها، تحدث منها حين صعودها أوضاعاً؛ كالشجر.

والمراد من البحر: بحر البخار، الصّاعد بأشعة الشمس.

والحاصل: السّحاب المزجي؛ هو ذلك البخار الصاعد قبل التأليف، كما قال تعالى: ﴿يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ﴾^(١)، فالبخار الصّاعد في السّحاب؛ بمنزلة الحروف المقطعة في الكلمة، والسّحاب المتراكم؛ بمنزلة الكلمة بعد التأليف، ودلالة الكلمة على المعنى؛ بمنزلة نزول الماء من السحاب، ووقوع الدلالة من الكلمة على ما يشاكل صفته من المعنى الميت المدفون في النّفس؛ بمنزلة وقوع الماء من السّحاب على ما يُشاكل صفته من النبات الكامن في مادته من الأرض الميتة.

وللفعل ومتعلقه من المفعول الذي مادته من هيئة ذلك الفعل؛ ما للكلمة ودالاتها على المعنى، وللسحاب والماء النازل منه، وارتباطه بما يشاكله من لطيف الأرض الميتة؛ التي هي مادة النبات^(٢) من الصفة والتّمثيل، أي: للفعل ما للكلمة والسّحاب من الصفة والتّمثيل حرفاً بحرف؛ فلذا سُمّي بالكلمة، ومُثّل بالسّحاب، كما في تأويل الآية المذكورة سابقاً وغيرها.

(١) سورة النور، الآية: ٤٣.

(٢) في بعض النسخ: (اللذان هما مادة النبات).

قلت: (وَالرَّابِعَةُ؛ السَّحَابُ الْمُتَرَاكِمُ، وَالْكَلِمَةُ الثَّامَّةُ، وَالْكَلِمَةُ الَّتِي انْزَجَرَ لَهَا الْعُمُقُ الْأَكْبَرُ، وَالْكَافُ الْمُسْتَدِيرَةُ عَلَى نَفْسِهَا).

أقول: المراد بالسَّحَابِ المتراكم؛ المشيئة بلحاظها متعلقة بمفعولها؛ لأنها حينئذٍ لا تعتبر فيها الاعتبارات الأول، كما أَنَّ السَّحَابِ المتراكم لا يلحظ فيه جهة البخار، وصعوده وانعقاده.

ولهذا قلنا: الكلمة الثامنة؛ هي التي لا يلحظ فيها تقطيع الصوت وتأليفه، وهي أيضاً الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر، أي: التي انفعل وانقاد، وهي إذا أُريدَ بها المشيئة الإمكانية؛ العمق الأكبر الحقيقي، الإمكان الراجح، وإذا أُريدَ بها الكونية؛ فهو الممكنات وجميع الأكوان، وهو العمق الأكبر الإضافي، والإمكان المساوي المقيد.

والكاف المستديرة على نفسها؛ تقدّم بعض بيانها.

﴿حَلَّةٌ تَعْدُدُ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ﴾:

قلت: (وَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ إِنَّمَا تَعَدَّدَتْ؛ بِاعْتِبَارِ التَّفْصِيلِ الْفُؤَادِيِّ فِي كَشْفِهِ).

أقول: إنما تعددت هذه المراتب في مراتبها في نفسها، بالقياس إلى هيئة تعلقاتها بمتعلقاتها؛ لما بينهما من المشابهة، كما بين حركة يد الكاتب وبين الحروف من المشابهة في الهيئات، وذلك باعتبار كشف الفؤاد، لا في نفسها؛ لأنها في نفسها في كمال البساطة الإمكانية.

ولهذا قلت: (وَالْأَمْرُ فَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ بَسِيطٌ، لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَبْسَطُ مِنْهُ).

أقول: إنه في نفسه بسيط؛ لعدم وجود شيء قبله يصلح أن يكون جزءاً يتركب منه، إذ كل شيء فرض فهو من آثاره، فلا تتركب مما هو من آثارها، وكل ما يتميز في الأوهام، أو يتصور في النفوس، أو يتعقل بالعقول؛ فهو من أثره أو أثر أثره.

وقولي: (ليس في الإمكان أبسط منه)؛ لإخراج الواجب تعالى، وإخراج عنوانه؛ لأنه وإن كان من الممكنات^(١)، لكنه لا يعتبر في الإمكان، إذ لو اعتبر في الإمكان لم يعرف الواجب تعالى به؛ لأنه تعالى ليس في الإمكان، فلا يُعرف بما في الإمكان.

فلما كان ما سوى الله سبحانه ممكناً، وقد خلق هذا العنوان دليلاً؛ وجب أن يلحظ مجرداً عن الإمكان؛ ليعرف به عَلَيْهِ السَّلَام^(٢).

قلت: (خَلَقَهُ اللَّهُ بِنَفْسِهِ، وَأَقَامَهُ بِنَفْسِهِ، وَأَمْسَكَهُ بِظِلِّهِ).

أقول: خلق الله ذلك الفعل -الذي هو المشيئة- بنفسه، إذ لا يحتاج في إيجاد الإيجاد إلى إيجاد آخر؛ لاستغنائه بنفسه عن غيره، لا لئلا يلزم

(١) المقصود: عنوان الواجب.

(٢) أي: أن لفظ الواجب وإن كانت حقيقة حادثة غير قديمة، إلا أنها لما دلت على الواجب سبحانه للتمييز بينها وبين كلمة الممكن التي دلت على الممكن، أخرجها الشيخ رحمته عن الإمكان فرضاً فقط لهذه الحثية.

الدَّور أو التسلسل؛ لأنَّ لزوم الدَّور أو التسلسل ليس هو الدليل الذي نشأ عنه ذلك، نعم.. هو دليل في المناقضة لإبطال دعوى المخالفة، وكما كان مخلوقاً بنفسه لا بفعل آخر.

كذلك كان (قائماً بنفسه) لا بشيء آخر، إذ ليس شيء غيره إلَّا الفاعل تعالى، والفعل لا يقوم بالفاعل قياماً ركنياً؛ لأنه المراد هنا. نعم.. هو قائم به قياماً صُورياً، لكن نريد بالقيام هنا القيام الركني. وكذلك المعنى في (أمسكه بظله)، يعني: أنه تعالى أمسك الفعل بظله، والضمير في (بظله) يعود إلى الله سبحانه، ويكون المراد منه نفس ذلك الفعل، كما في الدعاء: «وَبِاسْمِكَ الَّذِي اسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ»^(١)، إذ المراد بالظل؛ نفس ذلك الاسم. وإن قلت: (أَنَّ الضمير يعود إلى الفعل)؛ جاز، والمراد به نفسه، ويعود المعنى كالأوَّل كما في الدعاء: «يُمْسِكُ الْأَشْيَاءَ بِأَظْلَتِهَا»^(٢)، أي: بأنفسها، والمراد أنه تعالى يمسك كل شيء بمادة ذلك الشيء، إذ كل شيء يتقوم بمادته، وهي في كل شيء بحسبه.

(١) ورد في أدعية يوم السابع والعشرين من رجب: «فَتَسْأَلُكَ بِهِ، وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ، الْأَجَلَ الْأَكْرَمِ؛ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ». [إقبال الأعمال، ص: ٦٧٨. البلد الأمين، ص: ١٨٤. المصباح للكفعمي، ص: ٥٣٦. مصباح المتعجد، ص: ٨١٥].

(٢) (الكافي، ج: ١، ص: ٩١. التوحيد، ص: ٥٨. بحار الأنوار، ج: ٤، ص:

❖ [المشيئة والعمق الأكبر]:

قلت: (وَذَلِكَ فِي الْعُمُقِ الْأَكْبَرِ عَلَى حَدِّهِ الْأَعْلَى، فَهُوَ الْمُحَدَّدُ لِلْعُمُقِ الْأَكْبَرِ، وَالْعُمُقُ الْأَكْبَرُ مُحَدَّدٌ لَهُ، لَا يَفْضُلُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ).
أقول: يعني أن المشيئة -التي هي الفعل، إذا لا مشيئة لله غير فعله؛ لأنه تعالى لا يُفكر ولا يهمل ولا يتروى- وهي مطابقة للعمق الأكبر، الذي هو الإمكان، وهو مطابق لها، لا يزيد الإمكان عليها؛ فيكون شيء من الإمكان، لا تتعلق به المشيئة، ولا يزيد على الإمكان، فتكون قد وقعت على غير الإمكان ليس غير الإمكان إلّا الواجب تعالى، [والواجب ^{عَلَى}] لا تتعلق به المشيئة، بل هي مطابقة للإمكان، وهو مطابق لها؛ لأنها كفؤه، فالمشيئة آدم الأول، والإمكان حواء.

قلت: (وَهَذَا فِعْلُ اللَّهِ).

أقول: يعني أن الوجود المطلق؛ هو فعل الله سبحانه، وهو الإبداع والاختراع، والإرادة والمشيئة، وهذا ظاهر.

❖ [بين الفعل والمفعول]:

قلت: (وَحَيْثُ عُلِمَ بِالضَّرُورَةِ؛ أَنَّ هَيْئَةَ الْمَفْعُولِ -مِنْ حَيْثُ هُوَ مَفْعُولٌ- هَيْئَةُ الْفِعْلِ، كَالْكِتَابَةِ؛ فَإِنَّ هَيْئَتَهَا هَيْئَةُ حَرَكَةِ الْيَدِ، فَعَلَى

(١) ما بين المعقوفين لم يرد إلا في بعض النسخ.

حَسَبَ هَيْئَةِ حَرَكَةِ يَدِ الْكَاتِبِ تَكُونُ كِتَابَتُهُ؛ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ
الْجِهَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْفِعْلِ عَلَى جِهَةِ الْبَسَاطَةِ وَالِاتِّحَادِ، تَكُونُ بِنَحْوِهَا
فِي الْمَفْعُولِ عَلَى جِهَةِ التَّرْكِيبِ وَالتَّعَدُّدِ).

أقول: يعني أن هيئة حركة يد الكاتب للألف كهئية الألف، ولا
يكون بتلك الحركة حرف الباء؛ لأنَّ هيئتها غير هيئة حركة كتابة الألف،
وهكذا حسن الكتابة يدل على اعتدال حركة يد الكاتب وبالعكس؛ لأنَّ
كل أثر يشابه صفة مؤثره القريب، الذي عنه نشأ - كما مثلنا بحركة يد
الكاتب - فإنَّ هيئة الحرف تشابه هيئة الحركة المحدثه له، وهذا ظاهر.

بقي شيء: وهو أنَّ الحركة في نفسها بسيطة؛ لأنها الانتقال والتوجه
إلى جهة ما، وهذا صادق على جميع وجوه الحركة في إحداث كل
[فعل]^(١) حرف، فهي في الحقيقة بسيطة في كمال البساطة، وإنما تعتبر
فيها المغايرة؛ إذا نسبنا بعض الوجوه إلى بعض، لا في نفسه بل من جهة
تعلقه بمفعوله، الذي هو الحرف.

وأما المغايرة في الحروف فهي حقيقية؛ لأنَّ هيئة كل حرف جزء
ماهيته، بخلاف مغايرة هيئات وجوه الحركة^(٢)، فإنها ليست لذاً لتكون
جزء ماهية ذلك الوجه، وإنما هي لمتعلقها، والذي هو جزء ماهيتها هو
الانتقال المبهم المتعين بالتعلق بالحرف الخاص.

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النسخ.

(٢) في بعض النسخ: (هيئات وجود الحركة).

فإن قلت: هذا جزء ماهية الفعل الكلي، والكلام إنما هو في الجزئي.
قلت: نحن هكذا نريد؛ لأن وجه المشيئة المختصة بزيد من حيث
خصوص زيد وتعلقها به لا تصلح لعمره، فالمغايرة حينئذٍ حقيقية،
والتعدد حقيقي؛ لأنه إنما يتحقق مع التعلق الخاص، والتعلقات الخاصة
متعددة، لكن الوجه المتعلق إذا نظرت إليه في نفسه لم تجد المغايرة إلا
اعتبارية، أي: باعتبار التعلق وهو الذي أردناه، فهو في نفسه لا تكثر
حقيقي فيه، ولا تركيب ولا تعدد، والذي نجده منها فهو باعتبار ارتباطه
لمتعلقه، ونحن لم نجرده عن التعدد والمغايرة باعتبار تعلقه؛ لأن تعلقه من
حيث الفعل واحد، ومن حيث المفعول كثير كالوجه المقابل للمرايا، فإن
التعدد والكثرة والمغايرة إنما هي في التعلق من حيث المرايا، لا من حيث
الوجه، ولا من حيث خصوص المقابلة؛ لأن خصوص المقابلة وإن كان
فيها مغايرة اعتبارية - نظراً إلى المرايا وجهاتها - لكنها بالنظر إلى الوجه
وإلى نفسها ليس كذلك .

قلت: (وإن اختلفت المفعولات بحسب مراتبها في قوة التركيب
وضعفه، وظهوره وخفائه، وكثرته وقلته، وفي كثرة التعدد وقلتها،
وظهوره وخفائه).

أقول: يعني أن الفعل على حال بساطته في حال واحد؛ وإن
اختلفت متعلقاته في التركيب في قوته: كما في العوالم السفلية الظاهرة.
وضعفه: كبساطة المركبات، كالأفلاك بالنسبة إلى الأجسام السفلية.
وفي ظهور التركيب: كالأجسام.

وخفائه: كالنفوس والعقول، حتى أن أكثر الحكماء والمحققين أنكروا تركيبها، بل جعلوها بسيطة الحقيقة حقيقةً.

والحق: أنها مركبة للأدلة العقلية والنقلية وهي كثيرة، فمن العقلية ما برهن عليه وعلم بالضرورة؛ أن كل مصنوع فله جهتان: جهة من ربه، وجهة من نفسه، وهذا ظاهر؛ إذ لا يُعقل مصنوع بدون ذلك.

ومن النقلية؛ مثل قول الرضا عليه السلام، لعمران الصّابي: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً فَرْدًا قَائِماً بِذَاتِهِ دُونَ غَيْرِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ»^(١).

وفي كثرة التركيب: كالعوالم السفلية، فإنها مركبة من كل جهات ما فوقها.

وفي قلته: كالمفعول الأوّل، فإنه مركب من فعل وانفعال خاصة. وفي كثرة التعدد: وذلك كالمركبات من المركبات، كما برهن عليه في العلم الطبيعي في تركيب الإنسان الفلسفي، الذي هو أنموذج الإنسان الآدمي، وإنه مركب في أطوار كثيرة، وقد قال عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ

(١) قال عليه السلام: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْوَاحِدَ... لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً فَرْدًا قَائِماً بِنَفْسِهِ دُونَ غَيْرِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى نَفْسِهِ». [التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦].

ثُمَّ مِنْ عِلَاقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ^(١)، وهذا ظاهر.

وفي قتلها -أي: قلة الكثرة-: يعني أن كثرة مختلفة المراتب فكثرة كثيرة، أي: مكررة من كثرات متعددة وكثرة قليلة، أي: غير مكررة من كثرات متعددة، بل من كثرة أولية.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ لَمْ تَقُلْ؟ (وقلته)؟.

قلت: قد ذكرت قلة التعدد سابقاً، وهنا ذكرت قلة الكثرة، فافهم. وفي ظهور التعدد: كالأمور الكلية.

وخفائه: كالأمور الجزئية، فإنها في الظاهر لا تعدد فيها مثل (زيد)، وفي الواقع وفي نفس الأمر هو متعدد، ولهذا يُسمَّى الشخص في الواقع بالقرية والبيت، وذلك لتعدد أمثاله وأوصافه، كما في تأويل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾^(٢)، وفي قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾^(٣)، ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا﴾^(٤)، وأمثال ذلك مما يعرفه أهله.

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٨.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٩.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

وأما تعدُّد أوصافه: فكلام زيد وسمعه وبصره، وحرارته وبرودته، وحركته وسكونه، وأمثال ذلك من طبائعه وقواه، وآثاره وأحواله، كلها مثله، لو برزت لك معه لم تفرق بينه وبين وصفه؛ إلا أنه يستمد عن نفسه، ووصفه يستمد عنه، فافهم.

قلت: (لأنَّهَا فِي الْفِعْلِ عَلَى نَحْوِ أَشْرَفٍ، لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ نَحْوُ أَشْرَفٍ مِنْهُ).

أقول: لأنها -أي: لأن الجهات المعتبرة في الفعل، مما فرض من صفة النشؤ والتعدد والتركيب المشار إليها سابقاً- على نحو أشرف، ليس في الإمكان نحوُ أشرف منه؛ وذلك لأن تزييل الفؤاد لها -كما أشرنا له- لم يلحقها لذاها، ولو كان باعتبار متعلقاتها، وإنَّما فرض لحوقها بها باعتبار متعلقاتها في آية معرفتها في النفوس المجردة، فإنَّ النفس العليا -أعني الفؤاد- إذا توجَّه إلى معرفتها؛ كان آية لها، ودليلاً عليها، فتظهر فيه إمكانات تلك الجهات في لحاظ متعلقاتها.

وهذا معنى قولنا: (ليس في الإمكان أشرف منه)؛ وذلك لتنزه ذات الفعل عن كلِّ ما يُفرض؛ لأن تلك المفروضات آثاره كما تقدَّم.

قلت: (وَلِهَذَا كَانَ فِي أَكْمَلِ مَرَاتِبِ الْبَسَاطَةِ الْإِمْكَانِيَّةِ، بِحَيْثُ لَا تَكَادُ تُعْتَبَرُ فِيهِ جِهَةٌ تَعَدُّدٌ؛ إِلَّا مِنْ جِهَةِ التَّعَلُّقِ).

أقول: وما كان من جهة التعلق لا يلحقه؛ ولو بواسطة جهة التعلق، بحيث لا تكاد تعتبر فيه جهة تعدد، إلّا من جهة التعلق وفي محل الاعتبار -أعني الفؤاد-؛ لأنه آية ذلك التعريف، كما مرّ مكرراً.

❖ [الجواز الراجع الوجود]:

قلت: (وهذا هو الجواز الراجع الوجود، وهو الوجود المطلق، أي: الوجود لا بشرط، وهو المشيئة، والعزم على ذلك هو الإرادة).
أقول: إن قولنا؛ (هو الجواز الراجع الوجود)، بالنظر إلى قولهم في حق الواجب تعالى: (واجب الوجود)، وفي حق المحدث: (ممکن الوجود)، أي: جائزه.

فمعنى العبارة الأولى؛ امتناع العدم عليه، ومعنى الثانية؛ تساوي العدم والوجود بالنسبة إليه، والمشيئة ليست في رتبة الأول، ولا مساوية للثاني، فلذا قلنا: (أنها راجع الوجود).

وعلة مأخذ الراجحية؛ أن مقتضي موجود، وقد اقتضى شيئاً غير مشروط بغير نفسه، فكان مطلقاً غير مقيّد، وإنما لم يجب على المعنى المصطلح عليه؛ لكون المقتضي قائماً بغيره قيام صدور، فكان بوجود الاقتضاء على جهة التنجيز^(١) من الغير راجحاً، وهو مرادنا بقولنا: (لا

(١) في بعض النسخ: (على جهة التخيير).

بشرط)، إذ الوجود بشرط شيء، وبشرط لا شيء وجود مقيد، وهو من التساوي بكلا قسميه.

وقولي: (وهو المشيئة)، أشير إلى أن المشيئة هي الذكر الأول؛ بقرينة قولي: (والعزم على ذلك هو الإرادة)، وذلك إشارة إلى ما في رواية يونس^(١).

﴿معنى خلق المشيئة بنفسها ومثاله﴾:

قلت: (وَمَعْنَى أَنَّهَا خُلِقَتْ بِنَفْسِهَا؛ أَنَّهَا خُلِقَتْ لَا بِمَشِيئَةِ غَيْرِهَا). أقول: وهذا ظاهر، وقد تقدّم بيانه، فلا فائدة في إعادته.

قلت: (وَنَظِيرُهَا أَبُونَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَأُمِّ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ بِنَفْسِهِ، وَكَانَ الْبَشَرُ مِنْهُ بِالتَّنَاسُخِ وَالتَّنَاسُلِ، فَكَذَلِكَ الْمَشِيئَةُ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَأُمِّ غَيْرِهَا، وَكَانَتْ الْأَشْيَاءُ مِنْهَا بِالتَّنَاسُخِ وَالتَّنَاسُلِ).

أقول: إنما كان آدم عليه السلام نظيرها؛ لأنها هي آدم الأول، كانت مركبة من مادة وصورة، والمادة: الثور، والصورة: هيكل التوحيد، وآدم عليه السلام أبوه: مادته، وأمه: صورته، فليس له أب ولا أم، غير مادته وصورته.

(١) ذكرنا نص الرواية سابقاً، راجع: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٧-١٥٨. تفسير

القمي، ج: ١، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١١٦-١١٧.

كذلك المشيئة -التي هي آدم الأول- ليس لها أب ولا أم إلا المعنويين، أي: المادة والصورة، وإنما كانت بنفسها، وكما كانت ذرية آدم أينا عليه السلام منه بالتناكح والتناسل -كما هو معلوم- كذلك المشيئة، التي هي آدم الأكبر، فإن ذريته -التي هي وجوه المشيئة الخاصة بكل مصنوع- إنما نشأت في أنفسها من المشيئة الكلية، بتعلق المشيئة الكلية بالإمكان تعلقاً خاصاً كل تعلق هو منشأ فعل خاص بخصوص ذلك المتعلق، وهذا الفعل هو ذلك الوجه الخاص بذلك المتعلق الخاص، وهو -أي: ذلك الفعل- هو ابنٌ تولد من الفعل الكلي -أي: المشيئة الكلية- بنكاحه، أي: الكلي للإمكان، وهو -أي: نكاحه- تعلقه بخصوص متعلق؛ لأن وجود المتعلق الخاص شرطٌ لظهور ذلك الوجه، الذي هو الولد، كما أن ذلك الوجه علة لوجود ذلك المتعلق، ويظهران متساوقين؛ كالمشيئة الكلية مع الإمكان الكلي.

فتلك الوجوه الفعلية الخاصة بكل مصنوع؛ تولدت من المشيئة الكلية بالتناكح والتناسل، فالتعلقات الأولية آباء، والتعلقات المترتبة على الأولية أبناء.

قلت: (وَمَعْنَى قَوْلِنَا: "مِنْ غَيْرِ أَبِي وَأُمِّ غَيْرِهِ" فِي آدَمَ عليه السلام؛ إِنَّهُ كَانَ مِنْ مَادَّتِهِ وَهُوَ الْأَبُ، وَمِنْ صُورَتِهِ وَهِيَ الْأُمُّ).

أقول: معنى قولنا؛ (من غير أب وأم غيره)، أن له أباً وأماً، لكنهما ليسا مغايرين له حقيقة؛ لأنه عبارة عن مجموعهما.

وليس مرادنا أنه لا أب له ولا أم أصلاً حتى المعنويين؛ إذ المتكون يتمتع أن يتكون من غير أصل، سواء كان سابق الوجود عليه، أم مُساوق الوجود كما نحن فيه.

والمشيئة؛ التي هي آدم الأكبر الأول كذلك، وهو قولي: (وكذا في المشيئة)، وإنما مثلت بآدم أبينا؛ لأنه المثل لآدم الأكبر، وقد قال الرضا عليه السلام: «قَدْ عَلِمَ أُولُو الْأَلْبَابِ؛ أَنَّ الْأَسْتِدْلَالَ عَلَى مَا هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هَا هُنَا»^(١).

قلت: (وَكَذَا فِي الْمَشِيئَةِ؛ إِلَّا أَكْثَرُهُمَا فِي الْمَشِيئَةِ وَجِدًا بِأَنْفُسِهِمَا، أَيْ: وَجِدَ كُلُّ وَاحِدٍ بِنَفْسِهِ وَبِالْآخِرِ).

أقول: يعني أن مادة آدم أبينا عليه السلام، وجدت بفعل الله، وكذا صورته، أي: بفعل الله وبالمادة تبعاً لها.

وأما مادة المشيئة -يعني: آدم الأكبر- وجدت بنفسها وبصورتها، وصورتها وجدت بنفسها وبمادتها؛ لعدم المغايرة بينهما في أنفسهما، وعدم كون أحدهما علة أو معلولاً.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٥. التوحيد، ص: ٤٣٨. بحار

الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

قلت: (وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ وَجِدَ مَقْبُولُهُ بِنَفْسِهِ، وَقَابِلُهُ بِالْآخِرِ، وَلَا إِيجَادَ لَهُمَا إِلَّا بِأَنْفُسِهِمَا، وَمَا سِوَاهَا وَجِدَ مَقْبُولُهُ بِالْفِعْلِ، وَقَابِلُهُ بِالتَّبَعِيَّةِ عَلَى مَا بُيِّنَهُ).

أقول: معنى هذا الذي ذكرناه؛ أنه وَجِدَ مقبولة -أي: مادته- بنفسه، وقابله -أي: صورته- بالآخر، أي: وجدت مادته بصورته؛ لأنها شرط ظهور المادة، فوجودها بها وجودٌ صوري، ووجدت صورته بمادته؛ لأنها شرط تحقق الصورة، ووجودها بها وجودي مادي، وهذان في المشيئة وجود كل بنفسه، كما مر؛ ولهذا قلنا: (ولا إيجاد لهما)، أي: للمادة والصورة، (إلا بأنفسهما)؛ يعني: الوجود الحقيقي.

فوجود المادة بالمادة، والصورة بالصورة، وإن وَجِدَا بالآخر في غير المشيئة في المغايرة، لكنها فيها واحد، يعني أن قولنا: (وجد أحدهما للآخر)؛ هو معنى وجد بنفسه؛ لأن الآخر نفسه، أي: هو بلا مغايرة، ولهذا قلنا: (وما سواها)، أي: ماسوى المشيئة، (وجد مقبولة)، أي: مادته، (بالفعل)، أي: المشيئة، (وقابله)، يعني: الصورة، (بالتبعية على ما سنبينه)؛ من أن المراد بكون الماهية -أعني: الصورة- موجودة بالتبعية، ليس كما قالوا: من أنها ليست مجعولة، وإنما المجعل هو الوجود، لكنها لما توجه المجعل إلى الوجود انجعلت تبعاً لجعله، من غير أن تشم رائحة الوجود والمجعل، إلا تبعاً للوجود على قول بعضهم.

ولكننا لا نريد هذا المعنى؛ وإنما نريد بالتبعية أنها مجعولة بجعل غير جعل الوجود، إلا أنه مترتب عليه بمعنى أخذه منه، فنسبته إلى جعل

الوجود كنسبة الماهية إلى الوجود -أي: نسبة الواحد إلى السبعين-
لاشتقاقه منه كاشتقاقها من الوجود، ويأتي توضيحه.

✽ [معنى أن الأشياء كانت بالتناكح والتناسل]:

قلت: (وَمَعْنَى أَنَّ الْأَشْيَاءَ كَانَتْ بِالتَّنَاحُكِ وَالتَّنَاسُلِ؛ أَنَّ الْمَادَّةَ هِيَ
الْأَبُ، وَالصُّورَةُ هِيَ الْأُمُّ -عَلَى مَا نُبَيِّنُ لَكَ- فَنَكَحَتِ الْمَادَّةُ الصُّورَةَ،
عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ فَوَلَدَتِ الصُّورَةُ الشَّيْءَ).

أقول: معنى كون الأشياء بالتناكح من المشيئة؛ أن المشيئة أنكحت
المادة الصورة، فنكحت المادة الصورة بإنكاح المشيئة، على ما كتب الله
في الكتاب الوجودي -أي: التكويني- يعني: على نحو إنشاء الحكمي
المتقن، وعلى سنة نبيه؛ لأنه سبحانه أقامه في سائر عالمه مقامه في
الأداء^(١)، فهو يُؤدِّي إلى الخلق عن الله ﷻ في التكويني، كما يُؤدِّي عنه
في التشريعي.

فكان التناكح والتأليف والنمو على مقتضى الحكمة؛ التي هي شرع
كتاب الله التكويني، وسنة نبيه ﷺ كذلك؛ لأن الله ﷻ يوجد على سنة
الحكمة، ويكتب المفعولات على ما هي عليه في نفس الأمر والواقع،

(١) مقتبس من خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام حين اتفق في بعض سنيه الجمعة
والغدیر: «..أَقَامَهُ فِي سَائِرِ عَالَمِهِ فِي الْأَدَاءِ مَقَامَهُ..». [إقبال الأعمال، ص:
٤٦١. المصباح للكفعمي، ص: ٦٩٥. مصباح التهجد، ص: ٥٣].

وكون ذلك واصلاً إلى المفعولات بواسطة نبيه ﷺ هو معنى سنته، وهو التلقي من الخالق والأداء إلى الخلائق.

فلما نكحت المادة -التي هي الأب- الصورة -التي هي الأم- تميّزت الأشياء بصورها، أي: في بطن أمهاتها؛ لأنّ الصورة هي الأم كما يأتي، فولدت الأم -التي هي الصورة- الشّيء المتكوّن من المادّة والصورة.

قلت: (وَالْمَشِيئَةُ؛ هِيَ آدَمُ الْأَوَّلُ، وَحَوَاؤُهُ هِيَ الْجَوَازُ، وَهِيَ كُفُوُهُ، لَا تَزِيدُ عَلَيْهِ وَلَا تَنْقُصُ عَنْهُ، كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ سَابِقاً، فَافْهَمْ).
أقول: وذلك لما ورد؛ «أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ أَلْفَ أَلْفَ عَالَمٍ، وَأَلْفَ أَلْفَ آدَمَ، أَنْتُمْ فِي آخِرِ تِلْكَ الْعَوَالِمِ، وَأُولَئِكَ الْأَدَمِيِّينَ»^(١)،

(١) عن جابر بن يزيد قال؛ سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله ﷺ: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سورة ق، الآية: ١٥]؟.

قال: «يَا جَابِرُ! تَأْوِيلُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ إِذَا أَفْنَى هَذَا الْخَلْقَ وَهَذَا الْعَالَمَ، وَسَكَنَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ؛ جَدَّدَ اللَّهُ عَالَمًا غَيْرَ هَذَا الْعَالَمِ، وَجَدَّدَ خَلْقًا مِنْ غَيْرِ فُحُولَةٍ وَلَا إِنَاثٍ، يَعْبُدُونَهُ وَيُوحِّدُونَهُ، وَخَلَقَ لَهُمْ أَرْضًا غَيْرَ هَذِهِ الْأَرْضِ تَحْمِلُهُمْ، وَسَمَاءً غَيْرَ هَذِهِ السَّمَاءِ تُظِلُّهُمْ.

لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ إِثْمًا خَلَقَ هَذَا الْعَالَمَ الْوَاحِدَ، وَتَرَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ بَشَرًا غَيْرَكُمْ، بَلَى -والله- لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ أَلْفَ أَلْفَ عَالَمٍ، وَأَلْفَ أَلْفَ آدَمَ، أَنْتَ فِي آخِرِ تِلْكَ الْعَوَالِمِ، وَأُولَئِكَ الْأَدَمِيِّينَ». [التوحيد، ص: ٢٧٧. الخصال، ج: ٢، ص: ٦٥٢. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٧٤].

وفي بعض الأخبار: «لَمْ يُخْلَقْ مِنْهَا شَيْءٌ مِنَ الطِّينِ غَيْرُكُمْ»^(١)، وإشارات الأخبار إلى أن المراد منها الأطوار والعوالم.

ويُعلم من ذلك أن أول تلك الآدميين المشيئة، وحواء ذلك آدم هو الجواز والإمكان بقول مطلق، يعني: إن أريد به المشيئة الإمكانية؛ فالمراد بالجواز حينئذٍ الإمكان المطلق الراجح، وإن أريد به المشيئة الكونية؛ فالمراد بالجواز حينئذٍ المقيد للتساوي، وإن تفاوتت مراتبه في السبق؛ إلّا أنها يجمعها كلها الوجود بشرط شيء.

وقولي: (وهي كفؤه)، معناه؛ إنها لا تزيد ولا تنقص عنه، ومعنى هذا - كما تقدّم - إنه لا يكون شيء ممكن لا تتعلق به المشيئة، ولا يكون شيء من المشيئة خارجة عن الإمكان، إذ خارج الإمكان ليس إلّا الوجوب، والوجوب لا تتعلق به مشيئة^(٢).

(١) قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ ﷻ أَنْ يُعَرِّفَهُ بَدَأَ الدُّنْيَا مِنْذُ كَمْ خَلَقْتَ؟، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى: تَسْأَلُنِي عَنْ غَوَامِضِ عِلْمِي؟ فَقَالَ: يَا رَبِّ!، أَحِبُّ أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ.

فَقَالَ... ثُمَّ خَلَقْتَ أَبَاكَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِي يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقَتَ الظُّهْرِ، وَلَمْ أَخْلُقْ مِنَ الطِّينِ غَيْرِهِ، وَأَخْرَجْتُ مِنْ صَلْبِهِ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ...». [جامع الأخبار، ص: ١٢٥. بحار الأنوار، ج: ٥٤، ص: ٣٣].

(٢) في بعض النسخ: (به مشيئته).

﴿لو لم تمسسه نار، مكانه ووقته﴾:

قلت: (وهذا هو النار المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(١)، فمكانه الإمكان، ووقته السرمد).

أقول: هذا في التأويل هو النار المذكورة في القرآن المجيد، يعني أن الحقيقة الحمّدية ﷺ، التي هي الزيت في الآية؛ تكاد أن تخرج في الكون قبل التكوين؛ وذلك لشدة قابليتها، وقرها من مقام المشيئة، فمثل للمشئة بالنار، وللحقيقة الحمّدية بالذهن، وللعقل الكلي المتكون من تعلق المشئة بالحقيقة الحمّدية بالمصباح، المتكون من تعلق النار بالذهن^(٢).

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) ورد في تأويل هذه الآية في أهل البيت عليه السلام روايات كثيرة، نذكر منها نمودجين، الأول: عن عيسى بن راشد، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله: ﴿كَمْشَكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، قال: «هُوَ نُورُ الْعِلْمِ فِي صَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ؛ وَالزُّجَاجَةُ: صَدْرُ عَلِيٍّ عليه السلام، صَارَ عِلْمُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى صَدْرِ عَلِيٍّ، عِلْمُ النَّبِيِّ عَلِيًّا (صلى الله عليه وآله) عِلْمُهُ. ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾؛ نُورُ الْعِلْمِ. ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾؛ لَا يَهُودِيَّةَ وَلَا نَصْرَانِيَّةَ. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾؛ قال: يَكَادُ الْعَالَمُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ يَتَكَلَّمُ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَ. ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾؛ أي: إِمَامٌ مُؤَيَّدٌ بِنُورِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، فِي أَثَرِ إِمَامٍ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَذَلِكَ مِنْ لَدُنِ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَهَؤُلَاءِ الْأَوْصِيَاءُ

ووقت الفعل: هو السَّرمَد.

وأما أول فائض من الفعل، بل وأرض الجرز، الذين هما قبل العقل، فعلى احتمال أنهما لاحقان بالسَّرمَد؛ لتقدُّمهما على العقل، الذي هو مساوق الأول الدهر، وعلى احتمال أنهما من الدهريات؛ لأنَّ السَّرمَد إنما

→

الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ، وَحُجَجَهُ عَلَى خَلْقِهِ؛ لَا تَخْلُو الْأَرْضُ فِي كُلِّ عَصْرِ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ».

والثاني: ما عَنِ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ»؛ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ. «فِيهَا مِصْبَاحٌ»؛ الْحَسَنُ. «الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاجَةٍ»؛ الْحُسَيْنُ. «الرُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ ذُرِّيٌّ»؛ فَاطِمَةُ كَوْكَبٌ ذُرِّيٌّ بَيْنَ نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا. «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ»؛ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. «زَيْتُونَةٌ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ»؛ لَا يَهُودِيَّةٍ وَلَا نَصْرَانِيَّةٍ. «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ»؛ يَكَادُ الْعِلْمُ يَنْفَجِرُ بِهَا. «وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ»؛ إِمَامٌ مِنْهَا بَعْدَ إِمَامٍ. «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ»؛ يَهْدِي اللَّهُ لِلْإِئِمَّةِ مَنْ يَشَاءُ. «وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ».

وردت هاتان الروايتان باختلافات يسيرة في مصادر كثيرة راجع منها: الكافي، ج: ١، ص: ١٩٥. تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٣٥. تفسير فرات الكوفي، ص: ٢٨١. تفسير القمِّي، ج: ٢، ص: ١٠٣. التوحيد، ص: ١٥٧. الصُّراط المستقيم، ج: ٢، ص: ٤٢. كشف اليقين، ص: ٤١٦. معاني الأخبار، ص: ١٥. المناقب، ج: ١، ص: ٢٨٠. نهج الحق، ص: ٢٠٧.

هو وقت للفعّل، وهما من المفعولات لا من الفعل، وعلى احتمال أنهما برزخ بين السّرمد؛ فيكون وجهها في السّرمد، وفعلها في الدّهر.

قلت: (فَهُوَ لِلسَّرْمَدِ كَالْأَطْلَسِ لِلزَّمَانِ، فَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مُحَدَّبُهُ فِي مَكَانٍ وَلَا زَمَانٍ، وَإِنَّمَا الْمَكَانُ وَالزَّمَانُ انْتَهَيَا بِهِ، [لَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ عَنِ الْآخِرِ]^(١)، وَكُلَّمَا قَرُبَ مِنْ مُحَدَّبِهِ مِنَ الْجِسْمِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ لَطْفَ وَرَقٍّ، وَكُلَّمَا بَعُدَ مِنْهُ كَثُفَ وَغُلُظَ).

أقول: فهو -أي: المشيئة- بالنسبة إلى السّرمد كالفلك الأطلس بالنسبة إلى الزمان، فكما أن محدّب الفلك الأطلس ليس في مكان؛ لأنّه محدّد الأمكنة والجهات، ولا في زمان؛ لأنّ الزّمان لا يكون إلّا ظرفاً للجسم، وليس وراء محدّبه جسم؛ ليكون ما خرج من الزمان عن محدّبه ظرفاً له.

وهذا هو الحق في هذه المسألة التي تسافلت دونها عقول الحكماء، وانحطت عنها أفهام العلماء، ولقد كثرت فيها الأقوال، واختلّفت وتنافرت فيها الآراء واضطربت.

والحق هذا: وهو أن المكان والزمان طرفان للجسم، وهما من شخصاته، والمشخصات حدود الماهية وأجزاء القابلية، والحدود والأجزاء مقومات للشيء، فهي جزء ماهيته، ولا يمكن أن يوجد جسم بلا مكان ولا زمان، ولا مكان بلا جسم ولا زمان، ولا زمان بلا جسم ولا مكان؛

(١) ما بين المعقوفين نقلناه من متن الفوائد.

فكل واحد شرط للآخرين مقوم لهما، فيجب -بحكم هذه القواعد الضرورية- أن تكون الثلاثة مُتساوقة؛ إذا وُجد واحد وجد الاثنان، وإذا فقد فقد، وهذا معنى قولي: (وإنما المكان والزمان انتهيا به؛ لم يتخلف أحد من هذه الثلاثة عن الآخر).

واعلم أن الأجسام على ثلاثة أقسام :

[القسم الأول]: جسم لطيف جداً، تقرب لطافته من عالم المثال؛ كمحذّب الفلك الأطلس.

وقسم [ثاني]: كثيف جداً؛ كالمركبات السفلية، مثل: الحجارة والتراب الكثيف.

وقسم [ثالث]: متوسط بينهما، كالأفلاك السبعة.

وحيث كان مشخصات كل شيء من نوعه في اللطافة والكثافة، وكان المكان والزمان من مشخصات كما تقدّم؛ وجب أن يكون مكان محذب محدد الجهات وزمانه المتساوقين له -كما مرّ- ألطف ما يمكن فيهما، بحيث لا يبقى لهما وجود فيما فوق ذلك، وهما في الأفلاك الباقية متوسطان، وفي الأجرام السفلية كثيفان غليظان، كل شيء منهما بحسب ما يشخصانه.

وفي دليل الحكمة دليلٌ هذا؛ فإن سرعة حركة الفلك الأطلس، وتوسط حركة الأفلاك، وبطأ الحركات السفلية ذلك [كثيف

ولطيف^(١)، وأمّا فلك الثواب فبطؤ حركته لكثرة تصادم الحركات المتعدّدة فيه، إذ لكل نجم حركة بخصوصه، حركة تدوير أو حركة حامل، والذي يقوى في نفسي: ثبوت أفلاك التداوير لها، وبهذه النسبة تعتبر المجردات، فإنّ الدهر وقتها، وهو في العقول كما في المحدد ألطف منه في النفوس، كما في الأفلاك السبعة، وشدة كثافته وغلظه في الطبائع، وجواهر الهباء كالأجرام السفلية.

فإذا عرفت هذا في الزمان وفي الدهر؛ فاعلم أن السّرمد ليس فيه تعدد ولا تغاير، فاعتبار التفاوت بالنسبة إلى وجوه المشيئة إنّما هو باعتبار تعلقها بمتعلقاتها، على نحو ما ذكرنا.

وإنما ذكرنا هذا التقسيم والتفاوت في الأجسام على جهة الحقيقة؛ لتعرف هذه النسبة هناك على جهة الاعتبار، وقد أشار تعالى إلى شدة لطافته في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(٢)، ولم يكن هذا في سائر الحوادث.

قلت: (كَذَلِكَ هَذَا الْوُجُودُ، أَي: الْجَوَازُ الرَّاجِحُ، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْفِعْلِ وَالْإِمْكَانِ وَالسَّرْمَدِ لَطْفٌ وَرَقٌّ، حَتَّى يَكَادُ يَخْفَى عَنْ نَفْسِهِ، وَحَتَّى يَكَادُ يَظْهَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ).

أقول: يعني أن هذا الوجود -أعني: المشيئة- كلما قرب من نفسه،

(١) ما بين المعقوفين ورد في هامش إحدى المخطوطات.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

أي: من لحاظ العلية من الفعل والإمكان والسرمد، و(من) هنا بيانية، أي: كل واحد من الفعل والإمكان الذي هو مكان الفعل، ومن السرمد الذي هو وقت الفعل؛ قرب من نفسه، أي: من جهة لحاظ عليته لنفسه؛ لطف ورق، أي: لم يجد نفسه حتى يكاد يخفى عن نفسه، أي: لا يشعر بنفسه لكمال فنائه في وجه بقائه، ولم يجد نفسه حتى يكاد لا يخفى عن شيء من آثاره؛ لكمال ظهوره بها لها.

قلتُ: (وَكُلَّمَا بَعُدَ عَنْ نَفْسِهِ مِنْهَا غُلِظَ، أَي: ظَهَرَ حَتَّى يَكَادُ يَظْهَرُ فِي الْمَفْعُولَاتِ، وَحَتَّى يَكَادُ يَفْقَدُ مِنْهَا).

أقول: وكل واحد من الثلاثة (بَعُدَ عن نفسه)، أي: عن لحاظ عليته لنفسه.

(منها)، أي: من الثلاثة.

(غُلِظَ - يعني: ظهر - حَتَّى يَكَادُ يَظْهَرُ فِي الْمَفْعُولَاتِ)؛ التي آثاره بالكلية أو الجزئية، أي: الركنية، أي: حتى يُقال أن هذه الأشياء هي ذاته، ولأجل عدم ملاحظة بعض الصُوفية، كضرار وأصحابه؛ لعلَّيته لنفسه، قالوا: هو جزء الأشياء، وركنها الأعظم، وإنَّ الأشياء مركبة من وجود؛ وهو الفعل، ومن ماهية؛ هي الحدود والمشخصات.

وظهر - أيضاً - (حَتَّى يَكَادُ يَفْقَدُ مِنْهَا)، أي: لا يكون علة لها، وذلك عند عدم ملاحظة عليته لنفسه، التي هي عليته لغيره؛ لأنَّ عليته لنفسه عين عليته لغيره، فإذا لم تلاحظ لم تعرف المعلولية في المفعولات، إذ لا تعرف إلَّا بملاحظة عليّة العلة.

قلت: (فَالإِمْكَانَ وَالسَّرْمَدَ انْتَهَيَا بِهِ).

أقول: يَعْنِي أَنَّهُمَا انْتَهَيَا بِهِ، وَانْتَهَى بِهَمَّا، وَانْتَهَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْآخَرِينَ.

قلت: (وَكَمَا أَنَّ الْمُحَدَّدَ وَالْمَكَانَ فِي الزَّمَانِ، وَهُوَ الْمُحَدَّدُ فِي الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانَ فِي الْمُحَدَّدِ، أَيُّ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ حَاوٍ لِلْآخَرَيْنِ، كَذَلِكَ الْفِعْلُ وَالْإِمْكَانَ وَالسَّرْمَدُ؛ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا حَاوٍ لِلْآخَرَيْنِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مُنْتَهٍ بِالْآخَرِ مِنَ الثَّلَاثَةِ).

أقول: هَذِهِ الْكَلِمَاتُ يَعْلَمُ مَعْنَاهَا مِمَّا سَبَقَ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا حَيْثُ وُجِدَ وَجَدَ الْآخَرَانِ، وَحَيْثُ فُقِدَ فُقِدَ الْآخَرَانِ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالتَّأَثُّرَاتِ.

❖ [الوجودات الثلاثة على أوضاعٍ ثلاثة]:

قلت: (إِلَّا أَنَّ الْوُجُودَاتِ الثَّلَاثَةَ عَلَى أَوْضَاعٍ ثَلَاثَةٍ: فَالْوَاجِبُ؛ أَرْزُلُهُ ذَاتُهُ، وَمَكَائُهُ ذَاتُهُ).

أقول: هَذَا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِمَّا يُقَالُ عَلَيْهِ الْوُجُودُ، وَهُوَ الْوَاجِبُ تَعَالَى، وَهُوَ وَاحِدٌ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، أَيُّ: فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَفِي الْوَاقِعِ، وَفِي التَّعْقُلِ وَفِي الْإِحْتِمَالِ، وَالْإِمْكَانِ وَالْفَرَضِ، لَا كَثْرَةٌ فِيهِ وَلَا تَعَدُّدٌ، لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي أَفْعَالِهِ وَلَا فِي عِبَادَاتِهِ، فَلَهُ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ، ﴿أَلَا

لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ^(١).

قلتُ: (وَالْمُمْكِنُ؛ الَّذِي هُوَ الْوُجُودُ الْمُقَيَّدُ، وَهُوَ جَمِيعُ الْمَفْعُولَاتِ، مَكَانُهُ غَيْرُ زَمَانِهِ، وَهُمَا غَيْرُ ذَاتِهِ).

أقول: إِنَّ الْأَشْيَاءَ الْمَخْلُوقَةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَنْفَكَ عَنِ التَّأْلِيفِ، الْمُقْتَضِي لِلتَّعَدُّدِ وَالتَّكْثُرِ وَالْمَغَايِرَةِ كَمَشْخَصَاتِهِ، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يَتَعَيَّنُ وَيَتَشَخَّصُ بِهَا، إِلَّا أَنَّهُمَا مِنْ حَيْثُ أَنْفُسُهَا، وَمِنْ حَيْثُ مَفْهُومُهَا، وَقَبْلَ التَّأْلِيفِ وَلَوْ اعْتِبَاراً مَغَايِرَةً لَهُ، فَوَجِبَ اعْتِبَارُ التَّعَدُّدِ فِيهَا، وَخُلَصَ التَّوْحِيدُ الْحَقُّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ.

قلتُ: (وَأَمَّا الْجَوَازُ الرَّاجِحُ؛ فَمَكَانُهُ وَزَمَانُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِ الْإِتِّحَادِ وَالْمَغَايِرَةِ بَيْنَ بَيْنٍ، لَيْسَ عَلَى حَدِّ الْوَاجِبِ فِي الْإِتِّحَادِ، وَلَا عَلَى حَدِّ الْمُمْكِنِ فِي التَّعَدُّدِ، هَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَفْسِهِ. وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى ارْتِبَاطِهِ بِالْمُمْكِنِ؛ فَمُتَغَايِرَةٌ مُغَايِرَةٌ أَبْسَطَ مِنْ مُغَايِرَةِ الْمُمْكِنِ، فَافْهَم).

أقول: أَنَّ الْوُجُودَ الرَّاجِحَ -أعني: المشيئة- إِذَا اعْتَبِرَ مَكَانُهُ؛ الَّذِي هُوَ الْإِمْكَانُ، وَوَقْتُهُ؛ أعني: السَّرْمَدُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، كَانَا مُتَحَدِينَ مَعَهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَفِي الْوَاقِعِ مَغَايِرِينَ لَهُ فِي اعْتِبَارِ الْفَوَادِ.

فَنَسَبْتُهُ إِلَى الْوُجُودِ الْحَقِّ بِاعْتِبَارِ عُنْوَانِهِ، أَي: دَلِيلِهِ، أعني: مَقَامَاتِهِ الَّتِي لَا تَعْطِيلُ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، مِنْ حَيْثُ هِيَ عُنْوَانُهُ، وَإِلَى الْوُجُودِ

المقيد، أعني: المفعولات، نسبته التوسط، وذلك باعتبار مدرك الفؤاد، فهو بين بين؛ لأنَّ الواجب لا يدرك من عنوانه التعدد والكثرة، لا في الواقع ولا في التعقل، والممكن يدرك منه التعدد في الطرفين، وهذا الوجود الراجح لا يدرك منه التعدد في الواقع، ويدرك منه التعقل، فهو بين بين، وهذا مرادنا من قولنا: (ليس على حدِّ الوجوب في الاتحاد، ولا على حدِّ الممكن في التعدد).

وقولي: (هذا بالنسبة إلى نفسه)، أي: هذا التوسط المذكور هو بالنسبة إلى نفسه، وأمَّا إذا اعتبرنا ذلك بالنسبة إلى ارتباطه، أي: تعلقه بالممكن المتعدّد المتكثّر، ففيه تغاير وتكثّر باعتبار التعلّق، كما قلنا في التمثيل بحركة يد الكاتب؛ في تعلقها بالحروف المتعدّدة المتغايرة المتكثرة، ولكن ليس مثل تغاير متعلّقه؛ لأنَّ تعدّد متعلّقه وتغايره ذاتي، وتعدّده ليس لذاته؛ وإنما نسب إليه باعتبار متعلّقه.

وهذا معنى قولي: (فمتغايرة مغايرة أبسط من مغايرة الممكن).

شرح

الفائدة الرابعة

في الإشارة إلى تقسيم الفعل في الجملة

قلتُ:

(الفائدة الرابعة)
في الإشارة إلى تقسيم الفعل في الجملة

أقول: هذه الفائدة معنونة بتقسيم الفعل، لأننا لما ذكرنا بعض ما يتعلق ببيانه اقتضى بيانه ذكر تقسيمه إلى هذه الأقسام في التسمية باعتبار متعلقه.

❖ [القسم الأول: مرتبة المشيئة]:

قلتُ: (اعْلَمْ أَنَّ الْفِعْلَ بِاعْتِبَارِ مَرَاتِبِهِ عِنْدَ تَعَلُّقِهِ بِالْمَفْعُولَاتِ يَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ؛ فالأوّل: مَرْتَبَةُ الْمَشِيئَةِ، وَهِيَ الذِّكْرُ الأوّل، كَمَا قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيُونُسَ).

أقول: الفعل إذا كان متعلقاً بوجود الشيء -أعني: كونه- يُسَمَّى مشيئة؛ لأنّ الوجود هو أوّل ما يذكر به الشيء، ولهذا قال الرضا عليه السلام ليونس: «تَعْلَمُ مَا الْمَشِيئَةُ؟. قال: لا.

قال: هِيَ الذِّكْرُ الأوّل، تَعْلَمُ مَا الْإِرَادَةُ؟. قال: لا.

قال: هِيَ الْعَزِيمَةُ عَلَى مَا يَشَاءُ، تَعْلَمُ مَا الْقَدَرُ؟. قال: لا.

قال: هِيَ الْهَنْدَسَةُ، وَوَضَعَ الْحُدُودَ مِنَ الْبَقَاءِ وَالْفَنَاءِ...»^(١).

ومعنى كون المشيئة هي الذكر الأول؛ أن أول ذكر الله تعالى للشيء أن يذكره بكونه^(٢)، أي: بأن يوجد كونه، وإيجاد الكون -الذي هو الوجود- هو المشيئة.

والمراد بالذكر الأول: المعنى المصدرى، ومعناه الوجود على تأويله بالمفعول، وعلى تأويله بالفاعل هو المشيئة.

قلت: (وَالْمُرَادُ أَنَّ الشَّيْءَ قَبْلَ الْمَشِيئَةِ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذِكْرٌ فِي جَمِيعِ مَرَاتِبِ الْإِمْكَانِ، فَأَوَّلُ ذِكْرِهِ مَعْلُومِيَّتُهُ فِي كَوْنِهِ).

أقول: يعني أن الشيء إذا لم يكن شيئاً لم يذكر؛ لأنه إنما يذكر بأنه هو وأنه شيء، وشيئته إنما هي بوجوده، إذ لا شيء لما لم يوجد، فأول أن يكون مذكوراً كونه شيئاً، وهو كونه موجوداً، وهو أول ما يذكر به، والفعل المتعلق بتكوينه هو الشيئية^(٣)، فلأجل ذلك قال عليه السلام: «هِيَ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ»، يعني: أول ما يذكر به^(٤).

فإن قلت: كيف يكون هذا أول الذكر، والشيء مذكور في العلم

(١) الكافي، ج: ١، ص: ١٥٧-١٥٨. تفسير القمي، ج: ١، ص: ٢٤. بحار

الأنوار، ج: ٥، ص: ١١٦-١١٧.

(٢) في بعض النسخ: (أن يذكر بكونه).

(٣) في بعض النسخ: (هو المشيئة).

(٤) في بعض النسخ: (يعني أن ما يذكر به).

قبل إيجاده؟.

قلتُ: قد قرّرنا أن الشيء أوّل كونه معلوماً كونه ممكناً، وكونه ممكناً بالمشيئة الإمكانية، فهو مذكور في المشيئة بما هو مشاء به، ففي المشيئة الإمكانية هو أوّل ما ذكر [بها]^(١) في إمكانه، وفي الكونية أوّل ما ذكر بها في كونه.

فإذا قيل: المشيئة هي الذكر الأول للشيء؛ صدق على المشيئتين، إلّا أنه هنا المراد به الذكر الأول الخاص، المتشخص المتميز، وهو لا يتحقق إلّا في المشيئة الكونية، وأمّا المشيئة الإمكانية فإنه وإن كان مذكوراً فيها قبل الكونية، إلّا أنه على وجه كلي لا يتخصص به، بل يصلح له ولغيره^(٢).

كما إذا أخذت مداداً بالقلم لتكتب به اسم زيد، فقبل الكتابة لم يكن زيداً مذكوراً على جهة الخصوص والتعين بالمداد الذي على القلم؛ لجواز أن يدوا لك فتكتب به اسم عمرو، أو لا تكتب شيئاً، فليس مذكوراً بمشيئتك الإمكانية على الحقيقة قبل أن تكتب به إلّا على جهة الإمكان، الذي تساوى فيه هو وعمرو وخالد والجبل والبحر وما أشبه ذلك.

فقولي: (لم يكن له ذكر في جميع مراتب الإمكان)، يعني: على جهة الخصوص والتعين لا مطلقاً.

(١) ما بين المعقوفين لم يرد إلا في بعض النسخ.

(٢) في بعض النسخ: (بل لا يصلح له وغيره).

وقولي: (فأول ذكره معلوميته في كونه)، يعني به الذكر الخاص به، كما قلنا.

قلت: (وَمَثَلُهُ؛ فِيمَا يَبْدُو لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكْ شَيْئاً قَبْلَ أَنْ تَذْكُرَهُ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُ كَانَ ذِكْرُكَ لَهُ أَوَّلَ مَرَاتِبِ وَجُودَاتِهِ، وَهُوَ كَوْنُهُ). أقول: يعني أن الشيء الذي تريد فعله لم يكن له ذكر منك قبل فعلك، وإلا لم يكن مفعولاً لك، أو أنك فعلته قبل هذا، فإذا فقد من الأمرين كان عدماً قبل فعلك ليس بـمذكور، فإذا خطر على قلبك فعله فأنت ذكرته، وهو معنى أنك شئت فعله بأوّل خُطُوبِهِ على قلبك، وإذا تأكد العزم كانت الإرادة كما يأتي.

هذا مثال صحيح في حق من تكون منه إرادة وميل للفعل قبل أن يفعل ويتفكر ويتروى، وأمّا الواجب ~~فعلك~~ لم يكن كذلك؛ لأنه لا يُفكر ولا يهم ولا يروى، وليس له ميل إلى شيء، ولا داع يبعثه على الفعل، وإنّما ذلك منه ^(١) سُبْحَانَهُ فعله للشيء من غير سبق شيء على فعله، فأوّل إيجادهِ وجود زيد هو مشيئته تعالى لإيجادهِ زيد؛ لأن وجوده أوّل ما ذكره الله، وهو وجوده.

❖ [القسم الثاني: مرتبة الإراحة]:

قلت: (وَالثَّانِي: الْإِرَادَةُ؛ وَهِيَ الْعَزِيمَةُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَهِيَ ثَانِي

(١) في بعض النسخ: (فيه).

ذِكْرَهُ، وَمَعْلُومِيَّتِهِ فِي عَيْنِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَجُودٌ قَبْلَهُ إِلَّا الذِّكْرُ الْأَوَّلُ؛
الَّذِي هُوَ كَوْنُهُ، وَهُوَ صُدُورُ الْوُجُودِ قَبْلَ لُزُومِ الْمَاهِيَةِ لَهُ).

أقول: هذا هو القسم الثاني من أقسام الفعل باعتبار تسميته من حيث متعلقه، وهو الإرادة التي هي العزيمة على ما يشاء، ويُسمى الفعل بالإرادة إذا كان متعلقه بالعين التي هي إنيته وماهيته، وهي -أي: الإرادة- ثان ذكره؛ لأنَّ أول ذكره المشيئة، وهذه الرتبة معلوميته في عينه، أي: أنه معلوم بعينه، كما أنه في الرتبة الأولى معلوم بكونه.

وإنما قلنا هنا: (أفها ثاني ذكره)؛ لأنَّ أول ذكره المشيئة، وبعد المشيئة الإرادة، وهي ثاني ذكره.

وقولي: (إلا الذكر الأول؛ الذي هو كونه)، يعني: أن ذكره الأول ذكره بكونه، أي: بوجوده قبل لزوم الماهية به، إذ بعد لزومها له تكون العين، أي: الذات؛ لأنها لا تتحقق إلا بالكون.

واعلم أن الكون لا ينفك عن العين؛ لتلازمهما في الظهور، إلا أنه في التقدم الذاتي يكون الكون سابقاً في التحقق على العين بسبعين سنة، وإن كانا في الظهور متساويتين.

قلتُ: (وَبِهَا تَلْزَمُهُ الْمَاهِيَّةُ، وَبِالْمَشِيئَةِ كَانَتْ الْإِرَادَةُ لِتَرْتَّبِهَا عَلَيْهَا).

أقول: وبها -أي: بالإرادة- تلزم الماهية للوجود؛ لأنها هي المثبتة لها فيه، وإنما كانت الإرادة متأخرة عن المشيئة؛ لأنَّ الإرادة مترتبة على المشيئة، وذلك لأنَّ المشيئة هي الذكر الأول، والإرادة هي العزيمة على ما يشاء، فتكون مترتبة عليها، أي: على المشيئة؛ لأنها العزيمة على المشيئة،

والعزيمة على الشيء مترتبة على سبق ثبوته.

❖ [القسم الثالث: مرتبة القدر]:

قلت: (وَالثَّالِثُ: الْقَدَرُ؛ وَهُوَ الْهَنْدَسَةُ الْإِيجَادِيَّةُ، وَفِيهِ إِيجَادُ الْحُدُودِ؛ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ، وَالْبَقَاءِ وَالْفَنَاءِ، وَضَبْطُ الْمَقَادِيرِ وَالْهَيْئَاتِ الدَّهْرِيَّةِ وَالزَّمَانِيَّةِ؛ مِنَ الْوَقْتِ وَالْمَحَلِّ، وَالْكَفِّ وَالْكَثْفِ، وَالرُّتْبَةِ وَالْجِهَةِ، وَالْوَضْعِ وَالْكِتَابِ، وَالْإِذْنَ وَالْأَعْرَاضِ وَمَقَادِيرِ الْأَشْئَةِ، وَجَمِيعِ النَّهَايَاتِ إِلَى انْقِطَاعِ وُجُودَاتِهِ).

أقول: هذا هو القسم الثالث من أقسام الفعل باعتبار تسميته من حيث متعلقه؛ وهو القدر، والمراد به فعل الله المتعلق بالحدود.

وقولي: (وهو الهندسة الإيجادية.. إلخ)، كما هو في قول الرضا عليه السلام، ليونس في تفسير القدر، وربما فُسِّرَت بالحدود، أو عُطِفَتْ عليها، أريد به ما يشملها، فإنَّ الهندسة هي الحدود المعنوية والظاهرية، كالأرزاق؛ من الغذاء والعلوم، وتعليم الصناعات، والتيسير للأعمال الصالحات والطالحات، والأسباب المؤدية إلى مسبباتها.

وكالآجال الابتدائية والانتهاية، بمعنى: أنَّ كل شيء محدث فله ابتداء معين، وانتهاء مقدر.

وكالبقاء، أي: أنَّ كل شيء له بقاء في الأكوان مقدر، ولا يزيد ولا ينقص، وكالفناء من الأكوان كذلك.

وضبط المقادير أيضاً كذلك، يعني أنها من التقدير؛ لأنها من

المشخصات.

وكالهيئات الدهرية والزمانية؛ كالحركات والسكنات، والأوضاع والنسب.

وكالحدود الستة، أعني: الوقت والحل، والكم والكيف، والرتبة والجهة.. إلخ، فإن الهيئات الدهرية والزمانية تشمل جميع الحدود والمقادير. والعطف عليها عطف تفسيري، أو عطف خاص على عام.

وكالوضع بمعانيه الثلاثة، أعني: افتقار الجوهر الفرد إلى حيز، وترتب أجزاء الشيء بعضها على بعض، وترتب أجزاء الشيء على غيرها، بل على الأمور الخارجية.

وكالكتاب؛ المراد به أن كل شيء فمن أسباب كونه وبقائه وتوصله، إلى ما خلق له أن تكون جميع أحواله وأعماله وأقواله، وحركاته وسكناته مكتوبة في الكتب الإلهية والألواح السماوية، والأجرام السفلية وغير ذلك؛ لالتقاء^(١) الأسباب منها لمسبباتها، فمنها المبادئ التي بها تكون الأشياء، ومنها النهايات التي تكون عن الأشياء.

مثل الأول: أن وجود زيد متوقف على إثباته في اللوح المحفوظ وفي الألواح الجزئية.

ومثل الثاني: وجود أمثاله وصفاته، ووجوده مقتض لإيجاد أمثاله وصفاته في وجه اللوح ووجوه الألواح، فلو لم يقتض وجوده ذلك لم

(١) في بعض النسخ: (الاقتضاء).

تقتض كتابته في اللوح المحفوظ وجوده؛ لأن المقتضي من نوع واحد، وإن اختلف في الشدة والضعف.

وكالأذن، يعني: أن كل شيء لا يخرج من الإمكان إلى الأكوان، ومن الحركة إلى السكون، ومن السكون إلى الحركة، ومن حال إلى حال، ومن الأكوان إلى الإمكان، بمعنى: أنه لا ينتقل من شيء إلى شيء، بل ولا يبقى على حال إلا بإذن الله سبحانه.

وكالأعراض، يعني: أن كل شيء فجميع ما تنسب إليه من الأعراض بجميع ما يراد منها من مشخصاته ومعيناته، وكذلك ما تلحق تلك الأعراض من الأعراض، وأعراض الأعراض، مثل: الحركة وسرعة الحركة، وشدة السرعة.. وهكذا، وكذا مقادير الأشعة، وأشعة الأشعة.. وهكذا، أي: إلى أن تنتهي وجوداتها، وهو قولنا: (ومقادير الأشعة وجميع النهايات إلى انقطاع وجوداته)، أي: وجودات الشيء الذاتية والعرضية اللاحقة له، واللاحقة لللاحقة له.

وكل ذلك من أحكام التقدير ومتعلقاته، وما يتعلق به من الفعل يُسمى قدراً.

قلت: (وفي هذا أول الخلق الثاني، وبدء السعادة والشقاوة، وبالإرادة كان القدر؛ لترتبه عليها).

أقول: وفي هذا القسم -أعني: القدر- من أقسام الفعل أول الخلق الثاني، يعني: أن الصانع إذا أراد أن يصنع شيئاً لا بد له من مادة يصنع منها الشيء، فغير الله سبحانه يأخذ مادة مطلوبة مما صنع الله ﷻ.

وَأَمَّا اللَّهُ سبحانه فلم يكن عنده في ملكه شيء إلا ما صنعه، فإذا أراد أن يخلق خلقاً؛ خلق مادة ذلك المخلوق، وصنعه من تلك المادة، كالكتاب فإنه يصنع المداد أولاً، ثم يكتب منه ما شاء، فالخلق الأول؛ هو صنع المادة. والخلق الثاني: هو الصنع من تلك المادة، كما مثلنا.

فَالْمَدَادُ: هو الخلق الأول، والكتابة: هو الخلق الثاني، وهو أن يأخذ حصة من المادة، ويُقدِّرها على حسب ما يُريد، فالتقدير هو الخلق الثاني، وفيه السعادة والشقاوة.

مثل: الخشب الذي هو الخلق الأول، ليس فيه سعادة ولا شقاوة، فإذا عمل منه باباً أو سريراً أو صنماً ثبتت السعادة والشقاوة في الخلق الثاني؛ لأنه [في] ^(١) محل التصوير، والصورة هي الأم التي يسعد من يسعد في بطنها، ويشقى من يشقى في بطنها، كما يأتي بيانه إن شاء الله.

وقولي: (بالإرادة كان القدر)، مأخوذ من حديث الكاظم عليه السلام، كما في الكافي ^(٢)، وإنما كان القدر بالإرادة؛ لأنها هي صنع المادة التي

(١) ما بين العقوبتين مفقود في بعض النسخ.

(٢) عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ؛ سُئِلَ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ عِلْمُ اللَّهِ؟

قَالَ: «عِلْمٌ وَشَاءٌ، وَأَرَادَ وَقَدَّرَ، وَقَضَى وَأَمْضَى، فَأَمْضَى مَا قَضَى، وَقَضَى مَا قَدَّرَ، وَقَدَّرَ مَا أَرَادَ، فَعِلْمُهُ كَانَتْ الْمَشِيئَةُ، وَبِمَشِيئَتِهِ كَانَتْ الْإِرَادَةُ، وَبِإِرَادَتِهِ كَانَتْ التَّقْدِيرُ، وَبِتَقْدِيرِهِ كَانَتْ الْقَضَاءُ، وَبِقَضَائِهِ كَانَتْ الْإِمْضَاءُ، وَالْعِلْمُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْمَشِيئَةِ، وَالْمَشِيئَةُ ثَانِيَةٌ، وَالْإِرَادَةُ ثَالِثَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ رَابِعٌ عَلَى الْقَضَاءِ

يتوقف التقدير عليها، ولهذا قلنا: (لترتبه)، أي: لترتب القدر على الإرادة.

قلت: (وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْمَذْكُورَةُ تَجْرِي فِي الْخَلْقِ الْأَوَّلِ عَلَى نَحْوِ أَشْرَفٍ، وَإِنَّمَا ذُكِرَتْ هُنَا؛ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الْهَنْدَسَةِ، وَهُنَاكَ مَحَلُّ بَسَاطَةِ).
أقول: يعني أن هذه الأمور المذكورة، أعني: إيجاد الكون والعين، الذي هو الخلق الأول، وإيجاد الحدود والهندسة، الذي هو الخلق الثاني، وما فيهما من المراتب والتفصيل؛ يجري في الخلق الأول، أي: إيجاد الكون والعين، فإننا مثلاً نقول في قول الصادق عليه السلام: «لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا بِسَبْعَةٍ؛ بِمَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ، وَقَدَرٍ وَقَضَاءٍ، وَإِذْنٍ وَأَجَلٍ وَكِتَابٍ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْصِ وَاحِدَةٍ فَقَدْ كَفَرَ»، أو «فَقَدْ أَشْرَكَ»، على اختلاف الروايتين^(١)، وكذا في قوله: «عَلَى

→

بِالْمُضَاءِ...». [الكافي، ج: ١، ص: ١٤٨-١٤٩. التوحيد، ص: ٣٣٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٠٢].

(١) عن حرير بن عبد الله أو عبد الله بن مسكان قال؛ قال أبو جعفر عليه السلام: «لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا بِهِذِهِ الْخِصَالِ السَّبْعَةِ؛ بِمَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ، وَقَدَرٍ وَقَضَاءٍ، وَإِذْنٍ وَكِتَابٍ وَأَجَلٍ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْصِ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ كَفَرَ». [المحاسن، ج: ١، ص: ٢٤٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٢١].

نقص»؛ بالضاد المعجمة وبالمهملة، على اختلاف الروايتين^(١).

وظاهر الروايات؛ أن المراد بـ(الشيء) هنا هو المفعولات من الغيب والشهادة، فإننا نقول: أنه أيضاً جار في الأفعال؛ لعموم الشيئية، ولإشتراك الكل في مقتضيات الحكمة، فلا فرق في ذلك بين الأفعال والمفعولات، بل كل تلك الأمور السبعة تجري في كل شيء من الحوادث، في كل شيء بحسبه، فالأشرف والأبسط تكون فيه بنحو أشرف وأبسط.

نعم.. هي في الخلق الثاني أظهر، وأما في الخلق الأول فخفية، فلأجل ذلك ذكرتها في ذكر الخلق الثاني، ولهذا قلت: (وإنما ذكرت هنا)، أي: في الخلق الثاني. (لأنه محل الهندسة)، أي: الحدود والمقادير. (وهناك)، يعني: الخلق الأول، (محل بساطة).

❖ [القسم الرابع: مرتبة القضاء]:

قلت: (والرابع: القضاء؛ وهو إتمام ما قدر، وتركيبه على النظم الطبيعي، فالقدر؛ كتقدير آلات السرير من الطول والعرض والهيئة، والقضاء؛ تركيبها سريراً).

(١) الكافي، ج: ١، ص: ١٤٩. وقد ورد عن زكريا بن عمران، عن أبي الحسن الأول عليه السلام، قال: «لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا بِسَبْعَةٍ؛ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ وَإِرَادَةٍ وَمَشِيئَةٍ وَكِتَابٍ، وَأَجَلٍ وَإِذْنٍ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، أَوْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ ﷻ». [الخصال، ج: ٢، ص: ٣٥٩. بحار الأنوار، ج: ٥،

أقول: الرابع من الأقسام: القضاء؛ وهو إتمام ما قدر، يعني: أن الصانع إذا أخذ حصة من المادة، وقدرها على ما يريد؛ قضاها، أي: أتمها على الصورة المرادة له، كالنجار إذا أخذ شيئاً من الخشب وقدره على هيئة السَّرير من طول وعرض، نظمه وأتمه على نظمه الطبيعي، وهو معنى أنه قضاها، كما قال عزّ من قائل: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ...﴾^(١).

❁ [القسم الخامس: مرتبة الإمضاء]:

قلت: (والخامس: الإِمضاء؛ وهو لازِمٌ للقضاء، وهو إظهارُهُ مُبَيَّنِ الْعِلَلِ، مَشْرُوحِ الْأَسْبَابِ؛ لِاجْتِمَاعِ مَرَاتِبِ التَّعْرِيفِ لِأَثَارِ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ فِيهِ).

أقول: القسم الخامس من الأقسام المذكورة: الإِمضاء؛ وهو في الغالب لازم للقضاء، بمعنى: أنه لا ينفك عن القضاء، ولذا ورد: «إِذَا قَضَاهُ فَقَدْ أَمَضَاهُ»^(٢)؛ لأنَّ الشيء إذا تمَّ كان في الغالب لا تعرض له موانع الإِمضاء، من جهة أنَّ القضاء والإتمام إنما يكون من الفاعل لإِمضائه، وَقَلَّ أَنْ تَكُونَ الْحِكْمَةُ مُقْتَضِيَةً لِمَجْرَدِ إِمْتَامِهِ خَاصَّةً، ثُمَّ يَدُو لَهُ

(١) سورة فصلت، الآية: ١٢.

(٢) قال أبو الحسن عليه السلام، ليونس مولى علي بن يقطين: «...إِنَّ اللَّهَ إِذَا شَاءَ شَيْئاً أَرَادَهُ، وَإِذَا أَرَادَهُ قَدَرَهُ، وَإِذَا قَدَرَهُ قَضَاهُ، وَإِذَا قَضَاهُ أَمَضَاهُ...». [الحاسن، ج: ١، ص: ٢٤٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٢٢].

مَحْوُهُ.

نعم.. من جهة أنه بالإتمام لا يخرج من إمكان المحو والتغيير والتبديل، بل جاز عليه ذلك، فرمما جرت عليه المشيئة بالتغيير، فلذا قلنا: (في الغالب).

ومعنى الإمضاء: إظهار الشيء تاماً، ومعنى تمامه: اشتماله على جميع ماله وما يترتب عليه، ومن ذلك كونه مبين العلل، مشروح الأسباب؛ ليكون دليلاً ومدلولاً عليه، ولو لم تظهر منه آثاره المصنوعية؛ لم يكن دليلاً، ولو لم تبد منه ظلمة الإنية؛ لم يستدل عليه، وإذا لم يعرف منه الجهتان؛ لم يحسن إيجاده الذي يتوقف الإمضاء عليه، فلذا قلنا: (مبين العلل، مشروح الأسباب؛ لاجتماع مراتب التعريف).

يعني: أنه إنما خلق ليعرف صانعه، ويعرف به صانعه سبحانه، فخلقه تعريف من الصانع سبحانه له ولغيره، في جميع مراتب وجوده، كالكون والعين [والقدر]^(١) والقضاء، فإنها -أي: مراتب التعريف والتعرف فيها- اجتمعت في رتبة الإمضاء؛ لأنه إنما يكون بعد التمام، فيجب أن يكون مبين العلل، مشروح الأسباب، ولا تنتظر مرتبة للتعرف والتعريف بعده. وقولي: (لآثار الصفات الفعلية فيه)، معناه: أن الآثار هي آيات التعريف، وهي آثار الصفات لا آثار الذات كما توهمه بعضهم، فإن الذات لا آثار لها، وإنما الآثار لأفعالها.

(١) ما بين المعقوفين لم يرد إلا في بعض النسخ.

وإنما قلتُ: (الصفات الفعلية)؛ لأن الآثار التي هي الآيات إنما هي آيات للصفات، التي هي جهة المعرفة، وليست آيات للأسماء ولا للذات؛ لأن الأسماء لا تفيد المعرفة، وإنما تفيد التعين، فتصدق مع التشبيه والتعدد والحدوث والتركيب، وكذلك الذات إذ لا آيات لها إلا باعتبار أفعالها. وقولي: (فيه)، أي: في الإمضاء؛ لانتهاه كل الآثار، والتعريف إليه.

✽ [أركان الفعل وبيانها]:

قلتُ: (فَالْأَرْبَعُ الْمَرَاتِبُ الْأُولُ؛ هِيَ الْأَرْكَانُ لِلْفِعْلِ، وَالْخَامِسُ يَبَيِّنُهَا).

أقول: يعني أن المشيئة والإرادة والقدر والقضاء؛ هي أركان للفعل الذي يتم به المفعول باعتبار متعلقاتها - كما قلنا سابقاً - فبالمشيئة كونه، وبالإرادة عينه، وبالقدر حدوده، وبالقضاء إتمامه.

فهذه الأقسام وإن كانت واحدة باعتبار ذات الفعل؛ لكنها باعتبار متعلقها أربعة، وهي أركان للفعل، أي: لفعل المفعول الذي به يتم. والإمضاء؛ الذي هو الخامس بيانها - كما تقدم - لاجتماع مراتب التعريف لآثار الصفات الفعلية الإلهية فيه.

قلتُ: (وَبِالْقَدْرِ كَانَ الْقَضَاءُ، وَبِالْقَضَاءِ كَانَ الْإِمْضَاءُ).

أقول: هذا مأخوذ من حديث الكاظم عليه السلام في قوله: «فَبِالْمَشِيئَةِ

كَانَتْ الْإِرَادَةُ، وَبِالْإِرَادَةِ كَانَ الْقَدْرُ... إلخ»^(١)، بعضه صريح، وبعضه في ضمنه.

✽ [صبح الأزل، وأنواره الأربعة]:

قلت: (فَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ هِيَ صُبْحُ الْأَزْلِ).

أقول: قولي: (فهذه الأربعة)، إنما كان إلى الفعل أربعة مع أنه واحد؛ لأن تعدده في الأسماء إنما هو باعتبار متعلقه.

قلت: (وَالْتُّورُ الَّذِي أَشْرَقَ مِنْ صُبْحِ الْأَزْلِ أَرْبَعَةُ أَنْوَارٍ؛ هِيَ الْعَرْشُ الَّذِي اسْتَوَى عَلَيْهِ الرَّحْمَانُ بِرَحْمَانِيَّتِهِ، الَّتِي هِيَ هَذِهِ الْأَرْبَعُ الْمَرَاتِبُ مِنَ الْفِعْلِ).

أقول: التُّور الذي أشرق من صبح الأزل مأخوذ من قول أمير المؤمنين عليه السلام، لكميل (رضوان الله عليه)^(٢)، ومعنى ذلك؛ أن الذي أشرق

(١) الكافي، ج: ١، ص: ١٤٨-١٤٩. التوحيد، ص: ٣٣٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٠٢.

(٢) روي عن كميل بن زياد؛ أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحقيقة الحمديّة بقوله: ما الحقيقة؟

فقال عليه السلام، له: «مَالِكٌ وَالْحَقِيقَةُ؟»

فقال كميل: أ لستُ صاحب سرِّك؟

قال عليه السلام، بلى، وَلَكِنْ يَرُشِّعُ عَلَيْكَ مَا يَطْفَحُ مِنِّي.

من المشيئة، وهو نور واحد، وهو الوجود، وهو الحقيقة المحمدية، وهو الماء، إلا أنه بعد ارتباط القابليات به كان أربعة أنوار، وهذا الانقسام من حكم الحكيم ﷺ بمقتضى القابليات.

وهذه الأنوار هي مجموع الصفات الرحمانية، التي استوى بها الرحمن ﷺ على عرشه^(١)، أي: ظهر بها، يعني: أظهر آثار سلطانه وقدرته فيها، وبها أعطى كل ذي حق حقه بمقتضى قابليته.

وإنما كانت أربعة؛ لأن مقتضى قابليات الوجودات الكونية أربعة: الخلق والرزق، والموت والحياة، كما قال عز من قائل: ﴿اللَّهُ الَّذِي

→...

فقال كميل: أو مثلك يُخَيَّب سائلاً!

قال عليه السلام: الْحَقِيقَةُ؛ كَشَفُ سُبْحَاتِ الْجَلَالِ مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ.

فقال كميل: زدني فيه بياناً.

قال عليه السلام: هَتَكَ السِّرَّ لَعَلَّةَ السِّتْرِ.

فقال كميل: زدني فيه بياناً.

قال عليه السلام: نُورٌ أَشْرَقَ مِنْ صُبْحِ الْأَزَلِ، فَيَلُوحُ عَلَى هَيَاكِلِ التَّوْحِيدِ آثَارُهُ.

فقال كميل: زدني فيه بياناً.

قال عليه السلام: أَطْفَى السَّرَاجَ، فَقَدْ طَلَعَ الصُّبْحُ». [جامع الأسرار ومنبع الأنوار،

ص: ٢٨، وص: ١٧٠]، وللإطلاع على شرح مفردات هذا الحديث لمصنف هذا

الكتاب، راجع: جوامع الكلم، ج: ٢، ص: ٣١٣-٣٢١.

(١) كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، سورة طه، الآية: ٥.

خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ^(١). وهذه الأنوار الأربعة هي العرش، فهي أركانه، فهو مُرْكَبٌ منها، فهي العرش، وبها ظهر على العرش، إذ العرش له إطلاقات وهذا أحدها.

وقولي: (التي هي هذه المراتب الأربع من الفعل)، أريد به: أن المراتب الأربع من الفعل، التي ذكرنا أنها تعددت باعتبار متعلقاتها؛ إنها بلحاظ تعددها لتعدد متعلقاتها، صدر عن كل واحد منها نور، وتلك الأنوار الصادرة المتعددة باعتبار قابليتها هي هذه الأربعة الأنوار؛ التي هي مجموع العرش وأركان العرش؛ بمعنى أن العرش مركب منها، وينقسم إليها.

قلتُ: (فالنُّورُ الْمَشْرِقُ عَنِ الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى؛ هُوَ رُكْنُ الْعَرْشِ الْأَيْمَنِ الْأَعْلَى، وَهُوَ النُّورُ الْأَبْيَضُ).

أقول: الأول من الأنوار الأربعة المشرقة من صبح الأزل النور الأبيض، وهو المشار إليه في آية النور: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾^(٢)، وهو العقل الكلّي، وعقل الكل؛ كما في الأخبار وكلام الحكماء، وهو القلم، وهو أول الوجودات^(٣) المقيّدة، وهو النور الأبيض،

(١) سورة الروم، الآية: ٤٠، وللإطلاع على بعض الرويات الواردة في تأويل هذه الآية، راجع ص: ٣٢٥-٣٢٦، من هذا المجلد.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٣) في بعض النسخ: (أول الموجودات).

ومنه ضوء النهار، وعنه تصدر الأرزاق بواسطة ميكائيل؛ لأنَّ ميكائيل يستمد منه في إيصال الأرزاق إلى المستحقين، وطبعه بارد رطب، وهو الركن الأيمن الأعلى، يعني: الأول الباطن، وهو أثر المشيئة من أقسام الفعل.

قلت: (وَالنُّورُ الْمَشْرِقُ عَنِ الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ؛ هُوَ رُكْنُ الْعَرْشِ الْأَيْمَنِ الْأَسْفَلِ، وَهُوَ النُّورُ الْأَصْفَرُ).

أقول: هذا النور الثاني المشرق عن المرتبة الثانية، أعني: الإرادة التي هي منشأ العين وتمام الخلق الأول، وهو الروح الحمّدي عليه السلام، ومن نوره خلقت البراق، وهو النور الأصفر، قال عليه السلام: «الْوَرْدُ الْأَصْفَرُ مِنْ عَرَقِ الْبُرَاقِ»^(١).

وهو الركن الأيمن، أي: الأول الإضافي الأسفل، أي: الباطن الإضافي؛ لأنه تحت النور الأول وظاهره، ومنه اصْفَرَّتْ كل صفة فيما دونه، وعنه تصدر الحياة لكل حي بواسطة إسرافيل؛ لأنَّ إسرافيل يستمد منه الحياة، وبه يفيض الحياة على ذوات النفوس والأرواح، وطبعه حار رطب، وهو أثر الإرادة من أقسام الفعل.

(١) عن الفردوس، عن أنس بن مالك قال؛ قال النبي عليه السلام: «الْوَرْدُ الْأَبْيَضُ خُلِقَ مِنْ عَرَقِي لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، وَالْوَرْدُ الْأَحْمَرُ خُلِقَ مِنْ عَرَقِ جِبْرِئِيلَ، وَالْوَرْدُ الْأَصْفَرُ خُلِقَ مِنَ الْبُرَاقِ». [مكارم الأخلاق، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٧٣، ص: ١٤].

قلتُ: (وَالنُّورُ الْمَشْرِقُ عَنِ الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ؛ هُوَ رُكْنُ الْعَرْشِ الْأَيْسَرِ الْأَعْلَى، وَهُوَ النُّورُ الْأَخْضَرُ).

أقول: هذا هو النور الثالث المشرق عن المرتبة الثالثة من الفعل، أعني: القدر، وهو ركن العرش الأيسر، أي: الظاهر الأعلى، أي: الباطن الإضافي، وهو النور الأخضر الذي اخضر منه كل خضرة فيما دونه، وهو النفس الكلية، واللوح المحفوظ، وعنه يصدر الموت لكل ذي روح بواسطة عزرائيل؛ لأنه يستمد منه الموت، وطبعه بارد يابس، وهو أثر القدر، ومن أقسام الفعل.

قلتُ: (وَالنُّورُ الْمَشْرِقُ عَنِ الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ؛ هُوَ رُكْنُ الْعَرْشِ الْأَيْسَرِ الْأَسْفَلِ، وَهُوَ النُّورُ الْأَحْمَرُ).

أقول: هذا هو الرابع، وهو النور المشرق عن المرتبة الرابعة من الفعل، أعني: القضاء، وهو النور الأحمر، الذي احمرت منه كل حمرة مما دونه، وهو الطبيعة الكلية، وعنه يصدر الخلق بواسطة جبرائيل عليه السلام؛ لأن جبرائيل يستمد منه في إيجاد الأشياء، وطبعه حار يابس، قال عليه السلام: «الْوَرْدُ الْأَخْمَرُ مِنْ عَرَقِ جِبْرَائِيلَ عليه السلام»^(١).

وهو ركن العرش الأيسر الأسفل، أي: آخرها، أعني الأركان وظاهرها، وهو أثر القضاء من أقسام الفعل.

(١) نقلنا نصَّ الرواية في الحاشية السابقة، راجع: مكارم الأخلاق، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٧٣، ص: ١٤.

قلت: (فَالْبَيَاضُ مِنَ الْمَشِيئَةِ؛ لِكَمَالِ الْبَسَاطَةِ).

أقول: يعني: إنما كان النور المشرق عن المشيئة أبيض؛ لكمال بساطتها، وهذا النور أثر البسيط فيكون بسيطاً، والبساطة تقتضي البياض، كما أن التركيب يقتضي السواد.

وإنما قلنا: (لكمال البساطة)؛ لأن جميع الأقسام كلها بسيطة، إلا أن المشيئة هو أول الأقسام وأول الإيجاد، فلا يكون وجوده مترتباً على غيره، بخلاف باقي الأقسام، فإن كلاً منها مترتب على ما قبله، فلا يكون كاملاً في البساطة؛ لما لحقه من الترتب على الغير.

واعلم أن العلماء اختلفوا في البياض؛ هل هو لون، أم لا؟.

ف قيل: أنه لون، ويدل عليه ما روي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «وَتَوَرَّ أَيْضٌ، مِنْهُ أَيْضُ الْبَيَاضِ..»^(١)، فلو لم يكن لوناً؛ لَمَا قال عليه السلام: «مِنْهُ أَيْضُ الْبَيَاضِ»، إذ قوله عليه السلام: «مِنْهُ أَيْضُ الْبَيَاضِ»؛ دليل على أن البياض لونٌ، صبغه صانعه من مادة البساطة.

وقيل: أنه ليس لوناً، ويدل عليه الرواية الأخرى عنه عليه السلام قوله:

(١) عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ رَفَعَهُ قَالَ؛ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «إِنَّ الْعَرْشَ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أُنْوَارٍ أَرْبَعَةٍ؛ نُورٍ أَحْمَرَ مِنْهُ اخْمَرَتِ الْحُمْرَةُ، وَنُورٍ أَخْضَرَ مِنْهُ اخْضَرَتِ الْخَضِرَةُ، وَنُورٍ أَصْفَرَ مِنْهُ اصْفَرَتِ الصُّفْرَةُ، وَنُورٍ أَيْضَ مِنْهُ أَيْضُ الْبَيَاضِ، وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي حَمَلَهُ اللَّهُ الْحَمَلَةَ..» [الكافي، ج: ١، ص: ١٢٩].

«مِنْهُ الْبَيَاضُ، وَمِنْهُ ضَوْءُ النَّهَارِ»^(١)، فقلوله: «مِنْهُ الْبَيَاضُ»؛ يدل على أنه صفة الوجود الذاتية، إذ مقتضاه البياض لبساطته.

والحاصل: أنه على كل تقدير؛ فمنشؤه البساطة.

قلت: (وَالصُّفْرَةُ مِنَ الْإِرَادَةِ؛ لِيَزَادَةَ الْحَرَارَةِ فِي الْبَيَاضِ).

أقول: إنما كان النور الصادر عن الإرادة أصفر؛ لأن المشيئة لما كان الصادر عنها أبيض، وكانت الإرادة التي هي تأكيد المشيئة زيادة طلب وميل، وهو يقتضي الحرارة زيادة على المشيئة، وكانت الإرادة متعلقة بمتعلق المشيئة الذي هو قبل تعلقها به أبيض؛ ألقت الإرادة حرارتها على ذلك البياض، الذي قلنا أن طبيعته بارد رطب، فكان أصفر لانقلاب برودته إلى الحرارة، فكان حاراً رطباً.

وإنما كان^(٢) الحار الرطب في الكلبي أصفر؛ لأنه طبع الحياة، وهو معنى قولي: (لزيادة الحرارة في البياض).

(١) عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْعَرْشَ أَرْبَاعاً لَمْ يَخْلُقْ قَبْلَهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ؛ الْهَوَاءُ وَالْقَلَمُ وَالتُّورُ، ثُمَّ خَلَقَهُ مِنْ أَنْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَمِنْ ذَلِكَ التُّورِ نُورٌ أَخْضَرَ اخْضَرَّتْ مِنْهُ الْخُضْرَةُ، وَنُورٌ أَصْفَرَ اصْفَرَّتْ مِنْهُ الصُّفْرَةُ، وَنُورٌ أَحْمَرَ اخْمَرَّتْ مِنْهُ الْحُمْرَةُ، وَنُورٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نُورُ الْأَنْوَارِ، وَمِنْهُ ضَوْءُ النَّهَارِ..» [التوحيد، ص: ٣٢٥-٣٢٦. الاختصاص، ص: ٧٢. تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٣٧٥].

(٢) في بعض النسخ: (ولو كان).

قلت: (وَالْخُضْرَةُ مِنَ الْقَدَرِ؛ لِاخْتِلَاطِ سَوَادِ الْكَثْرَةِ مِنْ أَثَرِ الْقَدَرِ بِصُفْرَةِ أَثَرِ الْإِرَادَةِ).

أقول: إنما كان النور الصادر من القدر أخضر؛ لأن القدر تصدر عنه الحدود والهيات وهي كثيرة، والكثرة سواد، كما أن البساطة بياض، فلمّا كانت الكثرة متعلقة بذلك الأصفر؛ لأن التقدير فيه اجتمع السواد والصفرة والخضرة تتركب منهما^(١)، وهو معنى قولنا: (الاختلاط سواد الكثرة من أثر القدر، وبصفرة أثر الإرادة)، كما ذكرنا قبل ذلك.

قلت: (وَالْحُمْرَةُ مِنَ الْقَضَاءِ؛ لِاجْتِمَاعِ بَيَاضِ الْمَشِيئَةِ بِصُفْرَةِ الْإِرَادَةِ فِي حَرَارَةِ حُكْمِ الْقَضَاءِ بِالْإِمْضَاءِ).

أقول: إنما كان النور الصّادر عن القضاء أحمر؛ لأنه مركب من النور الأصفر الصادر عن الإرادة، ومن بياض النور الصادر عن المشيئة، فهو مركب منهما بحرارة حكم القضاء بالإمضاء، وهو حتم التكوين.

وإذا اجتمعت الصفرة بالبياض في حرارة معتدلة حصلت الحمرة من الجزئين، أعني: البياض والصفرة كالزنجفر، فإنه مركب من الزئبق الأبيض والكبريت الأصفر، يوضعان بعد مزج بعضهما في بعض في نار معتدلة ليست بشديدة، فيتكون منهما الزنجفر الأحمر، وهو تكون طبيعي.

والعرش مركب من هذه الأربعة الأنوار التي دار عليها الوجود، فليس شيء في الأكوان من ذات أو صفة، غيب أو شهادة؛ إلّا وهو متقوم

(١) في بعض النسخ: (منها).

بهذه الأربعة.

❖ [جواز استعمال أقسام الفعل بعضها مكان بعض]:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا أُطْلِقَ "خَلَقَ" قَدْ يُرَادُ بِهِ جَمِيعُ الْمَرَاتِبِ؛ لَصِدْقِهِ عَلَيْهَا لُغَةً).

أقول: لما ذكرت تقسيم الفعل باعتبار متعلقه؛ ذكرت هنا جواز استعمال بعضها مكان بعض، فقد يطلق (خَلَقَ) الذي هو معنى شاء الكون، ويراد منه معنى (برء) الذي هو معنى (أراد)، ومعنى (صَوَّرَ) الذي هو معنى (قَدَّرَ) وهكذا، وذلك جائز بحسب اللغة الظاهرة المعروفة بين الناس، وكثيرة ما يخاطب الشرع عَلَيْهِ السَّلَامُ المكلفين بهذا؛ لأنهم لا يعرفون إلَّا ما هو لغتهم ومصطلحهم، وقد قالوا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّا لَا نُخَاطِبُ النَّاسَ إِلَّا بِمَا يَعْرِفُونَ»^(١).

نعم.. لو اجتمعت الأفعال المختلفة باعتبار متعلقها، لزم أن يراد من كل فعل ما يخصه باعتبار متعلقه.

كما قلتُ: (وَإِذَا قِيلَ: "خَلَقَ، وَبَرَأَ وَصَوَّرَ"، فَـ"خَلَقَ" بِمَعْنَى: "شَاءَ"، أَيْ: أَوْجَدَ الْكَوْنَ، أَيْ: الْوُجُودَ، وَ"بَرَأَ" بِمَعْنَى: "أَرَادَ"، أَيْ: أَوْجَدَ الْعَيْنَ، أَيْ: الْمَاهِيَّةَ بِالْوُجُودِ، وَ"صَوَّرَ" بِمَعْنَى: "قَدَّرَ"، أَيْ: أَوْجَدَ

(١) رُوِيَ عَنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قَدْ أَمَرْنَا أَنْ لَا نُكَلِّمَ النَّاسَ إِلَّا عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ».

الحُدُودُ).

أقول: إذا اجتمعت الأفعال دلُّ كل فعل منها على إرادة ما يخصه دون ما يصدق عليه لغة، فإذا قيل: (خلق، وبرء، وصوّر)؛ كان (خلق) بمعنى: (شاء)، و(برء) بمعنى: (أراد)، و(صوّر) بمعنى: (قدّر)، قال الله سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾^(١).

فترتب الأسماء الثلاثة على معانيها المختصة بها مع الاجتماع، وإلا لما دلت عليها؛ لأنها إذا صلحت لها ولغيرها في الافتراق والاجتماع كانت الثلاثة مترادفة، مع أنها مختلفة المفاهيم، فإذا دلت على معانيها المختصة بها كانت بمعاني أفعال تلك المعاني.

فـ(خَلَقَ) مع الاجتماع في الآية بمعنى: (شاء)، الذي هو الذكر الأول، وفيه يوجد الكون، أي: الوجود الذي هو المادة الأولى عندنا، و(برء) مع الاجتماع بمعنى: (أراد)، وفيه توجد العين، أعني: الماهية الأولى، يعني: بالمعنى الأول المتقدم.

فإننا قلنا: أن الوجود بالمعنى الأول هو المادة الأولى، المسماة في الأجسام مثل الخشب المركب من العناصر الأربعة، والماهية الأولى بالمعنى الأول هي الصورة النوعية، وهي انفعال المادة، وهي -أي: الماهية الأولى- في مثل الخشب؛ الصورة الخشبية.

وإذا قلنا: الوجود والماهية بالمعنى الثاني، نريد بالوجود الشيء

الموجود من حيث هو أثر فعل الله تعالى، ونريد بالماهية الشيء الموجود من حيث هو هو، فهذا مرادنا من الوجود والماهية بالمعنى الأول وبالمعنى الثاني، فتنبه له، فربما نذكر ذلك في موضع لا نبينه فلا تغفل.

و(صَوَّرَ) مع الاجتماع بمعنى (قَدَّرَ)، وفيه توجد الحدود والهيئات الذاتية والعرضية، العينية والمعنوية.

قلتُ: (وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿١﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٢﴾﴾، أي: خَلَقَ كَوْنَهُ، أي: وُجُودَهُ. فَسَوَّى عَيْنَهُ، بِمَعْنَى: سَوَّى مَا هَيْئَتُهُ بِوُجُودِهَا ﴿٣﴾، أي: جَعَلَ فِيهِ مَا إِذَا سُئِلَ أَجَابَ ﴿٤﴾).

أقول: هذا معنى ما تقدم، وهو مع ملاحظة ما تقدم لا يحتاج إلى بَيَان.

قلتُ: (وَأَيْمًا جِيءَ بِالْفَاءِ فِي عَطْفِ التَّسْوِيَةِ دُونَ الْوَإِ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُلَازِمَةِ كَمَا مَرَّ ذِكْرُهُ، وَهَذَا فِي الْخَلْقِ الْأَوَّلِ ﴿٥﴾).

أقول: هذا جواب عن سؤال مقدَّر بأن قيل: لِمَ أُتِيَ بِالْفَاءِ

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ٢-٣.

(٢) في بعض النسخ: (بوجوده).

(٣) مقتبس من قول الإمام عليه السلام: «جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ».

[الكافي، ج: ٢، ص: ١٢. تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ٣٧. بحار الأنوار، ج:

٥، ص: ٢٥٧].

(٤) في بعض النسخ: (وهذا في الأول الخلق).

في عطف **(سَوَى)** على **(خَلَقَ)**، وفي عطف **(هَدَى)** على **(قَدَّرَ)** دون الواو، ولم يأت بالفاء في عطف **(الَّذِي قَدَّرَ)** على **(الَّذِي خَلَقَ)؟**

والجواب: إنما جيء بالفاء في عطف التسوية في قوله: **(فَسَوَّى)**؛ لما بين **(خَلَقَ)** و**(سَوَّى)** من الملازمة، لأن **(خَلَقَ)** أثره الوجود، أي: الكون، و**(سَوَّى)** أثره الماهية، أي: العين، ولا يتحقق في الظهور أحدهما بدون الآخر، فلأجل عدم انفكاك أحدهما عن الآخر وتلازمها أتى بالفاء الدالة على الترتيب؛ لأن **(سَوَّى)** مترتب على **(خَلَقَ)** وعلى عدم المهلة؛ لتلازمهما، و**(خَلَقَ فَسَوَّى)** يقع في إيجاد المادة والصورة النوعية، وهو قولنا: (وهذا في الخلق الأول).

قلت: **(وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى)**^(١)، أي: وَضَعَ حُدُودَهُ الْمُتَقَدِّمَ ذِكْرُهَا، وَهُوَ الْخَلْقُ الثَّانِي).

أقول: قوله تعالى: **(وَالَّذِي قَدَّرَ)**، أي: أوجد حدود ما أراد تعينه الشخصي وتميزه بمشخصاته، التي هي تلك الحدود المتقدم ذكرها؛ من الأمور الستة والوضع والأجل والكتاب والأذن.

وقوله: **(فَهَدَى)** في تقديره؛ لأنه أجرى تقديره على ما يقتضي الهداية، لأن تقديره على نوع التعريف، فيقتضي الهداية ببيان طريق الخير والشر، فأما من قبل طريق الخير؛ فلامتثاله مقتضى التقدير، فكان بالتقدير

سالكاً طريق الخير.

وأما من ترك امتثال مقتضى التقدير بعد التعريف، جرى له التقدير بمشخصات إنكاره بعد الهداية إلى طريق الإجابة، فكان بالتقدير الجاري على حسب قبوله سالكاً طريق الشر، فقد هدى للخير بتقديره، وإنما ضلّ من ضلّ بتركه مقتضى التقدير بعد البيان.

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾^(٢)، فأبان سبحانه بأن الهداية في تقديره، وهي تقتضي بيان طريق الخير والشر؛ ليكون المكلف مختاراً بتمكينه من فعل الطاعة وفعل المعصية، وذلك البيان والتعريف في هذا التقدير فهما متساوقان في الظهور، وإن كان التقدير سابقاً في الذات، ولأجل هذا عطف بالفاء المفيدة للترتيب بلا مهلة.

والتقدير: أول الخلق الثاني، وتمامه في القضاء، وكماله في الإمضاء^(٣).

قلت: ﴿فَهْدَى﴾، أي: دَلَّ عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى، وَعَظَفَ بِالْفَاءِ؛

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٥.

(٣) في بعض النسخ: (بالإمضاء).

لَأَنَّ الْقَدَرَ^(١) بِهِ السَّعَادَةُ وَالشَّقَاوَةُ.

أقول: ﴿فَهْدَى﴾، أي: دلَّ على سبيل الهدى.. إلى آخره، كما ذكرنا معناه قبل هذا.

قلت: (فَفِيهِ دَلٌّ عَلَى الْهُدَى، فَهُمَا مُتَسَاوِقَانِ فِي الْوُجُودِ، وَإِنْ كَانَتِ الْهُدَايَةُ مُغَايِرَةً وَمُتَأَخِّرَةً فِي الذَّاتِ، فَعَطْفٌ بِالْفَاءِ).
أقول: قد تقدّم -أيضاً- بيان هذا قبل هذه الكلمات.

❁ [الاختراع والابتداع ومعانيهما]:

قلت: (ثُمَّ أَنَّ مَرَاتِبَ الْفِعْلِ بِجَمِيعِهَا؛ اخْتِرَاعٌ وَابْتِدَاعٌ^(٢)).
أقول: معنى هذين اللفظين:

قيل: واحد^(٣)، وهو إيجاد المفعول لا من شيء قبله، ليس بمحدث.
وقيل: اختراع الشيء لا من شيء، وابتداعه لا لشيء^(٤)، وهما مرويان^(٥).

(١) في بعض النسخ: (لأن التقدير).

(٢) في بعض النسخ: (وإبداع).

(٣) راجع: مجمع البحرين، ج: ١، ص: ٦٣٧.

(٤) نقل هذا الرأي أبو هلال العسكري في كتابه، الفروق اللغوية، ص: ٩-١٠.

(٥) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: جِئْتُ إِلَى الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَسْأَلُهُ عَنِ التَّوْحِيدِ، فَأَمْلَى عَلَيَّ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ الْأَشْيَاءِ إِشْءًا، وَمُبْتَدِعِهَا ابْتِدَاعًا بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، لَا مِنْ

وقيل: الاختراع للكون، والابتداع^(١) للعين، فمعنى الأول شاء، ومعنى الثاني أراد، ويأتي تمام ما نريد بيانه منهما إن شاء الله تعالى.

قلت: (وَقَدْ يُطْلَقُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ كَالْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ، وَكَالْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ فِي بَابِ الصَّدَقَاتِ، وَكَالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ عِنْدَ الثُّعَاةِ؛ فَإِنْ افْتَرَقَا اجْتَمَعَا).

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: "اعْطِ الْفَقِيرَ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ"، لَمْ تَجِبْ عَلَيْكَ التَّفَرُّقَ، وَكَذَا "اعْطِ الْمِسْكِينَ"، فِي الْحَالَيْنِ أَيُّهُمَا أُعْطِيََتْ كَفَاكَ. وَإِذَا قُلْتَ: "زَيْدٌ فِي الدَّارِ". فَإِنْ قُلْتَ: زَيْدٌ مُبْتَدَأٌ، وَالْجَارُّ خَبَرٌ؛ صَحَّ. أَوْ الْمَجْرُورُ خَبَرٌ؛ صَحَّ.

وَتَقُولُ: اخْتَرَعْتُ، أَيُّ: ابْتَدَعْتُ وَبِالْعَكْسِ، وَشَاءَ، أَيُّ: أَرَادَ وَبِالْعَكْسِ، وَإِذَا اجْتَمَعَا افْتَرَقَا. تَقُولُ: اخْتَرَعْتُ وَابْتَدَعْتُ، أَيُّ: اخْتَرَعْتُ لَا مِنْ شَيْءٍ، وَابْتَدَعْتُ لَا لِشَيْءٍ، وَاخْتَرَعْتُ الْكَوْنَ، وَابْتَدَعْتُ الْعَيْنَ. وَتَقُولُ: شَاءَ الْكَوْنَ، وَأَرَادَ الْعَيْنَ، فَاخْتَرَعْتُ بِمَعْنَى: شَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ، وَابْتَدَعْتُ بِمَعْنَى: أَرَادَ لَا لِشَيْءٍ.

→...

شَيْءٍ فَيَنْطَلِ الْإِخْتِرَاعُ، وَلَا لِعِلَّةٍ فَلَا يَصِحُّ الْإِبْتِدَاعُ...». [الكافي، ج: ١، ص: ١٠٥. التوحيد، ص: ٩٨. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٩. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٦].

(١) في بعض النسخ: (والإبداع).

وَإِذَا قِيلَ: "اعْطِ الْفَقِيرَ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ، وَالْمُسْكِينَ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ"؛ وَجَبَ التَّفْرِقَةُ، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي الْفِقْهِ، وَالْأَصَحُّ عِنْدِي: أَنَّ الْمُسْكِينَ أَسْوَأَ حَالًا.

وَإِذَا قِيلَ: الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ؛ فُرِّقَ بَيْنَهُمَا).

أَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ كُلَّهُ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنْ هَذَا الشَّرْحِ هُوَ بَيَانُ الْمَشْكِلِ وَفَتْحُ الْمَغْلُقِ، لَا تَفْرِيعَ عَلَى مَا ذُكِرَ، وَلَا تَأْسِيسَ مَا لَمْ يَذْكَرْ، وَتَكْثِيرَ التَّمْثِيلِ، وَتَكَرُّرَ الْقِيلِ؛ مِبَالِغَةً فِي الْبَيَانِ.

❦ [قَوْلُ عُلَمَاءِ الْجُمْهُورِ فِي تَقْسِيمِ الْإِبْدَاعِ وَالْإِبْدَاعِ:]

قُلْتُ: (وَاعْلَمْ أَنَّهُ قِيلَ: أَنَّ الْإِبْدَاعَ اخْتِرَاعَ، وَالْإِبْدَاعَ إِبْدَاعًا).

أَقُولُ: هَذَا قَوْلُ عُلَمَاءِ الْجُمْهُورِ، وَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ التَّقْسِيمِ تَفَارِيعٌ وَأَحْكَامٌ يَذْكُرُونَهَا فِي كُتُبِهِمْ؛ لِأَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى فَعْلِيَّتِ الْحُرُوفِ، وَالْحُرُوفِ عِنْدَنَا مَا كَانَ مَعْنَوِيًّا فَهُوَ قِسْمَانِ:

قِسْمٌ هُوَ وَجْهُ الْمَشِئَةِ وَالْإِرَادَةِ، وَالْقَدَرُ وَالْقَضَاءُ، وَهِيَ بَلَا شَكٍّ أَفْعَالٌ حَقِيقِيَّةٌ جَزْئِيَّةٌ.

وَقِسْمٌ هُوَ مَفْعُولٌ وَهُوَ فَعْلٌ، كَالْعُقُولِ وَالنَّفُوسِ وَالْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّهَا مِنْ الْمَفْعُولَاتِ، وَبِهَا يَفْعَلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا، وَمَا تَكُونُ عَلَلًا لَهُ وَأَسْبَابًا لِإِيجَادِ مَوَادِّهِ، أَوْ صُورِهِ الْجَنْسِيَّةِ أَوْ النُّوعِيَّةِ أَوْ الشَّخْصِيَّةِ، أَوْ لَهَا مَعًا.

فهي من هذه الجهة أفعاله تعالى، أو محال أفعاله، أو وسائط أفعاله؛ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَلْقَى فِي هَوِيَّتِهَا مِثَالَهُ، فَأَظْهَرَ عَنْهَا أَفْعَالَهُ..»^(١)، يعني عليه السلام: النفوس، ونفوس الملائكة.

وما كان لفظياً؛ فهي أفعال ظاهرية، كما روي عن الرضا عليه السلام: «أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْحُرُوفَ، وَجَعَلَهَا فِعْلاً مِنْهُ»^(٢).

والمراد: أنه يقول للشيء كن فيكون، فـ(كن) كناية عن فعله، ولكنه متضمن للفعل؛ لأن الإيجاد صنع، وهو في الحقيقة غير اللفظ، إلا أنه لما كان الظاهر إذا تم اقتضى وجود الباطن وتعلقه به، كالجسم للإنسان،

(١) قال صاحب التُّحْب؛ سئل عليه السلام عن العالم العلوي فقال: «صُورٌ غَارِيَةٌ عَنِ الْمَوَادِّ، غَالِيَةٌ عَنِ الْقُوَّةِ وَالِاسْتِعْدَادِ، تَجَلَّى لَهَا فَأَشْرَقَتْ، وَطَالَعَهَا فَتَنَلَّاتٌ، وَأَلْقَى فِي هَوِيَّتِهَا مِثَالَهُ، فَأَظْهَرَ عَنْهَا أَفْعَالَهُ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ذَا نَفْسٍ نَاطِقَةٍ، إِنَّ زَكَاةً بِالْعِلْمِ فَقَدْ شَابَهَتْ جَوَاهِرَ أَوَائِلِ عِلَلِهَا، وَإِذَا اعْتَدَلَ مِرَاجُهَا وَفَارَقَتْ الْأَضْدَادَ فَقَدْ شَارَكَ بِهَا السَّيِّعَ الشَّدَادَ». [المناقب، ج: ٢، ص: ٤٩. غرر الحكم، ص: ٢٣١. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ٢٢٢. بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٥].

(٢) قال الإمام الرضا عليه السلام في احتجاجه على أرباب الملل المختلفة والأديان المتشعبة في مجلس المأمون: «..ثُمَّ جَعَلَ الْحُرُوفَ بَعْدَ إِحْصَائِهَا وَإِحْكَامِ عِدَّتِهَا فِعْلاً مِنْهُ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٧]، وَ(كُنْ) مِنْهُ صُنْعٌ، وَ(مَا يَكُونُ) بِهِ الْمَصْنُوعُ..». [عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٣-١٧٤. التوحيد، ص: ٤٣٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١].

إذا تمت خلقة من آلات الروح وما يتوقف عليها، حتى ظاهر ظاهره كالشعر، اقتضى وجود الروح وتعلقها به؛ كانت الحروف إذا رتبت على نظمها الطبيعي من المناسبات الذاتية بين بعضها بعضاً في الصور والعدد والطباع، والتواخي والتباغض، والنظائر ونظائر النظائر، والقوى وما أشبه ذلك، كالترفع والتَّزَلُّ، والتبديل والتوليد من بعضها لبعض، والقلب والطمس، والفتح والحركات، والتفخيم والترقيق، والشدة واللين، والتوسط والجهر، والهمس والقلقلة وما أشبه ذلك؛ مما يذكرونه في كتبهم اقتضت وجود أفعالها الباطنة الصنعية، وتعلقها بها وارتباطها بما عملت له؛ حتى تظهر آثارها على أكمل وجه، وأسرع وقت.

فلأجل ذلك أجروا فيها أحكام الاختراع والإبداع وصفاتها، فقسموا الاختراع والإبداع باعتبار التوليد والتأثير إلى قسمين - كما سمعت - وتفصيل ذلك عندهم مذكور في كتبهم، وإنما ذكرت الإشارة إلى ذلك؛ لأجل بيان أنها عند أهل العصمة عليهم السلام قد تنسب إليها أفعال الله سبحانه وتعالى.

قلت: (فالاختراعُ الأولُ: المشيئة؛ وهو خلق ساكن لا يدرك بالسُّكُون).

أقول: هذا البيان مركب من المستفاد، ومن كلام الأئمة عليهم السلام، ومن اصطلاح علماء الجفر؛ لأنَّ المقصود بيان الفعل على سبيل الإشارة بما يصلح على القولين، وإنما فسرت المشيئة التي جعلتها عبارة عن الاختراع الأول بأنه (خلق ساكن لا يدرك بالسُّكُون)، مع أن هذا وارد

في وصف القسم الثاني الذي هو الإبداع، كما هو مروي عن الرضا عليه السلام^(١)؛ لأن هذا الوصف جارٍ لمطلق الفعل الشامل للقسمين، لأن المراد بمعنى هذا الوصف أن الفعل مخلوق بنفسه، قد أقامه الله سبحانه بنفسه، فاستقلاله بنفسه، وتماه بنفسه؛ عبارة عن كونه ساكناً، أي: ليس محتاجاً في إيجادهِ إلى فعل آخر يكون محدثاً به، بل هو محدث بنفسه، فهو إذن ساكن.

وهذا المعنى، لا يعرف بالسكون الذي هو ضد الحركة؛ لأنَّ هذا هو والحركة محدثان به، فلا يجريان عليه، ولا يتصف بهما.

قلتُ: (وَالْاِخْتِرَاعُ الثَّانِي: الْأَلْفُ مِنَ الْحُرُوفِ).

أقول: يحتمل أنهم أرادوا بالألف؛ الألف المطلقة الشاملة للينّة والمتحركة، كما هو مختار الجوهرى في الصحاح^(٢)، فيكون تعداد الحروف على هذا جارياً على ما ذكره أهل تُهَامَة، من عدّهم الحروف تسعة وعشرين؛ يجعل (لام ألف) بعد الهاء، وقبل الياء في ترتيبهم حرفاً، فيقولون بعد: (ك، ل، م، ن، و، هـ، لا، ي)، وهذه آخر التسعة والعشرين، وأولّها: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، إلخ)؛ فيجعلون الألف

(١) راجع: التوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤.
تحف العقول، ص: ٤٢٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦، وَج: ٥٤، ص: ٥٠.

(٢) راجع: الصحاح، ج: ٦، ص: ٢٥٤٢.

اللينة من جملة الحروف.

وذكر بعض أهل الجفر؛ أنَّ عددَهما واحد، وكذا بعض علماء التجويد، ويحتمل أنهم أرادوا بها الألف المتحركة، التي هي أوّل الحروف المسماة بالهمزة، وهي أوّل الحروف مما يلي الجوف.

وأما الألف اللينة؛ فليست من سائر الحروف، وإنما هي أم الحروف، وهيولى جميعها، وهي تمتد من الجوف إلى الهواء، وليس لها مخرج كسائر الحروف، وجميع الحروف شعب منها، ويُشار بها إلى النفس الرحمانى، الذي هو أول صادر عن الفعل، أو إلى الفعل الذي برزت الأشياء من الإمكان إلى الأكوان على صفاته، والمتحركة يشيرون بها إلى العقل الكلّى^(١)، الذي هو أول الحروف الكونية بحكم أنَّ التدوينى مطابق للتكوينى^(٢)، وهذا هو المشهور بين أهل العلم.

فعلى هذا؛ تكون الألف المتحركة -أعني: الهمزة- هي الاختراع الثانى، لأنه مخترع بالاختراع الأول؛ الذي هو المشيئة فى الخلق التدوينى، كما أنَّ العقل الكلّى^(٣) هو الاختراع الثانى فى الخلق التكوينى، وهو مخترع بالمشيئة فى الخلق التكوينى.

وبالألف المتحركة اخترعت الباء؛ لأنها تكريره، بمعنى أنها انبساط

(١) فى بعض النسخ: (عقل الكل).

(٢) وردت هذه العبارة فى هامش بعض النسخ هكذا: (بحكم أنَّ التدوين مطابق للتكوين).

(٣) فى بعض النسخ: (عقل الكل).

الألف اللينة بعد امتدادها فيه اخترعت الباء، كما أنَّ بالعقل اخترعت النفس الكلية؛ لأنها تَنَزَّلُ، فهو الاختراع الثاني المعنوي، والألف المتحركة، والاختراع الثاني اللفظي، فالباء مركبة من انبساط الألف المتحركة بعد قيامها؛ فلذا كان عدد الباء اثنين، إشارة إلى الرُتبتين.

والنفس مركبة من انبساط العقل بتكثُر الصور من معانيه بعد وحدته كذلك، فالاختراع الأول هو المشيئة، به اخترعت الألف المتحركة التي يشار بها إلى العقل الكلي، والاختراع الثاني هو الألف المتحركة، التي يُشار بها إلى العقل الكلي، بها اخترعت الباء المشار بها إلى النفس الكلية؛ لأنها اخترعت بالعقل الكلي، وهذه النفس هي اللوح المحفوظ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ظَهَرَتِ الْمَوْجُودَاتُ مِنْ بَاءِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»^(١).

واعلم أنَّ الألف اللينة صورة بلا حركة، والألف المتحركة حركة بلا صورة، ولَمَّا كانت الحروف اللفظية ألفاظاً، وأرادوا تسميتها لتمييز بعضها عن بعض، والأسماء أيضاً ألفاظ، وقد اقتضت الحكمة أن تكون بين الألفاظ ومعانيها مناسبة ذاتية، كما هو الأصح عندنا في المسألة؛ لأنَّ الاسم ظاهر المسمَّى وصفته، ولأنَّه أبلغ في التميز بالعلامة التي هي الاسم

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كُلُّ الْعُلُومِ تَنْدَرِجُ فِي الْكُتُبِ الْأَرْبَعَةِ، وَعُلُومُهَا فِي الْقُرْآنِ، وَعُلُومُ الْقُرْآنِ فِي الْفَاتِحَةِ، وَعُلُومُ الْفَاتِحَةِ فِي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَعُلُومُهَا فِي بَاءِ بِسْمِ اللَّهِ». [مصابيح الأنوار، ج: ١، ص: ٣٤٥. نور البراهين، ج: ٢، ص: ٣].

مع قدرة الواضع سُبْحانه على ذلك؛ ولأنَّه أكمل، فعدمه مع إمكانه نقصٌ في الصنع، ولا يجوز عليه سبحانه؛ وجب أن يجعلوا المسمى في الاسم، إذ لا يمكن المناسبة الذاتية بينهما إذا كانا من نوع واحد، وأحدهما بسيط، لكن جعله في الاسم أبلغ من المناسبة الذاتية في الدلالة، وإنما جعل في أول الاسم؛ لأنَّه المسمى، وله رتبة الموصوفية، وللإسم رتبة الصفة، والموصوف مقدّم في الرتبة والوجود على الصفة.

ولمّا أرادوا تسميته الألف اللينة على القاعدة المذكورة، وهي صورة لا حركة لها؛ استعاروا لها الألف المتحركة -وهي حركة- لئلا يلزم الابتداء بالسّاكن، فجعلت على الألف اللينة، فقليل: (ألف).

ولما أرادوا تسمية الألف المتحركة لم يبق لها شيء؛ لأنها إنما هي حركة، وقد أخذت اللينة، فاستعاروا (الهاء) لها^(١)؛ لأنها أقرب الحروف إليها في المخرج، كما استعاروا للألف اللينة تلك الحركة، التي تسمّى بالألف المتحركة؛ لأنها أوّل ناشٍ من الحروف عنها، وهذه الألف المتحركة قد قلنا: أنها حركة بحت ولا صورة لها. وإذا أرادوا كتابتها استعاروا الألف اللينة لها، في مقابلة استعارتها لها في التسمية.

ولمّا كانت كل واحدة منهما تحتاج إلى الثانية في حالة؛ أطلقت إحداهما على الأخرى، وسُمّيَ باسم واحد، كما قاله الجوهري في

(١) في بعض النسخ: (فاستعاروا "الباء").

الصَّحاح^(١)؛ لاشتراكهما في الصورة النقشية، وكما قال أهل الجفر؛ لاشتراكهما في العدد.

قلت: (وَالْإِبْدَاعُ الْأَوَّلُ: الْإِرَادَةُ؛ وَهُوَ خَلْقُ سَاكِنٍ لَا يُدْرِكُ بِالسُّكُونِ).

أقول: الإبداع هو فعل الله، وهو الإرادة، على فرض أن بينه وبين الاختراع فرقاً، وأن الاختراع هو المشيئة.

وأما أنه خلق ساكن لا يُدرك بالسُّكُون: فمعناه ما ذكرناه في الاختراع، وقد تقدّم ذكر الاحتمالات؛ في أنه هل هو الاختراع؟، أو أن الاختراع خلق الشيء لا من شيء، والإبداع خلقه لا لشيء؟، أو أن الاختراع خلق الكون، والإبداع خلق العين؟، كما قلنا في المشيئة والإرادة؛ لأهما هما.

قلت: (وَالْإِبْدَاعُ الثَّانِي: الْبَاءُ مِنَ الْحُرُوفِ).

أقول: هذا الاصطلاح -الذي ذكره علماء الجفر- جريه على الاحتمال الأخير، وهو: (أنَّ الاختراع خلق الكون، والإبداع خلق العين) أولى وأظهر؛ لنتجه كون الباء التي هي اللوح المحفوظ المبدع بالإبداع بواسطة الألف المتحركة التي هي العقل الكلي؛ إبداعاً لِمَا دُونَهَا مِنَ الحروف اللفظية.

كما أنَّ اللوح المحفوظ إبداعٌ لِمَا دونه من الحُرُوف الكونية، مع أنه مبدع بالاختراع بواسطة العقل الكلي.

❖ [الاختراعي والابتداعي وحلمة (حُن):]

قلتُ: (وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِبْدَاعَ وَالْإِخْتِرَاعَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقَهُ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ خَلَقَ الْحُرُوفَ بِالْإِبْدَاعِ، وَجَعَلَهَا فِعْلاً مِنْهُ، يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ؛ فَيَكُونُ).

أقول: إنما قلنا أن الألف مخترع بالاختراع، وهو -أي: الألف- اختراع أيضاً، وقلنا أن الباء مبدعة بالإبداع، وهي أيضاً إبداع ثاني؛ لقول الرضا عليه السلام -على ما ذكره لعمران الصَّابي كما نقلته بالمعنى- وهو قولي: (لأنَّ الإبداع والاختراع أول ما خلق الله خلقه بنفسه، ثم خلق الحروف بالإبداع، وجعلها فعلاً منه، يقول للشيء: كن؛ فيكون)^(١).

(١) قال الإمام الرضا عليه السلام في احتجاجه على أرباب الملل المختلفة والأديان المنتشرة في مجلس المأمون: «... ثُمَّ جَعَلَ الْحُرُوفَ بَعْدَ إِخْصَائِهَا وَإِحْكَامِ عِدَّتِهَا فِعْلاً مِنْهُ، كَقَوْلِهِ ﷺ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٧]، وَ(كُنْ) مِنْهُ صُنْعٌ، وَ(مَا يَكُونُ) بِهِ الْمَصْنُوعُ، فَالْخَلْقُ الْأَوَّلُ مِنَ اللَّهِ ﷻ: الْإِبْدَاعُ، لَا وَزْنَ لَهُ، وَلَا حَرَكَةً، وَلَا سَمْعَ، وَلَا لَوْنَ، وَلَا حِسَّ، وَالْخَلْقُ الثَّانِي: الْحُرُوفُ، لَا وَزْنَ لَهَا، وَلَا لَوْنَ، وَهِيَ مَسْمُوعَةٌ مَوْصُوفَةٌ، غَيْرَ مَنْظُورٍ إِلَيْهَا...». [التوحيد، ص: ٤٣٥.

عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٣-١٧٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص:

قلتُ: (فِيضَارُ بِالْكَافِ إِلَى الْإِخْتِرَاعِ، أَيُّ: الْمَشِيئَةِ، وَهِيَ الْكَافُ الْمُسْتَدِيرَةُ عَلَى نَفْسِهَا؛ لِأَنَّهَا مَنْشَأُ الْكَوْنِ، وَبِالْثُّونِ إِلَى الْإِبْدَاعِ، أَيُّ: الْإِرَادَةِ؛ لِأَنَّهَا مَنْشَأُ الْعَيْنِ).

أقول: هذا تفرُّعٌ على أنَّ الحروف اللفظية مظاهر للحروف الكونية، وأنها مواد أفعاله اللفظية، المتضمنة لأفعاله المعنوية، فيشار بالكاف إلى الاختراع، أي: المشيئة.. إلخ، بناءً على الاحتمال الأخير، ومعناه ظاهر.

قلتُ: (وَيَبَيِّنُ هَذَيْنِ الْحَرْفَيْنِ حَرْفٌ حُذِفَ لِلْإِعْلَالِ، [فَهُوَ ثَابِتٌ بَاطِنًا، وَانْحَذَفَ] ^(١) ظَاهِرًا؛ لِلْإِشَارَةِ إِلَى بَيَانِ الْمُرَادِ مِنْهُ، وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي جُعِلَ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ).

أقول: بين (الكاف) و(النون) من (كُنْ) حَرْفٌ حُذِفَ لِلْإِعْلَالِ، وهو التِّقَاءُ السَّاكِنَيْنِ؛ لِأَنَّ (النون) آخر الأمر، فلمَّا بُنِيَتْ عَلَى السَّكُونِ التَّقَى سَاكِنَانِ: (الواو، والنون) فحُذِفَ (الواو)؛ لِأَنَّهُ حَرْفُ الْعِلَّةِ.

وهذا المحذوف -أعني: (الواو)- عددها ستة؛ إِشَارَةً إِلَى السَّتَةِ الْأَيَّامِ، وَهِيَ الْأُمُورُ الَّتِي هِيَ أَصُولُ الْحُدُودِ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ سَابِقًا: (الكم والكيف، والمكان والوقت، والرتبة والجهة) وما يتبعها لاحقٌ بها، داخلٌ في ضمنها؛ كما تدخل أحوال الإنسان في تخلقه في الستة الأيام من أطواره،

(١) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

التي هي ما بين كل يومين.

مثلاً: الستة الأيام في تخلُّق الإنسان يوم الأحد: وهو يوم النطفة.

ويوم الاثنين: وهو يوم العلقه.

ويوم الثلاثاء: وهو يوم المضغة.

ويوم الأربعاء: وهو يوم العظام.

ويوم الخميس: وهو يوم يُكسى لحماً.

ويوم الجمعة: وهو يوم ينشأ خلقاً آخر، وما يتبعها من الأحوال

المتخللة^(١) بين كل يومين.

ولمّا كان الشيء إنّما يظهر منه المادة والصورة، اللتان هما الوجود والماهية، وما سواهما غير ظاهر - وإن كان موجوداً في خلّقه - وجب أن يكون ما يدل على المادة؛ وهي (الكاف)، وما يدل على الصورة؛ وهي (النون) ظاهرين، وما يدل على الستة الأيام؛ وهو (الواو) غير ظاهرة؛ لأنّ الستة الأيام غير ظاهرة في الشيء، وذلك لابتدائه في ظهوره بمادته وصورته، كما استقل الأمر في ظهوره بـ (الكاف، والنون)، ولم يحتج في الظهور عند بناء كلمة الأمر إلى ظهور (الواو).

وقولي: (للإشارة إلى بيان المراد منه)؛ أريد به (الواو)، إنّما حذفت لبيان المراد من (الواو) ومن الحذف، والمراد هو أنه خاف في الظهور، كما أن الستة الأيام في الشيء مع وجودها فيه خافية، لا تظهر كظهور المادة

(١) في بعض النسخ: (المختلفة).

والصورة، وهذا بالنسبة إلى المشاء.

وأما بالنسبة إلى المشيئة؛ فالمراد من (الواو) الخافية في الأمر هو صورة الوجود الخافي في المشيئة، بعد أن قبض ذلك الفعل الذي هو المشيئة بإذن الله تعالى من رطوبة هباء الإمكان أربعة أجزاء، ومن يبوسته جزءاً، فانحلاً في صنعه ماء، ثم ساقه إلى قوابله كـ(الواو) في الأمر اللفظي، فإن ذلك الماء حين قبضه الفعل للتقدير كان كامناً في الصنع، كَكُمُون (الواو) في لفظ (كُنْ).

فيكون مرادي من قولي: (للإشارة إلى بيان المراد منه)؛ الوجهين: الكمون في المشيئة، وأنه هو الماء، أعني: الوجود، والكمون في المشاء، وأنه الماء في المشاء^(١)، [وأنه هو بِلَّة الماء -أي: رطوبته- التي هي صفته، وبها تقوَّمت مادته في الظهور، وهي كامنة في المشاء.

وكذلك حكمه في المشيئة، وإن كان على نوع الاعتبار من ملاحظة متعلقها كما ذكرنا سابقاً، وكمونه إشارة إلى كمونها في المشاء؛ لأنها مشخصاته، وفي المشيئة؛ لأنها أثرها وهي الماء^(٢)، وهذا على اللحاظين.

قلتُ: (وَهُوَ الْوُجُودُ، وَهُوَ الدَّلَالَةُ مِنَ اللَّفْظِ، وَهُوَ الْمَاءُ مِنَ السَّحَابِ).

أقول: بناءً على لحاظ الكُمُون في المشيئة، وهو الخفاء في صنعها

(١) في بعض النسخ: (في المشيئة).

(٢) ما بين المعقوفين مفقود في بعض النسخ.

وتقديرها؛ تكون (الواو) إشارة إلى الماء، والخفاء إشارة إلى خفاء الماء، الذي هو الوجود في صنع المشيئة؛ كخفاء الماء في السحاب، وكخفاء الدلالة في اللفظ، حتى يتم.

فإذا مُثلت المشيئة بالسحاب؛ مثل الوجود بالماء، وإذا مُثلت بالكلمة؛ مثل بالدلالة، وهو معنى قولي: (وهو الوجود)، يعني: من المشيئة، والدلالة من اللفظ، والماء من السحاب.

قلت: (وَهُوَ الْأَجْزَاءُ الدُّخَانِيَّةُ الْمُسْتَضِيَّةُ مِنَ النَّارِ بِحِفْظِ الْكَثَافَةِ الدُّهْنِيَّةِ الْمُقَارِبَةِ لِلدُّخَانِيَّةِ).

أقول: إذا مثلنا المشيئة بالنار، كما قال تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(١)؛ كان الوجود: هو الأجزاء الدخانية المستضيئة عن النار؛ لأن نفس الأجزاء مثل الماهية، والاستضاءة القائمة بها مثل الوجود المشار إليه؛ لكن الاستضاءة لا تتقوم إلا بالكثافة الدخانية؛ فلذا قلنا: (وهو الأجزاء الدخانية المستضيئة). يعني: استضاءة الأجزاء، وإلا فالأجزاء نفسها مع قطع النظر عن استضاءتها ليست مثلاً للوجود، وإنما هي مثلٌ للماهية؛ لأنها هي الزيت المشار إليه في الكتاب.

وقولي: (بحفظ الكثافة الدهنية المقاربة للدخانية)، أريد: أن الكثافة التي يعبر عنها بالماهية والقابلية، وهي من الزيت، وهي المنفصلة بالاستضاءة عن النار؛ لا بقاء لها إلا بالكثافة المقاربة في التكليل بالنار للدخانية، وهي

التي تراها في السراج تنش^(١)؛ لتلاشي رطوبتها، فهي تمدُّ الدخان، كل ما جفَّ منها جزء كان دُخَانًا، واستضاء منها، فهي الحافظة للدخانية بمددها.

وفي هذا إشارة إلى عدم استغناء الحادث عن المدد في البقاء، فهو أبداً قائم في بقائه؛ كأول صدوره، وهو معنى قيام الصُّدور الذي نريده هنا.

قلتُ: (وَذَلِكَ الْحَرْفُ هُوَ "الْوَاو"، وَالْأَصْلُ قَبْلَ حَذْفِ الْإِغْلَالِ «كَوْنٌ»، وَهُوَ السَّتَّةُ الْأَيَّامُ الَّتِي خُلِقَ فِيهَا الشَّيْءُ).

أقول: ذلك المحذوف من (كُنْ) هو (الواو)، وهو ظاهر.

وقولي: (وهو السَّتَّةُ الْأَيَّامُ الَّتِي خُلِقَ فِيهَا الشَّيْءُ)، أريد به: بيان الاقتباس من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٢)، يوم العقل، ويوم النفس، ويوم الطبيعة، ويوم المادة، ويوم الصُّورة، ويوم الجسم.

وهي مراتب وجود المصنوع وأطواره، كما قلنا في الإنسان سابقاً، و(الواو) بقواها تشير إلى هذه الأيام؛ التي صنع فيها، يعني: مراتبه

(١) نشُّ الغدير ينشُّ نشيشاً، أي: أخذ مأوّه في النضوب، يُقال: سبخة نشاشة؛ وهو ما يظهر من ماء السباح، فينشُّ فيها حتى يعود ملحاً. والنشيش: صوت الماء وغيره إذا علا، (صحاح). نقلناه من حاشية بعض النسخ.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤. وسورة يونس، الآية: ٣. وسورة هود، الآية: ٧.

وأطواره.

❖ ["الألف" هي الاختراع الثاني]:

قلت: (وَمَعْنَى أَنَّ "الألف" هِيَ الْاِخْتِرَاعُ الثَّانِي؛ أَنَّهَا نَزَلَتْ بِتَكَرُّرِهَا فَكَانَتْ عَنْهَا "الباء"، فَـ "الباء" تَأْكِيذُهَا؛ لِأَنَّ نَزُولَهَا انْبِسَاطُهَا هَكَذَا: «ب»، وَقَدْ كَانَتْ قَائِمَةً هَكَذَا: «آ»).

أقول: معنى كون (الألف) الاختراع الثاني؛ أنها فعل ثان، والفعل الأول الاختراع الأول، المعبر عنه بالمشيئة، و(الألف) وإن كانت مفعولاً من حيث حدوثها عن المشيئة الكونية؛ إلا أنها حدثت عنها (الباء) المشار بها إلى اللوح المحفوظ كما مرّ، وحدثت عنها بواسطة (الباء)؛ (الجيم) كما يأتي.

فلذا كانت اختراعاً؛ لأنَّ الله سبحانه اخترع بها (الباء)، وقد ذكرنا في هذا الكتاب وغيره أَنَّ الفعل قسمان: فعل بنفسه، وفعل بغيره. و(الألف) من الفعل القسم الثاني.

وكيفية ذلك الاختراع: أنها تَنَزَّلَتْ -أي: تَكَرَّرَتْ- فكانت الواحدة اثنين؛ لأنَّ معنى ذلك التُّزُولُ: أنها كانت قبله قائمة؛ وهي الحالة الأولى، حالة الوحدة، ثم انبسطت فكانت الحالة الثانية؛ وهو معنى (الباء)، وصورة القيام هكذا: «آ»؛ كناية عن بساطتها، وصورة الانبساط هكذا: «ب»؛ كناية عن الكثرة والتعدد.

ومثال ذلك: في مراتب الإنسان وأطواره التُّنُفَّة، فإنَّ صفتها القيام

المُكْنَى به عن البساطة، إذ هي شيء واحد ليس فيه مغايرة ولا اختلاف، فهي مثال (الألف)، الذي يُشار به إلى العقل، فإنه أيضاً يُقال له: (الألف القائم)، ويُراد به العقل الكلي، كما قال شاعرهم:

يا ربَّ بالألف التي لم تُعطف وبنقطة هي سر تلك الأحرف

ويراد بالنقطة: الحقيقة المحمّدية ﷺ، وفلك الولاية المطلقة، والعظام إذا كُسيت اللحم، فإنَّ صفتها الانبساط، المكنى به عن الكثرة والتعدد والمغايرة؛ لأنَّ العظام إذا كُسيت اللحم تَمَّت الخلقة، فكان رأسه غير يديه ورجليه وعينه، وكل شيء منه غير الآخر، فكان مُتغايراً متكثرّاً متعدّداً، فهي مثال النفس المعبر عنها باللوح المحفوظ، المشار إليها بـ(الباء) المسماة بـ: (الألف المبسوطة)، كما قال تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿١﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ (١).

وهذا معنى المبسوط المراد هنا، فإنه كناية عن التَّعدد والكثرة والمغايرة، فكانت هيئة صورة نقش (الباء) هكذا: «ب»؛ عبارة عن الكثرة والمغايرة بالنسبة إلى الألف؛ لأنه حالة واحدة، ويُعبر عنها بالبساطة، ولـ(الباء) حالتان: كانت قائمة ثم انبسطت.

قلت: (وَأَنْعَظَفَتْ عَلَى "الباء"، وَمَالَتْ فَحَدَّثَتْ "الجيم" هَكَذَا:

«ج»).

أقول: يعني ثم انعطفت الألف على (الباء) بعد تحقق (الباء) بتنزّل (الألف)، فحدثت عن (الألف) (الجيم) بواسطة (الباء)؛ لأنّ مرادنا بتنزّل (الألف) ظهورها بطور من أطوارها، ولا نريد أنّها انقلبت (باء) بحيث لم يبق (ألف) بعد (الباء)، فلا يُقال: ما هذا الذي مال على (الباء)؟؛ لأنّ تنزّلها في (الباء) أو بـ (الباء) وبـ (الجيم) وغيرهما؛ كلّ ذلك بأطوارها.

فلمّا مالت على (الباء)، أعني: (الألف المبسوطة) ميلاً لا يبلغ الانبساط؛ حدثت بها بواسطة (الباء) (الجيم) هكذا: «جـ»، ولو كان الميل هذا يبلغ الانبساط هكذا «=»؛ لكانت (الألف) أيضاً (باء) على (باء)، فحينئذٍ تَحْدُثُ (الدال) لا (الجيم).

والسرّ فيه: أنّ (الجيم) أحمر، و(الألف) أبيض، فبمجرد الميل كان (أصفر)، والصّفرة أول مراتب (الباء)، كما أن المضغة أول مراتب العظام المكسية لحماً، فحلّت الصّفرة فيه، فاجتمع البياض مع الصّفرة؛ فحدثت الحمرة التي هي طبع (الجيم)، وهذا جار على ترتيب البروج لا على العناصر، كما هو مذكور في محله.

فلذلك قلنا: (أنّ الجيم حدث بميل الألف على الباء)، أي: من ميل صورة (الألف) إلى صورة (الباء) في الظاهر، وفي التأويل صورة (الباء) هي الصّفرة؛ لأنّ الميل حال ثان بعد البساطة.

❖ ["الباء" الإبداع الثاني]:

قلت: (وَمَعْنَى أَنَّ "الْبَاءَ" الْإِبْدَاعَ الثَّانِي؛ أَنَّهَا تَنْزَلَتْ بِتَكَرُّرِهَا فَكَانَتْ عَنْهَا الدَّالُّ هَكَذَا: «د»، وَمَالَتْ عَلَى "الْجِيمِ"، فَكَانَتْ "الْهَاءُ" هَكَذَا: «ه»).

أقول: معنى أَنَّ (الباء) إبداع ثانٍ؛ لِأَنَّ الفعل هو الإبداع، فحدث عنه (الباء)، وحدث عنه (الدال) بواسطة (الباء)، فكانت إبداعاً ثانياً، والفعل إبداعاً أولاً.

ودليل كونها إبداعاً ثانياً: أَنَّهَا تَنْزَلَتْ بِتَكَرُّرِهَا عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْنَا؛ فَكَانَتْ عَنْهَا (الدال)، أي: فكانت (الدال) بالإبداع الأول بواسطة (الباء)، فمادة (الدال) طوران من أطوار (الباء).

وقولي: (هكذا «د»); تمثيل لصورة تَنْزُلِ (الباء) في تَكَرُّرِهَا، وهو كناية عن تَنْزُلِ الجواهر النفسية في جواهر الهباء، التي هي المواد، وصورتا (الباء) اللتان حدثت (الدال) عنهما مبسوطتان على الاستقامة؛ إِلَّا أَنَّ ابتدائيهما -أعني: طرفيهما الأولين- مائل كل واحد منهما على جهة الآخر؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّوَافُقِ، لكونهما من شيء واحد وهو (الباء).

ومن كونهما إبداعاً ثانياً -أيضاً-: أَنَّهَا مَالَتْ عَلَى (الْجِيمِ) بِنَحْوِ الميل المذكور في ميل (الألف) على (الباء)، في تَكُونِ (الْجِيمِ)، فكانت عنها (الهاء) هكذا: «ه».

فالمائل الأول على (الباء) هو (الألف) بوحده؛ لأنه في أول الدور الثاني، وذلك لأنَّ (الألف) في الدور الأول مالت بوحدها على (الباء)؛ فكانت (الجيم)، ومالت ثانياً في (الدال) بتكرره الذي هو (الباء) على (الباء)؛ فكانت (الدال)، وفي الدور الثاني مالت بوحدها أولاً على (الباء)؛ فكانت (الجيم)، وبتكررها ثانياً على (الجيم)؛ فكانت (الهاء).

قلت: (وَإِنَّمَا كَانَ مَيْلُ "الْبَاءِ" مُخَالَفاً لِمَيْلِ "الْأَلِفِ"؛ لِأَنَّ "الْأَلِفَ" قَائِمٌ، وَمَيْلُ الْقَائِمِ إِلَى الْإِنْسِاطِ، وَ"الْبَاءُ" مَبْسُوطٌ، وَمَيْلُ الْمَبْسُوطِ إِلَى الرُّكُودِ).

أقول: هذا جواب عن سؤال مُقَدَّر، وتقديره: إذا كانت (الباء) هي ميل (الألف)، فلا ميل لها زائداً على انبساطها؟.

والجواب: أن الميل إذا كان إلى ما هو دون المائل يكون بحال أنزل من حاله الأوّل، فـ(الألف) لَمَّا كان قائماً يميل بالانبساط، والمنبسط يميل بالانحطاط، فيكون لها ميل بانحطاط طرفها الأخير إلى طرف (الجيم) الأخير، فتحدث (الهاء)، وهكذا تأثير (الألف) و(الباء) في سائر الحروف بنوع ما سمعت، وهو مُفَصَّل في محله من علم الجفر وعلم الخطّ.

❁ [تقسيم مظاهر الحروف المعنوية، وتعليقه]:

قلت: (ثُمَّ اغْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ الْمَعْنَوِيَّةَ الَّتِي هِيَ الْحُرُوفُ اللَّفْظِيَّةُ مَظَاهِرُهَا قِسْمَانِ: أَحَدُهُمَا: الْمَرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْفِعْلِ؛ وَهُوَ السَّحَابُ الْمَزْجِيُّ.

وَالثَّانِي: إِفْرَادُ الْفِعْلِ فِي فِعْلِ الشَّيْءِ).

أقول: هذه الحروف اللفظية مظاهر الحروف المعنوية، وإذا أُطلقت أريد بها أحد أشياء، لكن المقام يقتضي اثنين؛ لأننا في باقي الكلام على الفعل، وقد اصطللنا على رتبتين منه بتسميتهما حروفاً، وذلك بلحاظ أنه الكلمة التامة، ولها حينئذ اعتباران:

أحدهما: في اعتبار بدء كونها بنفسها، كما مرَّ ذكره، فإننا قسّمنا ذلك البسيط باعتبار متعلقه المتكررة عند تعلقه به على أربعة أقسام:

أحدها: النقطة، والرحمة.

وثانيها: الألف، والنفس الرَّحْمَانِي الْأَوَّلِي.

وثالثها: الحروف، والسَّحَابُ الْمَرْجِي.

ورابعها: الكلمة التامة.

فأطلقنا الحروف على الرتبة الثالثة كما تقدّم.

وثانيهما: أن هذه الكلمة هي الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر، ولها وجوه، وهي تعلقاتها بالأشياء، فكل شيء كُلِّيٌّ أو جُزْئِيٌّ، كبير أو صغير، لها به تعلق خاص به لا يصلح لغيره، وتلك الوجوه حروف من تلك الكلمة، كما نسمّيها بأنها وجوهٌ منها ورؤوس لها، كما يأتي.

قلت: (وَذَلِكَ لِأَنَّ فِعْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ فِعْلٌ وَاحِدٌ، يَجْمَعُهَا عَلَى كَثَرَتِهَا فِي وَحْدَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(١)، ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(٢)).

أقول: إن فعل الله واحد كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾، يُشير به إلى حقيقة دقيقة؛ لأنه لما كانت الأشياء تنقاد له كلمح البصر، دلَّ على أنه لا يحتاج إلى التكرار، ولا التأكيد، ولا التشديد؛ لأنَّ هذه وأمثالها تقتضي التعدد والمعالجة، الموجبة لتكثر الفعل، فأخبر تعالى بنفي ذلك بدلالة انقياد الأشياء لأمره كلمح البصر، المستلزم لكمال البساطة والوحدة.

وكذلك قوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(٤)؛ فَإِنَّ فِيهِ تَنْبِيهًا عَلَى شَيْئَيْنِ:

أحدهما: هذا المعنى.

والثاني: أَنَّ الْأَشْيَاءَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ؛ لِأَنَّ الْعَالَمَ - أعني: ما سِوَى اللَّهِ - شيء واحد في صورة رجل، بل خلق الله الإنسان على صورته^(٥)، فهو

(١) سورة القمر، الآية: ٥٠.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

(٣) سورة القمر، الآية: ٥٠.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

(٥) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ؛ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَمَّا يَرَوُونَ: (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ

أ نموذج منه، والفعل تعلق به كتعلق وجه من وجوه الفعل بزيد في إيجاد،
فلذا قال تعالى: ﴿مَا خَلَقُكُمْ﴾ جميعاً، كل شيء في مكان حدوده، ووقت
وجوده ﴿وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ﴾، يعني: كخلق زيد وعمرو.
ولا ريب أن الوجه المختص بصنع شيء لا يصلح لغيره؛ لاعتبار
الوحدة فيه، التي هي مناط التعيين، فكذلك العالم كله، فكما يكون^(١) في
إيجاد زيد من الدفعة والتدرج [في أجزائه وأوصافه، كذلك في العالم
الكبير من الدفعة والتدرج]^(٢) والترتيب.. وغيرها.

قلت: (وَلَهُ بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقِهِ بِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْمَوْجُودَاتِ مِنْ ذَاتِ
أَوْ صِفَةِ رَأْسٍ يَخْتَصُّ بِهِ؛ هُوَ مَشِئَةُ اللَّهِ الْخَاصَّةِ بِهِ).
أقول: للفعل الذي هو المشيئة في الكون، الذي هو الوجود، وهو
الإرادة في العين، التي هي الماهية والإنية، وهو القدر في الحدود والتعيين،

→...

آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ؟، فَقَالَ: «هِيَ صُورَةٌ مُحَدَّثَةٌ مَخْلُوقَةٌ، اصْطَفَاهَا اللَّهُ وَاخْتَارَهَا
عَلَى سَائِرِ الصُّورِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَأَصَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ، كَمَا أَصَافَ الْكُعْبَةَ إِلَى نَفْسِهِ،
وَالرُّوحَ إِلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: ﴿يَتَّبِعُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٥]، وَقَالَ: ﴿نَفَخْتُ
فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [سورة ص، الآية: ٢٩]». [الكافي، ج: ١، ص: ١٣٤. الاحتجاج،
ج: ٢، ص: ٣٢٣. التوحيد، ص: ١٠٣].

(١) في بعض النسخ: (فلا يكون).

(٢) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

وهو القضاء في الإتمام، وهو الإمضاء في الإعلام - بكسر الهمزة - باعتبار تعلقه بإيجاد كل فرد من أفراد الموجودات؛ من ذاتٍ أو صفةٍ غيبٍ، أو شهادةٍ وجهٍ ورأسٍ يختص بإيجاد متعلقه؛ من جزئيٍّ أو كليٍّ، ومن كلٍّ أو جزءٍ، على وجه هو مراد الله من ذلك.

وذلك الفعل هو مشيئة الله الخاصة به، فإنَّ لَحَظْتُ أن المشيئة الكلية كلمة الله، قلتَ: هذا الرأس المختص بهذا الشيء هو حرف من حروف تلك الكلمة.

وإنَّ سَمَّيْتَهُ: (ابناً، والكلمة آدم الأول، وهو أبو ذلك الابن) جاز.

وإنَّ سَمَّيْتَهُ: (رأساً؛ من حيث أنَّ تلك الكلمة الكلية ملك أو ذات

هي برزخ البرازخ) جاز.

وإنَّ سَمَّيْتَهُ: (وجهاً لذلك الشَّخص؛ لأنَّه توجه منه خاص بذلك

الشيء المحدث به) جاز.

وإنَّ سَمَّيْتَهُ: (وجهاً لرأس كلي إضافي منها) جاز.. وهكذا.

قلتُ: (فَهَذِهِ الرُّؤُوسُ حُرُوفٌ يِإِضَافَةً كُلِّ رَأْسٍ إِلَى فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْخَلْقِ، إِذَا نُسِبَتْ إِلَى الْفِعْلِ الْمَطْلُوقِ، وَالْخَلْقُ مِنْ جِهَةِ الْإِفْرَادِ حُرُوفٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَجْمُوعِ).

أقول: هذا تفريعٌ على ما تقدَّم؛ من كون تلك الجهات الجزئية المختص كل واحد منها بمشاة تسمى حروفاً، ولهذا إذا نُسبت تلك الأفعال الجزئية إلى الفعل المطلق الكلي، وكذلك متعلقات هذه الأفعال

الجزئية بالنسبة إلى المجموع من المخلوقات؛ تُسمَّى حروفاً، وهذا ظاهر يُعرف مما تقدّم.

قلت: (وَكُلُّ فَرْدٍ مِنْهَا بِاعْتِبَارِ أَسْبَابِهِ وَشُرُوطِهِ وَمَقُومَاتِهِ الْمَذْكُورَةِ؛ مِنَ الْوُجُودِ وَالْمَاهِيَةِ وَالسَّيِّئَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَالْوَضْعِ وَالْأَجَلِ وَالْكِتَابِ وَالْإِذْنِ..وغير ذلك، وَنَهَايَاتِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُورَةِ، وَأَعْرَاضِهَا وَأَشْعَتْهَا إِلَى انْقِطَاعِ وَجُودَاتِهِ، كُلُّ وَاحِدٍ مُتَعَلِّقٌ بِوَجْهِ مُخْتَصٍّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الرَّأْسِ، الْمُخْتَصِّ بِذَلِكَ الْفَرْدِ مِنَ الْفِعْلِ الْكُلِّيِّ، نِسْبَةً كُلِّ وَجْهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّأْسِ كَنِسْبَةِ ذَلِكَ الرَّأْسِ إِلَى الْفِعْلِ الْكُلِّيِّ).

أقول: وكل فرد منها باعتبار أسبابه، أي: كل واحد من المفعولات، باعتبار كونه فرداً؛ إذا لوحظت أسبابه، أي: أسباب تمكينه وتكوينه وتكوُّنه، من الإمكانيات وعلل الأكوان وشروطه، التي يتوقف عليها كونه، مما ليس من ذاتياته ومقوماته المذكورة، سواءً كانت من ذاتياته، أم لا من الوجود.

(وَمِنْ) هنا بيانية، يعني: بيان المقومات مطلقاً.

والمراد بالوجود -هنا-: ما هو بالمعنى الأول، أعني: المادة، ولا يدخل على الظاهر الوجود بالمعنى الثاني، أعني: كونه أثراً، إذ لا تقوم بنيته بكونه أثراً، وإن كان في الحقيقة لا يتحقق له شيءية أصلاً إلا بذلك.

والماهية عطفٌ على الوجود.

والمراد بها: الماهية على المعنى الأول، أعني: الصُّورة وانفعال الوجود، والكلام فيها على المعنى الثاني، أعني: هوية الشيء وإيّته؛ كالكلام في الوجود، على ما حققناه في شرح مشاعر الملا صدرا^(١)، في إبطال قول صاحب الإشراق: (أنه تعالى لم يجعل المشرق مشمشاً).

والستّة المذكورة، أعني: الكم والكيف، والوقت والمكان، والجهة والرتبة. والوضع بمعانيه الثلاث، وهي: الحيز للجوهر الفرد، وترتيب بعض أجزاء الشيء على بعض، وترتيب أجزائه بالنسبة إلى ما خرج عنه. والأجل: ابتداء الشيء، ومدة بقائه، ووقت انقضائه.

والكتاب: أعني إثبات الشيء وأعراضه، وأسبابه ومسبباته وأوضاعه، وما يترتب عليه، وينسب إليه مطلقاً في ألواح الأكوان؛ من الذوات والأعراض والعكوسات وما أشبه ذلك، مما له مدخل في القضاء والإمضاء والإذن، فيما قضى له الانتقال إليه بأسبابه، وما يترتب عليه وغير ذلك، مما يطول بيانه الكلام.

ونهايات هذه الأشياء، أعني: الستة المذكورة وما بعدها، مثل: كم الكيف، وكيف الكيف، [وكيف الكم]^(٢)، وكم الكم.. وهكذا في سائر ما ذكرنا، فإن كل واحد منها يجري عليه كلها باعتبار، ويكون ذلك بنوع التضاييف والتساوق والاتحاد، وأعراضها وأعراض أعراضها،

(١) راجع شرح المشاعر في المواطن التالية، ص: ٣٣٨ - ٤٦٥ - ٦٨٥.

(٢) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

وأشعتها وأشعة أشعتها، وأشعة الأعراض وأعراض الأشعة، إلى انقطاع وجوداته، إلى أن تنتهي نسب كل واحد منها، وأوضاعه ومضافاته الداخلة والخارجة، كل واحد من هذه الحوادث المشار إليها متعلق بوجه مختص به، لا يصلح لغيره إلا مع تغييرها، [فإنه حينئذ يصدق عليه الغيرية، فيتعلق به، أي: بذلك، مع تغيير]^(١) يلحقه بنسبة ما يلحق متعلقه من ذلك الرأس المختص بذلك الفرد.

يعني: أن ذلك الوجه الذي تعلق بخصر زيد مثلاً غير ما تعلق بينصره، إلا أنهما وجهان من الرأس المختص بزيد، وهذا الرأس من الفعل الكلي، أعني: المشيئة الكونية الكلية، المتعلقة بجميع ما سوى الله تعالى من الكائنات، ونسبة ذلك الوجه إلى الرأس الذي هو منه كنسبة الرأس إلى الفعل الكلي.

ومثال الكلّي: كالشجرة.

والرؤوس: كالأغصان.

والوجوه: كالورق.

وهذا مجمل؛ وإلا فالرؤوس لها وجوه، وهي رؤوس لوجوه دونها، كالشجرة؛ فإن الأغصان الكبار رؤوس لها، ولكل رأس وجوه، وهي أغصان صغار، فإن الغصن الكبير فيه أغصان صغار، وتلك الأغصان

(١) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

الصغار فيها أيضاً غصون أصغر منها في كل غصن، حتى تنتهي إلى غصن ليس فيها إلا الورق.

قلت: (فَهَذِهِ حُرُوفٌ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَالْكَلِمَاتِ الْجُزْئِيَّةِ حُرُوفٌ لِلْكَلِمَةِ الْكُلِّيَّةِ).

أقول: هذا تفريعٌ على ما ذكرناه، وهو مبني على تسمية الفعل بالكلمة التامة؛ لأنَّ الكلمة مركبة من حروف، وقد يكون الجزء حرفاً باعتبار، وكلمة باعتبار آخر، فالوجه على تسميته بالشخص حروفٌ من الكلمة التي هي الرأس، وهو -أي: الرأس الذي هو الكلمة الجزئية- حرفٌ من الكلمة الكلية.

قلت: (فَهَذَا الْحُكْمُ جَارٍ لِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الْفِعْلِ، فِي كُلِّ مَفْعُولٍ، مَتَّبُوعٍ أَوْ تَابِعٍ، أَوْ مُسَاوِقٍ أَوْ مُسَاوٍ).

أقول: يعني أن الحكم باختصاص كل محدث بقدره من الفعل في الكل والجزء، والكلية والجزئية، والذاتية والعرضية، بإيجاد الكل بكل من الفعل، والجزء بجزء منه، والكلّي بكلّي، والجزئي بجزئي، والذاتي بذاتي، والعرضي بعرضي.. كلٌّ بحسبه، سواء كان المفعول متبوعاً^(١) كالموصوف، أو تابعاً كالصفة، أو مُسَاوِقاً كالفعل والانفعال، أو مُسَاوِياً كزيد وعمر.

(١) في بعض النسخ: (كان المتبوع مفعولاً).

❖ [الفعل بالنسبة إلى من دونه ذاتٌ واحدة]:

قلت: (فالفعل بالنسبة إلى من دونه ذاتٌ واحدة، استفادت الذوات من ذاتها تَذَوُّتَاتِهَا، والصفات من هيئاتها تَذَوُّتَاتِهَا، ومن صفاتها تَوْصِيفَاتِهَا).

أقول: الفعل ذاتٌ واحدة؛ لأن أول الآدميين الذين هم ألف ألف آدم في ألف عالم، آخرهم أبونا آدم عليه السلام، الذي هو مخلوق من التراب، فهذا آدم الأكبر خلقه الله سبحانه وتعالى بنفسه، وأقامه بنفسه، وأمسكه بنفسه، فهو قائم بنفسه قياماً ركيناً، وجميع الذوات القائمة بموادها إنما استفادت التذوّت منه، كما استفادت الكتابة التذوّت، أي: التشخيص والتعيين من هيئة حركة يد الكاتب.

وفي هذا تلويح، بل تصريح بفساد قول من قال: (أن الفعل معنى نسي لا تحقق له، وإنما التحقق والتذوّت للفاعل والمفعول).

والحق ما ذكرنا، وإن كان الفعل أيضاً استفاد الذاتية والشيئية من الله سبحانه، بمعنى: أنه سبحانه أفاده الذاتية لا من ذاته تعالى، إذ لا يخرج من الأول شيء ولا يدخل شيء، ولا من ذات غير ذات الفعل، وإلا لكان معه تعالى غيره قديم، بل اخترع سبحانه ذات الفعل لا من شيء بذات الفعل، فأقامه بنفسه على نحو ما ذكرنا في هذا الشرح سابقاً، وفي كثير من رسائلنا، فافهمه راشداً، فإنه دقيق جداً.

والحاصل: أن الذوات إنما كانت ذواتاً بكونها أثراً لها، والأثر يشابه

صفة مؤثره، فبمشاهايتها في صفة التأثير بالتأثر كانت ذواتاً، فالأشياء ذوات بالمشيئة لتقومها بها تقوم صدور، وصفات الأشياء تحققت ذواتها من هيئات المشيئة.

[ومعنى ذوات الصفات: أن ذاتها هو كونها صفة، وهذا معنى قولنا: (والصفات من هيئاتها تذواتها)]، أي: [استفادت الصفات من هيئات المشيئة تذواتها، يعني: أن] ^(١) تحقق كونها صفة إنما ثبت لها من هيئات المشيئة، واستفادت أيضاً الصفات من صفات المشيئة توصيفاتها، أي: توصيفات الصفات، أعني: وصفها ووصف الموصوف بها. والمراد بقولي: (أعني: وصفها)؛ هو جعلها، وجعلها صفة، ووصف الموصوف بها، كل ذلك من تأثير صفات المشيئة بالمشيئة.

قلت: (وَرُؤُوسُ تِلْكَ الذَّوَاتِ الشَّرِيفَةِ الْمُقَدَّسَةِ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ رَأْسٍ فَلَهُ وُجُوهٌ كَثِيرَةٌ).

أقول: هذا من تمام الكلام الأول، وهو أن الفعل الكلي له رؤوس بعدد أفراد الموجودات، ولكل رأس وجوه كثيرة بعدد جهات كل فرد من أفرادها وأجزائه وأحواله، وصفاته منسوبة إلى ذلك الرأس، كما أشرنا إليه سابقاً.

(١) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

﴿استعمالات الجعل﴾:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ الْجَعَلَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعَةِ، فَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَرْتَبَةٍ اسْتِعْمَلَ فِيهَا لُغَةً، وَيَجْرِي حُكْمُهُ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ بِمَا لَهَا).

أقول: إِنَّ الْجَعَلَ قَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعَةِ؛ الْمَشِيئَةُ وَالْإِرَادَةُ، وَالْقَدْرُ وَالْقَضَاءُ، فَيُقَالُ: (جَعَلَ الْكُونَ)، أَي: خَلَقَهُ وَشَاءَهُ، وَ(جَعَلَ الْعَيْنَ)، أَي: أَرَادَهَا وَبَرَاهَا، وَ(جَعَلَ الْحُدُودَ)، أَي: صَوَّرَهَا وَقَدَّرَهَا، وَ(جَعَلَ تَمَامَ الصُّنْعِ)، أَي: قَضَاهُ وَأَتَمَّهُ، وَيَجْرِي حُكْمُ الْجَعْلِ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الْفِعْلِ بِمَا لَهَا، كَمَا مَثَّلْنَا بِهِ.

هذا إِذَا ضَمِنَ مَعْنَاهَا بِأَن وَقَعَ بِابْتِدَاءِ الصَّنْعِ.

قلتُ: (وَكَثِيرًا مَا يُسْتَعْمَلُ فِي إِيْجَادِ اللَّوَاظِمِ لِمَلْزُومَاتِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(١)، لِإِيْجَادِهِ النَّوْرَ مِنَ النُّبْرِ، وَالظُّلُمَةَ مِنَ نَفْسِ النَّوْرِ مِنْ حَيْثُ هُوَ).

أقول: إِنَّ الْجَعَلَ فِي الْاسْتِعْمَالِ مِنْ حَيْثُ مَفْهُومُ مَادَّتِهِ وَهَيْئَتِهِ التَّرَكِيْبِيَّةِ كَثِيرًا مَا يُسْتَعْمَلُ فِي إِجْدَادِ اللَّوَاظِمِ لِلْمَلْزُومَاتِهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّوَاظِمَ كَثِيرًا مَا تَخْلُو مِنْ نَفْسِ الْمَلْزُومِ.

إمّا من حيث هو هو؛ [كالظلمة من نفس الكثيف من حيث هو هو] ^(١)، وإمّا من حيث علة وجوده كالنور من المنير؛ [لأنه مخلوق من المنير] ^(٢) من جهة علة إنارته، وهو قبوله للإيجاد على حسب مقتضى الصنع لمحبة الفاعل، لا على حسب حكم الوضع؛ لأن (خَلَقَ) الذي هو الفعل حدث به الكون الذي به كان الذكر الأول، الذي هو معنى المشيئة، وحدثت به العين في مقام تأكده الذي هو معنى الإرادة، وصدرت عنه الملزومات كما في الآية الشريفة من السّماوات والأرض، وصدر عن الجعل اللوازم التي هي النور والظلمة، كما ذكرنا من صدور النور اللازم للقابل ^(٣) بمقتضى محبة الفاعل، ومن صدور الظلمة اللازمة للقابل من نفسه بمقتضى حكم الوضع، كما هو مذكور هنا.

قلت: (وَيَتَمَيَّزُ عَنْ تِلْكَ الْمَرَاتِبِ إِذَا اسْتُعْمِلَ مَعَ أَحَدِهِمَا، كَمَا فِي الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ).

أقول: إنّ الجعل يكون بمعنى المشيئة والإرادة، والقدر والقضاء، كما ذكرنا إذا أُطلق منفرداً عنها.

(١) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

(٢) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

(٣) في بعض النسخ: (للفاعل).

وأما إذا ذكر مع واحد منها؛ كان ذلك الواحد مستعملاً فيما يختص به، أو يكون مُتَضَمِّناً لَهُ، ويكون الجعل مستعملاً في بعض لوازمه، على نحو ما ذكرنا.

قلتُ: (وَيُسْتَعْمَلُ لِلتَّصْيِيرِ^(١))، وَالْقَلْبَ لِشَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ).
أقول: وَيُسْتَعْمَلُ الْجَعْلُ لِلتَّصْيِيرِ^(٢)؛ بأن يصير شيء شيئاً آخر، وينتقل من الحالة الأولى إلى حالة ثانية، وهو معنى القلب، مثل قولك: (جعلت الطين خزفاً)، فإنك تريد: أنك نقلته من حال الطين إلى حالة الخزف، بمعنى: أن أصل المادة باقٍ، فقلبت تلك الماهية برفع صورتها إلى ماهية أخرى بما ألبستها من الصورة الثانية.

وليس المراد: أن أصل المادة اضمحلَّ والثاني حادث جديد، ليكون الجعل بمعنى الخلق، وإنما المراد: أن أصل الشيء باقٍ، وإنما غيرت حالته الأولى، وهذا معنى القلب والتصيير^(٣).

قلتُ: (وَحُكْمُهُ فِي الاسْتِعْمَالَاتِ الثَّلَاثَةِ حُكْمٌ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَفْعَالِ فِي الاسْتِعْمَالَاتِ الثَّلَاثَةِ، فِي مَرَاتِبِهَا حَرْفًا بِحَرْفٍ).
أقول: إن حكم الجعل في استعمالاته الثلاثة، أعني:

(١) في بعض النسخ: (للتغيير).

(٢) في بعض النسخ: (للتغيير).

(٣) في بعض النسخ: (والتغيير).

الأول: استعماله في معنى المشيئة، أعني: خلق الكون، أي: الوجود، وفي معنى الإرادة، أعني: خلق العين، أي: الماهية، وفي معنى التقدير، أعني: خلق الحدود، أي: الشخصيات المعنوية والحسية.

والثاني: استعماله في إيجاد اللوازم للزوماتها، فاستعماله في مواد اللوازم النوعية، بمعنى: (شاء)، وفي صور اللوازم النوعية، بمعنى: (أراد)، وفي حدود اللوازم ومقاديرها، بمعنى: (قدّر).

والثالث: استعماله في التصيير والقلب من حال إلى حال، ومن شيء إلى شيء آخر، فاستعماله في مواد المصير والمقلوب وفي نفس القلب والتصيير، بمعنى: (شاء، وخلق)، وفي حدود التصيير والقلب، بمعنى: (أراد وبرء)، وفي حدود التصيير والقلب، بمعنى: (قدّر وصوّر)؛ لأنَّ الكون والعين و الحدود وإتمام الشيء تجري في كل شيء من الذوات والصفات بحسبه؛ لأنَّ الأعراض كالجواهر، فيصحُّ فيها ما يصحُّ في الجواهر كلُّ بنسبته.

فحكم الجعل في استعمالاته الثلاثة حكم ما استعمل في معناه من الأفعال المذكورة في مراتبها، أي: المشيئة في خلق الكون، والإرادة في خلق العين، والقدر في خلق الحدود المشخصة، بلا زيادة ولا نقص، وهو مرادي بقولي: (حرفاً بحرف).

وإنما قلتُ: (في مراتبها)؛ لأنَّ الأفعال قد تُستعمل في غير ما ذكر لها، فنقول: شاء إيجاد الحدود، أي: قدّر، فتكون حينئذٍ ليس في مراتبها، بل ضمننت معنى ذي الرتبة، فلو استعمل الجعل في معنى استعمال المشيئة

في غير مراتبها، مثل: (شاء الحدود)، وكان الجعل حينئذٍ بمعنى: (قدّر) لا بمعنى (شاء).

وإنما قلتُ: (في الاستعمالات الثلاثة)، ولم أقل: (الأربعة)؛ لأنَّ المعروف من إطلاق الجعل ظاهراً هو معنى الإيجاد، وفي الظاهر القضاء ليس فيه معنى الإيجاد ظاهراً، إذ معناه في الظاهر هو الإتمام، وهو ليس إيجاداً على حسب الظاهر، وإن كان في نفس الأمر بل وفي الواقع أنه إيجاد، إلا أنه ليس بمتبادر إلى الأفهام، فلذا عدلت عن الأربعة إلى قولي: (الثلاثة).

وللعدول علّة ثانية: وهي أن استعمال الجعل قبل إتمام الشيء وقضائه؛ لأنَّ بعد الإتمام لا يلحقه جعل، فإذا تمَّ الشيء ولحقه الجعل فإنما لحقه باعتبار ما يحدث له من الحالة الثانية المنتظرة، وليست هي كائنة حينئذٍ يُقال عليها الإتمام الذي هو القضاء.

❖ [تقسيم الجعل إلى بسيطٍ ومركّبٍ ليس بتماماً، وتعليقه]:

قلتُ: (فَقُولُهُمْ: "الْجَعْلُ الْبَسِيطُ، وَالْجَعْلُ الْمُرْكَبُ"؛ لَيْسَ بِتَامٍ).
أقول: هذا تفریعٌ على من ذكرنا؛ من ذكر تقسيم الأفعال، ومن استعمال الجعل فيما هو مقتضى مفهومه، وفي معنى بعض الأفعال في رتبته كما تقدّم، فإنه يُفیدُك أنَّ الفعل لا يزيد على مفعوله، فإنَّ الحركة التي أحدثت بها كتابة (الباء) مثلاً لا تزيد عليها ولا تنقص، وإلا لحدث شيء غيرها.

ويلزم من هذا: أنَّ المَجْعُول إذا اعتبر فيه جهة تعدُّ كان ذلك معتبراً في جعله الذي به حدث، فإذا فرضت في المفعول جهة تعدُّ ومغايرة؛ حصل القطع بوجود مبدأ التعدُّد من فعله الذي به حدث وعنه صدر، وهذا التغير إنما حصل بوجود شيء آخر.

وهذان الشيئان الحاصلان في الفعل حدث عنهما التغير في المفعول، ويجب أن تختص كل جهة من الجعل بمتعلقها في المَجْعُول^(١)، بحيث يصدر عنها، ولا يصدر ذلك المتعلق من شيء من الجهة الأخرى، بل كل جهة تختص بمتعلقها ولا تصلح لغيره.

وعلى هذا: كما لا يُقال للرأس من الفعل المختص بإيجاد زيد أنه مركب منه ومن إيجاد عمرو، لأنَّ كُلَّاً من زيد وعمرو غير الآخر، وما يختص بزيد من الرأس من الفعل لا يختص^(٢) لعمرو، ولا يصلح له، ولا يتركب منه.

فلا يُقال للجعلين: أنَّه جعلُ مركَّب؛ لأنَّ كل واحد غير الآخر، ومجموعه غير مجعول الآخر، فهما جعلان بسيطان، والتغير بين زيد وعمرو الموجب للعلم القطعي بتغير جعليهما، وعدم التركيب بينهما، هو بعينه التغير بين الطين والخزف، وبين الوجود والماهية، وبين الكسر والانكسار، وبين جميع الأمور الاعتبارية المتغيرة بمفهومها بعضها مع

(١) في بعض النسخ: (من الجعل من المَجْعُول).

(٢) في بعض النسخ: (لا يصلح).

بعض، سواء كان التغير باعتبار نفس الأمر، أم الخارجي، أم الذهني، إذ لا يُعقل أن يكون شيان متغيران بجهة من جهات التغير على أي فرض كان؛ صادرين بجعل واحد، بل بجعلين مختلفين، كل واحد يختص بجهة غير جهة الآخر؛ لتحقيق التغير بين المفعولين، وهذا دليل (إثني) كما قرّر في محله.

فتكون جعلات بسيطات أبداً، إلا أن يعتبروا جعل الأجزاء في المجمولات المركبة، وحينئذ لا يكون جعلاً بسيطاً أبداً، إذ لا يوجد مجعول بسيط كما ذكرنا سابقاً، ورويناه عن الرضا عليه السلام من قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً فَرَدّاً قَائِماً بِذَاتِهِ دُونَ غَيْرِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ»^(١).

فعلى كل تقدير؛ لا يستقيم تقسيمهم الجعل إلى: (بسيط، ومركب)، بل يُقال: أن الجعل والفعل واحد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾^(٢)، والمجعول المركب صدر بجعلات متعددة لا بجعل مركب، إذ لا يعقل التركيب في الجعل.

وما توهموه: (في حدوث شيئين في الاعتبار بجعل واحد، كجعل الوجود والماهية)؛ فتوهم باطل، ويأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

(١) التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٦. بحار

الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(٢) سورة القمر، الآية: ٥٠.

قلت: (لأنَّ التَّرْكِبَ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ فِي شَيْءٍ ضُمَّ إِلَيْهِ مُسَاوٍ لَهُ، أَوْ مُخَالَفٍ، أَوْ مُبَايِنٍ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الْمَرْكَبُ شَيْئًا وَاحِدًا، أَيْ: يَصْدُرُ عَنْهُ فِعْلٌ وَاحِدٌ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَلَيْسَ ثَمَّ مُمَازِلٌ غَيْرَ ذَاتِهِ وَصِفَتِهِ، وَالشَّيْءُ لَا يَتَرَكَّبُ مِنْ ذَاتِهِ وَصِفَتِهِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ).

أقول: هذا معلوم؛ لأنَّ الشيء إذا ضُمَّ إليه مساوٍ له، كترابٍ و ترابٍ مثلاً، فإنَّ المجموع منهما مركبٍ منهما، أو مخالف؛ كالماء والتراب، فإنَّ الطين مركَّبٌ منهما، أو مُبَايِنٌ؛ كالوجود والماهية، فإنَّ زَيْدًا مركبٍ منهما، فأما التراب والتراب، والماء والتراب المركب منهما الطين؛ فهي عندهم ظاهرة، فإنَّ لكل واحدٍ من الجزئين جعلاً على حدة، وللمجموع جعلٌ واحدٌ على حدة.

ولا خلاف في هذا؛ لأنه ظاهر.

وأما الوجود والماهية ففيه الخلاف، والاختلاف إنما نشأ من خفائهما في أنفسهما، فلذا وقع الاختلاف فيه: في أنه هو المَجْعُولُ خاصة، وأما الماهية فليست بمَجْعُولَةٍ، بل هي صورة علمية، أو ليست شيئاً أصلاً، أو أنها مَجْعُولَةٌ بجعل الوجود، يعني: أن الجعل للوجود لا للماهية، وإنما انجعلت بتبعية جعله، أو أنها بنفسها لا بجعل جاعل.. إلى غير ذلك من خرافات الأقوال.

ولاشكَّ في تعدُّد الجعل في المساوي والمخالف وتغايره، وحينئذٍ يلزم وحدة الجعل وبساطته، وأما في المباين - كما مثلاً به - فنقول: إن كانت الماهية شيئاً فهي مَجْعُولَةٌ بجعل خاص بها، لا يصلح للوجود.

وَأَمَّا أَنَّهَا مَجْعُولَةٌ؛ فَلِأَنَّهَا غَيْرُ اللَّهِ ﷻ، وَكُلُّ مَا هُوَ غَيْرُ اللَّهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَمَّا أَنَّهَا يَجْعَلُ خَاصٌّ لَا يَصْلَحُ لِلْوُجُودِ؛ فَلِأَنَّهَا ضِدُّهُ، وَالْمَجْعُولُ صِفَةٌ جَعَلَهُ وَتَأْكِيدُ تَأْثِيرِهِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ الْوُجُودَ مَغَايِرًا لِجَعَلَ الْمَاهِيَةِ، كَمَا أَنَّهُ مَغَايِرٌ لِلْمَاهِيَةِ، وَحِينَئِذٍ يَتَعَدَّدُ الْجَعْلُ.

وَلَيْسَ هَذِهِ صِفَةُ التَّرَكِيبِ؛ لِأَنَّ كُلَّ جُزْءٍ مِنَ الْمُجْتَمِعِ مِنَ الْجَعَلَاتِ يَتَعَلَّقُ بِجُزْءٍ مُخْتَصٍّ بِهِ مِنَ الْمَجْعُولَاتِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصْلَحُ لِغَيْرِهِ أَصْلًا، وَإِنَّمَا هَذِهِ صِفَةُ الْجَعَلَاتِ الْبَسَائِطِ، إِذْ مَقْتَضَى الْجَعْلُ الْمَرْكَبَ لَوْ كَانَ أَنْ يَكُنْ كُلُّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ مُؤَثِّرًا فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ مَجْعُولِهِ الْمَرْكَبِ، وَالْأَمْرُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

وَإِنْ أُريدَ الْأَعْمُ مِنْهُ وَمَنْ كَوْنَ كُلِّ جُزْءٍ مِنْهُ مُخْتَصًّا بِجُزْءٍ مِنَ مَجْعُولِهِ لَا يَصْلَحُ لِغَيْرِهِ لَمْ يَوْجَدْ الْجَعْلُ بَسِيطًا - كَمَا ذَكَرْنَا سَابِقًا - وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْمَاهِيَةُ شَيْئًا فَلَيْسَ جَعَلَ الْوُجُودَ حِينَئِذٍ مَرْكَبًا، بَلْ هُوَ جَعَلَ بَسِيطًا تَعَلَّقَ بِمَجْعُولٍ بَسِيطٍ.

وَقَوْلِي: (لَيْسَ ثُمَّ مِمَّاثِلُ غَيْرِ ذَاتِهِ وَصِفَتِهِ...إِلخ).

جَوَابٌ عَنْ سَوْأَلٍ مُقَدَّرٍ، تَقْدِيرُهُ: إِذَا قُلْتُمْ أَنَّ الْمَاهِيَةَ مَجْعُولَةٌ يَجْعَلُ هُوَ صِفَةً جَعَلَ الْوُجُودَ، فَيَكُونُ جَعَلَ الْوُجُودَ مَرْكَبًا، إِذْ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ.

وَالْجَوَابُ: أَنَّ الشَّيْءَ لَا يَتَرَكَّبُ مِنْ ذَاتِهِ وَصِفَتِهِ الْفَعْلِيَّةِ^(١)؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالصِّفَةِ هُنَا الْفَعْلِيَّةَ، وَذَلِكَ كَالْقِيَامِ، فَإِنَّ زَيْدًا لَمْ يَكُنْ مَرْكَبًا مِنْ ذَاتِهِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ: (وَصِفَتِهِ النُّقْلِيَّةَ).

وقيامه، وإذا تركب شيء من قيامه فإنما تركب من صفة فعله، وأثر فعله، وهما صفتان معاً كالقائم، فإنه مركب من صفة الحركة الإيجابية للقيام وهي اسمها، ومن أثرها، أعني: القيام. والمُدعى: هو أن جعل الوجود مركب من نفس الجعل ومن صفته، أعني: جعل الماهية، وهو ممتنع؛ لأن الصفة الفعلية أثر للحركة، وصادر عنها، وكيف يجري عليها ما أجرته؟!، فافهم.

❁ [بطلان التمثيل على التقسيم السابق للجعل]:

قلت: (وَتَمَثِّلُهُمْ بِقَوْلِهِمْ: "جَعَلْتُ الطِّينَ خَزْفاً"، فَإِنْ أُريدَ تَغْيِيرُ الطِّينِ وَتَصْيِيرُ التَّغْيِيرِ خَزْفاً؛ فَهُوَ جَعْلَانِ، كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَادَّةٍ، وَهُمَا رَأْسَانِ مِنَ الْجَعْلِ الْكُلِّي).

أقول: هذا بيان تمثيلهم للجعل المركب، فإن الجعل واحد، مع أن أثره مجعولان، ولكن إذا سلّمنا لهم ذلك باعتبار تعدّد أثره، لم نسلم لهم تركيب الجعل، إذ على تقدير التعدّد يكون جعلان بسيطان، كل واحد في مادة، وبينهما مساواة وقتية، وإن كان أحدهما مترتباً على الآخر.

وبيان الردّ قولنا: (فإن أُريدَ تغيير الطين)، وهو يجعل غير المتغير^(١) خزفاً وهو أول، وجعله خزفاً وهو ثان، فلذا قلنا: (هما جعلان)، كل جعل في مادة، فجعل التغيير في الطين هو الأول، وجعل المتغير خزفاً هو

(١) في بعض النسخ: (وهو بفعل غير المتغير).

الثاني، مادة الأول الطين، ومادة الثاني المتغير منه، وإن كان الثاني مُرتَّباً على الأول.

وقولي: (وهما رأسان من الجعل الكلي)، أريدُ به: الحركة المُغَيِّرة للطين على الحالة الأولى، والمُصَيِّرة له خزفاً، فإنهما وجهان من الرأس المتعلق بهذا الشيء.

وإن شئتَ قلتَ: رأسان من الجعل الكلي.

والجعل يجوز أن يُريد به الإضافي، أعني: المختص بالطين في أحواله كلها مثلاً، ويجوز أن يريد به الحقيقي المتعلق بجميع الممكنات، ويكون حينئذٍ كون هذين الرأسين من الكلي إنما هو مع قطع النظر عن ذكر الوسائط، يعني: أنهما رأسان منه، مع عدم اعتبار الوسائط^(١) الكثيرة في خصوص مسألة الطين.

قلتُ: (وَإِنْ أُريدَ: قَلْبُ الطِّينِ خَزْفاً مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ لِغَيْرِهِ^(٢))، وَإِنَّمَا هُوَ حَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَهُوَ جَعْلٌ وَاحِدٌ).

أقول: إن أريد بقولك: (جعلت الطين خزفاً)؛ صنع الخزف، مع قطع النظر عن نقله عن الحالة الأولى إلى الثانية، فهو جعل واحد بسيط، وهذا ظاهر.

(١) في بعض النسخ: (مع اعتبار الوسائط).

(٢) في بعض النسخ: (من غير اعتبار تغيره). وفي متن الفوائد ورد: (من غير اعتبار

تغيره).

قلت: (وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ: مَا يُسْتَعْمَلُ فِي تَكْوِينِ الْمَتَّبُوعِ وَتَكُونِ التَّابِعِ بِهِ، كَجَعَلِ الْوُجُودَ وَانْجَعَلَ الْمَاهِيَةِ بِجَعَلِ الْوُجُودِ؛ فَهَذَا فِي الظَّاهِرِ جَعَلَ وَاحِدًا لِشَيْئَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ).

أقول: إن أريد بذلك مثل ما يستعملونه في جعل الوجود والماهية من جهة الملازمة بينهما، فإن الماهية لازمة للوجود، فإذا جُعِلَ؛ انجعلت معه بجعله.

ففي الظاهر -أي: على ما يظهر للناظر بلا تأمل، أو ومع تأمل يرجع فيه إلى المتابعة والتقليد، والرجوع إلى ما في الكتب وإلى القواعد، لا إلى مقتضى الفطرة-: هو جعلٌ واحد، إذ ليس إلا جعل الوجود، مثل: (كَسَرْتُهُ فَاِنْكَسَر)، فإنه لم يصدر من الفاعل إلا فعل الكسر، وأما الانكسار فليس من الفاعل؛ لأنَّ ضمير (انكسر) راجعٌ إلى المفعول، وليس من المفعول أيضاً؛ لأنَّ المفعول إنما يتحقق بعد الانكسار مثلاً، ولا من نفسه؛ لأنَّ الشيء لا يحدث نفسه، فلم يبق إلا أنه كان بتبعيته فعل الكسر، وليس الكسر الصادر من الفاعل متعدداً فيكون جعلاً واحداً.

وهذا على تقدير التسليم لقولهم، فإنه لا يحصل جعل مركب، إذ لم يصدر إلا فعلٌ واحد عن الفاعل.

وأردت بقولي: (في الظاهر)؛ الإشارة إلى أن ذلك في الحقيقة متعدّد، ومع هذا فلا يكون التركيب المدعى؛ لأن التركيب لا يتحقق إلا على نحو ما قلنا سابقاً، فراجع.

قلت: (لَكِنْ مَا انْجَعَلَتْ بِهِ الْمَاهِيَّةُ لَيْسَ بِجَعْلٍ كَجَعْلِ الْوُجُودِ، وَلَا مُخَالَفَ لَهُ، وَلَا مُعَانِدَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي جِهَتَيْنِ، فَلَا يَكُونُ الْجَعْلُ مِنْهُمَا مُرَكَّبًا؛ لَأَنَّ مَا جُعِلَتْ بِهِ الْمَاهِيَّةُ صِفَةً لِمَا جُعِلَ بِهِ الْوُجُودُ وَأَثَرٌ لَهُ، وَلَا يَكُونُ الشَّيْءُ مُرَكَّبًا مِنْ ذَاتِهِ وَأَثَرِهِ).

أقول: إن ما انجعلت به الماهية ليس على ما يتوهم، كما ذكرنا عنهم قبل: من أنه ليس بجعل لا من الفاعل ولا من المفعول، ولا من نفس الانجعال.. إلخ.

بل هو جعل حقيقي؛ لأن الماهية بعد ثبوت كونها شيئاً لا بد وأن تكون مجعولةً، ولا يجوز أن يكون ذلك من نفسها ولا من غير جاعل، بل تكون مجعولة بجعل جاعل، ولا يصح أن يكون ذلك الجعل هو جعل الوجود؛ لأنها غير الوجود.

وإذا كان المجمعول صفة الجعل وتأكيده؛ امتنع أن يكون جعلها جعله، وأن يكون جعلها مخالفاً لجعله، ولا معانداً لترتب وجود جعلها على وجود جعله، فلا يكون جعلها نفس جعله؛ لأنَّ الشيء لا يترتب على نفسه، لاستلزام تأخر المترتب من المترتب عليه، ولا مخالفاً ولا معانداً له، وإلا لَمَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ، لَكِنْ لَمَا كَانَتْ فِي الْحَقِيقَةِ صِفَةً لِنَفْسِ الْوُجُودِ، وَمَخْلُوقَةً مِنْ نَفْسِهِ؛ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ جَعْلُهَا كَذَلِكَ، فَيَكُونُ جَعْلُهَا مِنْ جَعْلِهِ وَأَثَرًا لَهُ، فَهُوَ كَالشُّعَاعِ مِنَ الْمَنِيرِ.

ولا يجوز أن يتركب شيء من شيء وأثره أو صفته الفعلية، فلا يكون الجعل مركباً من جعل الوجود وجعل الماهية، وأما الشيء كزريد

مثلاً منهما، فهو جعل واحد كما تقدّم، ويأتي بيان نسبة جعلها إلى جعله إن شاء الله تعالى.

قلتُ: (فَإِنَّ مَا جُعِلَ بِهِ الْوُجُودُ؛ كَالشَّمْسِ لِلنُّورِ، وَمَا جُعِلَ بِهِ الْمَاهِيَّةُ؛ كَنَفْسِ النُّورِ لِلظِّلِّ، فَإِنَّ جَعْلَ الشَّمْسِ لِلنُّورِ جَعْلٌ وَحْدَهُ، وَجَعْلُ نَفْسِ النُّورِ مِنْ حَيْثُ نَفْسِهِ لِلظِّلِّ جَعْلٌ وَحْدَهُ مُغَايِرٌ لِلْجَعْلِ الْأَوَّلِ).

أقول: يعني؛ أَنَّ الجعل الذي جُعِلَ بِهِ الوجود الذي يُقال له أولاً وبالذات مثل الشَّمْسِ، أي: ذاتٌ مستقلة بنفسها في إيجاد النور وإحداثه، كما أَنَّ جعل الوجود مستقلٌّ في إيجاد الوجود وإحداثه. والجعل الذي جُعِلَتْ بِهِ الماهية صفة لا تتقوّم بنفسها، وإنما تتقوّم بموصوفها، فهو كنفس النور للظل، يعني: نفس النور من حيث نفسه، يحدث عنه الظل بواسطة حفظ الشمس لنفس النور.

والجعلان متغايران؛ كل واحد جعلٌ على حدة، وإن كان الثاني مترتباً على الأول، وصفة له، ونسبة إليه في القوة والضعف نسبة واحد من سبعين، وليست الشَّمْسُ جاعلة للظل، وإلا لعاد إليها وكان نوراً، لكنه يعود إلى الجدار، المعبر به عن نفس النور من حيث نفسه.

قلتُ: (وَكَوْنُهُ مُتَرْتَباً عَلَيْهِ وَمُتَقَوِّماً بِهِ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ التَّرْكِيبُ؛ لِأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَجْعَلْ لِنَفْسِهَا الظِّلَّ).

أقول: هذا جوابٌ عن سؤالٍ مقدّر، تقديره: أن جعل الظل مترتباً في الوجود على جعل النور، ولم يتقوّم وحده، فدلّ على تركيبه منه؟ والجواب: أن كونه مترتباً عليه ومتقوّمًا به لا يلزم منه التركيب، كما هو شأن جميع المعلولات بالنسبة إلى عللها، مع أنها ليست مترتبة منها.

وأيضاً الشّمس لم تجعل الظل لنفسها؛ بأن يكون صفة لها، ليكون جعلها للنور جعلاً للظل، فتكون جاعلة له بنفسها، كما جعلت النور بنفسها، وإنما جعلته بنفس النور لنفس النور، فلذا بدأ منه وإليه يعود، وإن كان مترتباً عليه، يعني: أن جعل الظل إنما يكون بجعل النور؛ لأنه صفة من حيث نفسه، والصفة لا تتحقّق إلا بعد تحقّق موصوفها.

❖ [هل الظل صادرٌ من الشّمس؟]:

قلت: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾^(١))، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا جَاعِلَةٌ لَهُ، إِذْ لَوْ جَعَلْتُهُ بِجَعْلِ النُّورِ لَكَانَ نُورًا، إِذْ لَيْسَ فِيهَا ظِلٌّ، وَإِنْ جَعَلْتُهُ بِجَعْلِ نَفْسِ النُّورِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الظِّلِّ وَاقِعًا دَلٌّ عَلَى أَنَّهَا حَافِظَةٌ لِلنُّورِ الْجَاعِلِ لِلظِّلِّ، لَا جَاعِلَةٌ لَهُ، فَلَا يَحْصُلُ التَّرْكِيبُ

حَقِيقَةً، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ
بِالْبَصَرِ﴾^(١).

أقول: هذا جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّر.

تقديره: أن الآية المذكورة دالة على أن الظل صادر عنها، فيكون
جعل النور هو جعل الظل، ويلزم من ذلك التركيب على معنى ما
ذكرناه؟.

والجواب: أن الآية لا تدل على ذلك؛ لأنَّ كون الشمس دليلاً ليس
هو كونها جاعلةً، وإنما دلالتها عليه بيان ارتباطه بها في المدِّ والقبض، لا
بكونها جاعلة له، وهذا ظاهر.

على أنها لو جعلته لكان أثراً لجعلها، فيكون نوراً؛ لأنه حينئذٍ
صفتها، وليس فيها ظل أو ظلمة ليستند إليه، وإن جعلته بجعل نفس النور
كما هو الواقع؛ لأنَّ نفس النور من حيث هو هو ظلمة، فهي أصل الظل
حقيقةً؛ دلَّ قولنا: جعلته، مع أنَّ الجعل الصادر عنه الظل ليس جعلاً لها في
الحقيقة، وإلا لكان المفعول نوراً، على أنها جاعلة لما يكون عنه الظل.

إن قولنا: (جعلته) لا يخلو من أن يكون هذا واقعاً عليه أو على
غيره، وقد بيَّنا عدم إمكان وقوعه على الظل، وإلا لكان نوراً، وإذا وقع
على غيره فليس جائزاً أن يكون ما وقع عليه هذا الجعل أجنياً من الظل،
وإلا لما أفاد شيئاً في تحقُّقه بحال من الأحوال، فوجب أن يكون ملزومه

وهو النور، فإنَّ النور إذا وُجِدَ لزمه إنبيته، وهي علة الظل، وجعل الشمس لها إنما هو بجعل لازم لجعل النور، وجعل الظل لازم لهذا الجعل اللازم لجعل النور، وأفاد ذلك كله كون الشمس حافظة للنور؛ لتقومه بجعلها تقوم صدور، ولوازمه كلها تابعة له.

فكانت نسبة الجعلات بعضها إلى بعض كنسبة المجعولات بعضها إلى بعض، فجعلها للظل إنما هو بجعل لازم لجعلها للنور.

ومعنى قولي: (وإن جعلته بجعل نفس النور.. إلخ)؛ أنَّ الشمس إنما جعلت ماهية النور بجعل لازم لجعلها لوجود النور، والظل صفة لماهيته لا لوجوده، والنور متقوم بوجوده تقوُّماً ركنياً، ووجوده متقوم لجعل الشمس تقوُّماً صدورياً، والظل متقوم بماهية النور تقوُّماً ركنياً، من حيث أن مادته من صفتها، وصدورياً من حيث أن جعله من جعلها، فتكون الشمس حافظة للنور الذي كان جعل الظل تابِعاً لجعله بالذات لوجوده، وبالعرض لماهيته.

والضمير في قولي: (لا جاعلة له)؛ يعود إلى الظل، فكونها دليلاً عليه - كما بيَّنا - لا يستلزم أن يكون مجعولاً لها، وإذا كان كل شيء له جعل يختص به لا يصلح لغيره من دون تغيير؛ امتنع التركيب في الجعل. ولو كان جعل بعض الأشياء مركباً؛ امتنع أن يكون مركباً من جعلات تامة مستقلة، فلا بد أن يكون مركباً من أجزاء جعل لا من جعلات، وعلى فرض إمكانه؛ فهو جعلٌ بسيط، إذ لا يصلح جزؤه لجزء

من معموله غير مشارك فيه، وإلا لكانت متعدّدة، كما أشرنا سابقاً
فراجع.

قلت: (وَإِنْ أُرِيدَ: أَنَّ الْجَعْلَ الَّذِي يَحْدُثُ عَنْهُ شَيْئَانِ فَصَاعِداً؛
فَهُوَ مُرَكَّبٌ، سَوَاءٌ كَانَا فِي مَادَّتَيْنِ، أَمْ فِي حَالَيْنِ؛ كَجَعْلِ الطِّينِ خَزَافاً،
أَمْ فِي الْمَلْزُومِ وَاللَّازِمِ؛ كَالْوُجُودِ وَالْمَاهِيَةِ.

قُلْنَا: إِذَا اضْطَلَحْتُمْ عَلَى ذَلِكَ فَلَا بَأْسَ، وَلَكِنْ لَا تَجِدُونَ الْجَعْلَ
الْبَسِيطَ قَطُّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً فَرِداً قَائِماً بِذَاتِهِ لِلدَّلَالَةِ
عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾^(١).

أقول: إن أرادوا بقولهم: (الجعل المركب) الجعل الذي يحدث عنه
شيئان متغايران، فلا شك أن في نفسه يُسمّى مركباً، سواء كان الشيئان
في مادتين متميزتين بالحس أو التعقل، بأن يكون تمايزهما بالاستقلال لا
بالمفهوم؛ كزيد وعمرو، وكرأس زيد ويده، وكالعقل وجوهر الهباء،
وكروحي زيد وعمرو.. وما أشبه ذلك، أم كانا في حالين؛ كجعل الطين
خزفاً، إذا اعتبر تغير الطين ثم جعله خزفاً، أم كانا في المتلازمين الذي
يكون فيهما اللازم ناشئاً عن الملزوم، ومتحققاً به، كالوجود والماهية؛ لأن
الشيئين إذا اعتبر فيهما الاثنية حقيقة في الواقع، وجب أن يكون جعل
كل واحد مغايراً لجعل الآخر، وإلا لم يتحقق الاثنية، فيكون الجعل
متعددًا، ولا شك في أن مثل ذلك يصدق عليه التركيب.

فإذا اصطلحتم على ذلك بأن يكون الجعل البسيط هو ما صدر عنه شيء واحد، والمركب هو ما صدر عنه شيئان لتلازمهما في الظهور، أو أعم من ذلك؛ فلا بأس، إذ لا مشاحات في الاصطلاح نفسه.

وإنما المشاحة فيما يترتب عليه، وهو هنا أن الجعل البسيط لا تجدونه أبداً، إذ لا يوجد إلا فيما يكون تكونه بجهة واحدة واعتبار واحد، وهو ممتنع؛ لما ذكرنا مراراً: أن كل مكوّن لابد أن يكون له اعتبار من ربه؛ وهو وجوده وكونه، واعتبار من نفسه؛ وهو ماهيته وعينه، وبدون هذين الاعتبارين لا يمكن وجوده؛ لأن الله سبحانه: «لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً فَرْدًا قَائِماً بِذَاتِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ»، كما قال الرضا عليه السلام^(١)، ثم أنه عليه السلام استشهد بقوله تعالى: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ»^(٢).

وأيضاً يكون هذا عندنا ليس بمركب؛ لأن كل جعل متعلق بمفعوله خاصة، فجعل الوجود مثلاً متعلق به خاصة، ولا يجوز أن يتعلق بالماهية؛ لأنها مخالفة لوصفه.

(١) التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٦. بحار

الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

فالوجود أصلٌ وأوَّلٌ وبالذات، فهو يدور على جعله على التوالي،
 فلهذا أثنى الله تعالى على العقل فقال: «مَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ،
 بِكَ أَثِيبُ وَبِكَ أَعَاقِبُ، وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أَحَبُّ»^(١).

وإنما أثنى على العقل؛ لأنه جرى على جهة وجوده الذي هو حقيقته
 من ربّه، فدار في قبوله التكوين على التوالي، وجعل الماهية متعلّقا بها
 خاصةً، ولا يجوز أن يتعلّق بالوجود؛ لأنه مخالف لوصفه، ولأنها لم يتحقّق
 في نفسها إلا بعد تحقّق الوجود.

فالماهية فرعٌ وثنانٍ وبالعرض، فهي تدور على جعلها على خلاف
 التوالي، ولأجل هذا ذم الله سبحانه الجهل، وطرده من نوره، وأبعده من
 رحمته، وإنما طرده لأنه جرى في قبول تكوينه على جهة ماهيته التي هي
 حقيقة من نفسه، فدار في قبوله للتكوين على خلاف التوالي.

(١) عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «..يَا عَلِيُّ إِنَّ أَوَّلَ خَلْقٍ خَلَقَهُ اللَّهُ ﷻ الْعَقْلُ، فَقَالَ لَهُ: أَقْبَلْ، فَأَقْبَلَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَذْبِرْ، فَأَذْبَرَ. فَقَالَ: وَعَزَّتِي وَجَلَالِي، مَا خَلَقْتُ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، بِكَ آخِذٌ وَبِكَ أُعْطِي، وَبِكَ أَثِيبُ وَبِكَ أَعَاقِبُ..». [من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ٣٦٩. بحار الأنوار، ج: ٧٤، ص: ٦٠. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٩٩-١٠٠. مستطرفات السرائر، ص: ٦٢٠. مكارم الأخلاق، ص: ٤٤٢].
 وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷻ: «مَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أَحَبَّتُ»، فَلَمْ يَجِدْهُ إِلَّا فِي الْمَصْدَرَيْنِ التَّالِيَيْنِ: [أعلام الدين، ص: ١٧٢. كنز الفوائد، ج: ١، ص: ٥٧].

وإذا كان أمر الوجود والماهية كما سمعت، فكيف يصدران من جعل واحد يصحُّ فيه اعتبار التركيب المُدْعَى؟!.

❖ [الجعل واحد لا تعدُّد فيه لذاته]:

قلت: (وَبِالْجُمْلَةِ؛ لَا فَرْقَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بَيْنَ الْجَعْلِ وَغَيْرِهِ مِنْ مَرَاتِبِ الْفِعْلِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ؛ فَالْجَعْلُ وَاحِدٌ لَا تَعَدُّدٌ فِيهِ لِذَاتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهِ﴾^(١)، أَي: فِي الْجَعْلِ، فَأَفْرَدَهُ وَجَمَعَ الْمَجْعُولَاتِ، فَافْهَمْ. نَعَمْ.. لَهُ رُؤُوسٌ بَعْدَ الْمَجْعُولَاتِ، وَلِكُلِّ رَأْسٍ وُجُوهٌ بَعْدَ أَحْوَالِهِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْفِعْلِ فَرَاغَ).

أقول: وبالجمله، أي: بقصد إجمال الكلام دون التفصيل؛ أنَّ الجعل وغيره من أقسام الفعل، كالمشيئة والإرادة والقدرة.. وما أشبه ذلك كلها يُقال عليها الوحدة؛ لأنه حركة إيجادية واحدة، وإنما تتكثر أسماؤها باعتبار متعلقاتها، وتعدُّد وجوهاها باعتبار تعدُّد متعلقاتها.

ومن الاستشهاد على الوحدة قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهِ﴾^(٢)، فأفرد ضمير الجعل، وهو

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

الذي في قوله: ﴿فِيهِ﴾ مع ذكر تعدُّ متعلقاته، وذلك على نحو ما سبق ممَّا ذكرنا.

وهذا أحد التفاسير للآية، وعليه تدلُّ على وحدة الفعل بالنسبة إلى الكل، واختلاف الوجوه باعتبار اختلاف القابليات كاختلاف انعكاسات نور الشمس عن الزجاجات المختلفة.

فهارس

المجلد الأول من هذا الكتاب

- ١) فهرس الآيات الكريمة.
- ٢) فهرس الروايات الشريفة.
- ٣) فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات الكريمة

(ج: ١)

نصُ الآية الكريمة	السورة	الآية	ص
(حرف الألف)			
أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ.	ق	١٥	٣٢٣
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ.	الأعراف	١٧٢	١١٧
			١٧٩
أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ.	البقرة	٦١	٢١
أَتُتَّبَعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ.	يونس	١٠	٢٨٥
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.	النحل	١٢٥	٨١
			٢٠٣
			٢٠٤
أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ	يونس	٣٥	٢١٢

٣٣٢	٣	الزمر	أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ.
٢٩١	٥٤	الأعراف	أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.
١٢٧	٨٦	الزحرف	إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.
٢١٢	-٦٠	يونس	أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا
	٦١		الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦١﴾ وَأَنْ اعْبُدُونِي
			هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.
٢٥٠	٣٣	الرعد	أَمْ بَظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ.
٢٤٧	٣٣	الرعد	أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ.
١٣٦	٣٠	فصلت	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا.
١١٣	-١٩	البقرة	أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ
	٢٠		وَبَرْقٌ يَّجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ
			الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ
			﴿٢٠﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ
			لَهُمْ مَثْوًى فِيهِ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا..
٢٤٨	٦٧	مريم	أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ
			شَيْئًا

(حرف التاء)

٢٩٧	٥١	الأحزاب	تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن
			تَشَاءُ..

(حرف الثاء)

٢٤٧	٣٢	فاطر	ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
١٠٧	٤٥	الفرقان	

١٥٦

٤٠٩

١٦٠	٤٦	الفرقان	ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا.
-----	----	---------	---

(حرف الجيم)

١٠٨	١١	الشورى	جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهِ.
٤١٥			

(حرف الحاء)

١٠٦	١	الأنعام	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ.
٤٣٠			
٢٨٢	٤٣	الأعراف	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ.

(حرف الحاء)

٣٧٩	٥٤	الأعراف	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ.
-----	----	---------	--

(حرف الذال)

١٢٢	٩٦	الأنعام	ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.
-----	----	---------	---

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا
الإسراء ٣٥ ٨٢
٢١٤

(حرف الراء)

رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي
الحجر ٣٩ ٢٨٢
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ
المؤمنون ١٠٦ ٢٨٢
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
طه ٥ ٢٨٠
٣٨٨

(حرف السين)

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ.
الصافات ١٨٠ ١٧٤
سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى
فصلت ٥٣ ١٧٧
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى
١٩٦
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
٢٣١

٢٦٣

٣٠١

سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَيَا أَيُّهَا آمِنِينَ.
سبا ١٨ ١٩٢

(حرف الفاء)

فَاسْأَلْكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا.
النحل ٦٩ ١٥٧
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ.
محمد ١٩ ١٤
فَأَيْنَمَا تُؤَلُّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ.
البقرة ١١٥ ٢٧٤
فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا.
الإنسان ٢ ١٩٥

- فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ. فصلت ١٢ ٣٤٨
 فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ. فاطر ٣٢ ٢١١

(حرف القاف)

- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ فصلت ٥٢ ٨٣
 مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ. ٢٢٠
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ الأحقاف ١٠ ٨٣
 وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّا ٢٢٠
 وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.
 قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. الرعد ١٦ ١٤٥
 قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ الرعد ٣٣ ٢٤٦
 أَمْ بَظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ.

(حرف الكاف)

- كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا إبراهيم ٢٦ ٢١١
 مِنْ قَرَارٍ.
 كُنْ فَيَكُونُ. البقرة ١١٧ ٤٠٣

(حرف اللام)

- اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ. الروم ٤٠ ١٦٣
 ٣٥٢
 لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ.. المائدة ٤١ ٣٨

لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ۖ وَلَمَلَأْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا.

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

٢٤٠

٢٦٠

٢٨٦

(حرف الميم)

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ.

مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ..

مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

٣٨٦

٣٨٧

(حرف النون)

نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي.

(حرف الهاء)

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا.

هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ.

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو

البقرة ١٨٧ ١٢٦

الجمعة ٢ ٤٤

عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ.

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِي الْمُصَوِّرُ.
(حرف الواو)

وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا.

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا
فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ.

وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى.

٣٦٢

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ
لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ.

وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا
بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ.

وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ.

٢٥٠

وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ.

وَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ

الْحِسَابِ.

- وَجَدُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.
- النمل ٢٤ ١٢٧
- وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً.
- سبا ١٨ ١٩٢
- وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ.
- الأنبياء ٣٠ ١٢٢
- ٢٨٦
- ٣٠٤
- وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.
- الأعراف ١٥٦ ٢٨٠
- وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا.
- الإسراء ٣٥ ٨٢
- ٢١٤
- وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿١٠﴾ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ.
- الطور ٣-٢ ٣٨١
- وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ.
- يونس ١٢ ٢١
- وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ.
- لقمان ٢٥ ٢٥٠
- وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا.
- الإسراء ٣٦ ٨٢
- ٢١٤
- وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا.
- الإسراء ٣٧ ٨٢
- ٢١٥
- وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ
- الأعراف ١٧٩ ١١١

لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ.

وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ
عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ.
وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ.

النور ٣٥ ٩٦

٣٢٥

وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ.

القمر ٥٠ ١٠٤

١٠٨

٣٨٦

٤٠١

٤١٠

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.

الذاريات ٥٦ ٣٥

وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

فصلت ٤٦ ٢٣٦

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ.

التوبة ١١٥ ٣٦٣

وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ.

الحجر ٢١ ١٤٧

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ. الروم ٢٥ ١٥٨

٢٩١

وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ الذاريات ٤٩ ١٠٨

٤١٢

٤١٣

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى. النساء ١١٥ ٣٦٣

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ.. القصص ٥ ٣٨

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ.. الأعراف ٧٥ ٣٠٢

٣٠٤

وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ.. الحاقة ١٧ ١١١

(حرف الياء)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ الْحج ٥ ٣١٤

النور ٤٣ ٣٠٧

يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ النور ٣٥ ٣٢٩

٣٧٨

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ . الرعد ٣٩ ١٧١

الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ❁ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى الأعلى ٣-٢ ١٠١

٣٦١

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ المائدة ٣ ١٨٩

فهرس الروايات الشريفة

(ج: ١)

ص

نصُّ الرواية الشريفة

(حرف الألف)

٨١ (اتقوا): ذَكَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: «اتَّقُوا فَرَأْسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ
٢٠٩ بِنُورِ اللَّهِ».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٢١٨. وسائل الشيعة، ج: ١٢، ص:
٣٨. الاختصاص، ص: ٣٠٧. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٣٠.
الأمالي؛ للطوسي، ص: ٢٩٤. بصائر الدرجات، ص: ٣٥٥. تأويل
الآيات الظاهرة، ص: ٢، تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ٢٤٧.
شواهد التنزيل، ج: ١، ص: ٤٢٢. عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ج:
٢، ص: ٢٠٠. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ١٢٣.

٢٠٩ (اتقوا): عن ابن عباس أنه قال، قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اتَّقُوا
فَرَأْسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، قال؛ فقلت: يا أمير المؤمنين!
كيف ينظر بنور الله ﷻ؟! قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِأَنَّا خُلِقْنَا مِنْ نُورِ اللَّهِ،
وَخُلِقَ شَيْعَتُنَا مِنْ شُعَاعِ نُورِنَا؛ فَهُمْ أَصْفِيَاءُ أَبْرَارٍ، أَطْهَارُ
مُتَوَسِّمُونَ، نُورُهُمْ يُضِيءُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، كَالْبَدْرِ فِي اللَّيْلِ
الظُّلُمَاءِ».

المصدر: بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٢١.

(اتقوا): لِقَوْلِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اتَّقُوا ١١٧
فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَعْنِي بِنُورِهِ
الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ».

المصادر: بصائر الدرجات، ص: ٨٠. فضائل الشيعة، ص: ٢٧. بحار
الأنوار، ج: ٦٤، ص: ٧.

(إذا): ورد: «إِذَا قَضَاهُ فَقَدْ أَمَضَاهُ». ٣٤٨

المصادر: المحاسن، ج: ١، ص: ٢٤٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٢٢.

(اعرفوا): قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ». ٩١

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٨٥. التوحيد، ص: ٢٨٦. روضة
الواعظين، ج: ١، ص: ٣٠. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٦. بحار
الأنوار، ج: ٣، ص: ٢٧٠.

(أفضل): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْعِلْمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ
الدُّعَاءِ الْاسْتِغْفَارُ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْبِكَ﴾ [سورة محمد، الآية: ١٩]..». ١٣ - ١٤

المصادر: جامع الأخبار، ص: ٥٠. بحار الأنوار، ج: ٩٠، ص: ٢٨٢.

(أقامه): من خطبة لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ اتَّفَقَ فِي بَعْضِ سَنِيهِ
الْجُمُعَةِ وَالْغَدِيرِ: «..أَقَامَهُ فِي سَائِرِ عَالَمِهِ فِي الْأَدَاءِ مَقَامَهُ».

المصادر: إقبال الأعمال، ص: ٤٦١. المصباح للكفعمي، ص: ٦٩٥.
مصباح المتجهد، ص: ٥٣.

(ألا): عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي الحسن الرضا ١٥٨

عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ عِنْدَهُ الْجَبَرِ وَالتَّفْوِيزُ فَقَالَ: «أَلَا أُعْطِيكُمْ فِي هَذَا أَصْلًا لَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَلَا تُخَاصِمُونَ عَلَيْهِ أَحَدًا إِلَّا كَسَرْتُمُوهُ. قُلْنَا: إِنْ رَأَيْتَ ذَلِكَ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُطِيعْ بِإِكْرَاهٍ، وَلَمْ يُعْصَ بِغَلَبَةٍ، وَلَمْ يُهْمَلِ الْعِبَادُ فِي مُلْكِهِ، هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ، وَالْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ ائْتَمَرَ الْعِبَادُ بِطَاعَتِهِ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ عَنْهَا صَادًّا، وَلَا مِنْهَا مَانِعًا، وَإِنْ ائْتَمَرُوا بِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَحُلْ وَفَعَلُوهُ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَذْخَلَهُمْ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ يَضْبِطْ حُدُودَ هَذَا الْكَلَامِ فَقَدْ خَصِمَ مَنْ خَالَفَهُ».

المصادر: التوحيد، ص: ٣٦١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤١٤. الاختصاص، ص: ١٩٨. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٦٣. تحف العقول، ص: ٣٧. العدد القوية، ص: ٣٤. عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ج: ١، ص: ١٤٤. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

(الأرواح): قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».

المصادر: من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ٣٨٠. الأمالي للصدوق، ص: ١٤٥. جامع الأخبار، ص: ١٧١. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٨٤. عوالي اللآلي، ج: ١، ص: ٢٨٨. المسائل السروية، ص: ٣٧. مصباح الشريعة، ص: ١٥٦.

(الحمد): عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: جِئْتُ إِلَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْأَلُهُ عَنْ التَّوْحِيدِ، فَأَمْلَى عَلَيَّ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ الْأَشْيَاءِ إِنْشَاءً،

وَمُبْتَدِعَهَا ابْتِدَاعًا بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، لَا مِنْ شَيْءٍ فَيَبْطُلُ
الِاخْتِرَاعُ، وَلَا لَعَلَّةٌ فَلَا يَصِحُّ الْإِبْتِدَاعُ...».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٠٥. التوحيد، ص: ٩٨. علل الشرائع،
ج: ١، ص: ٩. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٦.

(السعيد): قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «السَّعِيدُ مَنْ سَعَدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ،
وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ».

المصادر: تفسير القمي، ج: ١، ص: ٢٢٧. عوالي السالّي، ج: ١، ص:
٣٥. الزهد، ص: ١٤. التوحيد، ص: ٣٥٦. بحار الأنوار، ج: ٥، ص:
١٥.

(الظالم): عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعُلُوِي، بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ إِلَى الصَّادِقِ (ع)
جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا
الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة فاطر،
الآية: ٣٢]، فَقَالَ: «الظَّالِمُ يَحُومُ حَوْمَ نَفْسِهِ، وَالْمُقْتَصِدُ يَحُومُ
حَوْمَ قَلْبِهِ، وَالسَّابِقُ يَحُومُ حَوْمَ رَبِّهِ ﷻ».

المصادر: معاني الأخبار، ص: ١٠٤. بحار الأنوار، ج: ٢٣، ص: ٢١٤.

(الظالم): قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الظَّالِمُ؛ مَنْ يَحُومُ حَوْلَ نَفْسِهِ،
وَالْمُقْتَصِدُ؛ يَحُومُ حَوْلَ قَلْبِهِ، وَالسَّابِقُ؛ يَحُومُ حَوْلَ رَبِّهِ».

المصدر: معاني الأخبار، ص: ١٠٤. بحار الأنوار، ج: ٢٣، ص: ٢١٤.

(العبودية): قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْعُبُودِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهَهَا الرُّبُوبِيَّةُ،
فَمَا فَقَدَ فِي الْعُبُودِيَّةِ وَجِدَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَمَا خَفِيَ فِي

الرُّبُوبِيَّةُ أُصِيبَ فِي الْعُبُودِيَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ
آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾.

المصادر: مصباح الشريعة، ص: ٧.

(العمر): قول أمير المؤمنين عليه السلام: «الْعُمْرُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَعْلَمَ ١٣
كُلَّ مَا يَحْسُنُ بِكَ عِلْمُهُ فَتَعْلَمَ الْأَهَمَّ فَلَا أَهَمَّ».

المصادر: شرح نهج البلاغة، ج: ٢٠، ص: ٢٦٢.

(ألف): وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ عَنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعَدَّدَ الْعَوَالِمِ وَالْآدَمِيِّينَ، ١٠٩
وَأَكْثَرَ مَا ذُكِرَ أَنَّهَا: «أَلْفُ أَلْفِ عَالَمٍ، وَأَلْفُ أَلْفِ آدَمٍ، أَنْتَ
فِي آخِرِ تِلْكَ الْعَوَالِمِ، وَأَوَّلِكَ الْآدَمِيِّينَ».

المصادر: التوحيد، ص: ٢٧٧. الخصال، ج: ٢، ص: ٦٥٢. بحار

الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٧٤.

(الله): عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ٣٢٦
عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ»؛ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ. «فِيهَا مِصْبَاحٌ؛
الْحَسَنُ. «الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ»؛ الْحُسَيْنُ. «الزُّجَاجَةُ
كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ»؛ فَاطِمَةُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ بَيْنَ نِسَاءِ أَهْلِ
الدُّنْيَا. «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ»؛ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. «زَيْتُونَةٌ لَا
شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ»؛ لَا يَهُودِيَّةَ وَلَا نَصْرَانِيَّةَ. «يَكَادُ زَيْتُهَا
يُضِيءُ»؛ يَكَادُ الْعِلْمُ يَنْفَجِرُ بِهَا. «وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ
عَلَى نُورٍ»؛ إِمَامٌ مِنْهَا بَعْدَ إِمَامٍ. «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ»؛

يَهْدِي اللَّهُ لِلْأَمَّةِ مَنْ يَشَاءُ. ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾.

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٩٥. تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٣٥.
تفسير فرات الكوفي، ص: ٢٨١. تفسير القمي، ج: ٢، ص: ١٠٣.
التوحيد، ص: ١٥٧. الصراط المستقيم، ج: ٢، ص: ٤٢. كشف
اليقين، ص: ٤١٦. معاني الأخبار، ص: ١٥. المناقب، ج: ١، ص:
٢٨٠. نهج الحق، ص: ٢٠٧.

٧٩ (اللهم): قَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ ارِنِي الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ».

١٩٨ المصادر: رسائل المرتضى، ج: ٢، ص: ٢٦١.

٢٨٠ (المشيئة): قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْمَشِيئَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْإِبْدَاعُ؛ ثَلَاثَةٌ
أَسْمَاءٌ، وَمَعْنَاهَا وَاحِدَةٌ».

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص:
١٧٣. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٤.

٣٥٤ (الورد): عَنْ الْفَرْدَوْسِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْوَرْدُ الْأَبْيَضُ خُلِقَ مِنْ عَرَقِي لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، وَالْوَرْدُ الْأَحْمَرُ
خُلِقَ مِنْ عَرَقِ جِبْرِئِيلَ، وَالْوَرْدُ الْأَصْفَرُ خُلِقَ مِنَ الْبَرَقِ».

المصادر: مكارم الأخلاق، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٧٣، ص: ١٤.

٣٥٥ (الورد): قَالَ ﷺ: «الْوَرْدُ الْأَحْمَرُ مِنْ عَرَقِ جِبْرِائِيلَ
عليه السلام».

المصادر: مكارم الأخلاق، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٧٣، ص: ١٤.

٣٥٤ (الورد): قَالَ ﷺ: «الْوَرْدُ الْأَصْفَرُ مِنْ عَرَقِ الْبَرَقِ».

المصادر: مكارم الأخلاق، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٧٣، ص: ١٤.

(أما): عن أبي محمد العسكري عليه السلام، عن جابر بن عبد الله قال؛ ١١٥
سأل ابن صوريا النبي ﷺ فقال: أخبرني يا محمد! الولد يكون
من الرجل أو من المرأة؟ فقال النبي ﷺ: «أَمَّا الْعِظَامُ
وَالْعَصَبُ وَالْعُرُوقُ فَمِنْ الرَّجُلِ، وَأَمَّا اللَّحْمُ وَالْدَّمُ وَالشَّعْرُ
فَمِنْ الْمَرْأَةِ...».

المصادر: الاحتجاج، ج: ١، ص: ٤٣. تفسير الإمام العسكري، ص:
٤٥٣. بحار الأنوار، ج: ٩، ص: ٢٨٦-٢٨٧.

(أن): رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام - مَا
مَعْنَاهُ: «أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مِنْ أَرْبَعَةِ عَشَرَ شَيْئًا، أَرْبَعَةٌ مِنْ
أَبِيهِ، وَأَرْبَعَةٌ مِنْ أُمِّهِ، وَسِتَّةٌ مِنَ اللَّهِ.

فَالَّتِي مِنَ الْأَبِ: الْعِظْمُ، وَالْمُخُّ، وَالْعَصَبُ، وَالْعُرُوقُ.
وَالَّتِي مِنَ الْأُمِّ: الدَّمُ، وَاللَّحْمُ، وَالْجِلْدُ، وَالشَّعْرُ.
وَالَّتِي مِنَ اللَّهِ: الْحَوَاسُ الْخَمْسُ، وَالنَّفْسُ».

المصادر: الاحتجاج، ج: ١، ص: ٤٣. تفسير الإمام العسكري، ص:
٤٥٣. بحار الأنوار، ج: ٩، ص: ٢٨٦-٢٨٧.

(أن): روي عن الرضا عليه السلام: «أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْحُرُوفَ،
وَجَعَلَهَا فِعْلًا مِنْهُ».

المصادر: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٣-١٧٤. التوحيد،
ص: ٤٣٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(إن): عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «إِنَّ

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْمًا بِالْحُرُوفِ غَيْرَ مُتَصَوِّتٍ، وَبِالْلَفْظِ
غَيْرِ مُنْطَقٍ، وَبِالشَّخْصِ غَيْرِ مُجَسَّدٍ، وَبِالتَّشْبِيهِ غَيْرِ مَوْصُوفٍ،
وَبِاللَّوْنِ غَيْرِ مَصْبُوغٍ، مَنفِيٍّ عَنْهُ الْأَقْطَارُ، مُبَعَّدٌ عَنْهُ الْحُدُودُ،
مَخْجُوبٌ عَنْهُ حَسُّ كُلِّ مُتَوَهِّمٍ، مُسْتَتَرٌّ غَيْرُ مَسْتُورٍ، فَجَعَلَهُ
كَلِمَةً تَامَةً عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مَعًا، لَيْسَ مِنْهَا وَاحِدٌ قَبْلَ الْآخِرِ،
فَظَهَرَ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ؛ لِفَاقَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهَا، وَحَجَبَ مِنْهَا
وَاحِدًا، وَهُوَ الْاسْمُ الْمَكْنُونُ الْمَخْزُونُ».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١١٢. التوحيد، ص: ١٩٠. بحار الأنوار،
ج: ٤، ص: ١٦٦.

(إن): عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر، عن علي بن الحسين عليهما السلام ٣٥٧
قال: «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْعَرْشَ أَرْبَاعًا لَمْ يَخْلُقْ قَبْلَهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ
أَشْيَاءٍ؛ الْهَوَاءَ وَالْقَلَمَ وَالتُّورَ، ثُمَّ خَلَقَهُ مِنْ أَنْوَارٍ مُخْتَلَفَةٍ، فَمِنْ
ذَلِكَ التُّورِ نُورٌ أَخْضَرَ اخْضَرَّتْ مِنْهُ الْخُضْرَةُ، وَتُورٌ أَصْفَرُ
اصْفَرَّتْ مِنْهُ الصُّفْرَةُ، وَتُورٌ أَحْمَرُ احْمَرَّتْ مِنْهُ الْحُمْرَةُ، وَتُورٌ
أَبْيَضُ، وَهُوَ نُورُ الْأَنْوَارِ، وَمِنْهُ ضَوْءُ النَّهَارِ..».

المصادر: التوحيد، ص: ٣٢٥-٣٢٦. الاختصاص، ص: ٧٢. تفسير
القمي، ج: ٢، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٣٧٥.

(إن): عَنْ أَبِي مَنْصُورٍ الْمُتَطَبِّبِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ
أَصْحَابِي، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ
فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: تَرَوْنَ هَذَا الْخَلْقَ -وَأَوْمَأَ

بِيَدِهِ إِلَى مَوْضِعِ الطَّوَافِ - مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ أَوْجِبَ لَهُ اسْمَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْجَالِسُ - يَعْنِي: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَمَّا الْبَاقُونَ فَرَعَاغَ وَبَهَائِمُ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: وَكَيْفَ أَوْجِبْتَ هَذَا الْاسْمَ لِهَذَا الشَّيْخِ دُونَ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: لَأَنِّي رَأَيْتُ عِنْدَهُ مَا لَمْ أَرَهُ عِنْدَهُمْ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: لَا بُدَّ مِنْ اخْتِبَارِ مَا قُلْتَ فِيهِ مِنْهُ. قَالَ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ مَا فِي يَدِكَ. فَقَالَ: لَيْسَ ذَا رَأْيِكَ، وَلَكِنْ تَخَافُ أَنْ يَضْعُفَ رَأْيُكَ عِنْدِي، فِي إِحْلَالِكَ إِيَّاهُ الْمَحَلَّ الَّذِي وَصَفْتَ. فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: أَمَّا إِذَا تَوَهَّمْتَ عَلَيَّ هَذَا فَقُمْ إِلَيْهِ، وَتَحَفَّظْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الزَّلَلِ، وَلَا تَتَّشِي عَنَّاكَ إِلَى اسْتِرْسَالٍ؛ فَيُسَلِّمَكَ إِلَى عَقَالٍ، وَسَمُهُ مَا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. قَالَ؛ فَقَامَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَبَقِيْتُ أَنَا وَابْنُ الْمُقَفَّعِ جَالِسَيْنِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْنَا ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ قَالَ: وَيْلَكَ يَا ابْنَ الْمُقَفَّعِ! مَا هَذَا بَبَشَرٍ، وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا رُوحَانِي يَتَجَسَّدُ، إِذَا شَاءَ ظَاهِرًا، وَيَتَرَوَّحُ إِذَا شَاءَ بَاطِنًا، فَهُوَ هَذَا. فَقَالَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرِي ابْتَدَأَنِي فَقَالَ: «إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ، وَهُوَ عَلَى مَا يَقُولُونَ - يَعْنِي: أَهْلُ الطَّوَافِ - فَقَدْ سَلِمُوا وَعَظِمْتُمْ، وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَقُولُونَ، وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ؛ فَقَدْ اسْتَوَيْتُمْ وَهُمْ». فَقُلْتُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَأَيُّ شَيْءٍ نَقُولُ، وَأَيُّ شَيْءٍ يَقُولُونَ، مَا قَوْلِي

وَقَوْلُهُمْ إِلَّا وَاحِدٌ. فَقَالَ: «وَكَيْفَ يَكُونُ قَوْلُكَ وَقَوْلُهُمْ وَاحِدًا؛ وَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ لَهُمْ مَعَادًا وَثَوَابًا وَعِقَابًا، وَيَدِينُونَ بِأَنَّ فِي السَّمَاءِ إِلَهًا، وَأَنَّهَا عُمَرَانُ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ السَّمَاءَ خَرَابٌ، لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ...».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٧٤-٧٥. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٤٢.

(إن): عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ رَفَعَهُ قَالَ؛ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ (ع): «إِنَّ الْعَرْشَ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أُنُورٍ أَرْبَعَةٍ؛ نُورٍ أَحْمَرَ مِنْهُ احْمَرَّتِ الْحُمْرَةُ، وَنُورٍ أَخْضَرَ مِنْهُ اخْضَرَّتِ الْخَضِرَةُ، وَنُورٍ أَصْفَرَ مِنْهُ أَصْفَرَّتِ الصُّفْرَةُ، وَنُورٍ أَبْيَضَ مِنْهُ أَبْيَضَ الْبَيَاضُ، وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي حَمَلَهُ اللَّهُ الْحَمَلَةَ...».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٢٩. بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ١٠.

(إن): عَنْ الرِّضَا (ع) مِنْ قَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا فَرْدًا قَائِمًا بِذَاتِهِ دُونَ غَيْرِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ».

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا (ع)، ج: ١، ص:

١٧٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(إن): عَنْ الصَّادِقِ (ع): «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نُورِهِ، وَصَبَّغَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، [وَأَخَذَ مِيثَاقَهُمْ لَنَا بِالْوَلَايَةِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ يَوْمَ عَرَفَتِهِمْ نَفْسَهُ]، فَاَلْمُؤْمِنُ أَخُ الْمُؤْمِنِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، أَبُوهُ النُّورُ، وَأُمُّهُ الرَّحْمَةُ».

المصادر: بصائر الدرجات، ص: ٨٠. المحاسن، ج: ١، ص: ١٣١. بحار

الأنوار، ج: ٦٤، ص: ٧٣، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر.

(إن): عَنْ حَبِيبِ السَّجِسْتَانِيِّ قَالَ؛ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ظَهْرِهِ لِيَأْخُذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِالرُّبُوبِيَّةِ لَهُ وَبِالْثَّبُوتِ لِكُلِّ نَبِيٍّ.. قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِعِبَادُونَ، وَخَلَقْتُ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَنِي وَعَبَدَنِي مِنْهُمْ، وَاتَّبَعَ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي، وَخَلَقْتُ النَّارَ لِمَنْ كَفَرَ بِي وَعَصَانِي وَلَمْ يَتَّبِعْ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي...».

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ٩. الاختصاص، ص: ٣٣٢-٣٣٣. علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٠-١١. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٢٦.

(إن): قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيُونُسَ مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ: «..إِنَّ اللَّهَ إِذَا شَاءَ شَيْئًا أَرَادَهُ، وَإِذَا أَرَادَهُ قَدَرَهُ، وَإِذَا قَدَرَهُ قَضَاهُ، وَإِذَا قَضَاهُ أَمْضَاهُ..».

المصادر: المحاسن، ج: ١، ص: ٢٤٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٢٢.

(إن): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعَرِّفَهُ بَدْءَ الدُّنْيَا مِنْذُ كَمْ خُلِقْتُ؟، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى: تَسْأَلُنِي عَنْ غَوَامِضِ عِلْمِي؟. فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَحَبُّ أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ. فَقَالَ: ...ثُمَّ خَلَقْتُ أَبَاكَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِي يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقَتَ الظُّهْرِ، وَلَمْ أَخْلُقْ مِنَ الطِّينِ غَيْرَهُ، وَأَخْرَجْتُ مِنْ صُلْبِهِ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ...».

المصادر: جامع الأخبار، ص: ١٢٥. بحار الأنوار، ج: ٥٤، ص: ٣٣.

(إن): قَالَ أَبِي الْأَحْزَارِ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ مَا خَلَقَ ١١

الْعِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ، فَإِذَا عَرَفُوهُ عَبْدُوهُ، فَإِذَا عَبْدُوهُ اسْتَعْنَوْا
بِعِبَادَتِهِ عَنْ عِبَادَةِ مَنْ سِوَاهُ».

المصادر: كنز الفوائد، ج: ١، ص: ٣٢٨. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٩.
بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٣١٢.

(أن): قول الرضا عليه السلام لعمران الصّابي: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ
يَخْلُقْ شَيْئًا فَرْدًا قَائِمًا بِذَاتِهِ دُونَ غَيْرِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ
عَلَيْهِ».

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٦.
بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

(إن): قول الصادق عليه السلام: «إِنَّ أَمْرَنَا هُوَ الْحَقُّ، وَحَقُّ الْحَقِّ،
وَهُوَ الظَّاهِرُ، وَبَاطِنُ الظَّاهِرِ، وَبَاطِنُ الْبَاطِنِ، وَهُوَ السِّرُّ، وَسِرُّ
السِّرِّ، وَسِرٌّ [الْمُسْتَسِرِّ، وَسِرٌّ مُقْتَعٌ] بِالسِّرِّ».

المصادر: بصائر الدرجات، ص: ٢٩. بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٧١، ما
بين المعقوفتين أدرجناه من المصدر.

(إن): كَقَوْلِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ ابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ حِينَ
أُنْكَرَ عَلَى الطَّائِفِينَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ، قَالَ -مَا مَعْنَاهُ-: «إِنْ كَانَ
الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ، وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ؛ فَأَنْتُمْ وَهُمْ سَوَاءٌ، وَإِنْ
كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ، وَهُوَ كَمَا يَقُولُونَ؛ فَقَدْ نَجَوْنَا
وَهَلَكْنَا».

المصادر: ورد نص هذه الرواية في خير طويل جداً، راجع: الكافي، ج: ١،
ص: ٧٤-٧٥. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٤٢.

(أن): ورد؛ «أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ أَلْفَ أَلْفِ عَالَمٍ، وَأَلْفَ أَلْفِ ٣٢٣
آدَمَ، أَنْتُمْ فِي آخِرِ تِلْكَ الْعَوَالِمِ، وَأُولَئِكَ الْآدَمِيَّينَ».

المصادر: التوحيد، ص: ٢٧٧. الخصال، ج: ٢، ص: ٦٥٢. بحار
الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٧٤.

(أنا): قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنَا التُّقَّةُ تَحْتَ الْبَاءِ».

٣٠٣

المصادر: شرح خطبة البيان، ص: ١٣، وقريب منه في: مشارق أنوار
اليقين، ص: ٢١. المحلى، ص: ٤٠٩. مصابيح الأنوار، ج: ١، ص:
٤٣٥. نور البراهين، ج: ٢، ص: ٤.

(إنا): قالوا عليهم السلام: «إِنَّا لَا نُخَاطِبُ النَّاسَ إِلَّا بِمَا يَعْرِفُونَ».

٣٥٩

المصادر: بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٤٦. التوحيد، ص: ١٢٠.

(إنا): قول علي عليه السلام: «إِنَّا أَصْحَابُ الْأَزَلِيَّةِ الْأَوَّلِيَّةِ».

٢٨٧

(إنما): أشار النبي ﷺ إلى هذا التقسيم فقال: «إِنَّمَا الْعِلْمُ ١٢
ثَلَاثَةٌ؛ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَاهُنَّ
فَهُوَ فَضْلٌ».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٣٢. وسائل الشيعة، ج: ١٧، ص:
٣٢٧. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٧٩.

(إنما): قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ مَنْ ١١
يَعْرِفُ اللَّهَ، فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ؛ كَأَنَّمَا يَعْبُدُ غَيْرَهُ هَكَذَا
ضَلَالًا...».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٨٠. تفسير العياشي، ج: ٢، ص:
١١٦. بحار الأنوار، ج: ٢٧، ص: ٥٧.

(إِنَّمَا): قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ؛ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٣٢. وسائل الشيعة، ج: ١٧، ص: ٣٢٧. بحار الأنوار، ج: ١، ص: ٢١١. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٧٩. منية المريد، ص: ١١٣.

(إِنَّمَا): قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّهُ السَّلَامُ: «إِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الثَّلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا».

المصادر: الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤٠٠. أعلام الدين، ص: ٥٩. تحف العقول، ص: ٦١. التوحيد، ص: ٣٩. هجج البلاغة، ص: ٢٧٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥٢. شرح هجج البلاغة، ج: ١٣، ص: ٧. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٩.

(أَنَّهُ): وَذَكَرَ عَلِيُّهُ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «أَنَّهُ هُوَ نُورُ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُ الْمُؤْمِنَ، وَأَنَّهُ هُوَ نُورُ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْفَرَاسَةُ».

المصدر: بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٢١.

(أَوَّلُ): قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّهُ السَّلَامُ: «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ...».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٤٠. التوحيد، ص: ٥٦. الاحتجاج، ج: ١، ص: ١٩٩. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٢٦. هجج البلاغة، ص: ٣٩. هجج الحق، ص: ٦٥.

(آيَةٌ): فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ ﷺ: «آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَفَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، وَسُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَا ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٣٢. وسائل الشيعة، ج: ١٧، ص: ٣٢٧.

٣٢٧. بحار الأنوار، ج: ١، ص: ٢١١. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٧٩. منية المريد، ص: ١١٣.

(أَيُكُونُ): قَالَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَيُكُونُ لِعَيْرِكَ مِنْ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ؛ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهَرُ لَكَ».

المصدر: إقبال الأعمال، ص: ٣٤٩. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٢٢٦.

(أَيُّهَا): وَفِي الْإِنْجِيلِ: «أَيُّهَا الْإِنْسَانُ!، اعْرِفْ نَفْسَكَ تَعْرِفْ رَبَّكَ، ظَاهِرَكَ لِلْفَنَاءِ، وَبَاطِنَكَ أَنَا».

(حرف الباء)

(بَدَتِ): فِي الدُّعَاءِ: «بَدَتِ قُدْرَتُكَ يَا إِلَهِي وَلَمْ تَبْدِ هَيْئَةُ يَا سَيِّدِي، فَشَبَّهْتُكَ وَأَتَّخَذْتُهَا بَعْضَ آيَاتِكَ أَرْبَابًا يَا إِلَهِي، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوكَ يَا إِلَهِي».

المصادر: ورد باختلافات يسيرة، راجع: مصباح المتعجب، ص: ١١٦.

فلاح السائل، ص: ٢٦١. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١١٠.

(بَلْ): فِي مَنَاطِرَاتِ الْإِمَامِ الرُّضَا عَلِيِّ بْنِ مُوسَى (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) وَاحْتِجَاجِهِ عَلَى أَرْبَابِ الْمُلُكِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَدْيَانِ الْمُتَشَكِّتَةِ فِي مَجْلِسِ الْمَأْمُونِ، قَالَ عَمْرَانُ: يَا سَيِّدِي! أَلَا تَخْبِرُنِي عَنِ الْإِبْدَاعِ، أَمْ خَلَقَ هُوَ أَمْ غَيْرُ خَلْقٍ؟ قَالَ لَهُ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بَلْ خَلَقَ سَاكِنٌ لَا يُدْرِكُ بِالسُّكُونِ، وَإِنَّمَا صَارَ خَلْقًا؛ لِأَنَّهُ شَيْءٌ مُحْدَثٌ، وَاللَّهُ الَّذِي أَحْدَثَهُ، فَصَارَ خَلْقًا لَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ اللَّهُ ﷻ وَخَلَقَهُ، لَا ثَالِثَ بَيْنَهُمَا، وَلَا ثَالِثَ غَيْرُهُمَا، فَمَا خَلَقَ اللَّهُ ﷻ لَمْ يَعِدْ أَنْ يَكُونَ

خَلَقَهُ، وَقَدْ يَكُونُ الْخَلْقُ سَاكِنًا وَمُتَحَرِّكًا، وَمُخْتَلِفًا وَمُؤْتَلِفًا، وَمَعْلُومًا وَمُتَشَابِهًا، وَكُلَّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ حَدٌّ فَهُوَ خَلْقُ اللَّهِ ﷻ.

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤. تحف العقول، ص: ٤٢٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦، وج: ٥٤، ص: ٥٠.

(حرف التاء)

(تدلج): قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تُدَلِّجُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُدَلِّجِ مِنْ خَلْقِكَ». ١٢٦

المصادر: من أدعية قيام الليل، مروي عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، راجع: الكافي، ج: ٢، ص: ٥٣٨. تهذيب الأحكام، ج: ٢، ص: ١٢٣. وسائل الشيعة، ج: ٦، ص: ٣٤. مفتاح الفلاح، ص: ٢٩٣. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٨٧.

(تعلم): قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيُونُسَ: «تَعْلَمُ مَا الْمَشِئَةُ؟». قَالَ: لَا. ٣٣٧

قَالَ: هِيَ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ، تَعْلَمُ مَا الْإِرَادَةُ؟. قَالَ: لَا. قَالَ: هِيَ الْعَزِيمَةُ عَلَى مَا يَشَاءُ، تَعْلَمُ مَا الْقَدَرُ؟. قَالَ: لَا. قَالَ: هِيَ الْهَنْدَسَةُ، وَوَضْعُ الْحُدُودِ مِنَ الْبَقَاءِ وَالْفَنَاءِ.

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٧-١٥٨. تفسير القمي، ج: ١، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١١٦-١١٧.

(حرف الشاء)

(ثم): قَالَ الإمام الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي احتجاجه عَلَى أرباب الملل ٣٦٧

المختلفة والأديان المتشعبة فِي مجلس المأمون: «.. ثُمَّ جَعَلَ الْحُرُوفَ بَعْدَ إِخْصَائِهَا وَإِحْكَامِ عِدَّتِهَا فِعْلًا مِنْهُ، كَقَوْلِهِ ﷻ: «كُنْ

﴿يَكُونُ﴾، وَ﴿كُنْ مِنْهُ صُنْعٌ﴾، وَ﴿مَا يَكُونُ﴾ بِهِ الْمَصْنُوعُ..».

المصادر: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٣-١٧٤. التوحيد، ص: ٤٣٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(ثم): قال الإمام الرضا عليه السلام في احتجاجه على أرباب الملل ٣٧٤ المختلفة والأديان المتشعبة في مجلس المأمون: «.. ثُمَّ جَعَلَ الْحُرُوفَ بَعْدَ إِحْصَائِهَا وَإِحْكَامِ عِدَّتِهَا فَعَلَّا مِنْهُ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، وَ﴿كُنْ مِنْهُ صُنْعٌ﴾، وَ﴿مَا يَكُونُ﴾ بِهِ الْمَصْنُوعُ، فَالْخَلْقُ الْأَوَّلُ مِنَ اللَّهِ ﷻ: الْإِبْدَاعُ، لَا وَزْنَ لَهُ، وَلَا حَرَكَةَ، وَلَا سَمْعَ، وَلَا لَوْنَ، وَلَا حِسَّ، وَالْخَلْقُ الثَّانِي: الْحُرُوفُ، لَا وَزْنَ لَهَا، وَلَا لَوْنَ، وَهِيَ مَسْمُوعَةٌ مَوْصُوفَةٌ، غَيْرَ مَنْظُورٍ إِلَيْهَا..».

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٣-١٧٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(ثم): قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ثُمَّ رَجَعَهُمْ إِلَى الطِّينِ» ١٢٩

(حرف الجيم)

(جعل): قول الإمام عليه السلام: «جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ ١٠٢ أَجَابُوهُ».

٣٦١

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ١٢. تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ٣٧. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٥٧.

(جميع): قال أمير المؤمنين عليه السلام: «جَمِيعُ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى فِي ٣٠٣ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَجَمِيعُ مَا فِي الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ،

وَجَمِيعُ مَا فِي الْقُرْآنِ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَجَمِيعُ مَا فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي بِسْمِ اللَّهِ، وَجَمِيعُ مَا فِي بِسْمِ اللَّهِ فِي الْبَاءِ، وَجَمِيعُ مَا فِي الْبَاءِ فِي النُّقْطَةِ تَحْتَ الْبَاءِ، وَأَنَا النُّقْطَةُ تَحْتَ الْبَاءِ».

المصادر: شرح خطبة البيان، ص: ١٣، وقريب منه في: مشارق أنوار اليقين، ص: ٢١. المجلي، ص: ٤٠٩. مصابيح الأنوار، ج: ١، ص: ٤٣٥. نور البراهين، ج: ٢، ص: ٤.

(حرف الذال)

٤٣ (ذهب): لأَنَّهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ قالوا: «..ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عُيُونٍ كَدِرَةٍ يُفْرِغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْنَا إِلَى عُيُونٍ صَافِيَةٍ تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهَا، لَا نَفَادَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ».

المصادر: الكافي - الشيخ الكليني، ج: ١، ص: ١٨٤.

(حرف الراء)

١٨ (رحمه): وعن داود أبي هاشم الجعفري قال؛ قلت لأبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما تقول في هشام بن الحكم؟، فقال: «رَحِمَهُ اللَّهُ، مَا كَانَ أَذْبَهُ عَنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ».

المصادر: راجع لأحواله: الفهرست؛ للطوسي، ص: ١٧٤-١٧٥. رجال ابن داود، ص: ٣٦٧. رجال العلامة الحلي، ص: ١٧٨. رجال الكشي، ص: ٢٥٥.

(حرف الصاد)

٣٦٧ (صور): سئل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن العالم العلوي فقال: «صُورٌ عَارِيَةٌ عَنِ الْمَوَادِّ، عَالِيَةٌ عَنِ الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعْدَادِ، تَجَلَّى لَهَا فَأَشْرَقَتْ،

وَطَالَعَهَا فَتَلَأَلَتْ، وَأُلْقَى فِي هَوَيْتِهَا مِثَالُهُ، فَأَظْهَرَ عَنْهَا أَفْعَالَهُ،
وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ذَا نَفْسٍ نَاطِقَةٍ، إِنَّ زَكَاةَهَا بِالْعِلْمِ فَقَدْ شَابَهَتْ
جَوَاهِرَ أَوَائِلِ عِلَلِهَا، وَإِذَا اعْتَدَلَ مِرَاجُهَا وَفَارَقَتْ الْأَضْدَادَ
فَقَدْ شَارَكَ بِهَا السَّبْعَ الشَّدَادَ».

المصادر: المناقب، ج: ٢، ص: ٤٩. غرر الحكم، ص: ٢٣١. الصراط
المستقيم، ج: ١، ص: ٢٢٢. بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٥.

(حرف الطاء)

(ظهرت): وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ظَهَرَتِ الْمَوْجُودَاتُ
مِنْ بَاءِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

المصادر: ورد ما يُشبهه في مصابيح الأنوار، ج: ١، ص: ٣٤٥. نور
البراهين، ج: ٢، ص: ٣.

(حرف العين)

(علم): عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ؛ سُئِلَ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ عِلْمُ
اللَّهِ؟ قَالَ: «عِلْمٌ وَشَاءٌ، وَأَرَادَ وَقَدَّرَ، وَقَضَى وَأَمْضَى، فَأَمْضَى
مَا قَضَى، وَقَضَى مَا قَدَّرَ، وَقَدَّرَ مَا أَرَادَ، فَبِعِلْمِهِ كَانَتْ
الْمَشِيئَةُ، وَبِمَشِيئَتِهِ كَانَتْ الْإِرَادَةُ، وَبِإِرَادَتِهِ كَانَ التَّقْدِيرُ،
وَبِتَقْدِيرِهِ كَانَ الْقَضَاءُ، وَبِقَضَائِهِ كَانَ الْإِمْضَاءُ، وَالْعِلْمُ مُتَقَدِّمٌ
عَلَى الْمَشِيئَةِ، وَالْمَشِيئَةُ ثَانِيَةٌ، وَالْإِرَادَةُ ثَالِثَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ وَاقِعٌ
عَلَى الْقَضَاءِ بِالْإِمْضَاءِ...».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٤٨-١٤٩. التوحيد، ص: ٣٣٤. بحار
الأنوار، ج: ٥، ص: ١٠٢.

(حرف الفاء)

(فبالمشيئة): من حديث الكاظم عليه السلام في قوله: «فَبِالْمَشِيئَةِ كَانَتْ الْإِرَادَةُ، وَبِالْإِرَادَةِ كَانَ الْقَدَرُ... إلخ».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٤٨-١٤٩. التوحيد، ص: ٣٣٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٠٢.

(فجعلتهم): قال الحجة عليه السلام في دعاء شهر رجب: ٢٥٤ «فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأَرْكَانًا لِتَوْحِيدِكَ وَآيَاتِكَ وَعِلَامَاتِكَ، وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيلُ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتَقْهَرُ وَرَتَّقُهَا بِيَدِكَ، بَدْوُهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ..».

المصدر: إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. الصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح المتعبد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٣٩٣.

(فنسألك): في أدعية يوم السابع والعشرين من رجب: ٣١٠ «فَنَسْأَلُكَ بِهِ، وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ، الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ؛ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ».

المصادر: إقبال الأعمال، ص: ٦٧٨. البلد الأمين، ص: ١٨٤. الصباح للكفعمي، ص: ٥٣٦. مصباح المتعبد، ص: ٨١٥.

(في): عن صالح بن سهل قال؛ سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقرأ: ٢١ «وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ»، قال: «فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

عليه السلام».

المصادر: تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٤٧٧. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ١٥٨.

(في): عن علي بن يونس بن بهمن قال؛ قلت للرّضا عليه السلام: ٨٩
جُعِلَتْ فِدَاكَ، إِنَّ أَصْحَابَنَا قَدْ اخْتَلَفُوا، فَقَالَ: «فِي أَيِّ شَيْءٍ ٢٤٧
اخْتَلَفُوا... قلت: جُعِلَتْ فِدَاكَ، مِنْ ذَلِكَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ زُرَّارَةُ
وهشام بن الحكم، فقال: زُرَّارَةُ النَّفِيِّ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلَيْسَ
بِمَخْلُوقٍ. وَقَالَ هِشَامُ: إِنَّ النَّفْيَ شَيْءٌ. فَقَالَ لِي: قُلْ فِي هَذَا
بِقَوْلِ هِشَامٍ، وَلَا تَقُلْ بِقَوْلِ زُرَّارَةَ».

المصادر: بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٣٢٢.

(حرف القاف)

(قد): رُوي عَنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قَدْ أَمَرْنَا أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ إِلَّا عَلَى ٣٥٩
قَدْرِ عُقُولِهِمْ».

المصادر: بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٤٦. التوحيد، ص: ١٢٠.

(قد): قَالَ الرّضا عليه السلام فِي كَلَامِهِ مَعَ عِمْرَانَ الصَّبَّاءِ، وَهُوَ ١٨٦
طَوِيلٌ مَرْوِي فِي التَّوْحِيدِ وَالْعَيُونِ: «قَدْ عَلِمَ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ أَنْ ٢٩٩
الْاِسْتِدْلَالَ عَلَى مَا هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هَاهُنَا». ٣٢٠

المصادر: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٥. التوحيد، ص: ٤٣٨. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

(قل): أَشَارَ الصَّادِقُ عليه السلام -لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ اخْتِلَافِ زُرَّارَةَ ٨٩
وَهِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فِي النَّفْيِ، هَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ أَمْ لَا؟، فَقَالَ زُرَّارَةَ: ٢٤٧

لَيْسَ بِشَيْءٍ. وَقَالَ هِشَامُ: النَّفْيُ شَيْءٌ- فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قُلْ بِقَوْلِ هِشَامٍ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ».

المصادر: بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٣٢٢.

(حرف الكاف)

(كان): عن شعيب الحداد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال - في ٢٤٨ تفسيره للآية-: «كَانَ مَذْكُورًا فِي الْعِلْمِ، وَلَمْ يَكُنْ مَذْكُورًا فِي الْخَلْقِ».

المصدر: بحار الأنوار، ج: ٥٧، ص: ٣٢٨.

(كان): قال الصادق عليه السلام: «كَانَ مَذْكُورًا فِي الْعِلْمِ، وَلَمْ يَكُنْ مُكُونًا».

المصدر: بحار الأنوار، ج: ٥٧، ص: ٣٢٨.

(كشف): قال عليه السلام: «كَشَفُ سُبُحاتِ الْجَلالِ مِنْ غَيْرِ إِشارة».

المصادر: جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وص: ١٧٠.

(كل): بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُلَّ مَا مَيَّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَدَقِّ مَعَانِيهِ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ [مَصْنُوعٌ] مِثْلُكُمْ، مَرْدُودٌ إِلَيْكُمْ».

المصادر: روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، وما بين المعقوفين نقلناه من المصدر، راجع: بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٣.

(كل): دُعَاءُ يَوْمِ السَّبْتِ - رَوَاهُ فِي الْمَصْبَاحِ - قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُلُّ شَيْءٍ سِوَاكَ قَامَ بِأَمْرِكَ».

المصادر: مصباح التهجيد، ص: ٤٣١. البلد الأمين، ص: ٩٧. بحار

الأنوار، ج: ٨٧، ص: ١٤٨.

(كل): «كُلُّ مَا مَيِّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَدَقِّ مَعَانِيهِ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ [مَصْنُوعٌ] مِثْلَكُمْ، مَرْدُودٌ إِلَيْكُمْ».

المصادر: روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، وما بين المعقوفين نقلناه من المصدر، راجع: بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٣.

(كل): قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كُلُّ الْعُلُومِ تُنْذَرُ فِي الْكُتُبِ الْأَرْبَعَةِ، وَعُلُومُهَا فِي الْقُرْآنِ، وَعُلُومُ الْقُرْآنِ فِي الْفَاتِحَةِ، وَعُلُومُ الْفَاتِحَةِ فِي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَعُلُومُهَا فِي بَاءِ بِسْمِ اللَّهِ».

المصادر: مصابيح الأنوار، ج: ١، ص: ٣٤٥. نور البراهين، ج: ٢، ص: ٣.

(كل): قول الصادق عليه السلام - في الدعاء -: «كُلُّ شَيْءٍ سِوَاكَ قَامَ بِإِمْرِكَ».

المصادر: من دعاء يوم السبت؛ راجع: البلد الأمين، ص: ٩٧. مصباح المتعبد، ص: ٤٣١. بحار الأنوار، ج: ٨٧، ص: ١٤٨.

(كلما): عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: «كُلَّمَا مَيِّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَدَقِّ مَعَانِيهِ؛ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مِثْلَكُمْ، مَرْدُودٌ إِلَيْكُمْ، وَلَعَلَّ النَّمْلَ الصَّغَارَ تَتَوَهَّمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَبَانِيَّتَيْنِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَمَا لَهَا، وَتَتَوَهَّمُ أَنَّ عَدَمَهَا نُقْصَانٌ لِمَنْ لَا يَتَّصِفُ بِهِمَا، وَهَذَا حَالُ الْعُقَلَاءِ فِيمَا يَصِفُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ».

المصادر: كلمات مكنونة، ص: ١٩. بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٢ -

٢٩٣.

- (كلما): قال عليه السلام: «كُلَّمَا مَيَّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ، وَأَدْرَكْتُمُوهُ ١٣٤
مَثَلًا فِي نُفُوسِكُمْ، وَمُصَوِّرًا فِي أَذْهَانِكُمْ؛ فَهُوَ مُحَدَّثٌ مَصْنُوعٌ ١٧٢
مِثْلُكُمْ».

المصادر: إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٧٢.

- (كلما): قَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ - حَدِيثِ الْأَسْرَارِ -: ١٢٧
«كُلَّمَا رَفَعْتُ لَهُمْ عِلْمًا، وَضَعْتُ لَهُمْ حِلْمًا، وَلَيْسَ لِمَحَبَّتِي
غَايَةٌ وَلَا نِهَآيَةٌ».

المصادر: إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٩٩. بحار الأنوار، ج: ٧٤،
ص: ٢١-٢٢.

- (كلما): قول الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، حيث ٢٦٠
قال: «كُلَّمَا مَيَّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ، فِي أَدَقِّ مَعَانِيهِ؛ مَخْلُوقٌ
مَصْنُوعٌ مِثْلُكُمْ، مَرْدُودٌ إِلَيْكُمْ».

المصادر: بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٢. ويقرب منه ما في إرشاد
القلوب، ج: ١، ص: ١٧٢.

- (كنت): إشارة إلى قوله تعالى: «كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا، فَأَحْبَبْتُ ١٣
أَنْ أُعْرَفُ؛ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِكَيِّ أُعْرَفَ».

المصادر: شرح توحيد الصدوق، ج: ٤، ص: ٤٠. جامع الأسرار، ص: ٢٧٢
١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٩٩-٣٤٤.

- (كنهه): قَالَ الرِّضَا عليه السلام: «كُنْهَهُ تَفْرِيقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، ١٧١
وَعُيُوزُهُ تَحْدِيدُهُ لِمَا سِوَاهُ».

المصادر: رواه محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٨. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٨.

(حرف اللام)

(لا): عن حريز بن عبد الله أو عبد الله بن مسكان قال؛ قال أبو جعفر عليه السلام: «لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا بِهَذِهِ الْخِصَالِ السَّبْعَةِ؛ بِمَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ، وَقَدَرٍ وَقَضَاءٍ، وَإِذْنٍ وَكِتَابٍ وَأَجَلٍ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْصِ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ كَفَرَ».

المصادر: المحاسن، ج: ١، ص: ٢٤٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٢١.

(لا): عن زكريا بن عمران، عن أبي الحسن الأول عليه السلام، قال: «لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا بِسَبْعَةٍ؛ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ وَإِرَادَةٍ، وَمَشِيئَةٍ وَكِتَابٍ، وَأَجَلٍ وَإِذْنٍ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، أَوْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ تعالى».

المصادر: الخصال، ج: ٢، ص: ٣٥٩. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٨٨.

(لا): قَالَ عليه السلام، فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: «لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا».

المصادر: نهج البلاغة، ص: ٢٦٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ٢٠٤. شرح نهج البلاغة، ج: ١٣، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٦١.

(لا): قول الصادق عليه السلام: «لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا بِسَبْعَةٍ؛ بِمَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ، وَقَدَرٍ وَقَضَاءٍ، وَإِذْنٍ وَأَجَلٍ

وَكِتَابٍ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْصِ وَاحِدَةٍ فَقَدْ كَفَرَ».

المصادر: المحاسن، ج: ١، ص: ٢٤٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٢١.

(لأنه): قال الرضا عليه السلام: «...لأنه لا يؤلف شيء من ثلاثة أحرف أو أربعة أحرف، أو أكثر أو أقل، إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك».

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص:

١٧٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٥.

(لأنها): روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل لم سُميت الكعبة كعبة؟ قال: «لأنها مُربَّعةٌ. فقيل له: ولم صارت مُربَّعةً. قال: لأنها بحذاء البيت المعمور، وهو مُربَّع. فقيل له: ولم صار البيت المعمور مُربَّعاً؟ قال: لأنه بحذاء العرش، وهو مُربَّع. فقيل له: ولم صار العرش مُربَّعاً؟ قال: لأن الكلمات التي بُني عليها الإسلام أربع؛ وهي سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

المصادر: من لا يحضره الفقيه، ج: ٢، ص: ١٩. علل الشرائع، ج: ٢،

ص: ٣٩٨. بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ٥.

(للجنة): قال سبحانه: «لِلْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي، وَلِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي».

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ٩. الاختصاص، ص: ٣٣٢-٣٣٣. علل

الشرائع، ج: ١، ص: ١٠-١١. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٢٦.

(لم): في بعض الأخبار: «لَمْ يُخْلَقْ مِنْهَا شَيْءٌ مِنَ الطِّينِ

غَيْرُكُمْ».

المصادر: جامع الأخبار، ص: ١٢٥. بحار الأنوار، ج: ٥٤، ص: ٣٣.

(لم): لأن الله سبحانه: «لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً فَرَدّاً قَائِماً بِذَاتِهِ لِلَّذِي ٣٩٤
أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ»، كما قال الرضا عليه السلام.

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص:
١٧٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(لنا): قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَنَا مَعَ اللَّهِ حَالَاتٌ نَحْنُ فِيهَا هُوَ، ١٢٨
وَهُوَ نَحْنُ، وَهُوَ هُوَ، وَنَحْنُ نَحْنُ».

المصادر: اللعة البيضاء، ص: ٢٨.

(لو): عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «لَوْ ١٤
يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي فَضْلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ ﷻ مَا مَدُّوا أَعْيُنَهُمْ إِلَى مَا
مَتَعَ اللَّهُ بِهِ الْأَعْدَاءَ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا، وَكَانَتْ
دُنْيَاهُمْ أَقْلٌ عِنْدَهُمْ مِمَّا يَطْوُونَهُ بِأَرْجُلِهِمْ، وَلَنَعْمُوا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ
ﷻ وَتَلَذُّوْا بِهَا تَلَذُّدٌ مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَانِ مَعَ
أَوْلِيَاءِ اللَّهِ. إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ ﷻ أَنْسَ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ، وَصَاحِبٌ
مِنْ كُلِّ وَحْدَةٍ، وَنُورٌ مِنْ كُلِّ ظُلْمَةٍ، وَقُوَّةٌ مِنْ كُلِّ ضَعْفٍ،
وَشِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سُقْمٍ...».

المصادر: الكافي، ج: ٨، ص: ٢٤٧.

(لولانا): قالوا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْلَانَا لَمَا عُرِفَ اللَّهُ». ٢٧٥

المصادر: بصائر الدرجات، ص: ٦١. مسائل علي بن جعفر عليه السلام،
ص: ٣. بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٥٢٠.

(حرف الميم)

(ما): أثنى الله تعالى على العقل فقال: «مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ ٤١٣ إِلَيَّ مِنْكَ، بِكَ أَثِيبُ وَبِكَ أَعَاقِبُ، وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أَحَبُّ».

المصادر: من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ٣٦٩. بحار الأنوار، ج: ٧٤، ص: ٦٠. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٩٩-١٠٠. مستطرفات السرائر، ص: ٦٢٠. مكارم الأخلاق، ص: ٤٤٢.

(ما): قوله ﷺ: «مَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أَحَبَّتْ».

٤١٣

المصادر: أعلام الدين، ص: ١٧٢. كنز الفوائد، ج: ١، ص: ٥٧.

(مالك): روي عن كميل بن زياد؛ أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام ٣٥١ عن الحقيقة الحمديّة بقوله: ما الحقيقة؟ فقال عليه السلام له: «مَالِكٌ وَالْحَقِيقَةُ؟» فقال كميل: أ ولستُ صاحب سرِّك؟ قال عليه السلام: بَلَى، وَلَكِنْ يَرُشِّحُ عَلَيْكَ مَا يَطْفَحُ مِنِّي. فقال كميل: أو مثلك يُخَيِّبُ سائلاً! قال عليه السلام: الْحَقِيقَةُ؛ كَشَفُ سُبْحَاتِ الْجَلَالِ مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ. فقال كميل: زدني فيه بياناً. قال عليه السلام: هَتَكَ السَّرَّ لِغَلْبَةِ السُّرْرِ. فقال كميل: زدني فيه بياناً. قال عليه السلام: نُورٌ أَشْرَقَ مِنْ صُبْحِ الْأَزَلِ، فَيَلُوحُ عَلَى هَيَاكِلِ التَّوْحِيدِ آثَارُهُ. فقال كميل: زدني فيه بياناً. قال عليه السلام: أَطْفَأِ السَّرَاجَ، فَقَدْ طَلَعَ الصُّبْحُ».

المصادر: الأسرار ومنع الأنوار، ص: ٢٨، وص: ١٧٠.

(محو): قَالَ عَلِيٌّ لِكَمِيلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَحْوُ الْمَوْهُومِ، وَصَحْوُ الْمَعْلُومِ».

المصادر: جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وص: ١٧٠.

(معرفة): جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: ما رأس العلم؟ ١٣
قال ﷺ: «مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ».

المصادر: التوحيد، ص: ٢٨٤-٢٨٥. جامع الأخبار، ص: ٥. مشكاة الأنوار، ص: ١٠. منية المريد، ص: ٣٦٦-٣٦٧. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ١٤.

(من): عن أبي الحسن موسى عليهما السلام، عن آبائه عليهم السلام قال؛ قال ٢٧٥
رسول الله ﷺ: «..مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنَّا، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ».

المصادر: من الزيارة الجامعة الكبيرة، راجع: من لا يحضره الفقيه، ج: ٢، ص: ٦١. تهذيب الأحكام، ج: ٦، ص: ٩٩. مستدرک الوسائل، ج: ١٠، ص: ٤٢٣. بحار الأنوار، ج: ٩٩، ص: ١٣١. البلد الأمين، ص: ٣٠٠. عيون أخبار الرضا عليهما السلام، ج: ٢، ص: ٢٧٦.

(من): قَالَ عَلِيٌّ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ؛ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ».

المصادر: مصباح الشريعة، ص: ١٣. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. غرر الحكم، ص: ٢٣٢. عوالي الآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٣٢.

(من): قال أمير المؤمنين عليهما السلام: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ

المصادر: غرر الحكم، ص: ٢٣٢. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢.
 الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ١٥٦. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤.
 شرح نهج البلاغة، ج: ٢٠، ص: ٢٩. بحار الأنوار، ج: ٥٨، ص: ٩٩٢.

(من): قالوا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ عَرَفَنَا عَرَفَ اللَّهَ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنَا لَمْ يَعْرِفَ اللَّهَ».

المصادر: بحار الأنوار، ج: ١٦، ص: ٣٦٤ - ج: ٢٣، ص: ١٢٨.
 الأمالي للصدوق، ص: ٦٥٧. كمال الدين، ج: ١، ص: ٢٦١.

(منه): عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ، قوله: «مِنْهُ الْبَيَاضُ، وَمِنْهُ ضَوْؤُ النَّهَارِ».

المصادر: التَّوْحِيد، ص: ٣٢٥-٣٢٦. الاختصاص، ص: ٧٢. تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٣٧٥.

(نحن): أشار إليه الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في الرواية عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، ١٩٢
 عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ قَالَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ:
 «نَحْنُ الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ لِمَنْ
 أَقَرَّ بِفَضْلِنَا، حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْتُونَا؛ فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ
 وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً﴾، وَالْقُرَى الظَّاهِرَةُ:
 الرُّسُلُ وَالنَّقْلَةُ عَنَّا إِلَى شِيعَتِنَا وَفُقَهَاءُ شِيعَتِنَا إِلَى شِيعَتِنَا.
 وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾؛ فَالسَّيْرُ مَثَلٌ لِلْعِلْمِ يَسِيرُ بِهِ
 ﴿لِيَالِي وَأَيَّامًا﴾؛ مَثَلًا لِمَا يَسِيرُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ فِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ
 عَنَّا إِلَيْهِمْ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْفَرَائِضِ. ﴿آمِنِينَ﴾ فِيهَا إِذَا
 أَخَذُوا عَنْ مَعْدِنِهَا الَّذِي أَمَرُوا أَنْ يَأْخُذُوا عَنْهُ، آمِنِينَ مِنْ

الشَّكُّ وَالضَّلَالِ، وَالثَّقَلَةُ إِلَى الْحَرَامِ مِنَ الْحَلَالِ، فَهُمْ أَخَذُوا
الْعِلْمَ عَمَّنْ وَجَبَ لَهُمْ بِأَخَذِهِمْ عَنْهُمْ الْمَغْفِرَةُ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ
مِيرَاثِ الْعِلْمِ مِنْ آدَمَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا، ذُرِّيَّةٌ مُصَفَّاءٌ بَعْضُهَا
مِنْ بَعْضٍ...».

المصادر: الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٢٧. تأويل الآيات الظاهرة، ص:
٤٦٢. وسائل الشيعة، ج: ٢٧، ص: ١٥٢. مستدرک الوسائل، ج:
١٧، ص: ٣١٦.

(حرف النون)

(نحن): أشاروا عَلَيْهِ السَّلَامُ بقولهم: «نَحْنُ الْأَعْرَافُ الَّذِينَ لَا يُعْرِفُ
اللَّهُ إِلَّا بِسَبِيلٍ مَعْرِفَتَنَا».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٨٤. تأويل الآيات الظاهرة، ص: ١٨.
تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ١٩. تفسير فرات الكوفي، ص: ١٤٣.
بصائر الدرجات، ص: ٤٩٧. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٣٨.

(نور): قول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لكميل في قوله: «نُورٌ أَشْرَقَ مِنْ صُبْحِ
الْأَزَلِ».

المصادر: جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وص: ١٧٠.

(حرف الهاء)

(هو): إِشَارَةٌ بِقَوْلِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ،
وَالْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ».

المصادر: التوحيد، ص: ٣٦١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤١٤.
الاختصاص، ص: ١٩٨. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٦٣. تحف

العقول، ص: ٣٧. العدد القوية، ص: ٣٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام،
ج: ١، ص: ١٤٤. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

(هو): عن عيسى بن راشد، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، في ٣٢٥
قوله: «كَمْشَكَاةٌ فِيهَا مِصْبَاحٌ»، قال: «هُوَ نُورُ الْعِلْمِ فِي
صَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ، «الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ»؛ وَالزُّجَاجَةُ: صَدْرُ
عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، صَارَ عِلْمُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى صَدْرِ عَلِيٍّ، عِلْمُ النَّبِيِّ
عَلِيًّا (صلى الله عليه وآله) عِلْمُهُ. «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ»؛
نُورُ الْعِلْمِ. «لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ»؛ لَا يَهُودِيَّةٌ وَلَا نَصْرَانِيَّةٌ.
«يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ»؛ قال: يَكَادُ الْعَالَمُ
مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ يَتَكَلَّمُ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَ. «نُورٌ عَلَى نُورٍ»؛
أَي: إِمَامٌ مُؤَيَّدٌ بِنُورِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، فِي أَثَرِ إِمَامٍ مِنْ آلِ
مُحَمَّدٍ، وَذَلِكَ مِنْ لَدُنِ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَهَؤُلَاءِ
الْأَوْصِيَاءُ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ خُلَفَاءَهُ فِي أَرْضِهِ، وَحُجَجَهُ عَلَى
خَلْقِهِ؛ لَا تَخْلُو الْأَرْضُ فِي كُلِّ عَصْرِ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٩٥. تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٣٥.
تفسير فرائد الكوفي، ص: ٢٨١. تفسير القمّي، ج: ٢، ص: ١٠٣.
التوحيد، ص: ١٥٧. الصراط المستقيم، ج: ٢، ص: ٤٢. كشف
اليقين، ص: ٤١٦. معاني الأخبار، ص: ١٥. المناقب، ج: ١، ص:
٢٨٠. نهج الحق، ص: ٢٠٧.

(هي): عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ؛ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَمَّا
يَرَوْنَهُ (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)؟، فَقَالَ: «هِيَ صُورَةُ

مُحَدَّثَةٌ مَخْلُوقَةٌ، اصْطَفَاهَا اللَّهُ وَاخْتَارَهَا عَلَى سَائِرِ الصُّورِ
الْمُخْتَلَفَةِ، فَأَصَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ، كَمَا أَصَافَ الْكَعْبَةَ إِلَى نَفْسِهِ،
وَالرُّوحَ إِلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: ﴿يَبْنِي﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٥]،
وَقَالَ: ﴿نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [سورة ص، الآية: ٢٩].

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٣٤. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٢٣.
التوحيد، ص: ١٠٣.

(حرف الواو)

١٧٤ (وَأَسْمَاؤُهُ): قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَأَسْمَاؤُهُ تَغْيِيرٌ، وَصِفَائُهُ
تَفْهِيمٌ».

المصادر: التوحيد، ص: ٣٦. الأمالي للمفيد، ص: ٢٥٥. الأمالي
للطوسي، ص: ٢٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١.
العدد القوية، ص: ٢٩٥. تحف العقول، ص: ٦٣. أعلام الدين، ص:
٦٩. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٩.

٣١٤ (واعلم): قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْوَاحِدَ... لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا
فَرْدًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ دُونَ غَيْرِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى
نَفْسِهِ».

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص:
١٧٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

٣٦٧ (وَأَلْقَى): قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَأَلْقَى فِي هَوِيَّتِهَا مِثْلَهُ،
فَظَهَرَ عَنْهَا أَفْعَالُهُ...».

المصادر: المناقب، ج: ٢، ص: ٤٩. غرر الحكم، ص: ٢٣١. الصراط

المستقيم، ج: ١، ص: ٢٢٢. بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٥.

(والله): من مناظرات الإمام الرضا علي بن موسى (صلوات الله عليه) واحتجاجه على أرباب الملل المختلفة، والأديان المتشعبة في مجلس المأمون، قال عليه السلام: «..وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَابِقٌ لِلْإِبْدَاعِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَلَا كَانَ مَعَهُ شَيْءٌ، وَالْإِبْدَاعُ سَابِقٌ لِلْخُرُوفِ، وَالْخُرُوفُ لَا تَذُلُّ عَلَى غَيْرِ نَفْسِهَا. قَالَ الْمَأْمُونُ: وَكَيْفَ لَا تَذُلُّ عَلَى غَيْرِ نَفْسِهَا؟ قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَجْمَعُ مِنْهَا شَيْئًا لَغَيْرِ مَعْنَى أَبَدًا، فَإِذَا أَلْفَ مِنْهَا أَحْرَفًا أَرْبَعَةً أَوْ خَمْسَةً أَوْ سِتَّةً أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَقَلُّ لَمْ يُؤْلَفْهَا لَغَيْرِ مَعْنَى، وَلَمْ يَكْ إِلَّا لِمَعْنَى مُحَدَّثٍ، لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ شَيْئًا..».

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٥.

(وباسمك): في الدعاء: «وَبِاسْمِكَ الَّذِي اسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ».

المصادر: إقبال الأعمال، ص: ٦٧٨. البلد الأمين، ص: ١٨٤. المصباح للكفعمي، ص: ٥٣٦. مصباح المتعبد، ص: ٨١٥.

(وذلك): قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «وَذَلِكَ أَنِّي أُولَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أُولَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي».

المصادر: ورد بطرق متعدده، وبألفاظ مختلفه، راجع: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٢. تفسير العياشي، ج: ١، ص: ٢٥٨. تفسير القمي، ج: ٢،

ص: ٢١٠. التوحيد، ص: ٣٣٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١،
ص: ١٤٣. ١٤٣. فقه الرضا عليه السلام، ص: ٣٤٩-٣٥٠. قرب الإسناد، ص:
١٥١. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

(وغبور): قوله عليه السلام: «وَعَبُورُهُ تَجْدِيدٌ لِمَا سِوَاهُ».
المصادر: التوحيد، ص: ٣٦.

(وكمال): أشار علي عليه السلام بقوله: «وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ
الصِّفَاتِ عَنْهُ، بِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ... إلخ».
المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٤٠. التوحيد، ص: ٥٧.

(وكمال): قال عليه السلام: «وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ
الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ
الْمَوْصُوفِ... إلخ».

المصادر: نهج البلاغة، ص: ٣٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ١٩٩. عوالي
اللايلي، ج: ٤، ص: ١٢٦. نهج الحق، ص: ٦٥.

(ومقاماتك): قَالَ الْحُجَّةُ عليه السلام فِي الْإِشَارَةِ إِلَى ذَلِكَ فِي دُعَاءِ
رَجَبٍ: «وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيلُ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ
بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ،
فَتَقُهَا وَرَتَقُهَا بِيَدِكَ، بَدُوْهَا مِنْكَ، وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ... إلخ».

المصادر: إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح
للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح المتعبد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج:
٩٥، ص: ٩٣.

(ونور): عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «وَنُورٌ أَيْضٌ، مِنْهُ

أَبْيَضُ الْبَيَاضُ...».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٢٩. بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ١٠.
(وهذا): روى محمد بن علي الطرازي بإسناده إلى أبي علي بن ٢٨٩
إسماعيل بن يسار قال: لَمَّا حَمَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى بَغْدَادَ، وَكَانَ
ذَلِكَ فِي رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً، دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ، وَهُوَ
مِنْ مَذْخُورِ أَدْعِيَةِ رَجَبٍ: «...وَهَذَا رَجَبُ الْمُرْجَبِ [الْمَكْرَمِ]،
الَّذِي أَكْرَمْتَنَا بِهِ، أَوَّلَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، أَكْرَمْتَنَا بِهِ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ،
يَا ذَا الْجُودِ وَالْكَرَمِ، فَتَسَأَلُكَ بِهِ، وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ
الْأَعْظَمِ، الْأَجَلِ الْأَكْرَمِ، الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ، فَلَا
يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ؛ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ
الطَّاهِرِينَ».

المصادر: إقبال الأعمال، ص: ٦٧٨. البلد الأمين، ص: ١٨٤. الصباح
للكفعمي، ص: ٥٣٦. مصباح المتجهد، ص: ١٥.

(حرف الياء)

(يا): روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ رَبَّهُ ١٢٧
سُبْحَانَهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَقَالَ: «يَا رَبِّ! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟» فَقَالَ
اللَّهُ تَعَالَى: لَيْسَ شَيْءٌ أَفْضَلُ عِنْدِي مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيَّ، وَالرِّضَا
بِمَا قَسَمْتُ. يَا مُحَمَّدُ! وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ
مَحَبَّتِي لِلْمُتَعَاطِفِينَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ،
وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيَّ، وَلَيْسَ لِمَحَبَّتِي عِلْمٌ وَلَا غَايَةٌ

وَلَا نِهَايَةَ، وَكُلَّمَا رَفَعْتُ لَهُمْ عِلْمًا وَضَعْتُ لَهُمْ عِلْمًا. أَوَّلِكَ
الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِنَظَرِي إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَرْفَعُوا الْحَوَائِجَ
إِلَى الْخَلْقِ، بُطُونُهُمْ خَفِيفَةٌ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، نَعِيمُهُمْ فِي الدُّنْيَا
ذِكْرِي وَمَحَبَّتِي، وَرِضَائِي عَنْهُمْ».

المصادر: إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٩٩. بحار الأنوار، ج: ٧٤،
ص: ٢١-٢٢.

(يا): عن جابر بن يزيد قال؛ سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله
عَلَيْكَ: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ
جَدِيدٍ﴾ [سورة ق، الآية: ١٥]؟ قال: «يَا جَابِرُ! تَأْوِيلُ ذَلِكَ أَنَّ
اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَفْنَى هَذَا الْخَلْقَ وَهَذَا الْعَالَمَ، وَسَكَنَ أَهْلُ الْجَنَّةِ
الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ؛ جَدَّدَ اللهُ عَالَمًا غَيْرَ هَذَا الْعَالَمِ، وَجَدَّدَ
خَلْقًا مِنْ غَيْرِ فُحُولَةٍ وَلَا إِنَاثٍ، يَعْبُدُونَهُ وَيُوحِّدُونَهُ، وَخَلَقَ لَهُمْ
أَرْضًا غَيْرَ هَذِهِ الْأَرْضِ تَحْمِلُهُمْ، وَسَمَاءَ غَيْرَ هَذِهِ السَّمَاءِ
تُظِلُّهُمْ. لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّ اللهَ إِنَّمَا خَلَقَ هَذَا الْعَالَمَ الْوَاحِدَ، وَتَرَى
أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ بَشَرًا غَيْرَكُمْ، بَلَى - وَاللهِ - لَقَدْ خَلَقَ اللهُ أَلْفَ
أَلْفِ عَالَمٍ، وَأَلْفَ أَلْفِ آدَمَ، أَنْتَ فِي آخِرِ تِلْكَ الْعَوَالِمِ،
وَأَوَّلِكَ الْآدَمِيِّينَ».

المصادر: التوحيد، ص: ٢٧٧. الخصال، ج: ٢، ص: ٦٥٢. بحار
الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٧٤.

(يا): عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
٤١٣

طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «... يَا عَلِيُّ إِنَّ أَوَّلَ خَلْقٍ خَلَقَهُ اللَّهُ ﷻ الْعَقْلُ، فَقَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَذْهَبْ، فَأَذْهَبَ. فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، مَا خَلَقْتُ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، بَكَ آخِذٌ وَبَكَ أُعْطِي، وَبَكَ أُثِيبُ وَبَكَ أُعَاقِبُ».

المصادر: من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ٣٦٩. بحار الأنوار، ج: ٧٤، ص: ٦٠. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٩٩-١٠٠. مستطرفات السرائر، ص: ٦٢٠. مكارم الأخلاق، ص: ٤٤٢.

٢٨٢ (يا): عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ؛ قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا يُونُسُ لَا تَقُلْ بِقَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ، فَإِنَّ الْقَدَرِيَّةَ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَا بِقَوْلِ أَهْلِ النَّارِ، وَلَا بِقَوْلِ إِبْلِيسَ، فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالُوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾، وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾، وَقَالَ إِبْلِيسُ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَقُولُ بِقَوْلِهِمْ، وَلَكِنِّي أَقُولُ؛ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى. فَقَالَ: يَا يُونُسُ! لَيْسَ هَكَذَا، لَا يَكُونُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى، يَا يُونُسُ! تَعْلَمُ مَا الْمَشِئَةُ؟، قُلْتُ: لَا. قَالَ: هِيَ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ، فَتَعْلَمُ مَا الْإِرَادَةُ؟. قُلْتُ: لَا. قَالَ: هِيَ الْعَرِيجَةُ عَلَى مَا يَشَاءُ، فَتَعْلَمُ مَا الْقَدَرُ؟. قُلْتُ: لَا. قَالَ: هِيَ الْهَنْدَسَةُ، وَوَضْعُ الْحُدُودِ مِنَ الْبَقَاءِ وَالْفَنَاءِ. قَالَ ثُمَّ قَالَ: وَالْقَضَاءُ هُوَ الْإِبْرَامُ وَإِقَامَةُ

الْعَيْنُ.

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٧-١٥٨. تفسير القمي، ج: ١، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١١٦-١١٧.

(يا): عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَوَرَدَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ صَاحِبُ كَلَامٍ
وَفَقِهٍ وَفَرَائِضَ، وَقَدْ جِئْتُ لِمُنَازَرَةِ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ: «... يَا حُمْرَانُ كَلِّمِ الرَّجُلَ، فَكَلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِ حُمْرَانُ.
ثُمَّ قَالَ: يَا طَافِي كَلِّمَهُ، فَكَلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِ الْأَحْوَلُ. ثُمَّ قَالَ: يَا
هَشَامَ بْنَ سَالِمٍ كَلِّمَهُ، فَتَعَارَفَا. ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لِقَيْسِ الْمَاصِرِ: كَلِّمَهُ، فَكَلَّمَهُ، فَأَقْبَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يَضْحَكُ مِنْ كَلَامِهِمَا مِمَّا قَدْ أَصَابَ الشَّامِيَّ...».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٧١-١٧٢. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٦٥. الإرشاد، ج: ٢، ص: ١٩٥. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ١٧٤. بحار الأنوار، ج: ٢٣، ص: ١٠.

(يعرفك): قالوا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ».

المصادر: من دعاء شهر رجب؛ إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح التهجد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٣٩٣.

(يمسك): في الحديث: «يُمَسِّكُ الْأَشْيَاءَ بِأَظْلَتِهَا».

المصدر: الكافي، ج: ١، ص: ٩١. التوحيد، ص: ٥٨. بحار الأنوار، ج: ٣١٠، ص: ٢٨٦.

فهرس موضوعات الكتاب

(ج: ١)

الصفحة

الموضوع

- | | |
|----|---|
| ٦ | ✽ هوية الكتاب. |
| ٧ | ✽ تقرض آية الله الميرزا عبد الله الإحقاقي (خام ظه). |
| ٩ | ✽ كلمة الناشر. |
| ١١ | مقدمة المحقق |
| ١٢ | ✽ أقسام العلوم الإسلامية: |
| ١٣ | ✽ أهم العلوم وأشرفها: |
| ١٥ | ✽ علم الكلام، نشأته، وتطوره: |
| ١٩ | ✽ مدرسة الشيخ الأحسائي تدل واهتمامها بهذا العلم: |
| ٢٠ | ✽ الشيخ الأحسائي تدل وموقفه من الفلاسفة المتقدمين: |
| ٢٢ | ✽ تنوع مصنفات أعلام المدرسة وعمقها: |
| ٢٥ | ✽ بين يدي هذه الموسوعة الحكيمة: |
| ٢٧ | ✽ أمل ورجاء، وشكر وختام: |
| ٢٩ | نقاط سريعة حول عملنا في هذه الموسوعة |

- ٣١ بحوث قبل البدء
- ٣١ (١) ميزاته كتابه شرح الفوائد
- ٣٢ (١) نصيحتي لك قبل القراءة:
- ٣٣ (٢) الكتاب جسد الجديد بما يحمله المفهوم حقاً:
- ٣٣ (٣) أسلوبه وصيغاته الحكيمة:
- ٣٥ (٤) الإبداع الفكري:
- ٣٧ (٥) الأسلوب النقدي:
- ٤١ (٦) الأسلوب المنهجي:
- ٤٣ (٢) علماء آمنوا بالحكمة ورفضوا الفلسفة
- ٤٤ ❁ رأي العلماء في الفلسفة والفلسفة:
- ٤٦ ❁ نظرية (وحدة الوجود):
- ٤٨ ❁ نظرية (استحالة إحادة المعدوم):
- ٥٠ ❁ قيمة ما يسمى بـ (البرهان الفلسفي):
- ٥٢ ❁ نهاية المطاف:
- ٥٣ وقف مع سيرة المؤلف
- ٥٣ ❁ نسبه وأسرته :
- ٥٤ ❁ مولده ونشأته:
- ٥٥ ❁ مشائخه في الرواية، وبعض من إجازاته:
- ٦٠ ❁ تلامذته والمدافعون عنه:
- ٦٢ ❁ بعض من روى عنه تلميذ:

- ٦٣ مؤلفاته :
- ٦٥ أسفاره وتنقلاته :
- ٦٨ وفاته ومدفنه :
- ٧٠ صور لصفحات من نسخ المخطوطات
- ٧٧ كتاب الفوائد
- ٧٩ مقدمة المؤلف
- ٨١ الفائدة الأولى: فِي ذِكْرِ تَفْصِيلِ الْأَدِلَّةِ الثَّلَاثَةِ، وَذِكْرِ مُسْتَدِّهَا وَشَرْطِهَا.
- ٨٧ الفائدة الثانية: فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ الْوُجُودِ.
- ٩٣ الفائدة الثالثة: فِي الْإِشَارَةِ إِلَى الْقِسْمِ الثَّانِي.
- ٩٩ الفائدة الرابعة: فِي الْإِشَارَةِ إِلَى تَقْسِيمِ الْفِعْلِ فِي الْجُمْلَةِ.
- ١٠٩ الفائدة الخامسة: فِي تِمَّةِ الْمُلْحَقَاتِ.
- ١٢١ الفائدة السادسة: فِي الْإِشَارَةِ إِلَى الْقِسْمِ الثَّالِثِ.
- ١٢٥ الفائدة السابعة: [تَكْوِينُ الْخَلْقِ الثَّانِي].
- ١٣١ الفائدة الثامنة: [أَجْزَاءُ الْمُحَدَّثِ عَلَى جِهَةِ الْإِجْمَالِ].
- ١٣٥ الفائدة التاسعة: كُلُّ شَيْءٍ لَا يُدْرِكُ مَا وَرَاءَ مَبْدِئِهِ.
- ١٤٣ الفائدة العاشرة: فِي خَلْقِ الْأَشْيَاءِ.
- ١٥١ الفائدة الحادية عشر: فِي بَيَانِ صُدُورِ الْأَفْعَالِ مِنَ الْإِنْسَانِ.
- ١٦٧ الفائدة الثانية عشر: فِي بَيَانِ ثُبُوتِ الْاِخْتِيَارِ.
- ١٨٠ [خاتمة كتاب الفوائد الاثنى عشر]:

- ١٨١ شرح الفوائد
- ١٨٣ مقدمة المؤلف
- ١٨٣ ﴿دواعي شرح متن كتاب الفوائد﴾:
- ١٨٥ ﴿لا يسقط الميسور بالمعسور﴾:
- ١٨٧ [الغاية من تأليف الكتاب]
- ١٨٨ ﴿توضعات باطلة﴾:
- ١٨٩ ﴿تعمق في الألفاظ﴾:
- ١٩٠ ﴿الترويع أسلوب فهم هذه المطالب﴾:
- ١٩١ ﴿هل ذكرت هذه المطالب سابقاً في كتاب؟﴾:
- ١٩٢ ﴿من أخذ عنهم ^{عليه} لا يخطئ﴾:
- ١٩٥ [منهجية الاستدلال]
- ١٩٥ ﴿دليل الحكمة وشروط العلمية والعملية﴾:
- ١٩٧ ﴿هل يمكن معرفته ^{بكل} بدليل المجادلة؟﴾:
- ١٩٩ ﴿لا سبيل إلا بدليل الحكمة لمن التمس الهدى﴾:
- الفائدة الأولى
- ٢٠٣ في ذكر تفصيل الأدلة الثلاثة
- ٢٠٣ ﴿محدثها وموقعها في القرآن الكريم﴾:
- ٢٠٤ [دليل الحكمة]
- ٢٠٥ ﴿ألية دليل الحكمة﴾:
- ٢٠٧ ﴿مستند دليل الحكمة﴾:

٢١٠. [ماهية دليل الحكمة]:
٢١٢. [شرط دليل الحكمة]:
٢١٧. [دليل الموعظة الحسنة]
٢١٧. [آلية دليل الموعظة الحسنة]:
٢١٩. [مستند دليل الموعظة]:
٢١٩. [شرط دليل الموعظة]:
٢٢٠. [مثال دليل الموعظة]:
٢٢٣. [دليل المجادلة بالتي هي أحسن]
٢٢٣. [دليل المجادلة؛ رتبته وخصائصه]:
٢٢٤. [دليل المجادلة؛ طبيعة آله ونهايته]:
٢٢٥. [مستند دليل المجادلة بالتي هي أحسن]:
٢٢٥. [شرط دليل المجادلة بالتي هي أحسن]:
٢٢٦. [مثال دليل المجادلة بالتي هي أحسن]:
- الفائدة الثانية
٢٢٩. في بيان معرفة الوجود، [والإشارة إلى القسم الأول]
٢٢٩. [أقسام الوجود، ووجه الحصر]:
٢٣٠. [القسم الأول؛ الوجود الحق، الذي ليس كمثله شيء]:
٢٣١. [لا يدرك الواجب بصفاته خلقه]:
٢٣٨. [لا يعرفه بغيره، ولا يحيرُه يُعرفه به]:
٢٤٣. [لماذا لا يدرك الواجب بضد؟]:

- ٢٤٧ [لماذا لا يصلح العدم لضدية الوجود؟]:
- ٢٤٩ [نفى الشراكة والشريك المطلق]:
- ٢٥٦ [لا يُعرفه إلا بما وصفه به نفسه]:
- ٢٦٣ [هو المعلوم والمجهول]:
- ٢٦٦ [جسة معلوميته نفس مجهوليته]:
- ٢٦٩ [العبارات التي تُطلق على هذا القسم]:
- ٢٦٩ الذات البحت.
- ٢٧٠ مجهول النعت.
- ٢٧٠ عين الكافور.
- ٢٧٠ شمس الأزل.
- ٢٧١ منقطع الإشارات.
- ٢٧١ المجهول المطلق، والواجب الحق، واللّاتعين.
- ٢٧٢ الكنز المخفي.
- ٢٧٣ المنقطع الوجداني.
- ٢٧٣ ذات ساذج، وذات بلا اعتبار.
- ٢٧٣ [على أي شيء تقع هذه العبارات؟]:
- الفائدة الثالثة
- ٢٧٩ في الإشارة إلى القسم الثاني: وهو الوجود المطلق
- ٢٧٩ [مناسبة التسمية، والمراد بالاطلاق]:

- ٢٨٠ ﴿[إِطْلَاقَاتُ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْوُجُودِ]:
- ٢٨٠ التَّعْيِينُ الْأَوَّلُ.
- ٢٨٠ الرَّحْمَةُ الْكُلِّيَّةُ.
- ٢٨١ الشَّجَرَةُ الْكُلِّيَّةُ.
- ٢٨١ النَّفْسُ الرَّحْمَانِي الْأَوَّلِي.
- ٢٨٢ الْمَشِيئَةُ، وَالْكَافُ الْمُسْتَدِيرَةُ عَلَى نَفْسِهَا، وَالْإِرَادَةُ.
- ٢٨٤ الْكَلِمَةُ الَّتِي انْزَجَرَ لَهَا الْعُمُقُ الْأَكْبَرُ.
- ٢٨٤ الْإِبْدَاعُ.
- ٢٨٥ الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ﷺ.
- ٢٨٧ الْوَلَايَةُ الْمُطْلَقَةُ.
- ٢٨٧ الْأَزَلِيَّةُ الثَّانِيَّةُ
- ٢٨٨ عَالَمُ: «فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ».
- ٢٨٨ الْمَحَبَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ.
- ٢٨٨ حَرَكَةُ بِنَفْسِهَا.
- ٢٨٩ الْاسْمُ الَّذِي اسْتَقَرَّ فِي ظِلِّهِ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ
- ٢٩٠ صُبْحُ الْأَزَلِ.
- ٢٩٠ فِعْلٌ بِنَفْسِهِ.
- ٢٩١ عَالَمُ الْأَمْرِ.
- ٢٩٢ ﴿[صِفَةُ مَبْدَأِ الْوُجُودِ الْمُطْلَقِ]:

- ٣٠٠ [مراتب الوجود المطلق في تزييل الفوائد]:
- ٣٠٨ [علة تعدد هذه المراتب]:
- ٣١١ [المشيئة والعمق الأكبر]:
- ٣١١ [بين الفعل والمفعول]:
- ٣١٧ [الجواز الراجع الوجود]:
- ٣١٨ [معنى خلق المشيئة بنفسها ومثاله]:
- ٣٢٢ [معنى أن الأشياء كانت بالتناكح والتناسل]:
- ٣٢٥ [لو لم تمسسه نار، مكانه ووقته]:
- ٣٣١ [الوجودات الثلاثة على أوضاع ثلاثة]:

الفائدة الرابعة

- ٣٣٧ في الإشارة إلى تقسيم الفعل في الجملة
- ٣٣٧ [القسم الأول: مرتبة المشيئة]:
- ٣٤٠ [القسم الثاني: مرتبة الإرادة]:
- ٣٤٢ [القسم الثالث: مرتبة القدر]:
- ٣٤٧ [القسم الرابع: مرتبة القضاء]:
- ٣٤٨ [القسم الخامس: مرتبة الإمضاء]:
- ٣٥٠ [أركان الفعل وبيانها]:
- ٣٥١ [صح الأزل، وأنواره الأربعة]:
- ٣٥٩ [جواز استعمال أقسام الفعل بعضها مكان بعض]:

- ٣٦٤ [الاختراع والابتداع ومعانيهما]:
- ٣٦٦ [قول علماء الجفر في تقسيم الاختراع والابداع]:
- ٣٧٤ [الاختراع والابتداع وكلمة (حُن)]:
- ٣٨٠ ["الألف" هي الاختراع الثاني]:
- ٣٨٣ ["الباء" الإبداع الثاني]:
- ٣٨٤ [تقسيم مظاهر الحروف المعنوية، وتعليقه]:
- ٣٩٣ [الفعل بالنسبة إلى من دونه ذاتٌ واحدة]:
- ٣٩٥ [استعمالات الجعل]:
- ٣٩٩ [تقسيم الجعل إلى بسيطٍ ومركَّبٍ ليس بتمام، وتعليقه]:
- ٤٠٤ [بطلان التمثيل على التقسيم السابق للجعل]:
- ٤٠٩ [هل الظل حادٌّ عن الشمس؟]:
- ٤١٥ [الجعل واحدٌ لا تعدُّد فيه لذاته]:
- ٤١٧ فهرس المجلد الأول من الكتاب
- ٤١٩ [فهرس الآيات الكريمة].
- ٤٣٠ [فهرس الروايات الشريفة].
- ٤٧١ [فهرس الموضوعات].



الموزع الرئيسي لإصدارات مؤسسة فكر الأوحاد تـمـنـى
 مكتبة الشيخ الأوحـد الأحـسانـي تـمـنـى - سورـيا - السـيـدة زـينـب عـلـيـها
 السـلام هـاتف بـقال: (٠٠٩٦٣٩٣٣٠٦٧٦٦) - ص.ب: (٢١٣) .
 الموقع الإلكتروني: www.FikrALawhad.net
 البريد الإلكتروني: Radi@FikrALawhad.net